

سيرة
السُّلْطَانِ جَلَالِ الدِّينِ مَنكُبرْتِي
لمحمد بن أحمد النسوي

نشر وتحقيق
حافظ أحمد حمدي

ملفم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

مقدمة

مقدمة

انبتق فجر القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى ، والشرق الإسلامى يستعد لاستقبال تلك الجيوش المغولية الجرارة التى اندفعت نحوه اندفاعاً من شمال آسيا الشرقى . وثلا الغزو المغولى الأول بقيادة جنكيز خان غزوات أخرى فى فترات متقاربة ومتباعدة كان لها أثرها القريب والبعيد من النواحي السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية . وكما كان الغزو المغولى الأول عنيفاً ، فقد كان سريعاً أيضاً ، وكان المغول مدفوعين بحماس المحاربين الواثقين من إحكام تنظيم جيوشهم ، كما كانوا مدفوعين بالرغبة فى الانتقام من ولادة الأمر فى البلاد الإسلامية ، وفى الدولة الخوارزمية على وجه الخصوص . وإذا كنا نشك فى أن المغول فى أيام جنكيز خان كانوا يتطلعون إلى تكوين مجدد سياسى فى البلاد الإسلامية بعد أن يتوج النصر جيئهم ، فالأمر الذى لا شك فيه مطلقاً أنهم كانوا يسعون إلى كسب مادی يأتهم من البلاد الإسلامية يعوضون به ما كانوا يعانونه من فقر فى وطنهم الأول . ولم يكن من المؤكد أن ينتصر المغول على المسلمين لمجرد الرغبة فى الانتصار أو لمجرد تنظيم جيوشهم وإحكام تدريب رجالهم ، ولم يكن من المؤكد أيضاً أن يغنم المغول ماغنموه من كسب مادی فى البلاد الإسلامية لمجرد الرغبة فى الحصول على هذا الكسب ، ولكن من المؤكد أنهم انتصروا على المسلمين وأحرزوا ماأحرزوه من نصر لما كان يقابل حماس المغول ، من ضعف ووهن وتردد بين صفوف المسلمين ، الساسة منهم والمحاربين ، ولما كان يقابل قوة الجيوش المغولية التى أحكم تنظيمها وتجهيزها من ضعف ظاهر بين الجيوش الإسلامية التى كانت خليطاً من قوى لاتجانس بينها . ولم يكن من

المؤكد كذلك أن ينتصر المغول على المسلمين وأن يحرزوا ما أحرزوه من نصر لولا ما كان يعانيه الشرق الإسلامي في ذلك الوقت من انحلال سياسي واضطراب اقتصادي وفوضى اجتماعية .

نشأت الدولة العباسية كما هو معروف نشأة فارسية، إذ انحرف العباسيون عن العنصر العربي إلى العنصر الفارسي ، ومن ثم أخذ هذا العنصر يتغلغل تدريجيا في كل ناحية من نواحي الحياة في الدولة حتى تمكن من أن يجمع بيده مقاليد الأمور في عهد الرشيد^(١) حين استبدت أسرة البرامكة بكل شيء . ولما رأى الرشيد نفسه مدى ما وصل إليه البرامكة من نفوذ وسلطان، انحرف بقاءة عن هذه الأسرة فنكل بها كما هو معروف . على أن الخلفاء العباسيين بدلا من أن يعودوا إلى العنصر العربي ، سلخوا مقاليد الأمور في دولتهم إلى العنصر التركي ، فأخذ هذا العنصر بدوره يمكن لنفسه حتى تفاقم أمره في عهد الخليفة المعتصم^(٢) الذي ألقى بهؤلاء الأتراك في ميدان السياسة ، ولما تفاقم أمرهم في بغداد في عهد المعتصم نفسه ، بنى لهم مدينة سامرا سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) وأسكنهم فيها^(٣) .

ولما استفحل أمر الأتراك في الدولة العباسية، استعان الخلفاء عليهم بالبويهيين الذين استولوا على بغداد سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٥ م)، وكان الخلفاء في ذلك كمن استجار من الرمضاء بالنار. ولا شك أن من يتتبع تاريخ العباسيين في أيام البويهيين يجد عبارة عن سلسلة من المنازعات المستمرة إلا أن نتائجها كانت واحدة ، وهي الفوز للبويهيين والذلة للخلفاء . وكان البويهيون يضعون في كرسی الخلافة من يأنسون فيه الضعف ويخلعون عن كرسی الخلافة من يحاول الخروج على طاعتهم ، ولم يكتف البويهيون بعزل الخلفاء ، بل كانوا يتعقبون المعزولين منهم بالقتل والتعذيب والتشريد .

(١) الرشيد ، أبو جعفر هارون بن المهدي : ١٩٣/١٧٠ هـ (٨٠٩/٧٨٦ م) .

(٢) المعتصم بالله ، أبو اسحق محمد بن الرشيد : ٢٢٢٧/٢١٨ هـ (٨٤٢/٨٣٣ م) .

(٣) ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

ولم يكن حال الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقي (١) أحسن مما كان في عصر البويهيين . فإذا كان البويهيون قد استبدوا بالسلطة وغلوا أيدي الخلفاء ، فإن هذه السلطة قد انتقلت بمرمتها إلى أيدي السلاجقة الذين فعلوا بالخلفاء ما فعله الأتراك والبويهيون بهم من قبل . وليس أدل على ضعف الخلفاء في هذا العصر من أنهم كانوا يعيشون من وراء مآذره عليهم إقطاعاتهم المقررة (٢) ، ولم يبق لهم من نفوذ سوى ذكر اسمهم في الخطبة ونقشه على السكة . وقد أثر عن الخليفة المسترشد (٣) أنه قال : فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق ، فبغوا علينا ، فطال عليهم الأمد ، فقتل قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون (٤) . ونلاحظ أيضا أن الخلفاء العباسيين كانوا في عهد السلاجقة وفي عهد كل من الأتراك والبويهيين من قبلهم قد احتجبوا في قصورهم عن الناس ، كما ركنوا إلى حياة الدعة ، وليس هناك من شك في أن احتجاب الملوك عن رعيته لمن أقوى الأدلة على ضعفهم .

وليس معنى ما تقدم أن الخلفاء العباسيين في العصر السلجوقي قد ركنوا إلى الذلة والاستكانة ، فالحقيقة أنهم أخذوا منذ أيام الخليفة المسترشد يشعرون لكرامتهم منتهزين فرصة ما آل إليه السلاجقة من ضعف وحاولوا جاهدين استعادة سلطانهم . وعلى هذا النحو استمر الخلفاء العباسيون في صراعهم مع السلاجقة حتى زال سلطانهم من العراق سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٣ م) بعد مقتل آخر سلاطينهم .

* * *

-
- (١) دخل السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) في عهد طغرل بك بن ميكائيل ، وكان آخر سلاطين السلاجقة في العراق هو طغرل بك بن أرسلان شاه الذي قتل سنة ٥٩٠ هـ (١٠٩٣ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٥٠ ، وانظر أيضا ص ٤٩ حاشية ٣ .
- (٢) ابن الأثير : تاريخ الدولة الاتابية — ملوك الموصل ، ص ٩١ — ٩٢ .
- (٣) المسترشد بالله ، أبو منصور الفضل بن المستظهر : ٥٢٩/٥١٢ هـ (١١٣٥/١١١٨ م) .
- (٤) النظار المروزي السمرقندي : جهاز مقاله ، ترجمة الأستاذين عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، ص ٣١ .

وتعتبر الفترة الواقعة بين دخول السلاجقة بغداد حتى وفاة السلطان ملكشاه^(١) فترة تماسك وتساند بين أقاليم الشرق الإسلامي ، إذ استطاع السلاجقة أن يوحّدوا بلاداً وأقاليم لم تكن بالأمس غير أجزاء متناثرة متعادلة ، بصرف النظر عن مركز الخلافة العباسية نفسها ، كما عمد السلاجقة منذ حطوا رحالهم في بغداد إلى أن يشبعوا نهمهم من التوسع في الفتح ، وقد استطاع طغرل بك أن يمد نفوذه على بلاد الجزيرة وأرمينية ، واستطاع خلفه ألب أرسلان أن يزيد من هذا النفوذ فامتدت أملاك الدولة السلجوقية إلى بحر مرمرية ، وأخيراً تمكن ملكشاه من أن يخضع سوريا وجورجيا في الغرب وبخارى وسمرقند في الشرق . وهكذا نرى أنه إذا كان للسلاجقة أهمية في التاريخ الإسلامي فهي أنهم تمكنوا من توحيد كلمة المسلمين في أقاليم الشرق الإسلامي ، واستطاعوا بذلك أن يدفعوا البيزنطيين إلى الوراء ، كما أوجدوا جماعة من المحاربين المسلمين كانوا موضع خشية الصليبيين^(٢) .

على أن هذه القوة الإسلامية المتماسكة ، سرعان ما بدأت في الانهيار بعد وفاة ملكشاه آخر سلطان قوى من سلاطينهم لأسباب متعددة ، فإذا تركنا جانباً الكلام عن الصراع الذي نشب بين أبناء ملكشاه وأحفاده من جانب وبين الخلفاء العباسيين من جانب آخر ، وإذا تركنا جانباً الكلام عن الصراع بين الكتلتين الإسلامية والمسيحية ، إذا تركنا الكلام عن ذلك كله نجد أن هناك عوامل أخرى انبثقت من جوف الدولة وأخذت تعمل على إضعاف القوة السلجوقية نفسها وأهمها ذلك الصراع العنيف الذي قام بين أمراء السلاجقة ، كما نجد طائفة الاسماعيليين^(٣) التي كان رائدها تكوين صرح قوى على أشلاء القوى الإسلامية المتداعية ، وأخيراً

(١) من سنة ٤٤٧/٤٨٥ هـ (١٠٩٢/١٠٥٥ م) .

(٢) Browne : A Lit. Hist. of Persia, vol. ii, p. 165

(٣) انظر ص ٥١ حاشية ١ .

نجد كيف أن اتساع النزعة إلى الاستقلال بين دول الأتابكة كان من أهم عوامل ذلك اتفكك^(١).

أورث ملكشاه أبناءه دولة موطنة الأركان، كما ورث الشرق الإسلامي أبناء تغلب على نفوسهم روح الطمع بدلا من أن تسودهم روح التساند والاتحاد، فأعمتهم المصلحة الشخصية وانشقوا على أنفسهم، وقادهم هذا كله إلى حروب وقتن داخلية صرفتهم عن النظر في مصالح تلك الدولة التي استلزمت الكثير من الجهد في تكوينها. فانشق أبناء ملكشاه على أنفسهم في كل من فارس والعراق، وأخذ كل يسعى إلى جمع السلطة في يده، كما برز تتش من بلاد الشام يسعى إلى مد نفوذه إلى ما خلفه أخوه ملكشاه من ملك، وهكذا استمر ذلك الصراع بين أبناء البيت السلجوقي وأدى هذا إلى تفكك القوى الإسلامية وانحلالها، مما ساعد على نجاح القوى الخارجية الطامعة في اغتصاب ما تستطيع اغتصابه.

أما العامل الثاني الذي أودى بكيان الدولة السلجوقية فيرجع كما قلنا إلى طائفة الاسماعيلية. فقد أخذ الفاطميون يروجون للذهب الشيعي في بلاد المشرق منذ أن استتب لهم الأمر في مصر، وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى إضعاف الخلافة العباسية إذا لم يتمكنوا من القضاء عليها. ثم حدث أن انقسم أنصار هذه الدعوة منذ أيام الخليفة المستنصر الفاطمي^(٢)، وتشيع فريق لابنه نزار، وتشيع فريق آخر لابنه المستعلي، واتخذت الفرقة الأولى من بلاد المشرق مهدا لها بزعامة الحسن بن الصباح، أما الفرقة الثانية فقد ظل أتباعها في مصر.

وقد استطاع الحسن بن الصباح^(٣) أن ينتهز فرصة ذلك الشقاق والانحلال الحادث في جوف الشرق الإسلامي ليقوى بمذهبه، ولا يخفى

(١) انظر ص ٥٢ حاشية ٥.

(٢) المستنصر، أبو تميم معد: ٤٢٧/٤٨٧ هـ (١٠٣٥/١٠٩٤ م).

(٣) ٤٨٣/٥١٨ هـ (١١٢٤/١٠٩٠ م).

أن السياسة المرسومة لنجاح هذه الطائفة كانت تهدف إلى تقويتها على حساب الانقسام الذي حدث في قلب الدولة سواء أكان ذلك الانقسام دينياً أم عنصرياً . وكانت النتيجة أن أضاف الحسن بن الصباح إلى عوامل اضمحلال الشرق الإسلامى عاملاً جديداً يفوق العوامل التى تحدثنا عنها قوة وعنفاً . ويعتبر السلطان ألب أرسلان ^(١) السلجوقى مسئولاً إلى حد كبير عن نجاح هذه الدعوة ، إذ أنه تسبب في حجب أخبارهم عن الدولة بعد أن ألغى نظام البريد الذى كان سائداً في الدولة الإسلامية ، فلم يتمكن السلاجقة من استقصاء الأخبار في دولتهم . وكان لمدارس الدعوة الشيعية في القاهرة أكبر الأثر في نجاح الدعوة بفضل ما كانت ترسله من دعاة إلى بلاد فارس ، كما كان اضطهاد العباسيين لهم والتنكيل بمن يقع في يدهم من هؤلاء سبباً في تماسك هذه الفئة وتكاتفها ، شأنها في ذلك شأن كل أقلية مضطهدة . وقد اتخذ الحسن بن الصباح من قلعة الموت مركزاً لدعوته ، ومنها أخذ يرسل دعاة إلى سائر أقاليم الشرق الإسلامى ، كما عمل على الاستيلاء على كثير من القلاع في قوهستان وخوزستان وغيرهما ، مستعملاً اللين تارة والعنف تارة أخرى ، ونضلاً عن ذلك فقد أكثر من بناء القلاع الحصينة فوق الجبال وأصبح يهدد البلاد الإسلامية في غرب آسيا ^(٢) .

والامر الذى لا شك فيه أن الحسن بن الصباح كان يهدف إلى إسقاط الخلافة العباسية بطرق القتل والإرهاب وسفك الدماء في كل ناحية من نواحي الشرق الإسلامى مستعيناً في ذلك بجماعة الفدائيين الذين اختارهم من الشبان المتحمسين ^(٣) ، والذين كانوا لا يترددون في التضحية بأرواحهم في

(١) أرسلان لفظ تركى معناه أسد .

(٢) Bretschneider : Medieval Researches, vol . i, p. 116

(٣) قسم الحسن بن الصباح أتباعه إلى سبعم درجات رئيسية : داعى الدعوة ، كبار الدعاة ، الدعاة ، الرفاق ، اللاصقون ، الفدائيون ، المستجيبون . وكان لكل فئة من هؤلاء مهمتها الخاصة ، كما كان الحسن بن الصباح يعتمد في نجاح دعوته على طبقة الفدائيين . انظر كتابنا : الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى ، ص ٧٢ — ٧٤ ، وانظر أيضاً Sykes : A History of Persia, p. 55

سبيل الاستجابة إلى ما يؤمرون به ، فنجحوا في أن يوقعوا الرعب في قلوب السكان الأميين . وقد مهر الفدائيون في فن التخفي واستعمال السلاح ، كما مهروا في اللغات الأجنبية . وكانوا يقتلون المسلمين أيام الجمع في المساجد ، كما كانوا يقتلون الأمراء المسيحيين في الكنائس علناً^(١) . ولعله من المهم أن نذكر في هذا المقام أن شر طائفة الإسماعيلية لم يستفحل تماماً إلا بعد وفاة السلطان ملكشاه ، إذ اتهم زعماء الإسماعيلية فرصة ذلك الشقاق الذي دب في جوف الدولة بين أفراد الأسرة السلجوقية ، ثم ذلك الصراع الذي قام بين السلاجقة وبين الخلافة العباسية وأخذوا يعملون لأنفسهم على حساب هؤلاء جميعاً ، ووصل الأمر بالسلاجقة إلى أنهم كانوا يوعزون إلى الإسماعيلية بقتل الخلفاء العباسيين^(٢) .

أما ثالث العوامل التي أدت إلى انحلال الدولة السلجوقية وبالتالي إلى ضعف الشرق الإسلامي فكان نظام الأتابكة . فقد أكثر السلاجقة من الاتراك في بلاطهم ، وأسندوا إليهم الوظائف الرئيسية في قصورهم ، فإذا أظهر أحدهم كفاءة خاصة أو صفة ممتازة وصل إلى أعلى المراتب في الجيش وفي البلاط ، أو عهد إليه بحكم إقليم من أقاليم الدولة . وكان السلاجقة كما ذكرت في موضع آخر^(٣) يعهدون في تربية أبنائهم إلى المقربين إليهم من الاتراك ، فإذا عين السلطان أحد أبنائه على مدينة من المدن ، ذهب معه هذا التركي ليكون عوناً له في حكم الإقليم الذي أسند إليه .

(١) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ، ص ٥٢ . (طبعة R . H . O . G)
وانظر أيضاً : Browne : Op. cit., vol.ii, p. 209
(٢) لما دب الخلاف بين الخليفة المسترشد والسلطان مسعود ، أوعز الأخير إلى الإسماعيلية بقتل الخليفة فقتلوه سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) ، ومثلوا به بأن قتلوا أخاه وأذنيه . ولا حاول الخليفة الراشد أن يثأر لمقتل أبيه فقتلوه أيضاً سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) . انظر الديار بكرى : تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ٣٦٢ . وانظر أيضاً ابن الأثير : تاريخ الدولة الأتابكية ، ص ٩٨ .
(٣) انظر ص ٥٢ حاشية ٥ .

ولم يكن هناك من خوف على الدولة السلجوقية خاصة والشرق الإسلامي عامة من نظام الأتابكة ، ما دام سلاطين السلاجقة من القوة بحيث يستطيعون فرض سيطرتهم ونفوذهم على من تسول له نفسه التفكير في الاستقلال ، وما دام في الدولة جيش قوى تسيطر عليه قوة واحدة ، ولكن الخوف كل الخوف أن يضعف سلاطين السلاجقة فتضعف دولتهم وينفرد كل حاكم من هؤلاء بحكم ما تحت يده . وعلى هذا الأساس فقد كان طبعياً أن يستقل الأتابكة بالحكم بعد وفاة السلطان ملكشاه ، كما كان طبعياً أن يتسابق كل إلى توسيع رقعة البلاد التي تحت يده على حساب جاره ، ولذلك قام الصراع بين هؤلاء الحكام ، في الوقت الذي قام فيه الصراع بين أفراد البيت السلجوقي ، وأصبحت أقاليم الشرق الإسلامي على هذا الأساس مفككة الأوصال ^(١) لا تأتمر بإمرة حاكم واحد ، كما كان طبعياً أن ينتهز النهازون من أعداء الدولة في الخارج هذه الفرصة ليعملوا على اقتطاع ما يستطيعون اقتطاعه من أملاك الدولة الإسلامية .

* * *

كانت الأقاليم الشمالية الشرقية من القارة الآسيوية منذ عصور التاريخ الأولى المنبع الذي انبثقت منه الهجرات القبلية المتعددة إلى أقاليم آسيا المختلفة . وقد زحرت هذه الجهات من القارة الآسيوية بالقبائل الرحل التي كانت دائمة التنقل من مكان إلى آخر حسب ما تمليه عليها ظروفها الاقتصادية بوجه خاص . وعلى الرغم من تعدد القبائل المتنقلة في هذه الجهات ، فإن كل قبيلة من القبائل كانت تكون وحدة قائمه بذاتها أساسها وحدة الجنس

(١) الأتابكيات التي ظهرت على مسرح الشرق الإسلامي هي : دمشق ، حلب ، الجزيرة ، الموصل ، سنجار ، لاربيل ، ديار بكر ، أرمينية ، أذربيجان ، فارس ، لورستان ، كرمان . انظر كتابنا الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ٩١ — ١١٤ .

وانظر أيضاً كتابي Zambaur : Manuel de Océanologie et de Chronologie .

Lane — Poole : The Mohammadan Dynasties .

واللغة (١). وكانت قبائل المغول التي نشأت في الهضبة المعروفة بهضبة منغوليا شمال صحراء جوبي من أهم وأبرز هذه القبائل. على أن هذه القبائل جميعها كانت في جملتها تعيش عيشة بربرية بحتة، وتتوق إلى تعرف كنه الحضارات المجاورة لها، ولا سيما حضارة الصين في الجنوب، ولذلك كانت البلاد الصينية هدفا لغاراتهم بين وقت وآخر، ولم يكن لهم من هدف واضح سوى سلب ما يمكن سلبه من خيرات تلك البلاد. ومن الثابت أن سور الصين القديم كان قد بناه أهل الجنوب دفعا لغارات القبائل الشمالية المتبربرة (٢).

وكانت القبائل المغولية في مستهل القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، تعيش في الأقاليم الواقعة بين بحيرة بيكال في الغرب وجبال كنجان على حدود منشوريا في الشرق، وكان انحلالها السياسي واضطرابها الاجتماعي يندران بضرورة ظهور زعيم قوى يستطيع أن يخضع هذه القبائل جميعها إلى سلطانه. وكان هذا الزعيم هو تموجين الذي استطاع بدهائه أن يجمع شمل القبائل المغولية المتفرقة، وأن ينصب نفسه خاقاناً (٣) عليها سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م)، ثم أبدل اسمه باسم جنكيزخان، واختار مدينة قره قورم حاضرة للملكة.

وبعد أن اعتلى جنكيزخان عرش المغول، رسم لنفسه سياسة واضحة تهدف إلى التوسع في الأقاليم الجنوبية بقصد اقتطاع ما يمكن اقتطاعه من البلاد الصينية، والتوسع في الأقاليم الغربية بقصد تعقب بعض القبائل المغولية التي فرت من وجهه وأبت الرضوخ لسلطانه. وبينما هو يستعد لتوسيع ملكه، أخضع شعبه لدستور اجتماعي متين البنيان ودستور حربي لا يقل

(١) Grenard : Gengis-Khan , p. 8

(٢) Little : The Far East, p. 184

(٣) انظر مدلول لفظ خاقان في ص ٣٨ حاشية ٤.

عنه متانة وقوة . وقد نظم هذا كله القانون المعروف باليساق^(١) . ومع أن قانون اليساق مختصر وبسيط إلا أنه مبني على الحزم والصرامة . وبعد أن اطمأن جنكيزخان إلى استقرار الأمر في داخل دولته ، سار إلى البلاد الشمالية من بلاد الصين وتمسك من إخضاعها ، كما اتجه إلى الانتقام من أعدائه الذين فروا من وجهه تجاه الغرب ، ومن ثم اصطدم بالقوى الإسلامية ولا سيما الدولة الخوارزمية التي كانت قد وصلت إلى أقصى اتساع لها في عهد علاء الدين محمد خوارزم شاه . وقد تمكن جنكيزخان من تخريب أقاليم هذه الدولة والتشكيل بسلطانها وجيوشها وسكانها في مدة لا تزيد على أربع سنوات ، إذ بلغ حدودها سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) وشرع في العودة إلى منغوليا سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) .

وكان غزو جنكيزخان للشرق الإسلامي عنيفاً كل العنف ، فقد خرب بجيوشه كل ماصادفه في البلاد التي وطئها أقدامه ، ونكل بالمسلمين وتفنن في تعذيبهم بشتى الوسائل والأساليب حتى كان الغزو والمغول موضع حديث المؤرخين المسلمين ، المعاصرين منهم وغير المعاصرين ، كما تتم كتاباتهم عما كان يعانيه المسلمون في ذلك الوقت من آلام . وقد صور ابن الأثير حال المسلمين في ذلك الوقت أدق تصوير ، وكاد يقلع ، من جسامه الخطب ، عن الكتابة في هذا الموضوع^(٢) .

(١) من أهم أحكام اليساق قتل الزاني ، وقتل التاجر الذي يخسر في بضاعته بعد المرة الثالثة ، وقتل من يأوى أسرى الحرب دون إذن ، ومن يقصر في معاونة زميله أثناء الحرب ، كما نص هذا القانون أيضاً على احترام الفقراء والعلماء ورجال الدين على اختلاف أديانهم ، وسواى بين جميع أفراد الشعب ، وحرّم عليهم منح الألقاب ، كما نظم الجيش والبريد ... الخ انظر المقرئى : الخطط ، ج ٢ ص ٢٢٠ — ٢٣١ .

(٢) عبر ابن الأثير عن حوادث الغزو المغولى بقوله : لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها ، كارهاً لذكرها ، فأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى ، فن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فإليت أى لم تلدى وبالبقي مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً . إلا أنى حتى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى فقام ... هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى =

ولم تخل كتابات السيوطي عن الغزو المغولي من التعليق بعبارات لا تفتقر في معانيها عن تلك التي قصدها ابن الأثير^(١). كذلك لم تخل كتابات المؤرخين والكتاب الأوربيين الذين عالجوا موضوع الغزو المغولي من التعليق على حوادث الغزو ، فترى سيكس Sykes^(٢) يرجع حب المغول للتخريب إلى طبيعتهم البدائية ، بحيث أنهم كانوا إذا احتكوا ببلد من البلدان المتحضرة يندفعون إلى تدمير ما يجدونه فيه من مظاهر الحضارة والمدنية بسبب خوفهم منها ، ومن ذلك أنهم عندما احتكوا ببلاد الصين ولسوا طرفاً من حضارتها ، هاجموها وأحرقوا مدنها وقراها ونكلوا بالرجال والنساء والأطفال ، بحيث لم يتركوا وراءهم بعد انتهاء فترة الغزو إلا بلدانا مخربة مكتظة بجثث القتلى ، وما حدث في بلاد الصين حدث أيضاً في المذنب الإسلامية . كذلك نرى الكاتب هارولد لام Harold Lamb^(٣) يشبه قوة المغول البدائية بالريخ العاصف. والزلازل العالمي ، إذ استطاعوا أن يصلوا إلى حدود آسيا الشرقية والغربية ، وأن يعبروا السفوح الوعرة بعقل لا يفترق عن عقل الحيوان الذي لا يكترب لتعذيب البشر ، الشره لكل جديد براق والذي يندفع اندفاع الأطفال الذين لا يدركون معنى للمسئولية .

بهذه الروح البربرية الفاشمة ، سار جنكيزخان لغزو البلاد الإسلامية

== والمصيبة الكبرى . . . فلو قال قائل إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها . . . وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا الأجنة ، فإن الله ولما إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لهذه الحادثة استطار شررها وعم ضررها ، وسارت في البلاد كالسحاب استديرته الريح . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٦٤ — ١٦٥ .

(١) قال السيوطي عن غزو جنكيزخان للشرق الإسلامي ما يلي : هو حديث يأكل الأحاديث ، وخبر يطوى الأخبار ، وتاريخ ينسى التواريخ ، ونازلة تصغر كل نازلة ، وفادحة تطبق الأرض وتعلوها ما بين الطول والعرض . انظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٠ .

(٢) Sykes : Op. cit., pp. 55-56 .

(٣) Harold Lamb : The Crusades, p. 337 .

سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) ومن الخطأ أن نعتقد أنه سار إلى هذه البلاد على غير خطة وسمها لنفسه ، بل الواقع أن خططه ونظمه الحربية كانت من الأمور التي تسترعى نظر الباحثين . فقد أجهز أولاً على كل بلاد ماوراء النهر ثم وزع أمر الاستيلاء على أقاليم الدولة الخوارزمية المختلفة بين أبنائه وقواده . فبينما توجه جيش إلى إقليم خوارزم ، توجه جيش آخر إلى خراسان ، وتوجهت فرقة ثالثة إلى أقاليم العراق العجمي وأذربيجان وجورجيا ، وفي الوقت نفسه كان جنكيزخان يتم إذلال المدن الواقعة في أعالي نهرى سيجون وجيحون ويمهد للاستيلاء على إقليم غزنة .

ركز جنكيزخان جهوده في بادئ الأمر في الاستيلاء على إقليم ماوراء النهر ورأى أن يأتي على هذا الإقليم دفعة واحدة ، فانقض عليه من جهات أربع ، وخصص لكل جهة فرقة معينة عهد بقيادتها إلى أبنائه وقواده أو اشترك فيها بنفسه^(١) . وهكذا تمكن جنكيزخان من الإيجاز على إقليم ماوراء النهر برمته دفعة واحدة وهو الإقليم الذي اتخذ الخوارزميون مركزاً للدفاع عن دولتهم وركزوا فيه كل جيوشهم وجهودهم ، وبسقوطه لم يعد هناك حائل بين المغول وبين الاستيلاء على الأقاليم الباقية من الدولة الخوارزمية .

وبينما كان المغول يكتسحون إقليم ماوراء النهر كان علاء الدين محمد خوارزم شاه قد صمم على الابتعاد عن مسرح الحرب والسياسة معا بعد

(١) كانت أولى هذه الفرق تحت قيادة ابنه جغتاي Tchagatai وأجنتاي Ogotai وقد توجهت إلى مدينة أترار مفتاح إقليم ماوراء النهر . أما الفرقة الثانية فكانت تحت قيادة ابنه الأكبر جوجي Djoutchi وتوجهت إلى مدينة جند على نهر سيجون . أما الفرقة الثالثة فقد توجهت إلى مدينتي بنكت وخجندة وما من أهم المنافذ الواقعة على نهر سيجون أيضاً . وقد سار جنكيزخان نفسه ونمعه ابنه تولوي Toulou إلى مدينتي بخارى وسمرقند ثم وأكبر مدن ماوراء النهر .

انظر خريطة الدولة الخوارزمية في أقصى ، اتساعها ، وراجع كتاب D'ohsson : Histoire Des Mongols, t. I, pp. 217 — 219.

أن تسرب اليأس إلى نفسه وعول على الفرار من وجه المغول إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية ، ولم يشأ جنكيزخان أن يترك السلطان الخوارزمي الهارب وشأنه ، فأرسل في إثره فرقتين تتكون كل منهما من ألف مغولي ويقودهما اثنان من أمهر قواده^(١) ، أخذوا يطاردان السلطان الخوارزمي وهو ينتقل من بلد إلى آخر حتى وصل آخر الأمر إلى إقليم مازندران في جنوبي بحر قزوين ، ثم التجأ إلى إحدى جزره ، ولم يسلطع المغول أن يلحقوا به . وأخيراً مات السلطان الخوارزمي في هذه الجزيرة بعد شهر من وصوله إليها ، أي سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ / ١٢٢١ م) . وكان المغول في هذه الفترة يستولون على كل ما يصل إلى أيديهم في أقاليم مازندران والعراق المعجمي ويعملون الذهب والتخريب والقتل والسبي في كل مكان يحلون فيه^(٢) ، كما عملوا بعد ذلك على الاستيلاء على أذربيجان وأران وجورجيا وغرباً مدنها ، وحملوا ما يستطيعون حملة من خيراتها ، وعبروا المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود إلى بلاد القفجاق وروسيا وأوصلوا الرعب إلى قلب أوروبا^(٣) .

وقد اتبع المغول طريقة عنيفة في الإجهاد على كل المدن الخوارزمية الأخرى سواء أكان ذلك في إقليم خوارزم نفسه الذي استولوا على حاضرتة - خوارزم بقيادة جوجي وجفتاي وأجتاي من أبناء جنكيزخان ، أم في خراسان الذي استولوا على أمهات مدنه وهي مرو ونيسابور وهراة وغيرها بقيادة تولوي بن جنكيزخان أيضاً ، أم في المدن الواقعة في أعلى نهر جيحون وإقليم غزنة الذي قاد فيه جنكيزخان الجيوش المغولية بنفسه^(٤) . ولئن هنا في معرض سرد حوادث استيلاء المغول على هذه المدن.

(١) هامشي Tchébé وسوبوتاي Souboutai

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٧٠ و Bretschneider: Op. cit., vol. I, p. 288

(٣) D'ohsson : Op. cit., t. I, pp. 331 — 334

(٤) راجع كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٣٦ — ١٦٤ .

الخوارزمية ، ولكن من المهم أن نذكر أن المغول اتبعوا سياسة واحدة نحو هذه المدن جميعاً ، وسياسة واحدة نحو سكانها أجمعين ، وترى هذه السياسة إلى تخريب هذه المدن تماماً وتركها أطلالا لا تجد من ينيكها . وأما سكانها فكانوا لا يبقون منهم إلا على أصحاب الحرف والمهن ممن يلبسون فيهم بعض النفع ، سواء في الاستيلاء على مدن إسلامية جديدة أم في استخدامها في مأرب أخرى في بلادهم الأصلية في شرق آسيا .

وكانت خاتمة انتصارات جنكيزخان في إقليم غزنة حيث حول جلال الدين منكبرتي^(١) على مقاومة المغول والثار لآبيه . وعلى الرغم مما كان يسود إقليم غزنة من فتن وقلق بسبب تباين سكانها المختلفي الأجناس وتنازع القواد الخوارزميين فيما بينهم وكثرة الطامعين في حكم هذا الإقليم ، على الرغم من ذلك كله فقد استطاع جلال الدين منكبرتي أن يجمع جيشاً كبيراً سار به عام ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) لملاقاة المغول في سهول بيروان في الشمال الشرقي من مدينة غزنة حيث تمكن جلال الدين من أن ينتصر على المغول انتصاراً مؤقثاً ، إذ سرعان ما انقسم الجيش الخوارزمي على نفسه ، ووجد جلال الدين أنه لم يعد في استطاعته أن يواجه جنكيزخان الذي صمم على الانتقام من الخوارزميين ، لذلك رأى أن ينسحب إلى السهل الواقع غرب نهر السند وفي عزمه أن يعبر هذا النهر إلى بلاد الهند لعله يجد هناك ملجأً أميناً يدفع عنه خطر المغول . وقبل أن يتمكن جلال الدين من تنفيذ خطته ، استطاع جنكيزخان أن يوقع به هزيمة منكرة . على أنه تمكن من النجاة

(١) كتب بعض المستشرقين هذا الاسم خطأ «منكبرتي» ومن هؤلاء هاسر يورجستال Hammer Purgstall ، وادوارد براون Edward Browne . أما لفظ «منكبرتي» فعنايه السماء أو مبعوث السماء Heaven sent . انظر Vambery : History of Bokhara , p. 134, note 2 . ولعل هذا الخطأ الذي وقع فيه بعض المستشرقين يرجع ، كما يفهم مما قاله هوداس في مقدمة الطبعة الفرنسية ، إلى أن هذا الاسم كان مكتوباً « منكبرتي » في النسخة الخطية المحفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس والتي رجع إليها هوداس . بل من المحتمل أن يكون هذا قد ورد في النسخة الأصلية غير منقوطة على الإطلاق .

بنفسه إلى بلاد الهند حيث تجمع حوله أربعة آلاف جندي خوارزمي من استطاعوا النجاة إلى بلاد الهند .

* * *

كان هدف الخوارزميين الأول بعد أن عبروا نهر السند إلى بلاد الهند أن يبحثوا لهم عن مأوى أمين يلجئون إليه بعد تلك الحرب التي عانوا ما عانوه من أهوالها ، وقد عاشوا فترة من الوقت مستعئين بما استطاعوا أن ينهبوه من البلاد التي حطوا رحالهم فيها . وكان جلال الدين منكبرتي في هذه الفترة أيضا دائم التنقل من مدينة إلى أخرى ، وكثيراً ما كان يظهر بمظهر الكسير الذليل من هول ما أصاب دولته عامة ، وأصابه هو خاصة بعد موقعة السند .

أما عن المغول في هذه الفترة فكانوا يعيشون فساداً في إقليم غزنة وينعمون بشمرة انتصاراتهم ، متعمدين أن يذيقوا من بقى من الخوارزميين صنوفاً مختلفة من العذاب . وأخيراً بعد أن اطمأن جنكيز خان إلى أنه قد وضع يده على أقاليم الدولة الخوارزمية جميعها ، وشرّد وقتل أفراد الأسرة الخوارزمية أجمعين ، بعد ذلك كله شرع في العودة إلى منغوليا في ربيع عام ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) .

وما أن رحل جنكيز خان إلى بلاده ، وابتعد الخطر المغولي عن أقاليم الشرق الإسلامي ، حتى عبر جلال الدين منكبرتي إلى الضفة الغربية من نهر السند سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) في طريقه إلى بلاده ، مغذاً السير إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية ، مخترقاً ذلك الاقليم الساحلي المجذب في جنوب الدولة الخوارزمية ، ذلك الطريق الذي سلكه الاسكندر الأكبر من قبل ، وكان من نتيجة ذلك أن فقد عدداً كبيراً من رجاله الذين ماتوا من شدة الجوع والعطش وبسبب انتشار الأمراض بينهم ^(١) .

D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 5 (١)

وقد استطاع جلال الدين بعد أن وصل إلى بلاده أن ينتزع السلطة من أخيه غياث الدين ، الذي اتمرز فرصة فرار جلال الدين إلى بلاد الهند وأخذ يعمل لنفسه ، كما استطاع جلال الدين أن يبسط نفوذه على أقاليم خوارزم وغزنة وكرمان وفارس وخراسان ومازندران وغيرها ، ثم ركز جهوده بعد ذلك في توسيع نفوذه على حساب القوى المتعددة القائمة في ذلك الوقت ، وفي أن ينتقم من أعدائه القدامى الذين لم ينصروا أباه إبان الغزو المغولي ، وكانت الخلافة العباسية في طليعة من اتجه إليهم ، وإن كان الحظ لم يحالفه عندما حاول الاستيلاء على أملاكا سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) (١) ، ثم ساد السلام بين جلال الدين وبين الخلافة في عهد الخليفة المستنصر العباسي (٢) ، وذلك بعد أن قبل جلال الدين ما عرضه عليه الخليفة عام ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) من عدم الاعتداء على الأمراء المسلمين من المقربين إليه ومنهم أمير الموصل وإربل . وإقامة الخطبة له على منابر سائر بلاد الدولة الخوارزمية .

وثمة ناحية أخرى اتجه إليها جلال الدين بعد أن تربع على عرش أبيه ألا وهي توسيع نفوذه على حساب القوى في شمال الدولة الخوارزمية ، ومن أهمها أذربيجان وجورجيا . وقد اتجه فعلاً لتحقيق هذا الهدف سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) . وكانت الحالة الداخلية في أذربيجان خير معوان للخوارزميين على السيطرة على هذا الإقليم . فإذا تركنا جانباً ما كان يعانيه هذا الإقليم من فوضى واضطراب ، نجد أن الأتابك أوزبك بن بهلوان حاكم هذا الإقليم كان رجلاً مسناً ، منصرفاً إلى مجالس اللهو ، تاركاً مقاليد الأمور في دولته إلى زوجته لتصرف ما تستطيع تصريفه منها على قدر استطاعتها . وقد أدى هذا وغيره إلى سرعة سيطرة جلال الدين على إقليم أذربيجان بعد استيلائه على مدينة تبريز (٣) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٥ .

(٢) ٦٢٣/٦٤٠ هـ (١٢٢٦/١٢٤٢ م) .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٨ — ١٩٩ .

وبعد أن أتم جلال الدين إخضاع أذربيجان توجه إلى الإجهاز على جورجيا ، وقد صمم منذ البداية على الإجهاز على هذا الاقليم والثأر من أهله الذين كان أكثرهم من المسيحيين ، وذلك عن طريق التخريب والقتل والسبي ، نظر آ لما لاقاه المسلمون من التعذيب والتشريد ، منتهزين فرصة تلك المحن التي حلت بالشرق الاسلامي إبان الغزو المغولي . وقد تمكن جلال الدين فعلا من الانتصار على جيش جورجيا الذي كان أكثره من الجنود المرتزقة ، كما تمكن من الاستيلاء على مدينة تفليس حاضرة هذا الاقليم في الثامن من ربيع الأول سنة ٦١٣ هـ (٩ مارس سنة ١٢٢٦ م) ، وقد ترك جلال الدين لجنوده العنان بعد أن استولى على هذه المدينة ، فأصبحت مرتعا للسلب والنهب ، كما أصبح سكانها هدفا للقتل والتشريد ، ولم يعف من هذا وذاك إلا من اعتنق الاسلام ، وبذلك طبع الاقليم بالطابع الاسلامي إلى حين . (١) .

وهناك ناحية أخرى اتجهت إليها سياسة جلال الدين بعد أن تربع على عرش الدولة الخوارزمية ألا وهي طائفة الاسماعيلية ، فقد أثارت هذه الطائفة كثيرا من المتاعب والصعاب في وجه الدولة الخوارزمية ، وكانت دون شك شوكة في ظهر سلاطينهم . وإذا كانت هذه الطائفة قد أخذت تعيش في البلاد فسادا ، منتهزة فرصة تلك الفوضى التي حلت بأقاليم الشرق الاسلامي عقب الغزو المغولي ، فإنها بدأت تنكمش في قلاعها بعد عودة جلال الدين من الهند ، بل أخذت تقترب إليه منذ سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) بعد أن وجه ضربة حاسمة إلى قلاعها في خراسان وغيرها (٢) على أنه لم يكن من المعقول أن تعتمد طائفة الاسماعيلية إلى الاستكاثنة نهائيا

(١) Defremery : Fragments de Geographes et d'Historiens Arabes et Persans Inédits, pp. 486 — 487 . (J.A., Nov.— Déc., 1849)

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٧ .

بل الواقع أنها أخذت تعمل جاهدة على أن تؤلب أعداء الخوارزميين عليهم، ومن الثابت أن المغول كانوا في مقدمة من استحثهم قادة الاسماعيليه على إعادة غزو هذه الدولة (١) .

وكانت أول حرب مغولية منتظمة وجهها المغول إلى أقاليم الدولة الخوارزمية في عهد جلال الدين منكبرتي ، تلك التي حدثت في عهد أجتاي Ogotai بن جنكيزخان (٢) سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣١ م) حينما وجه هذا الخاقان جيشاً كبيراً إلى الدولة الخوارزمية يتكون من ثلاثين ألف مقاتل أسند قيادته إلى اثنين من أشهر قواده (٣) . ولم يهتم المغول في هذه الفترة بشيء سوى مطاردة جلال الدين محاولين القبض عليه ، حتى إذا ماتم لهم ذلك اطمأنوا إلى إخضاع دولته في سهولة ويسر ، ولذلك نجد تنقلات المغول في البلاد الإسلامية مقيدة تماماً بتنقلات جلال الدين ، وأخيراً استطاع المغول أن يوقعوا الهزيمة بالسلطان الخوارزمي الهارب بالقرب من مدينة آمد في أعلى نهر دجلة ، وقتلوا عدداً كبيراً من رجاله وأسروا عدداً آخر ، أما الذين لم يقتلوا ولم يؤسروا ، فقد تفرقوا في البلاد الإسلامية . وقد لجأ جلال الدين نفسه إلى جبال كردستان حيث قتله أحد الأكراد في منتصف

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٣٠ .

(٢) أجتاي : ٦٢٦/٦٣٩ هـ (١٢٢٩/١٢٤١ م) .

(٣) انظر ص ٣٣٥ ، حاشية ١ . ومما هو جدير بالذكر أن هذه الحرب لم تكن أول حرب شنّها المغول على أقاليم الدولة الخوارزمية منذ وفاة جنكيزخان ، بل الواقع أن المغول كانوا يوجهون من وقت لآخر جماعات منهم تخرج إلى البلاد الإسلامية في حرب أشبه ما تكون بحرب العصابات . ففي سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) وهي السنة التي توفي فيها جنكيزخان ، توغلت بعض فصائلهم في البلاد الإسلامية حتى أصبحت على مقربة من مدينة الري ، ولم تكن هذه الجماعة على شيء من القوة أو النظام فتمكن جلال الدين من القضاء عليها . وفي العام التالي توجهت قوة مغولية أخرى إلى البلاد الإسلامية ووصلت حتى مدينة اصفهان . وعلى الرغم من أن المغول استطاعوا في هذه المرة أن يوقعوا الهزيمة بالسلطان الخوارزمي فإنهم عادوا مسرعين إلى بلاد ما وراء النهر . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢١٧ .

وانظر أيضاً D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 27

شوال سنة ٥٦٢٨ (١٥ أغسطس سنة ١٢٣١ م). وهكذا كانت خاتمة آخر سلطان خوارزمي ، وهكذا أيضاً وضع المغول أيديهم على أقاليم الدولة الخوارزمية ، ولم يعد هناك من حائل يحول بينهم وبين غزو بغداد .

* * *

عالج تاريخ الغزو المغولي للبلاد الإسلامية عدد غير قليل من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين ، منهم المعاصر ، ومنهم من كتب عن هذه الحقبة التاريخية بعد فوات حوادث الغزو بقرات طويلة أو قصيرة ، ولكل أهميته ، ولكل قيمته التاريخية ، وإن اختلفت وجهات نظر بعضهم عن البعض الآخر تبعاً لاختلاف أجناسهم وميولهم السياسية والدينية . كتب عن المغول والخوارزميين مؤرخون صينيون ، وكتب عنهم مؤرخون من الفرس ، وكتب عنهم مؤرخون من الترك ، وكتب عنهم كذلك مؤرخون من العرب . فن الصينيين الذين تصدوا لتاريخ المغول في الفترة التي نتحدث .

« يي لو شو تساي » Ye-lü Ch'u ts'ai وزير جنكيزخان ورفيقه في حملته على غرب آسيا ، فقد دوّن كتاباً وصف فيه البلاد التي اخترقتها الجيوش المغولية وصفاً أقل ما يقال عنه إنه وصف شاهد عيان ^(١) . ومن الكتاب الصينيين كذلك شائع شون Ch'ang Ch'un ذلك الأسقف الذي صحب جنكيزخان في بلاد الشرق الإسلامي ، وقد دوّن أحد تلاميذه الذين كانوا في رفقته مذكرات عن هذه الرحلة ، يرجح أنه هو الذي أوعز بكتابتها ^(٢) . والمهم أن هذه المذكرات قد احتوت وصفاً للبلاد والمدن التي مر بها في رحلته قبل الغزو المغولي وبعده .

(١) يعرف الكتاب الذي خلفه يي لو شو تساي باسم « سي يو لو Si Yu Lu » أي

. Account of a Journey to the West

(٢) تعرف هذه المذكرات باسم « سي يو كي Si Yu Ki » أي

Travels to the West of K'iu Ch'ang Ch'un . وأما تلميذه الذي كتبها فيسمى « لي شي شائع

. Li Chi Ch'ang

ومن أبرز المؤرخين الذين كتبوا بالفارسية عن حوادث الغزو المغولي ،
علاء الدين عطا ملك الجويني ، وفضل الله رشيد الدين . أما الجويني ^(١)
فكان سليل أسرة فارسية عريقة ، استعان المغول بها في حكم فارس بعد
غزوات جنكيزخان . وفضلا عن ذلك فقد كان موضعاً ثقة هو لا كرو ،
فولاه حكم العراق العربي ، وظل في هذا المنصب طيلة عهده وعهد ابنه
أباقا خان . والجويني الذي يؤرخ للمغول في كتابه « جهانگشا » منذ أغاروا
على البلاد الإسلامية حتى عصر منكوخان يعتبر حجة فيما كتب ، ولن تكون
هناك كتابة أحق بالاعتبار ، والحذر في نفس الوقت ، من تلك التي يكتبها
رجل يعيش في كنف من يؤرخ لهم . أما فضل الله رشيد الدين ^(٢) فقد عاش
في فارس وخدم أسرة إيلخانات ووزر لكل من غازان وأولجايتو . ويسد
كتاباه « جامع التواريخ » ما نقص من كتاب الجويني .

وهناك مرجع آخر من المراجع التي عالجت تاريخ المغول ترجع أهميته
إلى أن مؤلفه من سلالة خانات المغول أنفسهم ، ألا وهو كتاب « شجرة
تركي » ، كتبه باللغة الجغتائية أبو الغازي بهادرخان أمير خيوة وأحد أحفاد
جوجي بن جنكيزخان . ويؤرخ هذا الكتاب للأتراك والمغول منذ نشأتهم
حتى القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ، ^(٣) . ولنا في حاجة
إلى تبيان أهمية هذا الكتاب من وجهة النظر التاريخية البحتة ، وخاصة وأن
مؤلفه يؤرخ لقومه وعشيرته . وعلى الرغم مما يذكره مؤلف الكتاب من أن

(١) توفي الجويني سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٣ م) ، على أن كتابه المعروف باسم جهانگشا
ينتهي عند سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٨ م) . وقد أتم هذا الكتاب عبد الله بن فضل الله المعروف
بوصاف الحضرة ، فتكلم عن تاريخ المغول حتى سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٧ م) .

(٢) ولد رشيد الدين في مدينة همدان سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) وقتل بأمر من أبي سعيد
إيلخان المغول في فارس سنة ٧١٧ هـ (١٣١٨ م) . وقد كتب عن تاريخ المغول حتى وفاة غازان .

(٣) نقل هذا الكتاب إلى الفرنسية M. Varenne de Mondesse وسماه باسم *Histoire*

Généalogique des Tatars

هدفه لم يكن تمجيد أسلافه ، إلا أن الباحث يجب أن يقف موقف الحذر مما كتب .

وهناك فريق رابع من المؤرخين هو فريق المؤرخين المسلمين الذين عاصروا حوادث الغزو ، وقد دون هؤلاء ما وقع تحت حسهم وبصرهم ، وما أحس به المسلمون من آلام في ذلك الوقت وفي مقدمة هؤلاء جميعاً اثنان ، ابن الأثير والنسوى . أما ابن الأثير فقد عاصر حوادث الغزو المغولى الأولى بقيادة جنكيز خان الذى بدأت حوادثه سنة ٦١٦هـ (١٢١٩ م) ، واستمرت حتى سنة ٦٢٠هـ (١٢٢٣ م) ، فأرخ في كتابه ، الكامل في التاريخ ، للمسلمين في هذه الفترة والفترة التى تلتها حتى سنة ٦٢٨هـ (١٢٣٠ م)^(١) . وليس هناك من شك في أن ابن الأثير ، رغم اختلافه بعض الشيء مع ما كتبه النسوى ، يعتبر حجة فيما دون عن حوادث الغزو .

أما النسوى مؤلف كتاب «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي» الذى نقدم له ، فيتضح مما كتبه عن نفسه أنه ولد ونشأ بقلعة خرنندز^(٢) ، وهى قلعة من قلاع خراسان المنيعه وعلى مقربة من مدينة «نسا» التى انتسب إليها محمد النسوى^(٣) . ويتضح مما كتبه عن نفسه أيضاً أنه التحق بخدمة جلال الدين منكبرتي بعد أن عاد إلى بلاده من منفاه في بلاد الهند ، فعهد إليه فيما عهد بوظيفة كاتب الإنشاء فتقلدها كارهاً في بادىء الأمر ، ثم تعلق بها بعد أن عم عليه نفعها وصار يقاتل ، على حد تعبيره ، من يراحمه عليها^(٤) . ولعل أخطر المناصب التى تولها كان منصب الوزارة في مدينة «نسا» ، وقد شرط عليه السلطان عندما قلده هذه الوظيفة أن يبقى إلى جانبه وأن

(١) ينتهى كتاب ابن الأثير عند سرد حوادث سنة ٦٢٨ هـ ، أى إلى ما قبل وفاته بسنتين .

(٢) انظر ص ٧٩ ، وانظر الحاشية ١ بوجه خاص .

(٣) انظر ص ٣٣ حاشية ٣ .

(٤) انظر ص ١٩٤ — ١٩٥ . والراجع أن النسوى قد تقلد هذه الوظيفة سنة ٦٢٢ هـ

(١٢٢٥ م) .

يثيب عنه فيها أحد ثقاته^(١) . وليس هناك من شك في أن ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على مبلغ ما كان يتمتع به النسوى من ثقة لدى جلال الدين . ومن الأمور الهامة التي تستحق التسجيل عند سرد حياة النسوى أنه كان رسول هذا السلطان في كثير من سفاراته إلى حكام المسلمين ، ومن أبرزها تلك التي بُعث فيها إلى دعاة الاسماعيلية في ألموت بوجه خاص^(٢) .

من هذا كله يتضح لنا كيف أن النسوى كان ملازماً لجلال الدين منكبرتي ، قضى معه الشطر الأكبر من حكمه ، واستمر ملازماً له حتى آخر أيامه ، وكان موضعاً لثقتهم ، يشاوره في كل أمر ، ويعهد إليه بكل ما هو خطير من أمور دولته . ولنا بعد ذلك كله أن نحكم على أهمية ما كتبه النسوى عن حياة ذلك السلطان الذي أُرُخ له ، ومن حيث تعرف مجريات الحوادث التاريخية وأخذها عن مصادرها الأولى . وإذا كان الحذر لا بد أن يكون رائدنا ، كما سبق القول ، إذا ما اعتمدنا على مرجع لمؤلف معاصر عاش في كنف من أُرُخ لهم ، فإن هذا الحذر لا بد أن يقل إذا ما علمنا أن النسوى قد كتب هذا الكتاب الذي أُرُخ فيه لجلال الدين منكبرتي بعد وفاة هذا السلطان بعشر سنين ، مما يجعلنا نطمئن إلى أنه لم يكن تحت تأثير معين وهو يكتب عنه ، وإن كان هذا لا ينفي أن كتاباته تحمل في طياتها ، وبطريقة غير شعورية ، كل معاني الولاء لذلك السلطان الذي أظله برعايته طيلة فترة حكمه على وجه التقريب .

نستطيع أن نخرج من قراءة هذا الكتاب الذي نحن بصدد أن مؤلفه لم يكن من الكتاب البارزين في عصره رغم أنه تولى كتابة الإنشاء في عهد جلال الدين . ولم يكن النسوى يقصد أن يتواضع حقاً عندما كنا نجد أنه يعترف على نفسه بأنه ليس من مؤرخي العصر البارزين أو من كتابه

(١) انظر ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

(٢) انظر ص ٣٣٦ — ٣٣٨ ، ص ٣٣٩ — ٣٤٤ .

المبرزين^(١) ، فالأمر الذي لاشك فيه أن أسلوبه في الكتابة متواضع حقاً ، تغلب عليه الصنعة ، ويغلب عليه التصنع أيضاً ، واستبدت بالنسوى طريقة الإكثار من المحسنات البديعية والصور البيانية ، وصار يهتم برصف الألفاظ جرياً وراء سجع متكلف متعدد ، وبطريقة طمست معها معالم الحقائق التاريخية في كثير من الأحيان . وإذا آمنا بما يسميه علماء النفس بمركب النقص ، فلا بد أن نعتزف أن مركب النقص هذا بالنسبة إلى النسوى واضح ظاهر ، إذ يتضح مما كتبه عن نفسه ومما يفهم من سياق كلامه أنه كان يجيد اللغتين التركية والفارسية^(٢) ، أما اللغة العربية فكانت قدرته فيها تلي قدرته في هاتين اللغتين دون شك ، ومن أجل هذا كان النسوى يتكلف في الكتابة بحثاً عن المحسنات البديعية والبيانية ، وبحثاً عن الأمثال العربية والآيات القرآنية ليقحمها في كتاباته إقحاماً ، فيسد بذلك كله وبطريقة غير شعورية ما يجس به من نقص في أصول اللغة العربية ، على أن ذلك لم يقده إلا إلى طبع أسلوبه بطابع الغموض ، كما أن ذلك لم يعفه من الوقوع في أخطاء لغوية ونحوية في كثير من الأحيان .

ونلاحظ أن النسوى لم يقتصر في كتابه هذا الذي نحن بصددده على سرد تاريخ حياة السلطان جلال الدين منكبرتي ، بل استهل كتابه بسرد حوادث المغول في وطنهم الأول ، وتتبعهم إلى أن حطوا رحالهم على حدود الشرق الاسلامي ، ثم تكلم عن الدولة الخوارزمية في عهد علاء الدين محمد خوارزم شاه^(٣) وعن صراعه مع القوى المغولية إلى أن انتهى الأمر بسقوطه وسقوط دولته ، ثم بدأ النسوى يفصل الحديث فيما يتفق وهدفه الأساسي ألا وهو الكلام عن الدولة الخوارزمية في عهد آخر سلاطينها جلال الدين منكبرتي . ولم يشأ النسوى أن يتعمق في سرد حوادث الغزو

(١) انظر ص ٣٧ ، ص ١٩٤ — ١٩٥ .

(٢) انظر ص ٣٦٨ .

(٣) ٦١٧/٥٩٦ هـ (١٢١٩/١١٩٩ م) .

المغولى للشرق الاسلامى ، إذا اعتقد أن ذلك ما هو إلا تكرار لحوادث القتل والتخريب^(١) ، ولذا فإن ما كتبه عن حوادث الغزو لا يغنى عما كتبه ابن الأثير فى هذا الميدان ، بل يعتبر ما كتبه النسوى وما كتبه ابن الأثير يكمل أحدهما الآخر . وثمة ملاحظة أخرى على كتاب النسوى هو أنه لم يتبع الطريق الذى كان يتبعه المؤرخون المسلمون المعاصرون من حيث سرد الحوادث التاريخية وتدوينها حسب ترتيبها الزمنى ، بل نجده يعتمد إلى معالجة الموضوعات التى اهتم بالكتابة عنها دون أن يتقيد بترتيبها ترتيباً زمنياً ، وبذلك اختلفت كتاباته اختلافاً بيناً واضحاً من حيث الطريقة التى اتبعها والنهج الذى اتبعه ، مع الطريقة التى اتبعها والنهج الذى سار عليه ابن الأثير ، الذى عاصر فترة الغزو المغولى .

* * *

نشر المستشرق هوداس O. Houdas ، وكان أستاذاً بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ، كتاب « سيرة السلطان جلال الدين منكبرى » سنة ١٨٩١ عن نسخة خطية محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس . وكانما أراد هوداس أن يعم النفع من وراء هذا الكتاب بين من يجاهلون اللغة العربية فترجمه إلى اللغة الفرنسية سنة ١٨٩٥ . ولقد قرأت ما نشره هذا المستشرق باللغة العربية وما نقله إلى اللغة الفرنسية ، قراءة الباحث المدقق ، بقدر ما أوتيت من قدرة متواضعة فى البحث والتدقيق . وكنت كلما قرأت النص العربى بوجه خاص ، آمنت بأن هذا الكتاب لا بد أن يعاد نشره وتحقيقه ، حتى يعم النفع إذا ما قصده منتفع جديد . وما كنت أظن وأنا أقرأ كتاب النسوى ، كما نشره هوداس ، وألمس ما فيه من نقص أننى سأكل إلى نفسى محاولة لإتمام ما بدأه هذا المستشرق ، وأخيراً اخترت نفسى لهذا العمل ، وشجعتنى على ذلك ما قرأت وما كتبت فى تاريخ الدولة الخوارزمية بوجه خاص وفى

(١) انظر ص ١١٦ .

تاريخ الشرق الاسلامى وتاريخ المغول بوجه عام ، واستعنت بما قرأت وما كتبت فى إخراج هذا الكتاب على الصورة التى نراها . ولم يكن فى استطاعتى لسوء الحظ أن أرجع إلى النسخة الخطية التى نقل عنها هوداس ، ولعلّ إذا كنت قد وفقت إلى ذلك ، لخرج هذا الكتاب فى صورة أرتضيها لنفسى . على أن بعض ذوى العلم والفضل ومن سبقونى إلى النشر وكان لهم قصب السبق فى هذا الميدان ، زينوا لى طريق إعادة نشر هذا الكتاب بالرجوع إلى الطبعة الفرنسية دون انتظار لأصل خطى قد لا أوفق فى الوصول إليه . لم يكن النسوى كما ذكرت من المتفقيين فى أصول اللغة العربية أو من كتابها البارزين ، ولم يكن المستشرق هوداس ، كما رأيت من نشره لكتاب النسوى ، من المتفقيين فى اللغة العربية كذلك أو من العارفين لأصولها ، ولنا بعد ذلك أن نتصور ما عانيت من جهد فى تفسير ما غمض فى هذا الكتاب ، نتيجة لعدم تمكن مؤلف الكتاب أو ناشره ، أو نتيجة لعدم تمكن كليهما معاً من أصول لغة الضاد .

ويلاحظ أن النسوى لم يفسر كثيراً من معانى المصطلحات التى لها أهمية تاريخية خاصة كأسماء الوظائف والدواوين ، وشاغلي هذه الوظائف والقائمين على هذه الدواوين ، وأسماء آلات الحرب وغير ذلك مما كان معروفاً فى العصر الاسلامى وغير معروف إلا للخاصة فى عصرنا هذا ، ولم يهتم المستشرق هوداس وهو ينشر هذا الكتاب أن يعرف بهذا كله تحمياً للفائدة ، كما لم يهتم هذا المستشرق بالتعليق على الحوادث أو تحقيق أسماء الأعلام ، كما فاته أن يعرف بالعصر الذى يدور حوله هذا الكتاب ، وكان على أن أقوم بذلك كله .

ومن المهم أن أذكر فى هذا المقام أن هوداس قد فاته الكثير ، عن غير قصد طبعاً ، وهو بعد هذا الكتاب للنشر . وأول ما يلاحظ عليه أنه لم يهتم فى كثير من الأحيان بتحقيق أسماء الأعلام ، وكثيراً ما كان ينقلها

عن النسخة الخطية في صور مختلفة مع انها كلها لاسم واحد ، ومن الغريب أن هذا الخطأ الذي لمسناه في الطبعة العربية قد انتقل أيضا إلى الترجمة الفرنسية ، بما يدل دلالة واضحة على أن هوداس لم يعتن بتحقيق هذه الأسماء ، كما يدل على أنه كان ينسى ما يقرأ ويكتب ، وقد نوهت بذلك في مواضع شتى ^(١) . ومن المشاهد كذلك أن قراءة الأسماء قراءات متعددة عن الأصل الخطي ، لم يقتصر على أسماء الأعلام ، بل تعداه إلى أسماء الوظائف ، فقد نقل بعضها في صور مختلفة ، واختلفت الترجمة الفرنسية تبعاً لذلك ^(٢) .

وقد لمست بينما كنت أقرأ الترجمة الفرنسية أن هوداس قد ترجم كثيراً من الأمثال العربية والأسماء التي لها معان خاصة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة خاطئة نتيجة لعدم فهمها أو فهم المقصود منها . ولم يكن من هدفنا أن نتعرض لنقد الترجمة الفرنسية نفسها ، ومع ذلك فقد رأيت أن أمثل لما جاء فيها من أخطاء دون أن أحصياها ، لعل في ذلك بعض الفائدة لمن تحدثه نفسه بإعادة النظر في أمر هذه الترجمة . ^(٣)

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر من ١٠٩ حاشية ١ ، من ١١٣ حاشية ٢ ، من ١١٦ حاشية ١ ، من ٢٣٠ حاشية ٢ ، من ٢٥٥ حاشية ١ ، من ٢٧٧ حاشية ٥ ، من ٣٢١ حاشية ١ ، من ٣٧٧ حاشية ٥ . وهناك أمثلة أخرى أثرت أن أشير إليها في هوامش الكشف .

(٢) انظر من ١٨٤ حاشية ٧ ، من ٣٦١ حاشية ٢ ، من ٣٦٤ حاشية ٣ .

(٣) قرأ هوداس عبارة « تركت موضع رجلى مظلما » قراءة خاطئة عن النسخة الخطية نتيجة عدم فهم المعنى ، فقرأها في أكثر من موضع « تركت موضع رجلى مظلما » وانتقل هذا الخطأ إلى الترجمة الفرنسية . انظر من ٣٢٣ حاشية ٤ ، من ٣٣٧ حاشية ٣ ، وراجع الترجمة الفرنسية من ٣٣٥ ، من ٣٥٢ . وترجم كلمة الجنويات باللفظ الفرنسي Arcs أى الأقواس وهذا يخالف معناها الحقيقي وهو قطع الحديد ذات الشعب وتطرح حول المسكرات أو أمام الخيل لمرقتها . انظر من ٣٠٣ حاشية ٢ ، وراجع من ٣٠٨ من الترجمة الفرنسية . وهناك أيضا أخطاء مماثلة وقع فيها هوداس نتيجة لعدم فهم كثير من الأمثال والألفاظ يضيق هذا المقام عن سردها ، وقد تكلمنا عنها في موضعها . انظر من ١٧٥ حاشية ٤ ، من ٢١٠ حاشية ٣ ، من ٢٦٦ حاشية ٢ الخ الخ .

ومن المشاهد أن هوداس قد ترجم كتاب النسوى إلى اللغة الفرنسية بعد سنوات أربع من نشره باللغة العربية ، ومن المشاهد بل من المؤكد أيضاً أنه أدرك وهو يترجم النص العربي بعض ما احتوى عليه هذا النص من أخطاء ، لذلك ذيل الترجمة الفرنسية بجدول يشتمل على ما أراد أن يصوبه من هذه الأخطاء . وقد راجعت ذلك الجدول أيضاً وخرجت بعد مراجعته بأمر ثلاثة : أولها أن هوداس قد صحح بعض الأخطاء فعلاً ، وثانيها أنه حاول تصحيح ألفاظ خاطئة فلم يستطع أن يصل إلى اللفظ الصحيح وكان من نتيجة ذلك أنه استبدل ألفاظاً خاطئة بألفاظ أخرى بخاطئة لاتستقيم مع المعنى ^(١) . أما الأمر الثالث فهو أن هوداس أبدل بعض الألفاظ التي كانت في الأصل صحيحة بألفاظ أخرى خاطئة ، ولم يدرك أن الألفاظ الأولى كان لاغبار عليها ومستقيمة مع المعنى ^(٢) .

وقد سبق أن ذكرت أن النسوى كان يستشهد في كتاباته بكثير من الآيات القرآنية ، وبكثير من أمثال العرب وشعرهم ، ويحظى أن أضيف هنا أن هوداس كان وهو يقرأ الأصل الخطي ، لا يهتم في كثير من الأحيان بتحقيق ما استشهد به النسوى من آيات قرآنية وأمثال وأشعار ، ولذا جاء بعضها محرفاً عن الحقيقة ، بل ومن المشاهد أن هوداس لم يميز بين الشعر وبين النثر في بعض الأحيان فنقل كلاماً منثوراً في صورة شعر ، ونقل شعراً في صورة نثر . ^(٣)

أما بعد ، فلعل بعد هذا التقديم لكتاب النسوى في صورته الجديدة ، وبعد التعليق على الحوادث التاريخية التي تناولها الكتاب ، ولعل بعد شرح

(١) انظر من ٣٧ حاشية ٣ ، من ٤٣ حاشية ٧ ، من ١٢٣ حاشية ٧ ، من ١٢٥ حاشية ٧ ، من ١٧٣ حاشية ٣ ، من ٢٣٤ حاشية ٢ ، من ٢٩٥ حاشية ١٠٠١ الخ الخ .
(٢) انظر من ١٣٠ حاشية ٨ ، من ١٧٧ حاشية ٤ ، من ١٩١ حاشية ٤ ، من ٢٦٤ حاشية ٥ ، من ٢٨٥ حاشية ٤ ، من ٢٣٤ حاشية ٦ ... الخ الخ .
(٣) انظر من ٣٥ حاشية ٢ ، من ٧١ حاشية ٤ ، من ١٨٩ حاشية ١ ، من ٢٠٢ حاشية ٢ .

ما صادفت من ألفاظ لها أهميتها الخاصة في التاريخ الإسلامى ، ومن تحقيق وتعريف بأسماء المدن والأعلام ، وبعدها أشرت إلى ما صادفت من نقص في طبعة هوداس ، لعل بعد ذلك كله أكون قد وفقت إلى إتمام ما نقص من الطبعة السابقة ، ولن أدعى بأنى وصلت إلى كل ما يجب أن يصل إليه باحث مدقق ، بل أرجو أن يجد غيرى في هذه الطبعة من أوجه النقص ما يحفزهم إلى إتمامه ، فما هدفنا إلا خدمة العلم وطالبيه ، والوصول إلى الحقيقة أياً كان مبعثها ، والله ولى التوفيق ٢

القاهرة : أول مارس سنة ١٩٥٣

عافظ احمد محمدى

سيرة

السلطان جلال الدين منكبرتي

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن برحمتك

الحمد لله الذي برأ البرية وقدر لهم آماداً ، وذّرأ الذرية وقرر لهم معاداً ، لم يشته عليه تكوين المكنونات آحاداً ، ولا إيجاد الموجودات جملة وفترادى ، تلفع ملكه بالكبرياء وماعداه عواري ملك لا يعتربه الفتور ، ولا تغيره الدهور ، ولا تنقص من عمره ^(١) السنين والشهور . فسبحانه من صانع أوحد عظيم ، خلق العالم وعُدته الكاف والنون ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . ثم الصلاة والسلام على الهادي من الضلالة ، والمستقل بأعباء الرسالة ، محمد صلى الله عليه وعلى آله المنتخبين ، وأصحابه الغر المنتجبين ، مصابيح الدجيسة ، وأعلام الكتاب والسنة ، صلاة تضاهي فتيات المسك ، وتباهي في البقاء قفا نبيك .

يقول الفقير إلى رحمة ربه ، المرتوى ^(٢) من ذنوب دينه ، المتجاذب في نكسباء النكسبة ، المتقاذف بين أيدي الغربة ، محمد بن أحمد بن علي بن محمد المُنشئ للنسوى ^(٣) أصلح الله شأنه ، وصانعه عما شأنه : إلتى لما وقفت على مألوف من توارخ الأمم الماضية ، وسير القرون الخالية ، واتساق أخبارها من لدن انتشار ولد آدم أبي البشر ، عليه الصلاة والتحية ، إلى زماننا هذا ،

(١) في الأصل : عن عمره . (٢) في الأصل : المرتوى .

(٣) ينتسب محمد النسوى إلى مدينة « نسا » أو « نساء » ، إحدى مدن خراسان . وقد ذكر ياقوت أن سبب تسمية هذه المدينة بهذا الاسم يرجع إلى أن المسلمين عندما غزوا خراسان وتوجهوا إلى هذه المدينة ، هرب منها رجالها بحيث أنهم لما دخلوها لم يجدوا فيها سوى النساء فأبوا أن يقاتلوهن وتركوا المدينة دون قتال ، وسميت المدينة بهذا الاسم . وجاء في كتاب الأنساب للسمعاني ص ٥٥٩ ، أن هذه المدينة سميت بهذا الاسم لأن النساء هن اللائي كن يحاربن المسلمين دون الرجال . والنسبة الصحيحة إلى هذه المدينة نسائي ونسوى . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٨٢ . وينسب إلى هذه المدينة الإمام أحمد النسائي صاحب السنن . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٩٢ .

سوى ما صادف فترة رأيت قصارى كل مؤرخ تكرير ما ذكره المتقدم عليه بالزمان ، معيداً ذلك ليسير من الزيادة والنقصان ، إلى أن يسوق الحديث إلى زمانه وحوادث أوانه ، فيوردها شافية كافية ، ومن وراء الإشباع والإقناع آتية ، وشتان ما بين الخبير والخبر ، وأين العيان من اقتفاء الآثار ؟

ورأيت الكامل من تأليف علي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، يتضمن من أحاديث الأمم عموماً ، وغرائب أخبار العجم خصوصاً ، ما شذ عن غيره ، وأنصف لعمري في تسميته كاملاً ما ألف ، ولم أستبعد ظفريه بشيء من توار يخفهم المؤلف بلغتهم ، وإلا فما الأمر مما يؤخذ بالقياس ، والذي أودعه تأليفه منها أكثر من أن تتلقف من أفواه الناس . ولما أفضتني المطالعة إلى ما تضمنته من أخبار السلطان الأعظم علام الدنيا والدين أبي الفتح محمد بن تيمسكش بن إيل أرسلان^(١) بن آنسز^(٢) ابن محمد بن نوشتكين^(٣) ، متبعمها بنبذة من تصارييف الدهر وتغايير الزمان بولده السعيد الشهيد جلال الدين منكبركي ، سقى الله ثراهما ، وجعل الجنة مشواهما ، ووجدته لم يفته من معظلات الأمور جليل ، ولم يتجاوز الصحة

(١) إيل لفظ تركي معناه ولاية ، وأرسلان لفظ تركي معناه أسد .

وهناك أيضاً لفظ « إيلخان » ومعناه الخان التابع ، أي حاكم إحدى الولايات في الدولة Provincial Khan ، ويتبع الخان الأعظم أو الخاتان الذي يحكم الدولة بأسرها . انظر Stanley Lane-Poole : The Mohammadan Dynasties, p. 217. وقد أطلق هذا اللقب على هولاكو عند ما أسند إليه حكم فارس ، ثم ألصق بحكام المغول في فارس من سلالة هولاكو ، وأطلق اسم دولة إيلخانات على البلاد التي حكموها . انظر المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٤١١ حاشية ١ .

(٢) آنسز ، كلمة تركية معناها من لا اسم له . (آت : اسم ، سيز : أداة التجريد) . وقد جرت العادة عند الترك أن من يموت بنوه صغاراً يسمى واحداً منهم بهذا الاسم حتى يعيش ولا يهلك . انظر النظامي المروزي السمرقندي : چهار مقاله ، ص ١٠٩ ، ترجمة الأستاذين عبد الوهاب عزام وبجي الخشاب .

(٣) كان نوشتكين ، التركي الأصل ، وهو الذي تنسب إليه الدولة الخوارزمية ، يشغل وظيفة الساقى في بلاط ملكشاه ، ثم حرج في سلك الوظائف في أيامه . انظر :

Curlin : The Mongols' History, p. 98.

Howorth : History of the Mongols, part i, p. 7.

إلا قليل ، قلت : لله در معييم بديار الشام ، دعتة همته إلى ضبط ما حدث من الوقائع بأعلى بلاد الصين ، وأعماق ديار الهند .

وحيث كان الغرض الأهم من إثبات الآثار وأخلاق الأخبار ، وإفادة التجربة والاعتبار ، فتقلبات الأيام بجلال الدين من إهباط وإصعاد ، وإطفاء شعلة نار وإيقاد ، يوما نفاذ حد ، وإبراء زند ، وآخر صرع خد ، وسقوط جد ، بينا تملكه ، إذ تكاد تملكه ، وحال تعليه ، إذ رأيتة تبتيه ، لبخ في إفادة الغرض ، إذ في تصارييف أحوال الزمان به عجائب لم توجد أخواتها في أساطير الأولين ، أريد بها التطويل والتهويل ، والتعجيب والتغريب ، وحسبك منها أربع عشرة وقعة مذكورة مشهورة في إحدى عشرة سنة ، لفظته فيها بلاد الترك إلى أقاصي الهند ، وأقاصي الهند إلى أواسط الروم ، من ملك مطاع ، وطريد مرتاع . وهأ نذا نمل^(١) منها ماشاهدته ، أو سمعت من شاهده ، معرضاً عن غيرها صفحا ، وطاويا دون ماسواه كشحا .

ولو لم تزدني لسكنة^٢ أعجمية^٣ تخجلني فيما أقول وأكتب

ففي ميدان الإطالة متسع وفي قوس المقالة منتزع^(٤)

وقد وجدت مكان القول ذاسعة^٥ فإن وجدت لسانا قائلا فقل

وقد كانت طائفة من أفاضل الشرق ممن لم حظ في الصناعة ، وتوجسه في طرق البلاغة ، اعتنوا بتأليف أخبارهم ، وتخيل مساعيمهم وآثارهم من حيث نشأت نبعتهم ، وتفرعت دوحهم ، إلى أن بلغ من أمر السلطان الأعظم محمد بن تكش^(٦) وعظم شأنه أنه جمع — إلى ما أورثه أبوه من خراسان وخوارزم — ملك العراق ومازندران ، وضم إلى هذه الواسطة كرمان

(١) في الأصل : ها أنا ملى . (٢) نثر أورده هوداس في صورة شعر .

(٣) حكم محمد بن تكش ، الذى يلقب بعلاء الدين ، من سنة ٥٩٦ / ٦١٧ هـ (١١٩٩ / ١٢١٩ م) . وقد بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها في عهده ، كما أنه شهد أول صراع بين القوى الإسلامية وبين المغول .

ومكرآن وكيش وسجستان وبلاد الغور وغزنة وباميان^(١) إلى ما يليها من الهند بأغوارها وأنجادها^(٢) ، والسيوف مهمة في أغنادها ، والعواقب معطلة عن نجادها . وملكها بالهية عفواً صفواً ، وسهواً زهواً ، وملك على الخطائية^(٣) وغيرهم من ملوك الترك وقروم^(٤) ماوراءالنهر ، بعد إخافتهم^(٥) واستئصال شأقتهم ، وإلجاء المفلتين منهم إلى أقصى الصين ، ما يقارب أربعائة مدينة ، ملكا عز على غيره مثاله ، وتطفلت على حاشيته حلاله^(٦) ، وخطب له على منابر فارس وأران وأذربيجان إلى ما يلي دربند^(٧)

(١) باميان : بلدة بين بلخ وهرات وغزنة ، وبها قلعة حصينة . وقد خرج من هذه المدينة جماعة من أهل العلم ، منهم أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الباميانى ، وهو من المحدثين الثقات . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) انظر خريطة الدولة الخوارزمية في أقصى اتساعها .

(٣) الخطائية ، نسبة إلى قبائل الخطا الذين أسسوا دولة لهم في إقليم التركستان في مستهل القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) على يد « بن لوتاشى » Yen-li Ta-shi . وكان قيام هذه الدولة على الحدود الشرقية للأقاليم الاسلامية ، من الأمور التي سببت كثيراً من المتاعب للمسلمين ، إذ وضع قادة هذه الدولة نصب أعينهم أن يوسعوا أملاكهم على حساب البلاد الاسلامية ، فاشتبكوا مع المسلمين في صراع طويل . ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن المغول أضافوا لفظ « قره » Kara إلى اسم الخطا فأصبحوا يسمون « قره خطا » Kara Khitai . ولفظ قره أو قرا ، لفظ متول أو تركى معناه أسود . أما سبب وصفهم بالون السواد فغير معروف ، ولعل ذلك يرجع إلى عدائهم وكرهيتهم لهم . انظر :

Bretschneider : Medieval Researches From Eastern Asiatic Sources, vol. i, p. 208 & seq.

وانظر أيضاً ما كتبتاه عن دولة الخطا وعلاقتها بالقوى الإسلامية المعاصرة في كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٤٦ — ٦٦ .

(٤) القروم جمع قرم وهو السيد العظيم في قومه .

(٥) في الأصل : إضافتهم ،

(٦) ليس هناك من شك في أن هذه العبارة تتضمن الكثير من المبالغة ، وما أحسب إلا أن النسوى قد قصد أن يكيل المديح لمن أراد أن يؤرخ لهم ، وهنا تتجلى خطورة اعتماد الباحث على مرجع معاصر يؤرخ لقوم عاش في كنفهم .

(٧) دربند : كلمة فارسية معناها في الأصل سنبلة من حديد ، يقفل بها باب الدكان ، ويقال لها دروند أيضاً ، وتستعمل هذه الكلمة كذلك بمعنى المضائق والطرق ، انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٢٤٨ حاشية ٣ ، ودائرة المعارف الإسلامية مادة Derbend .

شروان سنة كبستته للآتابكين سعد بن زنكي صاحب فارس^(١) ، وأزبك ابن محمد صاحب أذربيجان بهمدان^(٢) ، وأسر سعد وإفلات الآخر منه بخديعة^(٣) الذقن ، بعد إسلام أكابر أصحابه مثل نصرة الدين محمد بن بيشتكين ووزيره ريب الدين أبي القاسم بن علي المعروف بدندان ، ومنته على سعد بالإطلاق ، وعلى أزبك بترك التعرض والإرهاق . على أن يخطبا له بيلادهما ، ويحملا إلى الخزانة السلطانية كل سنة أتاوة معلومة^(٤) فتواصلت له فتوح الأقاليم ، اتساق الأنايب لاهله بينهما ولافرجة ، ولا تلوم ولا عرجة . غير أن الطامة الكبرى من حادثة التانار هجمت فطمت على المؤلف وتأليفه ، في قصه وقضيضه ، ولفه ولقيفه ، حتى تعينت لما تصديت تعين فروض الكفاية على من لجأ به الموج إلى الساحل ، وقد شمل الفرق عامة رفقاته ، فابتلى بتكاليف حياته ، وتصاريف بقائه . وإلا فما كنت أتصدي لما لست من رجاله ، مع قريحة قريحته^(٥) وفكرة علية ، ومزجاة من بضاعة الكتابة قليلة . وعند الخوض في ذلك لابد من تقديم مقدمة في شرح منشأ التانار ، ومبدأ خروجهم ، وبالله التوفيق .

(١) حكم سعد بن زنكي آتابك فارس من سنة ٦٢٣٥/٩٩ هـ (١٢٢٥/١٢٠٢ م) . وقد ذكر زامبور Zambaur في كتابه من ٢٣٢ ، أن سعدا بن زنكي توفي سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) وهو في ذلك يخالف ستانلي لينبول في كتابه The M. Dynasties, p. 173 الذي ذكر أنه توفي سنة ٦٢٣ هـ . وإن السنة التي توفي فيها سعد كانت موضع اختلاف المؤرخين ، فذهب رشيد الدين والوصاف وصاحب روضة الصفا وحبيب السير إلى أن وفاته كانت سنة ٦٢٣ هـ . وذهب صاحب تاريخ كزنده إلى أن وفاته كانت سنة ٦٢٨ هـ . على أن الحقائق التاريخية الثابتة لا تؤيد الرأي الأخير ، بل ويستدل بما كتبه ابن الأثير أن وفاة سعد بن زنكي قد حدثت قبل سنة ٦٢٨ هـ . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٢٠ .

(٢) يلقب بأوزبك (أزبك) بن محمد صاحب أذربيجان بمظفر الدين ، وقد حكم من سنة ٦٢٢/٦٠٧ هـ (١٢٢٥/١٢١٠ م) .

(٣) قرأ هوداس Houdas هذه الكلمة في النسخة الخطية ، « بخريمة » ، ثم صححها في الترجمة الفرنسية « بخرية » ، والحقيقة أن المقصود لاهذا ولاذك ، وإنما الراجح أن الأصل المقصود هو كلمة « بخديعة » ، أي أن أوزبك بن محمد صاحب أذربيجان استطاع أن يفلت من الأسر بعد أن خدع علاء الدين محمد خوارزم شاه وغير من ملاعنه بأن أطلق لحيته .

(٤) انظر حوادث الحرب بين علاء الدين محمد خوارزم شاه وبين كل من آتابكي فارس وأذربيجان في كتاب ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٥) قريحة الأولى بمعنى الذهن ، والثانية بمعنى مقروحة .

ذكر التاتار الملاعين ومبدأ أمرهم ومنشئهم^(١)

حدثني غير واحد ممن يعتبر قولهم أن مُلك الصين ملك متسع ، دوره مسيرة ستة أشهر ، وقد قيل إنه يحويه سور واحد لم ينقطع إلا عند الجبال المنيعه^(٢) ، والأنهار الوسيعة . وقد انقسم من قديم الزمان ستة أجزاء ، كل جزء^(٣) منها مسيرة شهر يتولى أمره خان ، أى ملك بلغتهم ، نيابة عن خانهم الأعظم^(٤) .

وكان خانهم الكبير الذى عاصر السلطان محمد^(٥) ، ألتون خان^(٦) ،

(١) فى الأصل : منشأهم .

(٢) يرجع السبب فى بناء سور الصين العظيم ، فى العصور الأولى من التاريخ ، إلى رغبة الصينيين فى دفع غارات القبائل المتبريرة القاطنة فى الأقاليم الشمالية الشرقية من القارة الآسيوية ، والتي كانت تغرب بكثرة على هذه البلاد طمعا فى كسب مآدى يفتقرون إليه فى بلادهم الأصلية .

انظر Little : The Far East, p. 184 .

(٣) فى الأصل : جزؤ .

(٤) لقب « خان » ، لقب أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزءا من الامبراطورية المغولية ، وهو يختلف عن لقب « خاقان » ، الذى أطلقوه على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه الخان الأعظم . وقد استعمل المغول لقب « خان » أيضا بمعنى « خاقان » ، وربما كان ذلك من باب الرغبة فى الاختصار . ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام ، أن الفرق بين « خان » و « خاقان » ، يشبه الفرق بين كاهن « سلطان » و « ملك » ، فالسلطان هو الملك الأعظم كالسلطان صلاح الدين الأيوبي ، أما ملك فهو أحد ولاة السلطان من أبناء بيته ، كالملك العادل حينما كان صاحب دمشق من قبل أخيه صلاح الدين الأيوبي . وقد وجد هذا الفرق أيضا عند الفرس ، فإن لقب « شاهنشاه » ومعناه ملك الملوك يتميز عن لقب « شاه » فقط وهو الملك الصغير . انظر المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٣٠٧ حاشية ٤ .

(٥) حكم السلطان محمد خوارزم شاه من سنة ٦١٧/٥٩٦ هـ (١١٩٩/١٢١٩ م) .

(٦) ألتون ، كلمة تركية معناها ذهب . وألتون خان ، لقب كان يطلقه المغول على حكام إمبراطورية كين الصينية التى أسسها قبائل Nü-chi ، وكانت تسكن فى الأصل بالقرب من نهر آمور وتدفع الضرائب للخطا ، ثم تمردت على الخطا فى مستهل القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) واستطاع زعيمها A-gu-da أن ينادى بنفسه إمبراطورا سنة ٥٠٩ هـ =

توارثها كابرأ عن كابر ، بل كافرأ عن كافر . ومن عاداتهم الإقامة بطمغاج^(١) — وهى واسطة الصين — ونواحيها طول صيفهم ، متقلين من مصيف إلى مصيف ، مرتحلين من ريف إلى ريف ، حتى إذا أقبل الشتاء بوجهه الكالح يعبرون ماء كذك^(٢) مما يلى قشمبر إلى مشات^(٣) ساحلية طيبة الأغوار والأنجاد ، لم يخلق مثلها فى البلاد ، فيعول إذ ذاك فى حراسة ما خلفه الملك على الخانات الستة المقيمين بأرض الصين . وكان فى زمرتهم عصر المذكور شخص يسمى دوشى خان ، وقد تزوج بعمة جنكيز خان^(٤) اللعين ، وقيلة اللعين هى المعروفة بالترجى ، سكان البرارى ، ومشتاهم موضع يسمى أرغون^(٥) ، وهم المشهورون من طوائف الترك بالشر والغدر ، لم تر ملوك

== (١١٥ م) وأن يؤسس لنفسه إمبراطورية أطلق عليها الاسم الصينى « كين » ومعناه أيضا ذهب . وقد حكمت أسرة كين فى منشوريا ومنغوليا وشمال الصين أكثر من قرن ، ثم سقطت هذه الأسرة على يد المغول سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) .

انظر : Bretschneider : Op. cit., vol. i, p. 224, note 574. وراجع أيضا تاريخ أسرة

كين فى كتابي Fitzgerald : China, A Short Cultural History

Douglas : The story of Nations, China.

(١) كانت عاصمة إمبراطورية كين تسمى ين كنج Yen-King ، وليس طمغاج كما يقول النسوى . ويحتمل أن تكون كلمة طمغاج وطفغاج تحريف لكلمة من اللهجة التركية الشرقية « تمغاج » ومعناها « المعظم » أو « المشهور » . وفى هذه الحالة يكون معنى لقب طمغاج خان هو « الخان المعظم » وليس « خان طمغاج » . وإن الاعتقاد السائد فى وجود إقليم باسم طمغاج ناشئ عن فهم خاطئ . وقياس غير صحيح على لقب خوارزم شاه وما يمانله ، هذا اللقب الذى يقصد به شاه خوارزم . انظر النظامى العروضى السمرقندى : جهاز مقاله ، ترجمة الأستاذين عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، ص ٩٧ .

(٢) المقصود هنا نهر الكنج ، أعظم أنهار الهند .

(٣) فى الأصل : مشاتى .

(٤) النطق الصحيح لهذا الاسم هو ماينغ مع الكتابة الفارسية والركية « چنگيزخان » . ومما هو جدير بالذكر ها أن چنگيزخان قد ولد سنة ٥٤٩/٥٥٠ هـ (١١٥٤/١١٥٥ م) ، واختب خاقانا على المغول سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) ، وتوفى سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) .

انظر : Zambaur : Manuel de Généalogie et de Chronologie, p. 242.

(٥) الراجع أن هذا المكان يقع بين الجبال الواقعة فى جنوب بحيرة بيكال . انظر خريطة

آسيا الوسطى ، فى كتاب : Bretschneider : Op. cit., vol. i.

الصين إرخاء عنانهم لطفانيهم. فاتفق أن دوشي خان المزوج بعمة جنكز خان السفاك توفى وألتون خان غائب، وقد حضرها جنكز خان زائراً ومعزياً، فبعثت إلى كشلو خان وجنكز خان - وهو بالزاء المعجمة - وهما المتوليان أمر ما يتناخم أعمال المتوفى من الجهتين، تنهى إليهما زوجها، معلة إياهما أن المتوفى لم يخلف ولداً، وأن ابن أخيها جنكز خان، إن أقيم مقامه، يحذو حذو المتوفى في معاضدتهما، واتباع إرادتهما، فاستصوبا (١) رأيها فيما رأت، وأشارا عليها بتقليده الأمر، وسد الثلة الحادثة بموت دوشي خان، ضامين لها تمشية الحال عند عود ألتون خان إلى دار قراره ومفرس أولياته. وأنصاره. فتولى جنكز خان ما كان يليه دوشي خان، وانضم إليه في أيسر مدة من أشرار عشيرته وشرار أسرته رجوم الفتن لا تخبو نارها، ولا تبنو (٢) على حال غرارها. فلما عاد ألتون خان إلى مدينته المعروفة بطمغاج، أخذ الحجاب على عادتهم يعرضون كل يوم عدة قضايا بما حدث مدة غيبته، إلى أن قدمت تقاديم جنكز خان استشاط غضبا، وقضى من تقديمها إياه عجباً، وأمر بقطع أذنان خيل التقدمة وطردها، وخرج الحجاب له شامتين، ولمن تقدمه من الخانين لاثمين، وبالغوا في الوعيد حتى رأى جنكز خان وصاحبه الخنف غير بعيد، والهلاك أقرب من حبل (٣) الوريد، فزعوا إذ ذاك أيديهم عن الطاعة، وخالفوا بأجمعهم كلمة الجماعة (٤).

(٢) كذا في الأصل .

(١) في الأصل : فاستصوبا .

(٣) في الأصل : خيل .

(٤) انظر ما كتبناه عن الصراع القبلي في شمال شرق آسيا بوجه عام، وعن حياة المغول الأولى أيام جنكيز خان بوجه خاص في كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٠٨ - ١١٤ . ويلاحظ أن جنكيز خان لم يتخذ لنفسه هذا الاسم، ومعناه أعظم الحكام The Greatest of Rulers، إلا بعد أن نجح في ترعم القبائل المغولية في شرق آسيا، وبعد أن انتخب خاقاناً عليها سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م)، أما قبل ذلك فقد كان اسمه تموچين .

ذكر ما آل إليه أمر جنكزخان وصاحبيه بعد الاستيحاء

ولما فارقوا صاحبهم مستوحشين، تحالفوا على التعاضد، وتعاضدوا على التحالف، فابذروا صفحة الخلاف، وأبرزوا الشر من الغلاف، واستظهر جنكزخان بمن انضوى إليه من عشيرته، فراسلهم ألتون خان في استردادهم إلى الطاعة مبدئاً ومعيداً، يخلط في رسالاته بالأعذار إنذاراً وبالوعد وعيداً، فلم يزد دعاءه إلا نفاراً^(١)، فكان كلما دعاهم جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكباراً^(٢). فحين أيس من صلاحهم، فزع إلى الاحتشاد، ومال إلى الاستحشاد والاستعداد^(٣)، والتقام فكسروه أقيح كسرة، وقتلوا من جرجا خطاي وسائر قبائل الترك من عسكره مقتلة عظيمة، وفاتهم ألتون خان بنفسه ونفائات السيوف من عسكره إلى ما وراء كنهك وأخلى^(٤) لهم البلاد، فتمكنوا منها وتملكوها، وانضوى إليهم من أو شب الترك وأوباشها كل طامع في مال، وطامح إلى منال. وأخذ أمر ألتون خان يتضاعف ضعفاً وتخلخلاً، وتزايد وهنا وتزلزلاً، إلى أن راسلهم مهادناً ومسالماً، قائماً بما تحت يده من الملك الحقيق، ويجتزياً بالقليل عن الكثير، فأجابوه إلى ما سأل، واستمر الأمر بين أولئك على قاعدة المشاركة إلى أن مات جنكزخان^(٥)، وتفرد الآخرون بالملك يشتركان فيه شركة العنان. فلما أمنا جانب ألتون خان ساقاً إلى

(١) أي نفورا . (٢) اقتباساً عن سورة نوح، آية ٧ .

(٣) المراد هنا حشد الجيوش والاستعداد للقتال .

(٤) في الأصل : أخلا .

(٥) في طبعة هوداس : ألتون خان ، وبذلك غير هوداس في النسخة الخطية التي ذكر فيها هذا الاسم ، جنكيزخان . وقد ظن أنه صحيح خطأ وقع فيه المؤلف أو الناسخ ، والواقع أنه يستدل من سياق الكلام أن النسخة الخطية كانت صائبة .

بلاسا قون^(١) فلکها و ملکا من البلاد ما تاخها و داناها ، و اتفق إذ ذاک موت کشلو خان و قیام ابته ، و قد لقب بکشلو خان مقامه ، فاستضعف جنکز خان جانبہ لصغره و حدائة سنه ، و أخل بالقواعد المقررة بينه و بين أبيه من النزول على رتبة التماثل و اقتسام^(٢) فوائد الملك على حکم التناصف و التعادل و جرت بينهما فی ذلك مراسلات و معاتبات أفضى آخرها للاستیحاش . فلما جد مزاح الكلام ، واشتد لفح الخصام ، فارقہ کشلو خان .

(١) تكتب هذه المدينة فی الراجع العربية ، بلاساغون . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ٣٧ ، ج ١٢ ص ١٢١ . وهذه المدينة من أمهات مدن إقليم التركستان ، و قد اتخذها يولوتاشي Ye-lü Ta-shi ، مؤسس دولة الخطا فی إقليم التركستان ، حاضرة للملكة فترة من الزمن ، و ذلك قبل أن ينتقل إلى مدينة كاشغر . انظر Skrine & Ross : The Heart of Asia, p. 138.

(٢) فی الأصل : أقسام .

ذكر ما آل إليه أمر كشلو خان بعد مفارقتة جنكز خان

وامتدت الوجيف بكشلو خان ، بعد مفارقتة جنكز خان ، إلى حدود قبالق^(١) وألماتي^(٢) ، فصالحه صاحبها بمدوخان بن أرسلان خان ، على أن تكون^(٣) الأيدي واحدة ، والقلوب على وجوه المصالح متساعدة . واتفق وصوله إليها لإفلات خان الخانية ، كورخان^(٤) ملك الخطاية^(٥) ، من وقعة جزت بينه وبين السلطان^(٦) ، وهي آخر الوقائع بينهما ، وانتبأ الركن به إلى حدود كاشغر ، فأخذ بمدوخان يزبن لكشلو خان قصد كاشغر والاستيلاء على كورخان بها ، ويقول له : إنك إن ظفرت به وأجلسته على سرير الملك ، لم يخالفك أحد من ملوك الترك . تسويلا بكواذب الظنون ، وجوالب المنون ، ولم يعلم أنها دولة قد تبّنت^(٧) أيامها ، وحن أن ينوح عليها أصدائها وهامها .

(١) قبالق Kayalik ، إحدى مدن إقليم التركستان ، وكانت من المدن التي تضمها دولة الخطا ، انظر الخريطة في كتاب Howarth : Op. cit., part 1.
(٢) ألماتي Almalik أو A-li-ma-li كما ذكرت في المراجع الصينية ، إحدى مدن تركستان وكانت في وقت من الأوقات من أمهات مدن دولة الخطا . وترجع أهميتها إلى أنها كانت تقع على الطريق بين منغوليا وفارس ، ولذا ورد ذكرها في كتابات معظم الرحالة الذين عبروا القارة الآسيوية في العصور الوسطى . انظر :

Breitschneider : Op. cit., vol. II, pp. 33—39.

(٣) في الأصل : يكون .

(٤) كورخان ، لقب اتخذ ملوك دولة الخطا لأنفسهم ، ومعناه خان خاتان أي ملك الملوك أو سلطان السلاطين . انظر Skrine & Ross : Op. cit., p 137 وابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٢١ .

(٥) يجدر بنا أن نذكر في هذا المقام أن Ye-lü Ta-shi ، مؤسس دولة الخطا في إقليم التركستان قد اختار الديانة البوذية لتكون دين الدولة الرسمي ، وربما يرجع ذلك إلى متاخة هذه البلاد لبلاد الهند . ورغم ذلك فقد انتشرت الديانة المسيحية هناك إلى حد ما بفضل جهودات المبشرين . D'ohsson : Histoire des Mongols, tom. I, p. 165 .

(٦) هو علاء الدين محمد خوارزم شاه .

(٧) نقلها هوداس عن النسخة الخطية « ثبت » ، ثم عدلها في الطبعة الفرنسية إلى تمت ، وصحتها تبّنت أي انقطعت .

وكان كشلوخان يستبعد ذلك ، لما عنده من عظم محله ، وخفاة أمره ، وبعد صيته ، وجلالة قدره . فلم يزل ينثف في خيله وغازيه ، إلى أن أجاب إلى مادعاه إليه ، فنهضا من قياتق وكبساه بحدود كاشغر ، واقتنصاه وأجلساه على سرير الملك . وكان كشلوخان يقف بين يديه عند الإذن العام موقف الحجاب ، فيشاوره في دقيق الأمور وجليها ، ولم يعمل بما يأمره إلا في قليله . ولما بلغ السلطان أسره كورخان واستيلاؤه على ماحوته يده من نفائس الجواهر والأعلاق ، التي جمعت على مر الدهور من الآفاق ، أرسل إليه يقول : إن خان الخانية قد تخلص من حبائلي بعد أن تركته خطفة لكل ناهب ، وخلصة لكل سالب . فهلا حدثتك نفسك بقصده ، إذ كان في عز سلطانه ، ومناعة شأنه ، والآن قد أجليته عن دياره وأمصاره ، وعرضت على السيف عامة أعوانه وأنصاره . وقد كان يرغب في المهادنة على أن يزوجني ابنته طوجاخ خاتون^(١) ، تزف إلى بما تحويه خزائنه من الجواهر الثمينة والأعلاق النفيسة ، على أن أتركه في أخريات بلاده بما لفظنه السيوف من حشاشة نفس ، أحيان أصبح كسيرا ، يؤخذ أسيرا ؟ فإن أردت السلامة في نفسك وذويك ، فشأنك أن تسيره إلى بيئته وخزائنه ، وأمواله وأشياعه ، وإلا فقد جئتكم بما لا يغنيك منه إلا حد الحسام ، وثبات المقام .

فأجابه كشلوخان عن هذه الرسالة جواب خاشع متذل ، وبعث إليه باللطاف تعمر ذوائب الأوصاف ، من طرف تلك الأطراف ، واستعفى من تسليم كورخان متشفعا ، إذ كان كورخان يتضرع إليه مستغفيا ويقول : إن هذا السلطان وأباه كانا يميلان إلى الأناوة ، ويذلان إلى الطاعة . وقد نصرتهما^(٢) على عدة أعداء لهما^(٣) ، وقد علم المنجد والغاير ، والمقيم والسائر ، ما كانا عليه من الخدمة . وحين ساعدته الأيام حتى رام من مناطقتي ما لا يرام ، رضيت معه بالمسالمة على أن أزوجه ابنتي وهي أعز خلق الله

(١) خاتون : لفظ تركي معناه سيدة ، ويستعمل في الغالب في معاني التيجيل والاحترام .

(٢) في الأصل : نصرتهم . (٣) في الأصل : لهم .

عندى ، مقرونة بسائر ما ذكره من الشروط ، تفادياً^(١) عن الهلك ، ونزولا عن الملك ، إذ رأيت أن لانيحة^(٢) ، ولارجاء ، ولا إبقاء ، ولا بقاء . فلم يجبني إلى ذلك ، وأبى إلا أن يطلبني بمخاشنة مملكتها الرعب ، واستولى عليها الذعر ، وليس يطلبني الآن ملحا إلا للهلاك ، ويسومني من الإذلال ما الموت دونه . فرق له قلب كشلوخان ، وخشى أنه لو سلمه إليه يبق عليه سببة عند الترك لا يرحض^(٣) مضرها ، ولا يدفع عن وجهه قترها^(٤) ، فكان يدفعه يوماً إلى يوم ، ووقتاً بعد وقت ، إلى أن حدس السلطان بالمطالة ، وانجذابه في طول المطاولة . وحكى لى الأمير محمد بن قرا قاسم النسوى ، وكان آخر رسول السلطان إليه في المعنى ، وقد أمره بمخاشنة كشلوخان في الكلام ، ففعل ، فقيده كشلوخان إلى أن من الله عليه بالخلاص في وقعة كانت بين كشلوخان وسربة من سرايا السلطان . ولما حضر المذكور باب السلطان مفلتا من ربقة الإسار ، وناجيا عما منى به من مشقة الذل والصغار ، وكان قد بلغ للسلطان صدقه في مقالته ، ونصحته في أداء رسالته ، فوعده الخير ومناه ، وحكمه في اقتراح ماهواه وتمناه . فاقترح عليه مرسوم رياسة عامة بلاد خراسان ، فأمر له بذلك ومنى الرؤساء منه بداهية دهياء ، وحنة نكراء . ودخلت سنة ست عشرة وستائة ، وهى التى سميتها العامة مشؤمة ، ولم يفرغ المذكور من نخبائنه لاتساع رقعة خراسان ، ولما ابتدلت المحامنة بالمخاشنة ، اختار السلطان من عسكره ستين ألف فارس لقصد كشلوخان وحصده ، وانتزاع خان الخانية من يده ، بعد أن وجه إليه عدة سرايا التقوه في عدة دفعات بكاشغر وغيرها كان أكثرها عليه^(٥) .

(١) فى الأصل : اتفادياً . (٢) فى الأصل : نجا .

(٣) فى الأصل : لا يرحض . ويرحض أى يفسل ويعجى . ويمتثل أن تكون «لا يرحض» أى لا يدفع . (٤) القتر : جمع قتره وهى النار .

(٥) انظر ما جاء عن كشلوخان ونشاطه فى إقليم التركستان إلى أن اعتلى عرش دولة الخطا فى كتابنا : الدولة الخوارزمية والفتول ، ص ٦٣ — ٦٥ . وراجع أيضاً ما كتب عن هذا الموضوع فى كتاب Bretschneider : Op. cit , vol. i, pp. 230—231.

ذكر هلاك كشلو خان على يد دوشي خان بن جنكز خان^(١)

وذلك في سنة اثنتي عشرة وستمائة

وقد أورده ابن الأثير في سنة ست عشرة وذلك خطأ

ولما بلغ جنكز خان استيلاء كشلو خان على ملك كاشغر وبلاساقون وحصول كورخان بيده ، جرد إليه ابنه دوشي خان في زهاء عشرين ألفاً أو أكثر لتدارك أمره ، وحصد ما نجم من شره . وكان السلطان إذ ذاك قصده من جهته في ستين ألفاً ، فلما أتى السلطان ماء أرغز وجد النهر جامداً فلم يمكنه العبور ، فأقام بالفرضة ، مرتقبا لميقات الفرصة في عبوره إلى أن أمكنه ذلك ، فعب وأخذ في السير حائماً ، وعن آثار كشلو خان باحثاً . فبينما هو يسير في بعض الأيام ، إذ أتته طليعة من ثلاثه ، بخبرة بخيل قد أقبلت ، فإذا بدوشي خان وقد ظفر بكشلو خان وقلعه عن أساسه ، وعاد براسه ، وقد أوقع به وبمن معه من الخطائية ، فتركهم جزراً للسيوف القواطع وطعماً للسنور الخوامع ، ومعه من الغنائم ما ترك الغنم ذهبا^(٢) بسوادها ، فتطارد الشجعان وتجالد الفرسان سحابة يومهم ذلك^(٣) ، وبعث دوشي خان

(١) يقصد النسوى بدوشي خان ، جوجي بن جنكيزخان ، ولا مناس من القول بأن هذا خطأ واضح ، إذ الثابت أن الذي قاد الحملة المغولية ضد كشلو خان كان شبي نوين Chépé Noyen وليس جوجي بن جنكيزخان . والمعروف أن أولاد جنكيزخان الذين شاركوا أيهم في حروب المسلمين كانوا جوجي وأجتي وجفتاي وتولوي .

ولفظ نوين No-yen كما ورد في المرجع الصيني المعروف باسم Yüan shi لقب معناه أمير أو سيد أو قائد ، انظر تفسير هذا اللفظ في Bretschneider : Op. cit., vol. i, p.233, note 592. Howorth : Op. cit., part iii, p.88 و القلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٢٥ .

(٢) في الأصل : ادما .

(٣) كان جنكيزخان قد أمر قائده شبي Chépé بالبحث عن كشلو خان وإحضاره إليه حياً أو ميتاً . وقد استطاع هذا القائد أن يثير الشعور الديني لسكان التركستان ضد كشلو خان ، وذلك بأن أعلن الحرية الدينية في كل مكان ، وكان الأهالي وبخاصة المسلمين منهم قد حرموا =

إلى السلطان من قال له ، إنه يقبل الأرض ، وينهى أنه لم يتعد إلى هذه الجهة متعديا طورة ، بل خدمة للسلطان ، وقلعا لمن نبذته كواذب الآمال ، ودواعي المحال ، إلى أطراف مملكته . وقد كفى السلطان مؤنة النهضة ، وكلفة التجشم لأجله ، فأوقع به وبمن معه من أعداء السلطان ، فقرضهم عن آخرهم ، وسبي^(١) ذراريهم وأهلهم ، وساق غنائمهم ، وهاهى ذى بأسرها^(٢) بين يدي السلطان يحكم فيها كيف شاء ، فإن رأى أن ينعم على من باشر القتال ، وإلا فيوجه إلى من يتسلها ويسوقها إلى مخيمه^(٣) . وقد ذكر في جملة ما ذكر أن أباه أو صاه بسلوك مسلك الأدب إن صادف عسكر آمن العساكر السلطانية في وجهته تلك ، وحذره أن يبدو منه ما يرفع ستر الاحتشام ، ويتأفى مذهب الإعظام . فلم تغن ملاطفته ، ولم تنقص من قوى لجلاج السلطان سجيلا^(٤) ، إذ كان معه ضعفا^(٥) ما كان مع دوشى خان من الرجال وأرباب الزحف والصيلال . واعتقد أنه لو قذفه ببعض رجومه ، لغادره رمادا تذروه الرياح العواصف وتفتسمه الجوانب^(٦) والشمال . فأجابه السلطان بأن جنكز خان

== هذه الحرية في عهد كشلوخان ، فثار الأهالى واستقبلوا المغول استقبالا حسنا. انظر Skrine 8 & Ross . Op. cit , p. 157. ويذكر قامبرى Vambery أن كشلوخان كان يعتنق الديانة البوذية وأنه أخذ يعمل على نشرها في دولته ، كما يذكر أن كشلوخان كان متزوجا من سيدة مسيحية وكانت أيضا تعمل على نشر دينها في هذه البلاد . ويذكر برتشneider أن كشلوخان هو الذى كان يعتنق الديانة المسيحية شأنه في ذلك شأن غالب أفراد قبائل نيمان و Naimans وهم أهله وعشيرته ، وأن زوجته ، ابنة كورخان الخطا ، هى التى كانت بوذية الدين وأنها كانت تعمل على نشر الديانة البوذية . ومع أننا نميل إلى الأخذ بالرأى الأخير ، فإننا نخلص من هذا إلى أن المسلمين هم الذين كانوا موضع اضطهاد البوذيين والمسيحيين على السواء . انظر Vambery . History of Bokhara, p. 121, note, 1. Bretschneider : Op. cit., vol. i, p. 231.

(١) فى الأصل : سبا . (٢) فى الأصل : هاى بأسرها .

(٣) يبدو أن هذا قول مبالغ فيه إلى حد كبير ، ويرجع هذا إلى أن النسوى ، وهو الذى عاش فى كتب الخوارزميين وفى ظلمهم ، يريد أن يسبغ عليهم طابعا خاصا قوامه إظهارهم بمظهر القوة والبأس . ولذا يجب أن يقف الباحث موقف الحذر من المؤرخ ذى الطابع السياسى المعين أو المذهب الدينى الخاص . (٤) أى فتىلا . (٥) فى الأصل : ضعفا . (٦) أى الجنائب .

إن كان أمرك أن لا تقااتنى فالله تعالى قد أمرنى أن أقااتلك ، ووعد لى على قتالك الحسنى ، فلا فرق عندى بينك وبين كورخان وكشلوخان لا اشتراككم فى الشرك ، فأذن بحرب تنقصد فيها الرماح ، وتتحطم فيها الصفاح .
 فعلم دوشى خان حينئذ أنه إن لم يصدق القتال كذب أمله وحن أجله ، فلجأ إلى المصاع^(١) ، وفزع إلى القراع . فلما تقابل^(٢) الفريقان ، وتقابل الصفان ، حمل بنفسه على ميسرة السلطان فزقها تمزيقا ، وفرقها فى وجوه مهر بها تفريقاً ، وكادت الهزيمة تستمر بالسلطان لو لا عطفة من يمينته على ميسرة اللعين ، انتصفت منها فشفت منها عليلها ، واستوفت قليلها ، وبردت غليلها ، فلم يدر منها الغالب والمغلوب ، والسالب والمسلوب ، وتفرق الفريقان يومهم ذلك على ميعاد استئناف الحرب من بكرة غد ، فأشعل^(٣) الكفرة جنح الليل نيراناً ، مظهرين بأنهم ثابتون ، وعلى نية الحرب باثتون ، وحثوا ظهور الخيل ، تحت ذيول الليل ، فقطعوا مسافة يومين فى تلك الليلة ، وتمكن فى قلب السلطان من الرعب والاعتقاد ببسالته ما إذا ذكروا فى مجلسه يقول : لم ير كرجالهم إقداماً وثباتاً على مضض الحرب ، وخبرة بقوانين الطعن والضرب .

ولما عاد السلطان إلى سمرقند ، خلع على أمراء الأصحاب ، وزاد فى إقطاعاتهم ودرجاتهم ، ولقب بوجى بهلوان منهم بقتاغ خان ، وأغل حاجب بأينانج خان ، وجازى كل واحد منهم الخير على إقدامه ، وثبات أقدامه .
 وحيث أوردنا نبذاً من أحوال السلطان محمد فى شرح مبدأ التانار ، نسوق باقى أخباره إلى أن نغذ فيه محتوم القضاء^(٤) وأذنت أيامه بالانقضاء ، ثم نفضى الحديث إلى الغرض المقصود من الأخبار الجملالية إن شاء الله تعالى .

(٢) كذا فى الأصل ، وصحتها التقي .
 (٤) فى الأصل : القضا .

(١) المصاع : القتال بالسيوف .
 (٣) فى الأصل : فأشعلوا .

ذكر قصد السلطان بلاد العراق

سنة أربع عشرة وستائة

لما عظم شأن السلطان ، ونظم أمره ، وتجلت له الدنيا في أرفع ملابسها ، وأشرقت شمس دولته من أكرم مطالعها ، واستملت جريدة ديوان^(١) الجيش على ما يقارب أربعائة ألف فارس ، سمت همته إلى طلب ما كان لبني^(٢) سلجوق^(٣) من الحكم والملك ببغداد ، وترددت الرسل في ذلك مراراً ، فلم يجب إلى المراد لعلهم بما بين يديه من الشواغل بما وراء النهر وبلاد الترك ، إذ كان مهتماً قلح منهم طائفة طلعت أخرى لم يسمع بها ، وهو يتربص أثناء ذلك حصول المرام ، إيتاء بالوقت إلى مرتقب الرجاء ومقتطف الأمل^(٤) .

(١) الديوان ، كلمة فارسية معناها سجل أو دفتر ، ثم تطور استعمال هذا اللفظ فأطلق من باب المجاز على السكان التي تحفظ فيه السجلات الخاصة بأمر الدولة المختلفة . وقد اقتبس عمر بن الخطاب نظام الدواوين في الدولة الإسلامية بعد أن اتسعت الفتوحات في عهده ، وأصبحت الحاجة ماسة إلى ضبط أمور الدولة ، فأنشأ ديوان الجند لكتابة أسماء الجند ، وديوان الخراج لتدوين ما يرد إلى بيت المال من أموال . ثم اتسعت هذه الدواوين وتعددت في عصر الدولتين الأموية والعباسية . انظر كتاب النظم الإسلامية للدكتور حسن إبراهيم حسن بك ، ص ٢١٥ - ٢٢٣ .

(٢) في الأصل : بني .

(٣) يكتب هذا الاسم بطرق مختلفة، فنراه في غالبية المراجع العربية « سلجوق » ، ونراه في بعض المراجع العربية الأخرى « سلجق » ومن هذه المراجع كتاب تاريخ دولة آل سلجوق لعبد الدين الأصفهاني والذي اختصره الفتح بن علي البنداري ، إذ على الرغم من ذكر حرف « الواو » في عنوان الكتاب فقد حذف هذا الحرف من صفحاته . ويكتب هذا الاسم أيضاً « سلجك » كما جاء في كتاب ديوان لغات الترك لمؤلفه محمود الكاشغري . ويكتب أيضاً « سلجوق » كما وجدته في كثير من المراجع والكتب التركية، وأذكر على سبيل المثال منها كتاب أورهه آسيا لبارتولد Barthold ، وكتاب گلشن معارف لمحمد سعيد ، وكتاب عثمانى تاريخي لآحمد راسم . (٤) استعان الخليفة الناصر لدين الله العباسي بلاء الدين تكش خوارزم شاه على هدوه السلجوقي طغرل بك آخر سلاطين السلاجقة في العراق . وقد اشتبك تكش فضلاً مع طغرل بك في موقعة حربية سنة ٥٩٠ هـ (١١٩٣ م) ، قضى فيها الخوارزميون على آخر سلجوقي في العراق . وفي الوقت الذي ظن فيه العباسيون أنهم تخلصوا من النيران السلجوقي ، نجد الخوارزميين

وحكى القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي - وكان عند السلطان من ذوى الخطوة والاختصاص ، وقد أرسله إلى بغداد مراراً ، قال : كان آخر رسالاتي إليها مطالبة الديوان بما ذكرناه ، فأبوا ذلك وأنكروا كل الإنكار ، وقالوا : إن اختلاف الدول وتقلب الدهر وتغلب الخارجى على بغداد ، وتسحب الإمام القائم بأمر الله ^(١) ، رضوان الله عليه ، منها إلى حديثة عانة ، وانتصاره بطغرل بك ^(٢) بن مكائيل ، والقصة مشهورة . اقتضت تحكم بنى سلجوق في بغداد ، وإلا فليس يحتم أن يكون مع الزمان على أكتاف الخلافة متحكماً يأمر فيها وينهى كيف شاء ، بما سر وساء . ومهما احتجنا إليك في مثل ذلك ، ولا كان ذلك ، أجبناك إلى ما أجبنا أولئك . أوليس فيما أنعم عليه به من الممالك الواسعة الأقاليم ، المتباعدة المشاسعة ، غنية عن الطمع في دار ملك أمير المؤمنين ، ومشاهد آبائه الراشدين ! قال : وأصحب ^(٣) في عوده بالشيخ شهاب الدين السهروردي ^(٤) ،

== يتوقون إلى أن يرتلوا ما كان للسلاجقة في العراق من ثغوذ وسلطان ، ومن ثم قاموا يطلعون إلى الاستيلاء على بغداد هسها ، وحاول علاء الدين محمد خوارزم شاه فعلاً تحقيق هذا الهدف . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٥٠ ، وابن خلدون : العبر ودبوان للبدا . والخبر ، ج ٥ ص ٩٤ ، والمقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٤٠ .

(١) حكم الخليفة العباسي القائم بأمر الله من سنة ٤٢٢ / ٤٦٧ هـ (١٠٣١/١٠٧٥ م) .
(٢) يكتب هذا الاسم أحياناً « طغرول » ، انظر كتاب گلشن معارف لمحمد سعيد ج ١ ص ٣٦١ . وقد ذكر لي الأستاذ المستشرق فلاديمير مينورسكي V. Minorsky ، الذى كان من حسن حظي أن اجتمعت به مراراً أثناء زيارته لمصر وأفدت من علمه الكثير ، أنه من الجائز أن ندون الأسماء التركية دون كتابة ما فيها من حروف متحركة ، وضرب لى مثلاً بأسماء القبائل الآتية التى يجوز كتابتها بأحد الوضعين الآتين :

سَلْمُشَرُ أو سَالْمُشَرُ ، بَايْسُنْدَرُ أو بَايُونْدُور ، أَيْشَرُ أو أُونُور .

(٣) أصحب الرجل : صار ذا صاحب .

(٤) ينسب شهاب الدين السهروردي إلى قرية سهرورد بإقليم زنجان . وقد أقام هذا الرجل معظم أيام حياته في بغداد وتتمتع بثقة الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، كما أنه كان من كبار زنجال الصوفية في عصره . وألف في التصوف كتاباً يسمى باسم « عوارف المعارف » ، وقد توفي سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) . انظر كتاب تاريخ الأديب الفارسي للدكتور رضا رآقه شفق ، ص ١٩٧ .

رحمه الله ، رسولا مدافعا ، وواعظا وازعا ، عما كان يلتمسه السلطان ، وتراجعت المراسلات في المعنى وتكررت ، فكانت غير مجدية . وانضاف إلى ذلك استهانتهم بالسبيل الذي كان للسلطان في طريق مكة ، حرسها الله تعالى ، حتى بلغه تقديمهم سبيل صاحب الإسماعيلية^(١) جلال الدين الحسن^(٢) على سبيله ، فكان نكالا للقرح ، وملخا فوق الجرح . وسمعت القاضي المذكور يقول : إن الشيخ شهاب الدين لما دخل على السلطان^(٣) ، وعنده من حسن الاعتقاد برفيع منزلته ، وعالي قدره وتقدمه فضلا على مشايخ عصره ، ما أوجب تخصيصه بمزيد الإكرام ، ومزية الاحترام ، تمييزا له عن سائر الرسل الواردة عليه من الديوان ، فوقف قائما في صحن الدار ، ثم أذن له بالدخول . فلما استقر المجلس بالشيخ قال رحمه الله : إن من سنة الداعي للدولة القاهرة أن يقدم على أداء الرسالة حديثا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تيمنا وتبركا ، فأذن له السلطان في ذلك ، وجلس على ركبته تأدبا عند سماع الحديث ، فذكر الشيخ حديثا معناه التحذير من أذية آل عباس ، رضى الله عنهم . فلما فرغ الشيخ من رواية الحديث ، قال السلطان : أنا وإن كنت تركيا قليل المعرفة باللغة العربية ، لكنني فهمت معنى ما ذكرته من

(١) سميت هذه الطائفة بالإسماعيلية لأن أتباعها يدينون بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، واشتهروا أيضا بالباطنية لأنهم يظنون خلاف ما يظهرون ، وسموا بالملاحدة لأن مذهبهم يقوم على الإلحاد . انظر الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٢٤٥ . وقد عرفوا أيضا بالحشيشية . انظر ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ص ٦٨ . وأبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ص ٥٢ ، ١٩٨ (طبعة R. H. C. O. tom. v) . وقد سموا بالحشيشية لما عرف عنهم أو ألصق بهم من استخدامهم مادة الحشيش المخدرة في التضييل بقول من يدخل في دعوتهم : انظر ما كتبناه عن طائفة الإسماعيلية واستفعال شأنها في أقاليم بلاد المشرق في كتابنا : المشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ٦٨ — ٨٨ . وانظر أيضا كتاب : دولة الزارية أجداد أعا خان ، للدكتور طه أحمد شرف .

(٢) ٦٠٧ / ٦١٨ هـ (١٢١٠ / ١٢٢١ م) .

(٣) قابل السُّهروردي علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) بالقرب من مدينة همدان ، وهو في طريقه إلى غزو بغداد .

الحديث ، غير أنى ما أذيت أحدآ من ولد عباس ولا قصدتهم بسوء ، وقد بلغنى أن فى محبس أمير المؤمنين منهم خلقا مغلدين^(١) ، يتناسلون بها ويتوالدون ، فلو أعاد الشيخ الحديث بعينه على مسامع أمير المؤمنين كان أولى وأنفع ، وأجدى وأنجح . فقال الشيخ : إن الخليفة إذا بويع فى مبدأ خلافته ، بويع على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد أمير المؤمنين ، فإن اقتضى اجتهاده حبس شزيمة لإصلاح أمة لا يقدر^(٢) ذلك فى طريقته المثل . وطال الكلام فى المعنى ، ولست بمعيد ذلك ، إذ السكوت^(٣) عن أمثاله أقوم قبلا ، وأهدى سبيلا^(٤) .

وعاد شهاب الدين والوحشة قائمة على ساقها ، وانفق عقيب ذلك قتل الإسماعيلية أغلبش الأتابكي^(٥) ، وقد كان ناب عن السلطان بالعراق وركب يلتقى الحجاج منصور فهم من حج بيت الله الحرام ، فقفزوا عليه فى زى الحجاج ، وانقطعت حينئذ خطبة السلطان بالعراق ، فحركته إليها لإعادتها إلى حالها ، على ما نذكره إن شاء الله .

-
- (١) فى الأصل : خلق مغلدون . (٢) فى الأصل : لا تقدر .
 (٣) فى الأصل : إذا السكوت . (٤) راجع ما ذكره أبو المحاسن فى كتابه : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ص ٢١٩ - ٢٢٠ عن تفصيل المقاتلة بين علاء الدين محمد خوارزم شاه وشهاب الدين السهروردى على لسان الأخير .
 (٥) كان نظام الأتابكة من أهم مميزات مصر السلجوقى . ولفظ أتابك معناه « الأمير الوالد » أو أبو الأمير . ويرجع الأصل فى ذلك إلى أن سلاطين السلاجقة كانوا يهبدون فى تربية أبنائهم إلى المقربين إليهم من الأتراك ، الذين ترغروا فى كنفهم ، فإذا ما عين سلطان ما ، ابنا من أبنائه على مدينة من المدن ذهب معه هذا التركى (الوالد) ليعاون هذا الأمير فى حكم هذه المدينة ، ويسدى إليه ما يراه من النصائح . على أن السلاجقة توسعوا بعد ذلك فى معنى هذا الاسم ، بحيث أصبح يمنح كلقب من ألقاب العرف لكبار رجال الدولة وقواد الجيوش . وسواء أكان هؤلاء الأتابكة من المربين لأمرأ السلاجقة أم من قواد جيوش الدولة السلجوقية ، فإنهم كانوا فى الواقع أصحاب النفوذ الفعلى فى البلاد التى يعهد إليهم بالحكم فيها ، وخاصة بعد أن بدأت الدولة السلجوقية فى الانحلال .
 ويلاحظ أن لفظ أتابك يمكن من مقطعين ، « بك » ومعناه أمير ، و « اتا » ومعناه أب . انظر السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٩ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٢٤١ . وانظر أيضا ما كتبناه عن قيام دول الأتابكة فى بلاد المشرق فى كتابنا : الشرق الاسلامى قبيل الغزو التولى ، ص ٩١ - ١١٤ .

ذكر مسير السلطان إلى العراق وما جرى له بها

لما قتل أغلبش وكان مقبياً رسمى الخطبة والطاعة للسلطان بالعراق ، طمع الأتابكان أربك بن محمد صاحب أران وأذربيجان ، وسعد بن زنكي صاحب فارس فيها . فنهضا إليها من جهتيهما اغتناما لنهزة خلوها عن يحميها ، وبقية كلمة الدعوة فيها ، ولعلهما ببعد السلطان وغوصه في أعماق بلاد الترك وإشرافه أعاليها ، واشتغاله بذوبان الكفرة وسعاليها ، فرحل أربك بعد إنتقال كنيانته في الاستخدام والاتفاق إلى العراق ، فدخل أصفهان على مواطاة من أهلها ، وجاء سعد إلى الري فملكها وملك معها قزوین وخوار^(١) وسمنان^(٢) وما تاخها ودانها . وتطارت الأخبار بها إلى السلطان وهو بسمرقند فحركته همته التي كانت تستسهل^(٣) الوعر ، وتستقرب البعد ، لقصد هما وحصدهما ، فاختر من نجباء الرجال ، وسرعان الأبطال ، زهاء مائة ألف فارس وركز^(٤) معظم عسكره مع أكابر أمرائه ، وذوى الصيت من كبرائه ، ببلاد ما وراء النهر وثغور الترك . فلما وصل إلى قومس^(٥) ، اختار من المستصحبين اختياراً ثانياً ، ونهض في اثني عشر ألف فارس^(٦) خفافاً ركضا ، بادر أفواج الرياح ، واقتصر أوقات الإظلام

(١) خوار : مدينة قريبة من الري . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٧٣ .

(٢) سمنان : مدينة بين الري ودامغان . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ١٢٩ .

(٣) في الأصل : تسهل . (٤) في الأصل : ذكر .

(٥) قومس : أحد الأقاليم الواسعة ويقع في سفوح جبال طبرستان . ويشتمل هذا الاقليم على مدن وقرى ومزارع كثيرة ، وحاضرتة دامغان . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ص ١٨٥ .

(٦) في الأصل : فارسا

والإصباح ، حتى سبق خبره إلى جبل برزك ، وهي كورة من كور الري محدثة ، وسعد بظاها ، فلم يدرك أسار إليه أم طار . فلما رأى سعد أوائل الخيل مشرفة عليه ، ظن أنهم من الأزركية^(١) المتنازعين في ملك العراق ، فركب بنفسه وعسكره ، وصدق^(٢) القتال ، وحقق المصاع^(٣) والعيال ، وتوالت عليهم الحملات منه والاطوار متواصلة ، فحين شاهد السلطان جده ، وعان وكده^(٤) ، أمر بنشر الجتر^(٥) - وكان ملفوفاً - فنشر . فحين تحقق أصحاب الأتابك أنه السلطان ، ولَّوْا على أدبارهم نفوراً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . ونزل سعد فقبل الأرض ، فأخذه بعض من وصل إليه فكتفه وأحضره بين يدي السلطان ، فأمر بالاحتياط عليه إلى أن يرى فيه رأيه ، وبقي مكبولا ، وعلى بغل الحمل محمولا ، إلى أن وصل السلطان إلى همدان ، وقضى بها وطراً من أمر أذربك على ما سنذكره إن شاء الله تعالى ، فكانوا يحضرون الأتابك سعداً والملك نصره الدين محمد بن بيشتكين والصدر ريب الدين أبا القاسم بن علي وزير أذربك ، وقد أسر عند انفلات أذربك على ما يجيء شرحه ، كل يوم إلى الميدان بهمدان والسلطان يلعب بالأكرة ، فيقامون هناك إذلالاً بهم ، إلى أن أمر بحل وثاقهم ، ومن عليهم بإطلاقهم ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) نسبة إلى أوزبك بن بهلولان . أتابك أذربيجان .

(٢) في الأصل : صدق .

(٣) المصاع : القتال بالسيوف .

(٤) الوكد : القصد .

(٥) الجتر ، بجمع مكسورة قد تبدل شيئاً معجمة : المظلة . وقد كانت في أيام الفاطميين والأيوبيين والمماليك في مصر من شعار السلطنة ، وهي عبارة عن قبة من الحرير الأصفر المزركش بالذهب في أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان في العيدين . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٧ - ٨ .

ذكر حال الأتابك أربك وخروجه من أصفهان

ولفلاته من حباله القبض بعد أن قارنها

حدثني الوزير ريب الدين المذكور ، وكان من أكابر الزمان ، وعن أشاب
نواصي الأيام ، في تقلد أشغال الديوان ، وحين ملك جلال الدين^(١) أذربيجان
وآران على صاحبه ، اختار العزلة ، وجعل داره مدرسة ، فسكنها منعكفاً على الطاعة
مواظباً على العبادة ، ختماً بالسعادة ، وتكميلاً لأسباب السيادة ، فلما سمع أربك
وهو بأصفهان^(٢) ما حل بسعد من الأسر ، أخذه بها المقيم المقعد ، وملكه
المزعج المكمد ، ورأى الأرض قد ضاقت عليه بما رحبت ، ولم تبق له همة
سوى العود إلى دار ملكه ، والخلاص عما أشرف عليه من هلكه ، ركب
مغيلة السير^(٣) إلى أن قارب همدان ، معتقداً أن السلطان مقيم بالرى أو صامد
حمد أصفهان . فأخبر وهو على مسيرة يوم من همدان أن السلطان بها
يرتقب أخبارك ، وقد أذكى العيون عليك في كل مرصد ، وبث طلائعه
على كل جهة ومقصد . فعندها سقِطَ في يده^(٤) ، وفت في عضده ، لانعكاس
تدبيره ، وانكشاف العواقب عن ضد ما أحاله من قداح تقديره . فتحير
لا يدري الرأى في وجه إقباله ، أو في ظهر إدباره . فاستشار إذ ذاك بصحابه
فيما دهاه ، واستقبح آراءهم فيما عراه ، فأشار بعضهم بالعود إلى أصفهان ،
ورأى بعضهم البدار إلى أذربيجان في خوف من العدد وتخلف الأثقال

(١) المقصود هنا جلال الدين منكبرتي آخر سلاطين الدولة الخوارزمية .

(٢) تكتب هذه المدينة أيضاً أصبهان . انظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦

ص ٢١٩ ، وياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٦٩ .

(٣) أي مسرماً . وقد قلها هوداس عن النسخة الخطية ، معداً لاسير .

(٤) سقِطَ في يده : ندم . وسقِطَ في يده : زل وأخطأ وتغير .

عرضة للنهب وطعمة للسكرتسب . قال : وأنا قد أشرت عليه دون الجماعة
بالتحصن بقلعة قزوين ، وكانت قريبة ، وهى من أمهات قلاع الأرض
ومشاهير حصونها التى قال الشاعر فيها :

يطير عُقاب الجوى فى جنبايتها^(١) وللنسر فى حافتهن مقبيل

فلم يشبهها من رواسى الجبال ، ومباني القلاع ، إلا قليل ؛ وهى إذ ذاك
له فقال أربك فى جوابه : ماذا يضر السلطان لو تحصنت بالقلعة أن يأمر
بعض أمراء العراق بمحاصرته فلم يزل حاطاً عليها محيطاً بها حتى يبلغ المراد ؟

وبالجملة فكانت زبدة محضهم أنه وجه أنقاله وخزائنه ومعظم جيشه مع
الملك نصرة الدين محمد بن بيشتكين صوب تبريز^(٢) ، طالباً بها خلاصه ؛
وشاغلاً بها من نوى اقتناصه . واستصحب من خواص أتركة زهاء^(٣)
عن مائتى فارس . فأخذ بهم نحو أذربيجان فى المسالك الوعرة ، والجبال
الصعبة ، إخماء للنجر ، وطمساً على الأثر . ووجه الوزير المذكور إلى السلطان
برسالة يعتذر عن جنائته ، فيرجى^(٤) عنه دنس العصيان ، وتحيل ما صدر
منه على وسائس الشيطان . فوقع الأمير دكجك السلاح دار^(٥) مقطع
كبودجامة وهى من توأحي مازندران ، على أنقاله ، وعامة رجاله ، ليلا يبعض

(١) فى الأصل : جانبايتها . والمُعقاب : طائر من الجوارح .

(٢) تبريز : حاضرة أذربيجان . ومما يذكر أن هولاء كانوا مؤسس دولة الخانات المغول
فى فارس اتخذ من هذه المدينة حاضرة للسكة فترة من الزمن . وتمتاز هذه المدينة بمبانيها
التركية بالقاشاني والجمي والكلس . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٥٧

(٣) الزهاء بضم الزاى : المقدار .

(٤) يرجى : يتسل .

(٥) كان ديوان الجيش من أهم دواوين الدولة الخوارزمية ، فقيه يدبر كل ما يلزم
الجيش من أسلحة وذخائر وعتاد وأموال ، ويتبع هذا الديوان بيت السلاح ، الذى تحفظ
فيه الأسلحة المختلفة ، ويشرف عليه رجل عرف بالسلاح دار ، كما يقوم بالملفوفه عدد كبير
من الصناع يشتغلون فى إصلاح الأسلحة . انظر القلقشندي : صبح الأعشى فى صناعة الانشا
ج ٤ ص ١١ - ١٢ .

تلك المراصد ، فزقها بدداً ، وفرقها طرائقٍ قدّأ^(١) ، وتبع الجفلة إلى نينانج ، وهي كورة من كور أذربيجان على حافة النهر الأبيض ، وأسر الملك نصره الدين محمد بن بيشتكين ، وانضمت حباله الأسر على معظم من صحبه ، بجمعت أكابر وأصاغر^(٢) وتركت العزيز منهم صاغراً . وأما الخزائن والأثقال والأعلام والطبخانة^(٣) فقد شملها النهب ، وتقاسمها السكسب . وصودف ربيب الدين الوزير في الطريق حين رخصت الأغراض ، وأبيحت الأموال والأعراض ، فسيق في الأسرى إلى الخيم ، ولم يصدق في رسالته ، واعتقد أنه زورها عند اضطراب الحال حيلة للخلاص ، لات حين مناص . فليظن المتأمل إلى هذه الهمة السلطانية ، أنها سميت من أعالي ما وراء النهر إلى كبس ملكين بالعراق ، فنال منهما ما أراد ، واستوفى عليهما الثأر وزاد ، فأما الملك نصره الدين محمد فقد بقي مأسوراً ، يحضر كل يوم الميدان مهاناً ، مقروناً بالأنابك سعد والوزير ربيب الدين ، إلى أن رجع نصير الدين دولتيار وكان متولياً^(٤) منصب الطغراء للسلطان وهو من المناصب الجليلة عندهم^(٥) ، غير أنه دون كتابة الإنشاء^(٦) في بيت الخوارزمشاهية ، وفوقها عهد

(١) طرائقٍ قدّأ : أى جماعات متفرقة ، والمفرد قدّة .

(٢) في الأصل : أكابراً وأصاغراً .

(٣) الطبخانة : بيت الطبل ، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابها من الآلات .
القفشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٣ .

(٤) في الأصل : متولى .

(٥) الطغراء : كلمة غنلف في اشتقاقها ، فيقول البعض إنها أخذت عن التركية ، ويقول البعض الآخر إنها أخذت عن الفارسية ، ويقول فريق ثالث إنها دخلت في التركية نقلاً عن صيغة التأنيث العربية ، طغراء على وزن فعلاء . والطغراء هى الطابع أو التوقيع ، والطغرائى هو الموظف الموكل بالتوقيع . انظر دائرة المعارف الاسلامية مادة Tughra .

(٦) كان ديوان الانشاء أول ديوان وضع في الاسلام ، إذ كان للنبي في حاجة إلى أن يكاتب أمراء وأصحاب سراياه ، كما كان في حاجة إلى الكتابة إلى الملوك المعديدين بغية دعوتهم إلى الاسلام . وكان يقوم بالكتابة في عهد النبي أبو بكر الصديق ، وعلى بن أبي طالب . على أن الكتابة فوضت إلى كاتب مختص في عهد الأمويين ، ومن أشهرهم عبد الحميد الكاتب : فلما

السلاجقة ، وكان السلطان قد بعثه رسولا إلى الأتابك أذربك بعد إفلاته من شبائك ، يأمره بإقامة رسمي الخطبة والسكة باسمه ، في عامة بلاد ممالكه ، وأن يحمل كل سنة إلى الخزانة ^(١) السلطانية أتاوة معينة . فأما الخطبة والسكة فقد لبى ^(٢) دعوة السلطان فيهما سريعا ، وأجاب إليهما جميعا . وخطب للسلطان على منابر أران وأذربيجان إلى ما يلي دربند شروان ، وأظهرت الأفراح ، وعملت البشارات ، ونصير الدين حاضر ، وسير إلى السلطان من الهدايا والألطف ما صار دون بلاده حجابا ، وسد بينها وبين من يعارضها أبوابا . وسلم قلعة قزوین للسلطان خدمة ، واعتذر في أمر الأتاوة بأن السكرج ^(٣) استضعفوا جانبهم واستولوا على أطراف بلاده ، وهذه حاله والبلاد بما تثمر من الأموال له ، فكيف إذا انقسمت وحمل منها أتاوة ، وزيدت على حملها علاوة . فصدقه السلطان في ذلك وأعفاه ^(٤) منها ووجه إلى السكرج رسولا يحذرهم قصد بلاده ، ويقول ^(٥) إنها صارت كإحدى ممالك الخاصة . وبحت ^(٦) منابرها بذكر اسمه ، وحليت نقودها بزنة وسمه ،

== جاءت الدولة العباسية كان ديوان الانشاء يضاف تارة إلى الوزارة وتارة يعهد إلى كاتب يختص به ، وفي الحالة الأولى أضيف لقب الكتابة إلى الوزارة ، أما في الحالة الثانية فقد عرف هذا بديوان الرسائل ، وكان من يتولاه يسمى صاحب ديوان الرسائل أو متولى ديوان الرسائل ، وربما قيل صاحب ديوان المكاتب أو متولى ديوان المكاتب ؛ وقد عرف هذا الديوان في أحيان أخرى بديوان الانشاء ، وفي هذه الحالة لقب من يتولاه بصاحب ديوان الانشاء ، ومن أشهر كتّاب العباسيين ووزرائهم ، يحيى بن خالد البرمكي ، وابن المقفع مترجم كتاب كليله ودمنة . انظر القفشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٩١ — ١٠٤ ، ج ٣ ص ٤٩٠ — ٤٩٢ ، ج ٥ ص ٤٦٤ — ٤٦٥ . وانظر أيضا المقرئ : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٢٤٥ حاشية ٢ .

(١) أفرد الخوارزميون لأموال الدولة ديوانا خاصا يشرف عليه رجل عرف بالخازن أو الخازندار ، يساعده موظفون مختصون بتسجيل الوارد والمنصرف من الأموال . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والمنول ، ص ٨٣ — ٨٤ .

(٢) في الأصل : لبّا . (٣) أى أهالى جورجيا .

(٤) في الأصل : عفاه . (٥) في الأصل : يقول .

(٦) في الأصل : بوّحت ، وربما قصد النسوى بهذا التحريف السير وراء ما يتعمده من سجع متكلف .

ولولا عَودَ السلطان من العراق عاجلاً لأسباب نذكرها (١) لبلغ أذربك من الكرج ما أراد بالخطبة السلطانية ، إذ كان السلطان قد نص على خمسين ألف فارس من نخب عسكره يغزون الكرج . نعم وعاد رسول السلطان من الكرج ومعه رسولهم مصحوباً بالتقاديم ، من طرف ذلك الإقليم ، ولم يدرك السلطان إلا بعد عبوره جيحون (٢) .

(١) اضطر علاء الدين محمد خوارزمشاه إلى العودة ببجوشه إلى خراسان كيما يستعد لمواجهة الخطر المنقوى ، إذ أن جنكيزخان كان ينتظر الفرصة الملائمة للاهتضاض على الدولة الخوارزمية وإبادتها ، فإن الحوادث التاريخية في هذه الأثناء كانت قد قادت المنول إلى متاخمة البلاد الإسلامية ولإيجاد علاقة صداقة بين الطرفين تطورت بعد ذلك إلى علاقة عداة ، وانتهى هذا كله باكتساح المنول أقاليم الدولة الخوارزمية .

(٢) أى عبور علاء الدين محمد خورزم شاه إلى الضفة الشرقية لنهر جيحون لمقاومة الغزو المنولى في إقليم ماوراء النهر . فقد ركز جنكيزخان جهوده للاستيلاء على هذا الإقليم دفعة واحدة ، وبذلك باغت الخوارزميين في كل جزء من أجزاء هذا الاقليم ، الذى يعتبر مفتاح الدولة الخوارزمية كلها .

ومما هو جدير بالذكر أن علاء الدين محمد خوارزم شاه قد اصرف عن مشا كله في أقاليم الدولة المختلفة إلى رسم الخطط لمواجهة الغزو المنولى ، فاهم منذ حل بإقليم ماوراء النهر بتوزيع قواته على المدن المختلفة في هذا الاقليم ، فتفرق الجيش الخوارزمى مما سهل على المنول الاستيلاء على المدينة تلو الأخرى ، وانتهى الأمر بفرار علاء الدين محمد إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والمنول ، ص ١١٧-١٣١ ، ص ٢٠٦-٢٠٨ .

ذكر ما آل إليه أمر نصره الدين محمد بن يديشتكين

بعد الأسر

كان نصره الدين محمد المذكور يحضر كل يوم الميدان ، فيوقف والسلطان يلعب بالأكرة^(١) ، فنظر إليه ذات يوم فإذا بأذنيه حلقتان كبيرتان مجوفتان في غلظ سوارين ، فسأله عن ذلك فقال : إن السلطان ألب أرسلان ابن داود^(٢) ، لما غزا الكرج ونصره الله تعالى عليهم^(٣) ، سبق أمراؤهم بحرايم القسر ، إلى موقف الأسر ، فأنعم عليهم بالإطلاق ، وأمر أن يشتفوا لكل واحد منها بحلقتين يكتب عليهما اسم السلطان ، ففعل . فلما تطاولت المدة ، وذهبت قواعد الدولة ، جعلوا أولئك ربة للطاعة ما خلا جدى ، فإنه أسلم وسلبت بلاده وأعقابه ببركتى الإسلام والوفاء . فرق له قلب السلطان ، ورغب أن يذبح لنفسه مثل تلك الأحداث ، ويجمع إلى مفارجه حامل تلك الحملة الموروثة ، شملع عليه للوقت خلعة رسمية ، وأحضره الميدان ، فلبس معه بالأكرة . ولما عزم على العود من العراق خلع عليه أخرى ملوكية أسنى ما يكون من الخالص وأهبها ، وأمر بأن يكتب له توقيع بما كان تحت يده من البلاد التى ورثها أباً عن جد ، مثل مدينة أهر^(٤)

(١) لعبة الأكرة هي اللعبة المعروفة حالياً باسم البيولو Polo . انظر القرى : السلوك ، ج ١٠ قسم ٢ ص ٤٤٤ حاشية ١ .

(٢) هو ثاني سلاطين السلاجقة العظام ، وقد حكم من سنة ٤٥٥ / ٤٦٥ هـ (١٠٦٣ / ١٠٧٢ م) . انظر Lane-Poole : Op. cit., p. 153 . وانظر لسب هذا السلطان أيضاً فى كتابنا : الفرق الإسلامى قبيل الفزو المنولى ، ص ١٥٨ .

(٣) حدثت الحرب بين ألب أرسلان وبين الكرج سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) . راجع ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ص ١٥ — ١٧ .

(٤) أهر : إحدى مدن أذربيجان وتقع بين أردبيل وتبريز . وقد عرفت هذه المدينة بكثرة خيراتها . ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٣٧٩ .

وورأوى^(١) بقلاعهما وأعمالهما ، وسأله عن أقرب المدن إلى بلاده مما تملكه أذربك فقال : مدينة سراه^(٢) . فأمر بإضافتها إلى ما تحويه يده قديماً مذكورة في التوقيع ، وغُيِّرَت الحلقَتان فكتب عليهما اسم السلطان .

وعاد نصرة الدين بالبشر واليسار ، متخلصاً من ذل الإيسار ، وحيث كان التوقيع ذكر فيه مدينة سراه بأعمالها ، وهى من بلاد أذربك ، لم ير لإظهاره ، فاذخره في خزانته مكتوماً ، وأودعه فيها مخنوماً ، إلى أن ملك جلال الدين تبريز ، منتزعاً من يد أذربك ، حضر بابه بالتوقيع من غير مراسلة ، ولا تقديم استخلاف ، فلما وقف جلال الدين على التوقيع العلاف^(٣) ، أمر بإحياء رسمه ، وإمضاء ما كتب باسمه ، نفخ المذكور من سائر أكتافه بالتقريب والترحيب ، والبر الرائع والبشر الخصب . وجاء الخير بأمره ، ببركات أمّ سره ، وعسى أن تكرر هو شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً .

(١) وراوى : إحدى المدن الواقعة في جبال أذربيجان بين أردبيل وتبريز ، وبينها وبين أهر مسافة قصيرة . ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٤١٣ .

(٢) لعلها سراو ، وهى إحدى مدن أذربيجان وقع على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة أردبيل في اتجاه تبريز ، وقد استولى عليها المغول سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) ، وأتوا على جميع سكانها . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٥٨ — ٥٩ .

(٣) نسبة إلى علاء الدين محمد خوارزم شاه .

ذكر عاقبة الآتابك سعد بن زنكي صاحب فارس

ولما أسر الآتابك سعد ، انتصب مكانه ابنه نصر الدين أبوبكر^(١) منصبه ، واستمال قلوب الأمراء بالبذل والإحسان ، وطلاقة اليد وذلاقة اللسان فأذعنوا له بالطاعة ، واتفقت على متابعتة كلمة الجماعة . وحيث علم السلطان أنه لا يفرغ لاستصفاء مملكة فارس ، إذ كان جل همه قصد بغداد ، من عليه بالإطلاق وتسلم منه قلعتي إصطخر وأسكناباد ، وهما مبيتان على شواقي الجبال ، تدل على حصاتهما شوارد الأمثال . فسلهما إلى المويد الحاجب^(٢) وزوج الآتابك سعد بامرأة من أهل بيت والدته ترکان خاتون^(٣) ، وشرط عليه أن يحمل كل سنة إلى الخزانة السلطانية من بلاده ثلث الخراج ، وعاد الآتابك بالخلع والنشريفات . فلما وصل إلى كرسى مملكة وهو مدينة شيراز ، امتنع عليه ابنه أبوبكر ، وأبى أن يسلم.

(١) حكم من سنة ٦٢٣/٦٥٨ هـ (١٢٢٥/١٢٥٩ م) . انظر لسب هذا الآتابك في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ١٦٨ .

(٢) كانت الحجابة من أهم مميزات السلطنة عند الخوارزميين وخاصة في أواخر أيامهم . إذ كان للخوارزميين حجاب مهمتهم حجب السلطان عن العامة وخلق بابة دونهم أو فتحة لهم في الأوقات المناسبة ، وليس هناك من شك في أن تمسك الحكام بالحجابة ، كما يرى ابن خلدون ، لمن أقوى الأدلة على ضعفهم . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٧٩ .

(٣) ينتسب ترکان خاتون ، زوجة علاء الدين تكش خوارزم شاه ، إلى قبيلة كانسكالي Cansakali ، التي كانت تسكن في شمالي إقليم خوارزم ، وقد أنجبت له علاء الدين محمد . وكان لهذه المصاهرة أثر كبير في سياسة الدولة الخوارزمية الداخلية بوجه خاص في عهد علاء الدين محمد ، إذ ترخ عدد كبير من كبار رجال هذه القبيلة إلى أراضي الدولة الخوارزمية ، وتكونت منهم عصبية كبيرة في جوف الدولة أخذت تتحكم بالتدريج في وظائف الدولة ومواردها وتناهنس قوة السلطان نفسه .

الملاك إليه، وسولت له نفسه مغالبة أبيه، فزين في عينه تمنعه وتأبئيه، إلى أن فتح الباب على غفلة منه حسام الدين تكش باش، أكبر عمالك الأتابك والمقدم في دولته، فلم يردع^(١) أبابكر إلا دخول أبيه عليه، وكان يده سيف مجرد، فضرب وجه ابنه ضربة أثرت فيه، وحجز بينهما اختلاط. الفريقين، فأمر الأتابك بالقبض عليه، فقبض وأودع السجن مدة إلى أن انقضت، ورضى عنه وعفا. وعظم حال حسام الدين عنده، ورقاه إلى درجة الملوكة^(٢)، إلى أن توفي سعد وقام ابنه أبو بكر مقامه، فشام حسام الدين برق العطب والويل، فامتطى صهوات الخيل، وهرب تحت ذيول الليل، وخلف من الأموال والتحمل ما لا تحمله الظهور، وقد نضدته السنون والشهور، ناجيا إلى جلال الدين بحشاشة نفسه^(٣) كالمحشور من رمسه. فسلكه جلال الدين خلخال^(٤) بقلاعها وأعمالها حين ملكها على مليون الأتابكي، على ما نذكره، فأقام بها إلى أن قتل بعد خروج التاتار في سنة ثمانى عشرة^(٥) وستمائة.

(١) في الأصل : -يرع .

(٢) أى منحه لقب ملك .

(٣) في الأصل : نفس .

(٤) خلخال : إحدى مدن أذربيجان، وتقع على مسيرة سبعة أيام من قزوین، ويومئ

من أردبیل .

(٥) في الأصل : ثمانى عشر .

ذكر قصد السلطان محمد بغداد وعوده عنها

لما قضى السلطان وطره من استصفاء مملكة العراق وإخلاؤها^(١) من تازعه فيها ، عزم على قصد بغداد ، وسيّر أمامه من العساكر ما غصت به البيداء ، وضائق برحبها عن ضمها الفلا ، وسار وراهم إلى أن علا عقبة سد آباد ، وكان قد قسّم^(٢) نواحي بغداد وهو بهمذان أقطاعاً وعملا ، وكتب بها نوقيعات ، فنزل عليه بالعقبة ثلج طمت الأباطح والأعلام ، وغطت الخراكي والخيام ، ودام ثلاثة أيام بلياليها . فكان الحال كما وصفه الشافعي الثقال :

نثر السحاب من السماء دراهما وكسا الجبال من الخواصل ملبسا
والريح باردة الهبوب كأنها أنفاس من عشق الحسان وأفلسا
فعظم إذ ذاك البلا ، وأعضل الداء ، وصارت الأرض كأنها بياضها
سوداء ، وشمل الهلاك خلقاً كثيراً من الرجال ، ولم ينبج شيء^(٣) من الجمال ،
وتألفت أيدي رجال وأرجل آخرين ، ورجع السلطان عن وجهه ، ذلك
على خيبة بما هم به ، وبأس مطلبه ، ورد شهاب الدين الشهروردي رسولا
مستشفعاً ، بالله منذراً ، وعن البغي محذراً . وندم السلطان على ما ارتكبه
من إزالة الحشمة ، وإضاعة الحق والحرمة الواجبة مراعاتهما على كل ذي
دين قويم ، وعقل سليم ، ومعتقد بأن ربه أثبت جنة وجهه ، وعلم أن
ذلك البيت^(٤) هو الذي يؤيده الله بملائكة سمائه ، وله سر في إدامته وإبقائه ،
فمن عاند خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين^(٥) .

(١) في الأصل : إجلتها .

(٢) في الأصل : اقم .

(٣) في الأصل : شيئاً

(٤) المقصود هنا بيت بني عباس .

(٥) يقال إن بعض خواص علاء الدين محمد خوارزم شاه قالوا له في هذه المناسبة ، أي بعد أن حلت به الهزيمة : « إن ذلك غضب من الله حيث قصدت بيت الخلافة » . انظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٩٨ .

ذكر ما قدّم السلطان من أمور يقتضيها الحزم والناموس قبل قصده العراق

منها ضرب نوبة ذى القرنين^(١) ، وقد كان في الأزمنة المتقدمة تضرب له النوب الخمس ، في أوقات الصلوات الخمس ، أسوة بسائر^(٢) السلاطين ، إلى أن أعلّى الله شأنه^(٣) ، وعظم سلطانه ، فوضّ عند قصده العراق النوب الخمس إلى أولاده السلاطين يضربونها في الأقاليم التي سماها لهم على أبواب دور السلطنة بها ، وسيجيء تفصيل تفويضها ماعين باسم كل واحد منهم في موضعه ، واختار لنفسه نوبة ذى القرنين ، وأنها تضرب في وقت طلوع الشمس وغروبها ، فاستعمل لها سبعة وعشرين دبدبة من الذهب ، قد رصعت مضاربها بأنواع الجواهر . وهكذا كل ما تحتاج النوبة إليه^(٤) من آلاتها ، ونص أول يوم اختير لضربها على سبعة وعشرين ملكاً^(٥) من أكابر الملوك وأولاد السلاطين ، يضربونها للسمعة ، منهم ابن طغرل بن أرسلان السلجوقي ، وأولاد غياث الدين صاحب الغور وغزنة والهند ، والملك علاء الدين صاحب باميان ، والملك تاج الدين صاحب بلخ ، وولده الملك

(١) لفظ النوبة له معان اصطلاحية مختلفة ، أحدها فرق الجند التي تتناوب الوقوف لحراسة شخص السلطان ، وهي خمس نوبات ويكون تغييرها في الظهر والصر والشاء ونصف الليل وعند الصباح . والنوبة عند المغنين اسم لآلات الطرب لما أخذت معا ، وربما أطلقت على المطربين بها إذا اجتمعوا ، ويقال لهم النوبة عند الأتراك ، هذا ويقال ضربت النوبة بمعنى صدر الأبر للعسكر بالتقهقر . والنوبة أيضا الوقعة الحربية . وخيل النوبة هي التي تربط قرب قصر السلطان ليركب منها حين يريد الركوب ، وتسمى أيضا فرس النوبة .
للقرنيزي : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٢٦١ ، حاشية ٢ .

(٢) في الأصل : أسوة سائر . (٣) في الأصل : علاء الله شأنه .

(٤) في الأصل : إليها . (٥) في الأصل : ملك .

الاعظم صاحب ترمذ ، والمملك سنجر صاحب بخارا وأشباه أولئك . وبالجملة أعوزة لتمام سبعة وعشرين ملكا فكلهم بابن أخيه أربغان ، ووزير الدولة نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح . فهؤلاء هم الذين ضربوا الدبادب في اليوم الذي اختير اضربها .

ومنها أنه لما عزم على المسير إلى العراق أراد تنظيف ما وراء النهر من له إنكار في الاعتقاد ، ونار تحت الرماد . فسير الملك تاج الدين بلكاخان صاحب أترار^(١) إلى مدينة نساء ليقم بها . وبلكاخان هو أول من مال من الخطائية إليه ، وكان ذاجمال يسلخ الليل البهيم نهاراً ، وينسخ الصريم^(٢) تلاً وإسفاراً . ولما ملك السلطان ما وراء النهر على الخطائية ، بادر إلى خدمته طائعا راعياً ، إذ كان يمت إليه بوسيلة لا يرى إخفائها في دين المروءة ، وشرط الحفاظ والفتوة . وذلك أن شهاب الدين الغوري لما قصد خوارزم بعد وفاة السلطان تكش^(٣) في عدده الدثر^(٤) ، وعسكره المنجر^(٥) ، قبل استقامة أمر السلطان ، وما دعته^(٦) الخيلة في دفعه ، فأقام تاج الدين بنفسه وابن عمه سلطان السلاطين^(٧) عثمان صاحب سمرقند بعسكريهما ،

(١) تعتبر مدينة أترار مفتاح إقليم ما وراء النهر ، وتقع على نهر سيحون . وتشتهر هذه المدينة بمحادثتين هامتين في التاريخ ، فقد كان استيلاء المغول عليها سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) بداية سقوط أقاليم آسيا الغربية في أيدي المغول . وفي مدينة أترار أيضا توفي تيمورلنك سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) ، بينما كان يتأهب لقيادة حرب ضد إمبراطور الصين . وقد ذكرها الملك هيثون Haithon ملك أرمينية الصغرى في مذكراته واعتبرها أعظم مدن التركستان . وذكرها أيضا لي لوشوتساي Ye-lu Ch'u Ts'ai وزير جنكيزخان وسماها باسم O-ta-la .
راجع : Bretschneider : Op. Cit., vol. II, pp. 56-58.

(٢) الصريم : الليل .

(٣) توفي تكش سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) ، إثر مرض ألم به ، ودفن في مقبرة خاصة في إحدى المدارس بخوارزم . ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٧٣ .

(٤) في الأصل : الدنور . والدثر بمعنى الكثير .

(٥) المنجر بفتح الميم وسكون الجيم بمعنى الجيش العظيم .

(٦) في الأصل : داعته . (٧) يسمى أيضا خان خانان .

وجماعة من الخطائية ، فكبسا شهاب الدين الغوري باندخود^(١) على ما شرحه ابن الأثير في كتابه المعروف بالكامل ، وأكثر القتل فيمن معه من غزاة أصحابه ، ومطوعة أجناده^(٢) . فكان تاج الدين يعتقد أن الذي سبق له من الحق يورثه عند ظهور السلطان دوام إقبال ، ومزيد عزة وجلال . فلما وصل إلى السلطان أكرمه وعظمه ، وذكر له من الحق ما كان قدمه ، إلى أن سنع له المسير إلى العراق ، ورأى تخلية ما وراء النهر عنه ، فسيره إلى نساء ليقم بها ، وقد قصد بتسييره إلى نساء دون سائر البلاد كونها وبية جداً ، شديدة الحرارة كثيرة الأمراض ، لم تزل الأنفس بها شاكية ، والثواكل باكية^(٣) . ولم يعش الترك بها إلا أدنى مدة في أنكد عيشة . وأقام المذكور بها سنة وأكثر ، صابراً للدهر على تصاريفه ، ومدارياً للزمان على شدة تكاليفه ، يزداد على الأيام كرم طباعه ، وتتضاعف في الجود سعة باعه ، فلم يدخل أحد عليه بسلام إلا حظى منه بالإنعام . وقد رافقه هواؤها وماؤها خرقاً للعادة ، حتى ازداد حسناً بها وبها . وقد شغف قلوب خاصتها وعامتها حباً ، وملأ كلا منهم^(٤) من مودته قلباً . وبلغ السلطان ذلك فعلم أنه ما يبلغ غرضه منه عاجلاً إلا برفض حجاب الوفاء ، وأدراع لامة الجفاء ، فسيّر إليه من جزر علاوة أجدعيه^(٥) وأبكي^(٦) العيون دماً عليه .

وحكى لى من حضر الفجعة الفاضحة ، قال : كنا جلوساً عند ظهير الدين مسعود بن المنشور الشاشي وزير السلطان بنساء ، إذ أتاه آتٍ وأخبر أن

(١) اندخود : إحدى مدن خراسان بين بلخ ومرو . ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٥ .

(٢) راجع الحرب بين علاء الدين محمد خوارزم شاه وبين شهاب الدين الغوري في كتاب ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ٧٦ - ٧٨ و ٨٠ - ٨٢ . وانظر أيضاً كتابنا : الدولة الخوارزمية والغول ، ص ٢٥ - ٢٧ .

(٣) في الأصل : بالية .

(٤) في الأصل : كل منهم .

(٥) أجدعيه : ثنية جذع ، وأعلاه الرأس ، والمقصود بهذه العبارة جز الرأس .

(٦) في الأصل : أبكا .

جهان بهلوان ، وهو إياز الطشت دار^(١) ، وقد ارتفع من حضيض^(٢) الطشت دارية إلى بفاع^(٣) الملكية ، وتقدم على عشرة^(٤) آلاف فارس . وكان متعيناً لجزء الروس ، وإزهاق^(٥) النفوس ، قد وصل في نفر يسير ، فدهش الوزير المذكور ، وهاله ما سمع من وصوله ، وظن أن الحادثة عليه ، ولم يبق معه من آثار الحياة^(٦) إلا نفَس ضئيف كاد أن ينقطع . فأخبر أن الواصل نزل بدار السلطنة ، وقال : أحضروا الظهير والأعيان ، فركب إليه الظهير ، وكان لضعف بتانه لا يقدر على أخذ عنائه ، إلى أن حضر فنأوله جهان بهلوان توقيعا ، فلما فرغ من قراءته ، نَشَى^(٧) وروى ، واستحضروا الملك تاج الدين بلكاخان لمهم ورد من الأبواب السلطانية احتيج فيه إلى حضوره ، فحضر في طائفة من خواصه ، فأدخل إلى بعض المخازن ، فإذا ببعض الزنود قد خرج ورأسه بيده فوضعه جهان بهلوان في غلالة ورجع للوقت . فأفنا للدنيا الخداعة ، وتفنا لا يرثى لمقتول ولا يبقى على قاتل ، تفانى^(٨) الرجال على حبها ولا يحصلون على طائل . وحمل إلى الخزانة السلطانية من خزائنه جواهر^(٩) ما لم يسمع بمثله^(١٠) نفاسة وكثرة .

ومنها أنه سير إلى خوارزم برهان الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز البخارى المعروف بصدر جهان رئيس الخففية ببخارا وخطيبها ، وإذا سمع

(١) الطشت دار ، هو أحد الموظفين الذين يعملون في « الطشت خاناه » أى المكان الذى يحوى الطشت الذى تنسل فيه الأبدى ، والطشت الذى تنسل فيه الأفضة . وكان الطشت خاناه يحوى ملابس السلطان وكذا القاعد والمخاد والسجاد الذى يصل على السلطان . ويعرف بعض الصبيان الذين يعملون في هذا المكان بالطشت دارية ، ويعرف بعضهم الآخر بالرخوانية .
الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٠ - ١١ .

(٢) فى الأصل : خصيص .
(٣) فى الأصل : بفاع .
(٤) فى الأصل : عشر .
(٥) فى الأصل : وارهاق .
(٦) فى الأصل : نشا .
(٧) فى الأصل : جومره .
(٨) فى الأصل : تفانى .
(٩) فى الأصل : جواهره .
(١٠) فى الأصل : بمثله .

السامع بأنه خطيب بخارا يعتقد أنه كان مثل سائر الخطباء في ارتفاع قدر الارتفاع ، واتساع رقعة الأملاك والضياع ، وامتطاء صهوة المجده والتحكم في أزمنة الكرم العيد . وليس الامر كذلك ، بل المذكور لا يقاس إلا برتوت^(١) السادات وقروم^(٢) الملوك ، إذ كان في جملة من يعيش تحت كتفه^(٣) ، وإدارة سلفه ، ما يقارب ستة آلاف فقيه . وكان كريما على الهمة ، ذا مروءة ، يرى الدنيا هباءة^(٤) منشورة بين أخواتها الثائرة ، بل نقطة موهومة من نقط الدائرة . وكانت سدته ميقانا للفضل وأهليه ، ورسوما للعلم ومنتحليه ، يجلب إليها بضاعات الفضائل فتبتاع^(٥) بأكل الأثمان . وله بخوارزم بعد عثار الزمان به مواهب يضيق عن مثلها رحب الصدور ، عند استقامة الأمور . فأقام بخوارزم مسلوب المراد ، ممنوعا عن الإصدار والإيراد ، إلى أن تقاضاه الزمان بدينه فجرعه كأس منيته^(٦) ، فقتل عند إجماع ترکان خاتون عنها ، وأقام السلطان عند نقله إلى خوارزم مقامه في رئاسة الخنفسة والخطابة ببخارا ، مجد الدين مسعود بن صالح الفراوي ، أخا نظام الملك وزيره ، ولقبه بصدر جهان . وجدثنى القاضي مجير الدين عمر بن سعد قال : وصل السلطان إلى بخارا بعد أن رتب مجد الدين المذكور في الصدرجهانية ، وتعين أن يخطب بنفسه عند حضور السلطان ، وكان نظام الملك محمد يبغض أخاه مجد الدين مسعودا بغضا شديدا ولا يختار أن يستقيم له حال ، أو يقوم له جاه . فحضرت صحة نظام الملك الجامع ، عند أخيه الخطيب في حجرتة بالجامع ، على يمين المنبر ، فقال لي نظام الملك : له شؤئت عليه اليوم خطبته حتى ينحصر ، فلك عندي

(١) رتوت ، جمع رت ومنه الرئيس المقدم .

(٢) قروم ، جمع قرم وهو السيد العظيم في قومه .

(٣) في الأصل : كتفه . (٤) في الأصل : هباءة .

(٥) في الأصل : فينياع . (٦) في الأصل : منيه .

ما تريد . فقلت له : لاشك أن الذي تشير به إلى خطر ، فإن علمته لم أرض إلا بالبغلة التي بالبواب بسرجهما ولجامها وسلعشارها^(١) ، فوعد لي بذلك . فرفعت يدي إليه مرات مشيراً فحصر وأطرق طويلاً ، إلى أن ثابت^(٢) نفسه إليه وتمعجب الناس من حصره الذي لم يحجر له به عادة وأخذت البغلة بما عليها وتمت الحيلة . ولما عاتبني مجد الدين على ما فعلته قلت له : كنت قد أشرت إليك أن ترفع صوتك عند دعاء السلطان فلم تفهم ، فقبل العذر . وبقى المذكور في ذلك المنصب الجليل إلى أن استولى التاتار على بخارا فقتل بها^(٣) .

ومنه أنه سيقر إلى شيوخ الإسلام بسمرقند ، جلال الدين ، وابنه شمس الدين ، وأخاه أوحى الدين إلى نساء ، تحرراً من قيامهم ، وإطفاء لضرامهم ، وكانوا سادات الأرض ، آداباً بارعة ، وأقلاماً لأعلام العلوم فارعة . وكان أوحى الدين آية في علم الجدل ، يناضل العميدى^(٤) فيخرق

(١) أى عدتها . (٢) في الاصل : ثابت

(٣) استولى جنكيزخان على مدينة بخارى سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) . وقد انهارت قوتها التي كانت تبلغ عشرين ألف رجل أمام استعداد المغول وقوة روحهم المعنوية وما يقابل ذلك من ضعف في الروح المعنوية عند المسلمين . وقد أهان المغول المسلمين في دينهم بأن دخلوا مسجد المدينة بنحسولهم وأخذوا يشربون فيه الخمر ويطربون ، كما أعمل المغول القتل والتهب في المدينة ثم أشعلوا النيران فيها ، وقد وصف ابن الأثير يوم سقوط المدينة بقوله :

« وكان يوماً عظيماً من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان ونفروا أيدي سباً ، وتمزقوا كل ممزق . واقتسموا النساء أيضاً ، وأصبحت بخارا خاوية على عروشها كأن لم تكن بالأمس . وألقوا النار في البلد والمدارس والمساجد ، وعذبوا الناس بأنواع العذاب من طلب المال » . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٦٨ — ١٦٩ .

وقد استمرت بخارى فترة من الزمن عبارة عن أطلال لا تجد من يبكيها حتى شرع جنكيزخان نفسه في إصلاحها وإعادة بنائها ، وذلك قبل موته بزم قصير .

انظر Abulgasi : Histoire Généalogique des Tatars, p. 266

(٤) هو ركن الدين العميدى ، أحد الميرزين في المذهب الشافعى ، وقد توفي سنة ٨٠٣ هـ (١١٨٧ م) .

عليه قرطاس الأدلة ، ويساجل النيسابوري (١) فيقطع عليه الدية (٢) .
فأما أوحده الدين فقد مات بنساء غريباً ، ولم يجد من مساعدة الزمان نصيباً .
وانتقل جلال الدين وهو الكبير إلى دهستان بعد وفاة أوحده الدين
فاستندعى (٣) من أمين الدين الدهستاني ، وكان وزيراً بها ، وبمازندران
من قبل السلطان ، فأقام عنده مكرماً إلى أن قضى الدهر بالبوار ، على
أهالي الأمصار ، عند خروج التاتار ، وانتشارهم في سائر الديار . فلم أدر
ما كان عاقبة أمره .

أضاعت به حاله ، أطالت له يدٌ أخره نقصٌ أقدمه فضل (٤) ،

ومنها أنه قسم الملك بين أولاده ، فعين لكل واحد منهم بلاداً ، ففوض
خوارزم وخراسان ومازندران إلى ولي عهده قطب الدين أرلاغ شاه ،
واختار لتواقيعه طرة من غير تلقيب وهي السلطان أبو المظفر أرلاغ شاه
ابن السلطان سنجر ناصر أمير المؤمنين ، . وكانت (٥) عادتهم أن لا يكتبوا
المولى عندهم لقباً في الطرة إلى أن يقوم مقام والده بعده فيلقب بلقبه .
وسبب تخصيصه بولاية العهد دون أخويه الكبيرين جلال الدين منكبرتي
وركن الدين غورشايحي ، اتباع السلطان رأى والدته تركان خاتون ، وتحريمه
مرضاها ، إذ كانت أم قطب الدين دون سائر أمهات الأولاد وربات
الأفلاذ من قبيلة بياووت عشيرة تركان خاتون ، وهي فرع من فروع
يملك (٦) . وفوض ملك غزنة وباميان والغور وبُست (٧) وتكيا باذ

(١) هو قطب الدين النيسابوري أحد أئمة الشافعية وتوفي سنة ٥٠٦ هـ (١١١٢ م) .
(٢) الدية جمع دلو . والمساجلة معناها المساقاة بالسجل وهو الدلو إذا كان فيه ماء قل أو
كثُر . وقد توسعوا في استعمال هذه الكلمة حتى استعملت في الحاجة .

(٣) في الأصل : فاستدعا . (٤) أورد هوداس Houdas هذا البيت مشهوراً .

(٥) في الأصل : وكان .

(٦) عاد علاء الدين محمد خوارزم شاه فعدل عن وصيته وهو على فراش الموت سنة ٦١٧ هـ
(١٢٢٠ م) وأوصى بولاية العهد لابنه جلال الدين منكبرتي من بعده ، لثقته في شجاعته
من جهة ، ولأن أمة تركان خاتون قد وقعت أسيرة في أيدي المغول من جهة أخرى .

(٧) بست : مدينة بين سجستان وغزنة وهراب . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٧٠ .

وزمين داور^(١) وما يايها من الهند إلى ولده الكبير جلال الدين منكبرتي، واستوزر له الصدر شمس الملك شهاب الدين ألب الهروي، وحيث كان لم ير انفصال جلال الدين عن خدمته لمحبه له واعتقاده ببسالته استناب عنه بها كبري ملك، فنهض إليها وضبطها فحسنّت في السياسة سيرته، ودعت^(٢) له من الملوك جبرته، وأقام بها إلى أن سار جلال الدين إليها بعد خروج التاتار على ما يأتي شرحه. ونص ملك كرمان وكيش ومكران على ولده غياث الدين بيرشاه، واستوزر له الصدر تاج الدين بن كريم الشرف النيسابوري، فسار بعد ظهور التاتار إليها فملكها إلى أن خلت العراق بمن يقوم بضبطها بعد وفاة السلطان وتسحب جلال الدين إلى الهند فسار إلى العراق واستناب الحاجب براقا بكرمان، فسلم إليه مفاتيح مملكته، تمكيناً له في ذلك^(٣)، وسندكر باقي أحواله في موضعها. وسلم ملك العراق إلى ولده ركن الدين غورشايجي، وكان أحسن أولاده خلقاً ومخلقا، وجوّد الخط، وكتب في حدائته ختمة بخط يده. وكان كريما عادلا خير الطبع، واستوزر له عماد الملك محمد بن الشديّد الساوي، وقد ناب المذكور بخوارزم عن نظام الملك^(٤) في الوزارة عدة سنين، ونال فيها رتبة لم ينلها قبل من تولّاها، إذ كان كافيا ذا دهاء وذكاء، وتمكن عند السلطان لما كان يعتقد فيه من النصيح، فقام

(١) بين سبستان والنور . (٢) في الأصل : وادميت .

(٣) كان براق الحاجب قائدا من قواد دولة الخطا الذين دخلوا في خدمة علاء الدين محمد خوارزمشاه، وقد اتخذ هذا الرجل من الفوضى التي أعقبت غزو جنكيزخان فرصة لتأسيس دولة له في كرمان سنة ٦١٩ هـ (١٢٢١ م). على أن براق الحاجب لم يستطع أن يستقل كثيرا بهذا الاقليم، إذ لم يلبث أن أظهر خضوعه للخوارزميين بعد أن عاد جلال الدين منكبرتي من بلاد الهند، وكان قد فر إليها في أثناء الغزو المغولي، واستطاع إلى حين أن يسيطر على الأقاليم القريبة من الدولة الخوارزمية. انظر كتابنا: الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي، ص ١١١.

(٤) كان نظام الملك من الوزراء المقربين إلى تركان خاتون أم علاء الدين محمد خوارزمشاه.

سوق جاهه عنده إلى أن فوضت إليه وزارة ركن الدين بالعراق واستولى على أعماله وأشغاله . وكان ركن الدين يكره تحكمه واستبداده ، ويخالف في ذلك هواه ومراده ، مداراة له لعلبه بحسن اعتقاد السلطان فيه . واختير لتواقيع ركن الدين من الطرة ، «السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو الحارث غورشايجي بن السلطان الأعظم محمد قسيم أمير المؤمنين ، . وكان سبب تسميته غورشايجي أنه ولد يوم وردت البشارة على السلطان بتملك الغور . وزوجه السلطان ابنة هزارشف ملك الجبال^(١) ، لصفاء نيته ، إذ كان من جملة مجاوريه ، وسيجيء باقي أحواله بعد .

(١) أي العراق العجمي

ذكر الحوادث بعد عود السلطان من العراق

لما وصل السلطان إلى نيسابور منصرفه من العراق ، ورد الخبر بموت مؤيد الملك قوام الدين والى كرمان ونائبه بها ، فلما ك السلطان ولده غياث الدين پيرشاه كرمان وكيش ومكران . فسار غياث الدين إليها ، واستقام أمره بها ، إلى أن خلت له مملكة العراق فملكها من غير مدافع ولا منازع^(١) ، وخطب له على سائر منابر مازندران وخراسان ، إلى أن طلع جلال الدين من الهند فكسبه بالرى وانتزعها منه على ما يأتى شرحه^(٢) . وكان مؤيد الملك من جملة الرعا ، رفعه السلطان وساعده الزمان حتى بلغ من رتبة الملوكة ما عز مثاله . ومبدأ أمره أنه كان ابن داية نصرة الدين محمد بن لز صاحب زوزن^(٣) ، واختاره رسولا إلى الأبواب السلطانية فى مهماته ، واستنقضاء حاجاته ، فنصحته فى الرسالة عدة مرار إلى أن سولت له النفس تقبيح حال مرسله طمعا فيما كان يتولاه ، فرمى إلى السلطان أن صاحبه فاسد العقيدة له باطن مع الباطنية^(٤) ، ثم رجع إليه وقال : إن السلطان يعتقد أنك باطنى ، وإنى أخشى عليك مغبة^(٥) هذه التهمة ، وعاقبة

(١) أى بعد أن غزا المغول هذه الأقاليم ورحلوا عنها .

(٢) انظر كتاب D'ohsson : Op. Cit., t. iii, p.8 & seq.

(٣) زوزن : إحدى مدن خراسان وتقع بين نيسابور وهرات . انظر خريطة الدولة الخوارزمية فى أقصى اتساعها .

(٤) عرفت طائفة الإسماعيلية أحيانا بالباطنية لما اشتهروا به من أنهم يطنون خلاف ما يظهرون . انظر الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٣ س ٢٤٥ .

(٥) فى الأصل : مغية .

هذه الظنة . فاستولى عليه الهول والهول (١) ، فازججه عن مكانه الوجمل . فانقطع إلى الاسماعيلية ببعض قلاعها المتاخمة لزوزن . وكتب قوام الدين بصورة الحال إلى السلطان ، فقروض إليه وزارة زوزن على أن يجي أموالها للخزانة السلطانية ففعل ، واستمر الأمر على ذلك . ثم رأى أنه لم يهن له ما يتبلغه ونصرة الدين بالقرب منه ، فكاتبه خادعا له ، يؤمله إصلاح أمره مع السلطان حتى انخدع ورجع إلى زوزن ، فمكحله ووكل به من سمله ، غير راع حق الإنعام ، ولا ناظر في سوء الاحدوثة على تناسخ الأيام . فلما استقام أمره بزوزن ، طمع في مغالبة صاحب كرمان وانتزاع الملك من يده ، وكان من بقية أولاد الملك دينار ، فكاتب السلطان يطمعه في تملكها إن أنجده بمن يحاور زوزن من عساكر خراسان ، فأنجد بعض الدين جلدك وطائفة أخرى . فاستولى على كرمان في أقرب مدة ، وحمل إلى السلطان ما وجد لهم بها من صامت وناطق ، وصاهل وناعق (٢) ، فاستحسن السلطان أثره ، ورفع من زى الانضاع ، إلى ثريا الارتفاع . وخاطبه بالملك ، ولقبه بمؤيد الملك ، واستنابه بكرمان وأجراها في إقطاعه ، فأوسعها عدلا وإنصافاً حتى ازدادت عمارتها أضعافاً ، وكثر ما خصه (٣) من ذوات النتاج على اختلاف أجناسها ، حتى تضائل (٤) خراج كرمان في جنبها .

ولما رجع السلطان من العراق وقد تفانت جماله ، قدّم له بنيسابور أربعة آلاف من البخاقى التركيات ، وحمل إلى خزانة السلطان بعد وفاته من جملة موجوده من الذهب سيمون حملا ، ما خلا سائر الأصناف ، واتفق وصولها رحيل السلطان من حافة جيحون مجفلا من التاتار ، فرميت بختومها في جيحون بما هو أعظم منها قدراً من الخزانة المستصحية .

(١) الهول : الفزع .

(٢) أى أخذ ما وجدته من خيل وأغنام .

(٣) في الأصل : لحاصه . (٤) في الأصل : تضأل .

ولما ألقى السلطان عصا القزار بنيسابور بعد انكفائه من العراق^(١)، عزل نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح عن الوزارة . وسبب ذلك أنه كان ينقم عليه أحداثاً . ويحقد عليه عادات ، منها شرهه بالبراطيل ، وتعريضه^(٢) المهام بها للتعطيل ، والمصالح للتبطل . وبالجملة كان الرجل قليل الحظ من أدوات الوزارة ، لم يوجد فيه منها سوى المنظر والكرم المفرطين .

وكان السلطان ما استوزره باجتهاد من رأيه ، بل كان المذكور غلام . والدة السلطان وابن غلامها ، فحين عزل السلطان وزيره نظام الملك محمد بن نظام الملك بهاء الدين مسعود الهروي عن الوزارة ، شاورها فيمن يصلح ، فأشارت عليه بأن يستوزر المذكور . وكان السلطان لا يخالف أمرها في دقيق الأمر وجليله ، وكثيره وقليله ، لأميرين : أحدها ما ندب إليه من بر الوالدين ، والثاني أكثر أمراء الدولة كانوا من عشيرتها^(٣) ، وبهم نازع الخطائية فانتزع الملك من أيديهم . فأجابها إلى ذلك ، على كره باطن ، وإنكار

(١) أى بعد عودته من حملته في الأقاليم المراقية سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) ، والتي كان يبغي من ورائها الاستيلاء على بغداد وتوطيد نفوذه فيها ، موطئاً العزم على أن يحتل قس المسكنة التي كانت للبويعيين والسلاجقة من قبل . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٣٠ — ٤٦ .

(٢) في الأصل : قريضه .

(٣) كانت سياسة الدولة الخوارزمية نحو الناصر التركية خير مشجع لهذه العناصر على النزوح إلى أراضيها والاستيطان فيها ، فقد نزع إلى أراضي هذه الدولة عدد كبير من رجال هذه القبائل التركية المراقبة على حدودها في الشمال ، ومنها قبائل كانكالي Kankalis ، وخاصة بعد أن تزوج علاء الدين بكش خوارزم شاه من تركان خاتون التي تنسب إلى أحد فروع هذه القبائل ، فكان من أثر هذه الرابطة أن طرح عدد كبير من رجالها إلى قلب الدولة ، وتكونت منهم جالية قوية أخذت تتحكم بالتدريج في وظائف الدولة المختلفة ، كما أخذت تسيطر على أقاليمها المتعددة ، وانتهى الأمر بهؤلاء الحكام إلى أن تافسوا سلاطين الخوارزميين أنفسهم . بل نراهم في كثير من الأحيان يعمدون إلى إرهاب الأهالي المغلوبين على أمرهم ، ويعملون السلب والنهب في أموال المساكين منهم حتى اضطرب الأمن في البلاد ، وعجزت الدولة كما عجز الأهالي عن رد عادية المعتدين منهم .

في الصدر كامن^(١) . وفوض أمر الوزارة إلى المذكور ، وكانت تبلغه عنه بلاغات لا يرتضيها مما يزيد على توبيخ ولام يسمعه على لسان بعض الخواص ، إلى أن أقام بنيسابور منصرفاً من العراق ، والقاضي بها حينئذ ركن الدين المغني ، وقاضي العسكر صدر الدين الجندی .

وكان صدر الدين يمت إلى السلطان بخدمة سلفه ، وقد خدم^(٢) السلطان شكوش أيام كان صاحب جند^(٣) ، وقد أقظمها له والده إيل أرسلان ، وهو مع توسله بهذه السابقة كان ذا قضاء حاجة وفضيلة ، ودياجة للوجه جميلة . فولاه السلطان قضاء نيسابور وتوابعها تنويعاً لقدره^(٤) ، وإنافة بذكره ، وتميزاً له عن أكتفائه بمزيد الرعاية وجديد الولاية . وخلق عليه خلعة سنية بالساخت والسرفسارات^(٥) والطوق^(٦) ، وعلى عشرين نفسم إخوانه ونوابه ووكلائه . وأوعز إليه على لسان بعض الحجاب أن لا يقدم لنظام الملك مقدمة ، ولا يحمل إليه خدمة ، وقال : أنا الذي أهملتكم لما وليتكم برأي ، فليس لأحد في ذلك عليكم حق يقتضي أن تجازيه ، ولا سعى ينبغى أن تكافيه . فأناه آت من نظام الملك سرأ وحذره عاقبة الإهمال ،

(١) يتضح من هذه العبارة كيف كان السلطان الخوارزمي متولوا على أمره أمام العناصر التركية ، صاحبة النفوذ الفعلي في الدولة .

(٢) في الأصل : خدموا .

(٣) جند : إحدى المدن الواقعة على نهر سيحون . انظر ما كتب عن أهم الحوادث في

تاريخ هذه المدينة في كتاب . Breitschneider : Op. Cit., vol. ii, pp. 95-96 .

(٤) كان النظام القضائي في الدولة الخوارزمية من الأمور التي أولاها سلاطينهم عناية كبيرة ، فعينوا لكل مدينة قاضياً يحكم في الناس حسب الشريعة الإسلامية . وفي المدن الكبرى التي يبدو فيها الاختلاف المذهبي بين السكان واضحا ، كان الخوارزميون يعينون فيها أكثر من قاضٍ لينظر كل فيما يعرض عليه من قضايا ويقضي فيها وفق مذهبه . وكان القضاة إلى جوار النظر في القضايا يقومون بتدريس العلوم الدينية في المدارس والمساجد .

(٥) في الأصل : السرفسارات .

(٦) يبدو أن الساخت كان عبارة عن درع يجهز به الحصان إذا ما أعد للحرب . أما السرفسار فهو بلاشك نوع من العمام ، وأما الطوق في عبارة عن ذيل الحصان . ويستعمل كقبض الحرب .

وخوفه سوء مغبة^(١) الإغفال ، وقال : إياك أن تتكل على عناية السلطان وتهمل بجانب الديوان . ففزع القاضى وحمل إلى نظام الملك كيسا مختوماً فيه أربعة آلاف دينار^(٢) . فنبه السلطان على ما ارتكبه القاضى من مخالفة أمره بعض عيونه الموكله بنظام الملك ، فطلب أن يحمل إليه ما حملة القاضى سرّاً ، فأحضرت بختمها ، فلما حصل القاضى المجلس العامر سأله السلطان عما حمل لنظام الملك . فأنكر كل الإنكار ، وأصر غاية الإصرار ، وحلف برأس السلطان أنه ما حمل للوزير ديناراً ولا درهما . فعند ذلك أمر السلطان بإحضار الكيس فحضر ووضع بين يدى القاضى فلم يزد على الإطراق ، وشم الأرض بالإحداق . ثم أمر للقاضى بالخلعة فارتفعت منه ، وحملت بعينها إلى القاضى المعزول ، وأعيد إلى منصبه ، فكان بين تولية صدر الدين وعزله يوم أو يومان .

وتقدم السلطان إلى جهان بهلوان بقطع أطشاب سرادق نظام الملك . ورميها عليه ففعل ، وقال : ارجع إلى باب أستاذك - يعنى والده السلطان - . فرحل للوقت على وجل غامر قلبه ، ورعب سلب لبه . ولم يبق بالوصول إلى خوارزم سالماً خوفاً مما يحدث من نتائج سخط السلطان عليه .

(١) فى الأصل : مغبة .

(٢) كان الدرهم يساوى أربعة قروش تقريبا ، وكان الدينار يساوى اثني عشر درهما . وهى هذا الأساس فإن هذا المبلغ يوازى حوال ١٩٢٠.٠٠ من الجنيهات المصرية تقريبا .

ذكر حال نظام الملك بعد العزل

توجه من نيسابور إلى خوارزم يطوى المراحل كطى السجل للكتاب ، راضياً من الغنيمة بالإياب . فلما وصل إلى مرج سائغ — وهو من المروج المشهورة بقرب قلعة خرنندز^(١) ، مسقط رأسي ومنشأ أساسي — نزلت إلى خدمته نيابة عن والدي بالتقاديم والعلوفات على جاري العادة ، وشيعته إلى مرحلة جرماني — وهي ضيعة من أملاكنا فيها عين ماء تقارب نبع رأس عين الخابور — فضربت له بها على العين ثلاثة^(٢) سرادات منها شقة أطلس وقد ضربت لجماعة من ممالكه في ذلك النهار النوب الثلاثة، هذا وهو مطرود ، وحيث حل من البلاد قصده ذرو الحاجات وأرباب الظلامات فيبت الأحكام في القضاء^(٣) الجليلات والأمور المعظمة ، ولم يجسر أحد يقول إنه معزول ، ونُصب عشية نهاره ذلك تحت على باب سرادقه فجلس عليه .

وكان من حيث فارق السلطان رتب على الطريق خيالة يعلون به بمن يرد من الأبواب السلطانية وراءه ، فأتاه^(٤) بعضهم في ذلك الوقت متخبراً بأن الحاجب أربز بن سعد الدين سهم الحشم واصل ، فأمتنع^(٥) لونه ، وانقطع قلبه وأطرق مفكراً ، ولم يدر أطلع ضيافة أم طارق آفة . إلى أن وصل وقبل

(١) في النسخة الخطية خرنندر ، وقد كتبها دوسون Kharender ، ووصفها بأنها كانت من قلاع خراسان الحصينة ، كما ذكر أن هذه القلعة كانت ملجأً للغارين من وجه المدالة . انظر D'ohsson : Op. Cit., t. i, p. 227 . وقد فضل هوداس Houdas في الترجمة الفرنسية أن

يكتبها خرنندز Khorendez مهتدياً في ذلك برأى المستشرق شيفر M. Schefer .

(٢) في الأصل : ثلاث . (٣) في الأصل : المصايا .

(٤) في الأصل : فأنام . (٥) في الأصل : فامتض .

الأرض مستوفياً آداب الخدمة على العادة ، فثابت نفسه إليه ، وذهب سوء الظن عنه ، وسأله عن سبب وروده فقال : السلطان يطلب دفاتر ديوان الوزارة وجرائده^(١) ومخزنه^(٢) وكتابه ومتصرفيه ، فارتاح لذلك وأصبحه الدفاتر بكتابها ، وزحل صوب خوارزم سائراً ، بل طائراً . إذ كان لا يثق بخلاصه من أشدق الفناء ، وكان يوم وصوله إليها يوماً مشهوداً ، لتقدم تركان خاتون إلى أهلها وضعهم وشريفهم ، وكبيرهم وصغيرهم بالتقاء المواكب الناصرية^(٣) .

وحدثني من حضر قال : تأخر برهان الدين رئيس أصحاب أبي حنيفة بخوارزم وصدورها ، فجاء في أخريات الناس واعتذر في تأخره بالضعف . فقال الوزير : نعم لضعف الثبة لا لضعف البنية . ثم أطلق الأتراك عليه بعد أيام بمائة ألف دينار^(٤) ، لما نقم عليه من تأخره .

وكان كريم الدين الطيفوري عاملاً بنواحى خوارزم من قبل السلطان ، والعامل هو الوالى عندهم ، فقبض عليه ناصر الدين وصادره على مال جليل . فلما تخلص منه قصد خدمة السلطان بما وراء النهر وشكا إليه سوء ما عامله به ناصر الدين ، فوجه السلطان عز الدين طغرل ، وكان من خواصه ، إلى خوارزم وأمره بحمل رأس ناصر الدين إليه ، فلما قارب خوارزم ، وقد علمت تركان خاتون قبل وصوله القضية وما وُجِّهَ لأجله ، أحضرته بغير اختياره إلى بابها ، وتقدمت إليه بأن يحضر دار الديوان وقت جلوس ناصر الدين في دست الوزارة ، وكانت قد فوضت إليه وزارة قطب الدين أزلاغ شاه ، ولى عهد السلطان ، صاحب خوارزم .

(١) الجريدة : الفرقة من العسكر الحياطة لأرجالة فيها . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١

قسم ١ ص ١٠٦ حاشية ٨ .

(٢) أى الخزانة .

(٣) نسبة إلى الوزير قطام الملك ناصر الدين محمد بن صالح .

(٤) أى ٤٨٠.٠٠٠ من الجنيهات المصرية تقريباً .

ويبلغه على رموس^(١) الأشهاد سلام السلطان ، ويقول له : إن السلطان يقول مالى وزير غيرك ، فكن على رأس عملك ، فليس لأحد فى سائر أقاليم الملك أن يخالف أمرك ، ويشكر قدرك . ففعل المذكور ذلك وما كاد ، وخالف المرسوم والمراد . واستمرت أواخر ناصر الدين بخوارزم وخراسان ومازندران^(٢) دون سائر الأقاليم نافذاً ، وأحكامه مطاعة^(٣) . وكان السلطان لما استوزره ، أمر بأن يحمل معه أربع حراب مغشية بالنصب بالذهب ، أسوة بمن^(٤) تقدمه من كتاب الوزراء ، فجعلت بخوارزم ثمانى^(٥) حراب ، وهى على هذا القياس زيد فى جميع مراتبه ، كل ذلك يبلغ السلطان وهو بما وراء النهر ، فيزيده غيظاً على غيظ ، وسخطاً على سخط . وكان من عاداتهم القديمة التى اقتدوا فيها بالسلاجقة أن تكتب فى كل توقيع السلطان قبل التاريخ ، كتب بالامر الأعلى أعلاه الله ، والمثال العالى ، الصاحبى ، المعظمى ، الصدرى ، الأعظمى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، المظفرى ، المنصورى ، المجاهدى ، الم رابطى ، القوامى ، النظامى ، العمدتى ، العدى ، الكهنى ، الخالصى ، القطبى ذى المناقب ، والمناصبى قطب الميامن .

(١) فى الأصل : رؤس .

(٢) أى الأقاليم التى اختص قطب الدين أزلغ شاه بحكمها لياية عن أبيه علاء الدين محمد

خوارزم شاه .

(٣) يجدر بنا أن نذكر هنا أن الخوارزميين قد عهدوا بحكم أقاليم دولتهم لى رجال أطلقوا على الكثيرين منهم لقب وزير . فكان لكل مدينة أو مقاطعة حاكم يلقب فى غالب الأحيان بهذا اللقب . وكان الوزراء يعيشون فى الأقاليم التى تمسند إليهم الوزارة فيها من إقطاعات مقررة يمنحهم السلطان إياها ، فيستولون على دخلها وتكون لهم بمثابة ضيعات خاصة ، هذا لى جانب مرتباتهم بحكم الوظيفة . أما ما يدفعه الوزير لخزانة الدولة سنوياً فكان فى العادة صغر خراج الإقليم الذى يحكمه .

وكان منصب الوزارة أكبر عون للخوارزميين طالما كان السلطان الخوارزمى مهيناً على شئون الدولة ، ولكن لما تفاقم هود الأتراك ، صار هذا المنصب من أكبر الدوامل فى إضعاف الدولة ، لاذ خرج الوزراء على طاعة السلطان واستبدوا بموارد الدولة وثرؤوا بها .

(٤) فى الأصل : أسوة من .

(٥) فى الأصل : ثمانية .

والسعاداتي قدوة صدور العرب ، والمعجمي ملك وزراء الشرق ، والمغربي دستور إيران وبواری أيتانج قتلخ ألخ ملكا ، أعظم خواجه جهان^(١) ، لازل عالیا ، ورسالة فلان ، . فهكذا كانوا يذكرون ناصر الدين إلى أن عزل عن نيسابور . ولما استوزر بخوارزم لم يغير^(٢) منها إلا لفظة واحدة ، وهي أنهم جعلوا مكان خواجه جهان^(٣) ، خواجه بزرگ^(٤) .

وهج ذلك السلطان القاهر بعظمته وتسخير الجبارة وإذلاله الأكاسرة عن شفا غيظه في بعض غلمانه ، ليعلم أن الدنيا لم يصف مشاربها عن قذى ، ومواهبها عن أذى . ونص السلطان بعد عزله لقضاء أشغال تتعلق بالوزير على ستة من الوكيلدنية ، وشرط عليهم أن لا يبتوا أمرا إلا باتفاق ، وهم نظام الدين كاتب الإنشاء^(٥) ، ومجير الملك تاج الدين أبو القاسم ، والأمير ضياء الدين البيابانكي ، وشمس الدين الكلاباذي^(٦) ، وتاج الدين بن كريم الشرق النيسابوري ، والشريف مجد الدين محمد النسوي ، فنى الناس ببيلية تخيروا معها أيام ناصر الدين ، إذ كان لإرضاء واحد على العلات أسهل من إرضاء ستة ، وباستمر الأمر على ذلك إلى أن انقرضت الدولة العلامية^(٧) .

(١) في الأصل : جهاني .

(٢) في الأصل : ينفو .

(٣) خواجه جهان ، عبارة فارسية معناها سيد العالم .

(٤) في الأصل : بزرگي . وخواجه بزرگ عبارة فارسية معناها السيد الكبير .

(٥) راجع صفحة ٥٧ حاشية ٦ .

(٦) الكلاباذي ، نسبة إلى محلة كلاباذ ، وهناك محققان بهذا الاسم إحداهما بخارى

والأخرى بنيسابور . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ص ٢٦٩ .

(٧) نسبة إلى علاء الدين محمد خوارزم شاه ، والمقصود هنا زوال الدولة الخوارزمية على

أيدي المغول .

ذكر الحوادث بما وراء النهر بعد

عود السلطان عنها

لما ألقى السلطان عصا القرار بما وراء النهر ، بعد منصرفه عن العراق ،
 لاقته رسل جنكيزخان وهم محمود الخوارزمي ، وعلى خواجه البخاري ،
 ويوسف كسكا الأتاري^(١) ، مصحوبين بمجلوبات الترك من نقر^(٢) المعادن
 ونصب الختو ونوافج المسك وأحجار اليشب والياب التي^(٣) تسمى
 «طرقوا» ، وأنها تؤخذ من صوف الجبل الأبيض يباع الثوب منها بخمسين
 ديناراً^(٤) أو أكثر . وكانت الرسالة تشتمل على طلب المسألة والمواذعة
 وسلوك مسلك المجاملة ، وقالوا : إن الخان الكبير^(٥) يسلم عليك ويقول :
 ليس يخفى على عظيم شأنك ، وما بلغت من سلطانك ، ولقد علمت بسطة
 ملكك ، وإنفاذ حكمك في أكثر أقاليم الأرض ، وأنا أرى مسالمتك من
 جملة الواجبات ، وأنت عندي مثل أعز أولادى ، وغير خاف عليك أيضاً
 أننى ملكك الصين وما يليها من بلاد الترك ، وقد أذعنت لى قبائلهم . وأنت
 أخبر الناس بأن بلادى مئارات العساكر ، ومعادن الفضة ، وأن فيها لغنية
 عن طلب غيرها . فإن رأيت أن تفتح للتجار فى الجهتين سبيل التردد ، عمت

(١) يتنسب هؤلاء الرسل إلى مدن خوارزم وبخارى وأترار على التوالى .

(٢) الثغر جمع ثغرة وهى القطعة المضروبة من الذهب أو الفضة .

(٣) فى الأصل : الذى .

(٤) فى الأصل : دينار .

(٥) أى الخاقان ، والمقصود هنا جنكيزخان .

المنافع وشملت الفوائد (١) .

فأحضر السلطان محمود الخوارزمي بعد سماعه الرسالة ليلا دون سائر الرسل وقال : إنك رجل خوارزمي ولا بد لك من موالة فينا وميل ، ووعده بالإحسان إن صدقه (٢) فيما يسأله . وأعطاه من معضدته جوهرية نفيسة علامة للوفاء بما وعده ، وشرط عليه أن يكون عينا له على جنكزخان . فأجابه إلى ماسأل ، رغبة (٣) ورهبة ، ثم قال : اصدقني فيما يقول جنكزخان لأنه ملك الصين ، واستولى على مدينة طمغاج . أصادق فيما يقول ، أم كاذب؟ فقال : بل صادق . ومثل هذا الأمر المعظم ليس يخفى حاله ، وعن قريب

(١) تحمل هذه الرسالة في طياتها معاني التهديد والوعيد في أكثر من موضع ، فقول جنكيزخان إن علاء الدين محمد خوارزمشاه في منزلة الابن معناه التبعية له ، إذ أن العلاقة بين الابن وأبيه ، وبين الأخ الصغير والأخ الكبير ، وبين العم وابن الأخ ، كل هذه العلاقات تدل على أنواع مختلفة من التبعية التي كانت تكتب في المعاهدات بين أمراء آسيا ، الذين كانوا لا يعرفون معنى للعلاقات السياسية التي تقوم على مبدأ المساواة بين الطرفين المتحالفين . وإذا نعلمنا فوق ذلك أن جنكيزخان تعمد أن يخبر علاء الدين أنه أخضع العناصر التركية ، فإن هذا القول أيضا يحمل معاني التهديد إذ كان علاء الدين تركي الأصل .

انظر D'ohsson : Op. cit., t.I, pp. 292—203 .

وجدير بالذكر في هذا المقام أن الطرق البرية عبر القارة الآسيوية كانت محدودة الفائدة من الناحية التجارية ، وذلك قبل غزو جنكيزخان للبلاد الإسلامية إذ لم يستعملها التجار الأوروبيون ، بل كانت البلاد الشامية هي أقصى ما وصل إليه نشاطهم ، ويرجع السبب في ذلك إلى انعدام الوحدة السياسية في السهول الآسيوية ، مما أدى إلى اختلال الأمن وانتشار القوضى على طول هذه الطرق ، هذا إلى أن حكام آسيا في الشرق والغرب لم يهتموا بالطرق التجارية عبر هذه القارة ، ويقال إن سوء العلاقة بين المسلمين والمسيحيين أدى إلى كساد تجارة المسيحيين ، فلم يهتموا باستخدام الطرق البرية . ويرى الدكتور سليمان حزين بك أن العامل الأخير وهو سوء العلاقة بين المسلمين والمسيحيين لاجبة به ، إذ حرص المسلمون على أن يرثوا بعد أهل جنوة والبنديقية حتى تكون لهم السيطرة على تجارة البحر الأبيض ؛ ثم إن الإسلام حتى العصر الذي نتحدث عنه لم يكن قد انتشر تماما في سهول آسيا الوسطى ، إذ لم ينتشر في هذه الجهات إلا بعد أن فتحها الغزو الأول للمسلمين . انظر كتابي

Heyd : Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, t.II, p 71.

Huzayyin : Arabia and The Far East, pp.169-171.

(٢) في الأصل : اصدق . (٣) في الأصل : رغبة .

يتحقق السلطان ذلك . فقال : أنت تعرف مالكي وبسطتها ، وعساكري وكثرتها ، فمن هذا اللعين حتى يخاطبني بالولد ؟ ما مقدار ما معه من العساكر ؟ فلما شاهد محمود الخوارزمي آثار الغيظ ، وتبدل لطف الكلام بالخصام ، أعرض عن النصيح ومال إلى الاسترحام ، استخلاصا من أنياب الجيـام ، وقال : ليس عسكريه بالنسبة إلى هذه الأمم والجيـش العرمرم إلا كفارس في خيل ، أودخان في جنح ليل . ثم أجاب السلطان إلى ما التمس جنكزخان من أمر المهادنة ، فسر جنكزخان بذلك ^(١) ، واستمر الحال على المسالمة ، إلى أن وصل من بلاده تجار إلى أترار ، وهم عمر خواجه الأتراري ، والحمال المراغي ، وغير الدين الدنزكي البخاري ، وأمين الدين الهروي ^(٢) وكان ينال خان ابن خال السلطان ^(٣) في عشرين ألف فارس ينوب عن السلطان بها . فشرهت نفسه الدنية إلى أموال أولئك ، وكاتب السلطان مكتبة خائن

(١) عمل جنكيزخان بعد إبرام هذا الاتفاق على تأمين التجارة بين شرق آسيا وغربها وتوسيع نطاقها ، فحرس على تأمين الطرق والضرب على أيدي المعتدين من قطاع الطرق ، وزود الطرق الرئيسية بحراس من قبله يسمون قراقجية أي مستحفظين ، وكلهم بأن يرافقوا كل أجنبي يحمل تجارة مالى معسكرات المغول . انظر ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٠٠ ، D'ohsson : Op. cit., t.i, p. 204. وانظر ما كتب عن التجارة الآسيوية في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في كتابي Hirth & Rockhill : Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteenth Centuries. & Huzayyin : Op. cit.

(٢) نسبة إلى مدن أترار ومراغة وبخارى وهراة على التوالي . ويجدر بنا أن نذكر في هذا المقام أن الجويني مؤلف كتاب جهان گشاي قدر عدد التجار الذين وفدوا على أترار بأربعمائة وخمسين رجلا كلهم من المسلمين ، وذكر ابن العبري أن عددهم بلغ مائة وخمسين فقط ، ولكنهم كانوا من جميع الأديان دون تفریق . وإنما لتميل إلى الأخذ برواية النسوي وإن كان الراجح أن هؤلاء التجار كانوا في صحبة عدد كبير من رسل جنكيزخان . انظر ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٠٠ و D'ohsson: Op. cit., t.i,p. 204.

(٣) ذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ، ص ٣١١ والديار بكري في كتابه تاريخ الخلفاء ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ ، أن ينال خان كان خال السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه وليس ابن خاله كما ذكر النسوي .

مائن يقول : إن هؤلاء القوم قد جاءوا إلى أترار في زى التجار ، وليسوا
بتجار بل أصحاب أخبار ، يكشفون منها ما ليس من وظائفهم ، إذا خلوا
بواحد من العوام يهددونه ويقولون : إنكم لنى غفلة عما وراءكم وسيأتيكم مالا
قبل لكم به . وأمثال ذلك حتى أذن له السلطان فى الاحتياط عليهم إلى أن
يرى فيهم رأيه . فحين أرخى عنانه فى الاحتياط عليهم تعدى طوره ، وعدى
شوطه ، فقبض عليهم ، وخنى بعد ذلك أثرهم وانقطع خبرهم ، وتفرّد المذكور
بتلك الأموال المعدة ، والأمتعة المنضدة ، مكيدة منه وغدراً ، وكان عاقبة
أمره خسرأ (١) .

(١) علق الجوينى مؤلف كتاب جهان گشای على مذبحه أترار بقوله إن كل قطرة من دماء
هؤلاء التجار قد كفر المسلمون عنها بسيل من الدماء ، كما كلفتهم كل شعرة من رؤوسهم مائة
ألب من أرواحهم . Vambery : Op. cit., p. 117

ذكر ورود رسل جنكزخان على السلطان

بعد قتل التجار

ثم ورد بعد ذلك ابن كفرج بغرا ، وكان أبوه من أمراء السلطان تكش ، مصحوباً بشخصين من التاتار ، رسلا على السلطان من قبل جنكزخان في أنك قد أعطيت خطك ويدك بالأمان للتجار وأن لا تتعرض إلى أحد منهم ، فغدرت ونكشت ، والغدر قبيح ، ومن سلطان الإسلام أقيح . فإن كنت تزعم أن الذي ارتكبه ينال خان كان من غير أمر صدر منك ، فسلّم ينال خان إلى لا جازيه على ما فعل ، حقناً للدماء ، وتسكيناً للدهماء ، وإلا فأذن بحرب ترخص فيها غوالي^(١) الأرواح ، وتتمضد معها عوامل الرماح^(٢) . فأمسك السلطان عن تسيير ينال خان إليه على رعب خامر قلبه ، وخوف سلب لبه ، إذ كان لا يمكنه تسييره إليه وأكثر العساكر

(١) في الأصل : غوالي .

(٢) يقال إنه لما وصلت أخبار مذبة التجار في مدينة أترار إلى مسامع جنكيزخان ، استشاط غضبا ، وهاله الأمر ، فهجره النوم . وروى ابن العبري في كتابه ، تاريخ مختصر الدول ص ٤٠١ ، قصة طريفة في هذا الصدد مؤداها أن جنكيزخان صعد إلى رأس تل عال وكشف عن رأسه ودعا الله أن ينصره على عدوه الخوارزمي ، ووقف على هذا التل ثلاثة أيام لم يذق فيها طعاما ، وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهبا في أثوابه السجواء ويده عصاه يقول : لا تخف ، افعل ما شئت فإنك مؤيد . فأتبه جنكيزخان مذعورا ذعرا مقرونا بالفرح ، وعاد إلى منزله وقص رؤياه على زوجته ، فطمأنته بأن يجيء هذا الأسقف إليه بداية لسعادته ، ثم استدعى جنكيزخان أحد الأساقفة ففسر له حلمه بأن من رآه في منامه لم يكن إلا قديسا من القديسين ، ثم زين له رؤياه . وتلاحظ أن هذه القصة على ما فيها من طرفة إنما هي في الغالب من نسج خيال ابن العبري ، إذ أنه كان من كبار رجال الدين المسيحيين الذين عاصروا المغزو المغولي ، وربما يكون غرضه من وضع هذه القصة الإيحاء بميل المغول علمة وجنكيزخان خاصة للديانة المسيحية دون سواها .

وردت الامراء من أقاربه ، وهم كانوا طراز خلّته ، ووجه رزمته ،
 والمتحكمين في دولته^(١) . واعتقد أنه لو لطف جنكزخان في الجواب لم
 يزد ذلك إلا طمعا فيه ، فتماسك وتجلد ، وأبى . وقد خامر الرعب الخلد ،
 وأمر بقتل أولئك الرسل فقتلوا^(٢) . فialها من قتلة هدرت دماء الإسلام ،
 وأجرت بكل نقطة سيلا من الدم الحرام ، فاستوفى عن الغيظ فيضاً ،
 وأخلّى بكل شخص أرضاً .

(١) كان الأتراك من عشيرة ترکان خاتون بوجه خاص ، يتحكمون في الدولة ومواردها ،
 فضلاً عن أن معظم رجال الجيوش الخوارزمية كانوا من عشيرتها ، ولذا فقد خشي علاء الدين
 محمد خوارزم شاه عاقبة تسليم ينال خان وهو من أقرباء ترکان خاتون والدّة السلطان .
 (٢) ذكر دوجلاس Douglas ، أن علاء الدين محمد خوارزم شاه لم يقتل الرسل الثلاثة
 بل قتل زعيمهم ابن كفرج وأطلق سراح الاثنين الآخرين بعد أن حلفت لحيتهما ، حتى يرويا
 قصة مصرع الرسول للعولي بلنكيزخان كما شاهدها .

انظر Douglas : The Life of Jenghiz Khan, p. 15.

ذكر ما اعتمده السلطان من التدبير الخطأ لما بلغه مسير جنكز خان نحوه في عساكره

أول ما اعتمده من التدبير في هذا الأمر الفادح، والخطب الكالح، أنه عزم أن يبني سوراً على سمرقند بكبرها ودورها^(١) على ما قيل اثني عشر فرسخاً، ثم يشحها بالرجال ليكون رداء بينه وبين الترك، وسداً دونهم وسائر أقاليم الملك. وفرق عماله وجبساته في جميع البلاد، وأمرهم أن يستسلموا لسنة خمس عشرة^(٢) وستمئة خراجاً تاماً برسم عمارة سور سمرقند. فجى ذلك في أدنى مدة، وأعجله التاتار عن ذلك المراد، ولم يصرف شيء منها إلى عمارة السور.

وثانيه أنه بعث الجباة ثانياً إلى جميع بلاد الممالك وأمرهم بجباية خراج ثالث في سنتهم تلك، وأن يستخدم بها رجال رماة مكمله العدة، ويكون عدد رجال كل جهة على قدر ما يحصل منها من المال، قليلاً كان أو كثيراً، يكون لكل واحد منهم جمل يركبه ويحمل سلاحه وزاده. فاستخدموهم أسرع ما يكون، وتوجهوا من جميع الأنظار إلى مراكز مريائاته كالسيل. سائراً إلى منحدرة، والسهم صادراً عن وتره. وصادفهم الخبر وهم في طرقهم ياجفال السلطان عن حافة جيحون من غير قتال. ولو أقام إلى أن تصل الجموع لأجمع خلقاً^(٣) لم يسمع بمثله كثرة، لكن قضاء الله أغلب، وأمره أنفذ، وله الحكم في تقلب الأحوال، وتبديل الأبدال، ونقل الأملاك من وال إلى وال.

(١) أي محيطها.

(٢) في الأصل : خمسة عشر.

(٣) أي ساق خلقاً.

ومن التدبير الخطأ أنه لما سمع بقرب جنكزخان ، فرق عساكره بمدن
 هما وراةالنهر وبلاد الترك ، فترك ينال خان في عشرين ألف فارس بأترار ،
 وقاتل خان وجماعة أخرى في عشرة آلاف ^(١) فارس بشهر كنت ^(٢) ،
 والأمير اختيار الدين كشكي أمير آخور ^(٣) ، وأغل حاجب الملقب بأينانج خان
 في ثلاثين ألفا ^(٤) ببخارا ، وطفانخان خاله وأمراء الغور مثل جرميخ
 وحرور ^(٥) ، وابن عز الدين كت وحسام الدين مسعود وغيرهم في أربعين
 ألفا بسمرقند ^(٦) ، وشر الدين حبش المعروف بعنان النسوى وعسكر
 سجستان بترمذ ، وبلخمورخان بوخش ^(٧) ، وأبي محمد خال أبيه ببلخ ،
 وأسرك بهلوان بخندروذ ^(٨) ، وعلجق ملك بجيلان ^(٩) ، والبرطاسي بقندز

(١) في الأصل : عشرة ألف .

(٢) شهر كنت : مدينة في طرف تركستان قريبة من مدينة جند الواقعة على نهر سيحون ،
 وبينها وبين خوارزم عشرة أيام أو أقل . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ٣١٦ .
 (٣) أمير آخور : هو المشرف على الاصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال
 وغيرها مما هو داخل في حكم الاصطبلات . ويكون في الغالب مقدم ألف ويسكن في اصطبل
 السلطان . انظر كتاب السلاح في الإسلام للقاء مقام عبد الرحمن زكي ، ص ١١ . ويلاحظ أن أمير
 آخور مركب من لفظين أحدهما عربي وهو أمير ، والثاني فارسي وهو آخور ومعناه مكان العلف
 (العلف) فيكون معنى أمير آخور أمير العلف لأنه المتولى لأمر الدواب .
 وهناك أيضا وظيفة السراخور ، وهي مركبة من لفظين فارسيين ، أحدهما سرا ومعناه
 الكبير ، والثاني خور ومعناه العلف ، والمراد كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب . انظر
 المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٤٣٨ حاشية ٣ . والفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥
 ص ٤٦٠ — ٤٦٢ .

(٤) في الأصل : ثلثين ألف . ويقال في رواية أخرى إن عدد قوات بخارى بلغت عشرين
 ألف رجل . ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٦٨ .
 (٥) جرميخ وحرور أميران من أمراء الغور .
 (٦) يقال أيضا إن عدد قوات سمرقند كانت خمسين ألف رجل . ابن الأثير : الكامل
 ج ١٢ ص ١٦٨ .

(٧) وخش : مدينة في نواحي بلخ على نهر جيحون ، ينسب إليها العالم أبو علي الحسن
 الوخشي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٣ م) . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٤٠٤ .
 (٨) خندروذ : إحدى مدن فارس .

(٩) جيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان ، ويقال إنها كانت قرى في مروج بين
 الجبال . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٩٤ .

وأسلبه خان بولج^(١). وبالجملة لم يترك بلداً من البلاد عما وراء النهر خالياً من
عسكر مجر^(٢) ، وقد أخطأ في ذلك فلوالتقى^(٣) التاتار بكتائبه قبل أن
يفرقها لاختطفهم خطفة ، ونسفهم^(٤) عن الأرض نفساً^(٥) . ولما شارف
جنكزخان تخوم البلاد السلطانية تباشر صوب أترار وداوم القتال عليها ليلاً
ونهاراً حتى استولى عليها وأحضر ينال خان بين يديه ، فأمر بسبك الفضة
وقلبها في أذنيه وعينه ، فقتل تعذيباً ، جزاء عن فعله الفظيع ، وخطبه الشنيع ،
وسعيه المذموم عند الجميع^(٦) .

(١) يقال أيضاً ولج .

(٢) عسكر مجر أى جيش عظيم .

(٣) في الأصل : التقا .

(٤) في الأصل : أنسفهم .

(٥) يذهب المؤرخون مذاهب شتى في تعليل السبب الذي دفع علاء الدين محمد خوارزم شاه
إلى توزيع قواته على المدن الخوارزمية المختلفة ، فيرى جيون Gibbon أنه ظن أن الغول
سيملون حصار هذه المدن العديدة ، ومن ثم يعودون إلى بلادهم دون أن ينالوا من هذه
المدن أو من ساكنيها منالا . ويرى سيكس Sykes أن علاء الدين محمد خوارزم شاه ظن
في ذلك الوقت أن جنكيزخان سيكتفي من البلاد الإسلامية بنهب ما تصل إليه يده من الغنائم
والأسلاب ، ثم يعود إلى حيث أتى . ويرى فلاديميرتسوف Vladimirtsov أن السلطان
الخوارزمي كان لا يثق بقواده ، ولذلك كان يخشى أن يتجمع عدد كبير من رجاله تحت قيادة
رجل واحد ، فتقلب عليه هذه الجيوش تحقيقاً لرغبة قائد ما قد تحدثه نفسه بعبثان السلطان .
وذكر فلاديميرتسوف فوق ما تقدم أن القواد الخوارزميين لم يكونوا من الكفاية والمقدرة
بحيث يستطيع قائد واحد منهم أن يقود جيشاً كبيراً ، أضف إلى ذلك أن علاء الدين وجد
أنه من الصعب عليه أن يلتقي بأعدائه في المراء ولذا فضل التحصن داخل المدن . انظر

Gibbon : The Decline and Fall of the Roman Empire, vol. vi, p. 279;

Sykes : A History of Persia, p. 56.

Vladimirtsov : The Life of Chingis-Khan, pp. 121—122.

(٦) يجدر بنا أن نذكر هنا أن جنكيزخان لم يشترك في الاستيلاء على مدينة أترار كما
ذكر النسوي ، وإنما عهد بهذه المهمة إلى ابنه أجتاي وجغتاي ، وقد اقتيد ينال خان ، بعد
وقوعه أسيراً في أيدي المغول ، إلى معسكر جنكيزخان الذي كان في ذلك الوقت أمام سمرقند .

انظر D'ohsson : Op. cit., t.I, pp. 218—221.

ذكر حيلة تمت لجنكزخان على السلطان حتى توهم من أمرائه

وحرّض^(١) على مفارقتهم فقرّقهم

لما استولى جنكزخان على أترار ، حضره بدر الدين العميد ، وكان ينوب بأترار عن الصفي الأقرع وزير السلطان ببلاد الترك ، وخلا به ، وكان يحقد على السلطان لقتله^(٢) أباه القاضي العميد سعداً ، وعمه القاضي منصوراً ، وجماعة من بني عمه وأخوته عند استصفائه بملكه أترار ، وقال : ليعلم الخان أن السلطان أبغض خلق الله عندي لإفناؤه خلقاً من أهلي ، ولو قدرت على استيفاء ثأري منه يبذل روحي لفعلت . لكنني مخبرك بأنه سلطان عظيم صاحب قدرة ، ولا يغرك تفريقه المساكر بهذه الأطراف ، فإن فيها معه من الجيش اللهام لغنية عن غيره ، ولو أراد لحشر^(٣) من بسيط ملكه وفسيح عرصته أضعاف ذلك ، والرأي عندي أن تعمل عليه حيلة يتوهم بها^(٤) من أمراء عسكره . وعرفه ما بينه وبين والدته من الوحشة والتنافر ، وتجاذبا في ذلك أطراف الكلام حتى اتفقا على أن يزور بدر الدين العميد كتباً عن لسان الأمراء قرايب والده السلطان يذكر فيها : أننا قد تسحبنا من بلاد الترك بعشائرتنا ومن يلوذ بنا إلى السلطان ، رغبة في خدمة والدته ، وقد نصرناه على كافة ملوك الأرض حتى ملكها ، وذلت له الجبابرة ، وخضعت له الرقاب . وهاهو الآن قد تغيرت نيته في حق والدته عتواً منه وعقوقاً . وهي تأمر بخذلانه ، فنحن على انتظار وصولك واتباع مرادك وسؤالك .

(١) في الأصل : حرّض .
(٢) في الأصل : قتل .
(٣) في الأصل : يحشر .
(٤) كذا في الأصل ، والمراد أن يرتاب فيهم .

وسير جنكزخان هذه الكتب على يد بعض خواصه ، هارباً في ظاهر الأمر ، ومبعوثاً في باطن السر . فنشرها عن منذرات بحينه (١) ، مظلمات الدنيا في عينه . ففترت عزائمه في مقاصده ، إذ أتمه الرزايا (٢) من وجوه فوائده ، وأخذ يبدد شملهم ، ويفرق جمعهم ، تعليلاً بتقوية البلاد على ما ذكرناه .

وسير جنكزخان دانشمند الحاجب ، وهو من خواصه ، إلى ترکان خاتون بخوارزم يقول : قد عرفت مقابلة ابنك حقوقك بالعقوق ، وهأنذا (٣) قد قصدته بمواطأة من أمرائه ، ولست بمعرض إلى ما تحت يدك من البلاد ، فإن أردت ذلك بعثت (٤) إلى من يستوثق لك مني فتسلم لك خوارزم وخراسان وماتناخهما من قاطع جيحون . فكان جوابها عن هذه الرسالة أنها خرجت عن خوارزم بجفلة ، وتركها وراءها مهمة (٥) .

(٢) في الأصل : الرزايا .

(٤) في الأصل : تبعث .

(١) الحين : الهلاك .

(٣) في الأصل : ها أنا .

(٥) راجع الفصل التالي .

ذكر خروج ترکان خاتون عن خوارزم في أواخر سنة ست عشرة^(١) وستائة

واتفق وصول رسول جنكزخان إلى خوارزم الحاجب المقدم ذكره ،
وورود الخبر بإجفال السلطان عن حافة جيحون ، فقلقت لهذا الخبر قلقاً
لم تكتحل عينها معه بقرار ، ولم تر خوارزم دار قرار . فاستصجبت
ما أمكنها استصحابه^(٢) من حرم السلطان وصغار أولاده ونفائس خزائنه ،
وخرجت عن خوارزم مودعة والعيون كانت لوداعها تصوب^(٣) ، والقلوب
تذوب . وقدمت عند خروجها من نقيض البر ، ما أرتخ الزمان بسوء
الذكر ، وترك سبة مخلدة على وجه الدهر ، وهو أنها كانت تعتقد أن نار
تلك الفتنة عن قريب تتمد ، وأن العروة المنفصلة سوف تعقد ، وأن
صباح مسراها عما قليل يحمده . فأمرت بقتل من كان بخوارزم من الملوك
الأسارى ، وأبناء الملوك وذوى المراتب المنيفة من كبار الصدور وسادات
القروم ، زهاء اثني عشر نفساً محرمة ، مثل ابني السلطان طغرل السلجوقي ،
وعماد الدين صاحب بلخ ، وابنه الملك بهرام شاه صاحب ترمذ ، وعلاء الدين
صاحب باميان ، وجمال الدين عمر صاحب وخش ، وابني صاحب سقناق
من بلاد الترك ، وبرهان الدين محمد صدرجهان ، وأخيه^(٤) افتخارجهان ،
وابنيه ملك الإسلام وعزيز الإسلام ، وغيرهم . ولم تعلم أن رتق ذلك الفتق ،
ورفو ذلك الحرق ، بالإناة^(٥) إلى الله تعالى أولى ، وأن الرجوع إلى الحق.

(٢) في الأصل : ما أمكنه استصحابها .

(٤) في الأصل : أخوه .

(١) في الأصل : ستة عشر .

(٣) تصوب : تنجه .

(٥) في الأصل : الانابة .

أحمد في البدو والعقبى . نخرجت عن خوارزم ومحبها من قدر على الخروج ،
وتعذرت صاحبها على أكثر الناس ، إذ كانت النفوس لا تسمح بتسييب
ما حوت من الحطام ، وجمعت من وجوه الحل والحرام . واستصحب
عمرخان بن صاحب يازر ، وكان معوقاً بها^(١) لخبرته بهاتيك الطرق
المفضية^(٢) إلى بلاده ، وكان المذكور قد لقب بصبورخان ، وسبب تلقيبه
بصبورخان أن أخاه هندوخان كان قد سمله حين استولى على الملك ،
ففرق به المباشر للسمل مبقياً^(٣) على بصره ، وناظر آفي نظره ، فتعاضى المذكور
إحدى عشرة^(٤) سنة إلى أن توفي هندوخان وملكت ترکان خاتون بلد
يازر محتجة بأن هندوخان كان مزوجاً من قبيلتها بامرأة من قرايها ، ففتح
عمرخان عينيه ، وقصد باب السلطان يرجو تقرير الملك عليه ، فلم يحصل له
بما كان يأمله غير تلقيبه بصبورخان . نعم وخرج المذكور في خدمتها عن
خوارزم وليس معها غيره من تعول عليه لكشف ملية أو إزالة بؤس ،
أو دفاع خطب عبوس . وقد خدمها تلك المدة أتم خدمة ، حتى إذا قاربت
تخوم يازر ، خافت أن يفارقها المذكور فأمرت بضرب عنقه ، فقتل صبراً
وأهلك غدرآ . وسارت بامعها من الحرم والخزائن فصعدت قلعة إيلال ،
وهي من أمهات قلاع مازندران ، فأقامت بها إلى أن فرغ التانار من
إجلاء السلطان ولجأته إلى الجزيرة التي مات فيها^(٥) ، على ما سنشرحه إن
شاء الله .

وحوصرت إيلال مدة أربعة أشهر ، وبني حولها سور ، وغلقت .

-
- (١) أى محبوساً مقياً . وفي الأصل معوقاً . (٢) فى الأصل المفضية .
(٣) فى الأصل : متقياً . (٤) فى الأصل : إحدى عشر .
(٥) توفي علاء الدين محمد خوارزم شاه فى إحدى جزر بحر قزوين سنة ٦١٧ هـ
(١٢٢٠/١٢٢١م) ، وكان قد اتجأ إليها فاراً من وجه المغول . ويجدر بنا أن نذكر هنا أن
ترکان خاتون عندما عولت على الرحيل عن خوارزم ، كان فى عزمها أن تلجئ إلى العراق
الجمى ولكنها اعتصمت بومى فى الطريق بقلعة إيلال بإقليم مازندران . ابن الأثير : الكامل
ج ١٢ ص ١٧١ — ١٧٢ .

الآبواب على السور ، تغلق بالليل وتفتح بالنهار ، وهذه عاداتهم في حصار القلاع المنيع ، إلى أن ضويقت بالحصار . ومن العجيب النادر ، أن قلعة من قلاع مازندران وهي دائمة الانواء ، كثيرة الانداء ، والسماء بها قل ما تقشع ، والأمطار بها لا تكاد تقلع ، تؤخذ بالعطش ، فقدر الله تعالى أن أصبحت السماء^(١) مدة الحصار ، فألجأتها إلى طلب فأجيب إلى ذلك ، ونزلت معها الوزير المعزول محمد بن صالح . وقد ذكر أنها كانت تنزل من القلعة والسيل يخرج من بابها ، وفاضت الصهاريج في ذلك النهار سرأ من الله تعالى الواحد القهار ، في هدم بنية وتأسيس أخرى ، وإن في ذلك لذوى الآل باب ذكرى^(٢) . وأسرت ترکان خاتون وحملت إلى جنكيزخان^(٣) ، وأخبارها كانت تأتي جلال الدين في زمانه ، ولست أدري ما فعل الزمان بها بعده^(٤) .

وحدثني بدر الدين هلال الخادم ، وكان من جملة خدامها ، ولما أيس من خلاصها ونجا بنفسه سالماً إلى جلال الدين ، فشملته عنايته ، فأصبح حظياً ، ووجد منصباً علياً ، قال : قلت لها : هل نهرب إلى جلال الدين ولد ولدك ، وفلذة كبذك ، فإن الأخبار قد تواترت بشوكته ، وبسطة باعه ، واتساع عراضه . قالت : بعد آله وسحقاً ، وكيف يهون عليّ أن أكون في نعمة ابن أي جيجاك^(٥) وتحت ظله ، يعني أم جلال الدين ، بعد ولديّ

(١) أصبحت السماء أى طارت لاغيم فيها .

(٢) استولى المغول بقيادة القائد شي Chépé وسوبوتاى Souboutai على هذه القلعة بينما كانا يطاردان السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه في الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية D'ohsson : Op. cit., t.I, pp. 259-260 .

(٣) اختلف المؤرخون في تحديد المكان الذى كان فيه جنكيزخان عندما وصلته ترکان خاتون ، فذكر ابن الأثير في كتابه الكامل ، ج ١٢ ص ١٧٢ أن جنكيزخان كان في سمرقند . وذكر دوسون ، ج ١ ص ٢٦٠ ، أنه كان يحاصر مدينة الطالقان ، إحدى المدن في أعالي نهر جيحون ..

(٤) ذكر دوسون أن ترکان خاتون ظلت أسيرة في أيدي المغول حتى رحلوا إلى بلادهم فخصبها معهم إلى هناك حيث ماتت في مدينة قره فورم سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م) . انظر

D'ohsson : Op. cit., t. I, p. 260..

(٥) أى جيجاك : اسم والد جلال الدين منكبرتي .

أزلاغ شاه وأق شاه ، والأسر عند جنكزخان وما أنا فيه من الذل والهوان أحب إلى من ذلك . وكانت تبغض جلال الدين بغضاً شديداً . وحكى لى الخادم المذكور قال : آل أمرها فى الأسر ، من العسر ، أنها كانت تحضر تارات سباط جنكزخان فتحمل منه ما يقوتها أياماً ، وكان حكمها قبل ذلك قد نفذ فى أكثر الأقاليم ، فسيحان مغير الحال بعد الحال .

وأما صغار أولاد السلطان فقتلوا جميعاً حين نزلوا إلا أصغرهم سنأ كاخى شاه، وكانت مستأنسة به، تزجى^(١) به أيام البؤس والآسى، وأوقات الصد^(٢) والبلوى . بينا هى كانت تسرح رأسه ذات يوم وهى تقول : عندى اليوم من ضيق الصدر ما لم أكن أجدر قبل ، إذ أناها بعض سرهنكية جنكزخان مستحضرأ الصبي ، ففارقها وكان آخر عهدها به . فلما أحضر بين يديه أمر بخنقه فخنق . فجوزيت فى الدنيا بما ارتكبت من الإهلاك ، وإفناء بنى الأملاك .

وأما بنات السلطان فقد تزوج بكل واحدة منهن^(٣) شخص من المزندة ما خلا خان سلطان ، وهى التى كانت مزوجة بسلطان السلاطين عثمان صاحب سمرقند ، فإن دوشى خان^(٤) بن جنكزخان استخسها لنفسه . وتزوج بتركان سلطان ، وهى شقيقة أزلاغ شاه ، دانشمند الحاجب الذى ورد رسولا من جنكزخان على تركان خاتون .

وأما حال الوزير نظام الملك المعزول فقد أقام بينهم مكرماً مشفقاً ، لعلهم بتغيير رأى السلطان عليه ، وانحطاطه عن منزلته لديه . وربما كان جنكزخان يأمره باسترفاع حسابات بعض البلاد فيقوم له بذلك جاءه يسير إلى أن استولى دوشى خان على خوارزم وصب على أهله صوب نعمته ،

(٢) فى الأصل : الضد .

(١) فى الأصل : ترخى .

(٣) فى الأصل : منهم .

(٤) المقصود هو جوجى (جوجى) بن جنكزخان . والمعروف أن أبناء جنكزخان الذين اشتركوا معه فى حملته على البلاد الإسلامية هم ، عدا جوجى ، أجتاى (أكتاى ، أكتاى) ، وجفتاى (چفتاى) ، وتولوى (تولى) .

وحملت إلى جنكزخان مغنيات السلطان ، وفيهن بنت زنجيجه ذات جمال وحسن ، فطلبها زين ، الكحال السمرقندى ، من جنكزخان ، وكان المذكور قد داوى عين اللعين من الرمد فوهبها له ، وكان الكحال مفرطاً في قبح الصورة وسوء العشرة فأبغضته ، وحق لها أن لا تستبدل بمثله عن سلطان الإسلام ، والقاعد من قبة الفرقدين على الهام . فأقامت عند الوزير يومين أو ثلاثة وهو يشرب ، وجاءها الطلب من الكحال مراراً وهى تدافع ، فشئ الكحال إلى جنكزخان مشنعاً ، وقال الوزير : أنا أحق بها من غيرى ، فغضب جنكزخان وأمر بإحضار الوزير فأقيم بين يدي جنكزخان وأخذ يعد عليه غدره بأستاذة ، وفساده في دولته ، وأخفر عليه ما أعطاه من ذممه ، وأحل الأرض من حرام دمه .

ذكر نبذ من أحوال ترکان خاتون وسيرتها

كانت المذكورة من قبيلة بياووت^(١)، وهى فرع من فروع يلك^(٢)، وقد لقبت عند ارتفاع شأنها بخداوند جهان، يعنى صاحبة العالم، وكانت بنت خان جنكشى، ملك من ملوك الترك، فتزوج بها تكش بن إيل أرسلان^(٣) زواج الملوك بنات الملوك. ولما انتقل الملك إلى السلطان محمد وراثته عن أبيه تكش، تسحبت إليه قبائل يلك من يجاورها من الترك فتكثر بهم، واستظهر بمكانهم، وتحكمت لهذا السبب ترکان خاتون في الملك، فلم يملك السلطان إقليبا إلا وأفرد لخاصتها منه ناحية جليلة.

وكانت ذات مهابة^(٤) ورأى، وإذا رفعت الظلامات إليها تحكم فيها بالعدل والإنصاف. وكانت تنتصف للظلم من الظالم، غير أنها كانت جسوراً^(٥) على القتل، وكانت لها خيرات ومسيلات في البلاد، ولو لنا أوردنا ما شاهدناه من عظم شأنها الطال الكلام. وكانت لها من كسب الإنشاء^(٦) سبعة من مشاهير الفضلاء وسادات الأكابر، وإذا ورد عنها وعن السلطان توقيعان مختلفان في قضية واحدة، لم ينظر إلا في التاريخ، فيعمل^(٧) بالآخر بكافة الأقاليم. وكان طغرا تواقعها عصمة الدنيا والدين ألغ ترکان ملكة نساء العالمين. وعلامتها، «اعتصمت بالله وحده». وكانت تكتبها بقلم غليظ، وتجود الكتابة فيها بحيث يعسر أن تزور علامتها.

(١) قبيلة بياووت، فرع من قبائل كانكالى *Caucalis*. ويرجع أصلها إلى السهول الواقعة في شمال خوارزم وفي الشمال الشرق من بحر قزوين. *D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 196.*
(٢) لعل المقصود بكلمة يلك، قبائل كانكالى.

(٣) في الأصل : رسلان. (٤) في الأصل : ذا مهابة.

(٥) في الأصل : جسورة. وجسور، من الصفات التي لا تلحقها تاء التأنيث مثل امرأة.

عجوز، هي صبور. (٦) راجع صفحة ٥٧ حاشية ٦.

(٧) في الأصل : فتعمل.

ذكر رحيل السلطان من كُتْلُف^(١) بعد استيلاء

جنكز خان على بخارا

لما بلغ السلطان استيلاء جنكز خان على أترار وقتله^(٢) لينال خان ومن كان معه من العسكر ، أقام بحدود كُتْلُف وأندخود^(٣) منتظراً وصول الجموع النقدية من الجهات ، مرتقياً ما تصنعه حبالى الليالى ، من الحوادث بالأعلى . فساق جنكز خان بعد استيلائه على أترار إلى بخارا ، وهى أقرب المدن إلى مراكز الرايات السلطانية ، يحاصرها . وقد قصد بذلك أن يقطع بين السلطان وبين عساكره المتفرقة ، حتى لو بدا له فيما فعل من تفريقهم ، لم يقدر على جمعهم . فخط على بخارا محاصراً ، وبمن ساقهم من رجالة^(٤) أترار وخيالتها متكاثراً ، وداوم القتال عليها ليلاً ونهاراً ، حتى استولى عليها عنوة واقتداراً .

ولما رأى كشلى أمير آخور^(٥) ومن معه من أصحاب السلطان أنها أشرفت على الأخذ بتجادلوا واستبدلوا بمسكة العزائم ، هتكة الهزائم . وأجمعوا على أن يخرجوا فتحملوا^(٦) حملة رجل واحد ، تنفيساً للخناق ، وفكاً كاماً من شدة

(١) كُتْلُف : بلدة فى خرسان ، بين مدينتى بلخ ومرو .

(٢) فى الأصل : وقتلهم . (٣) راجع صفحة ٦٧ حاشية ١ .

(٤) رجالة : جمع راجل والحقت تاء التأنيث بالجمع .

(٥) أمير آخور : هو المعروف على الاصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والبغال والجمال ، وفى الغالب يكون مقدم ألف ، ويكون ساكناً باصطبل السلطان . انظر كتاب السلاح فى الإسلام لفقهاء عبد الرحمن زكى ص ١١ . ويلاحظ أن آخور لفظ فارسى معناه المليف ، فيكون معنى أمير آخور أمير المليف لأنه المتولى لأمر الدواب . انظر القرينى : السلوك

ج ١ قسم ٢ ص ٤٣٨ حاشية ٣ .

(٦) أى ارتحلوا .

الإرهاق ، ففعلوا وخرجوا . ولو أراد^(١) لأفلحوا^(٢) . ولما رأى التاتار أن الأمر إذ والخطب جد ، والحد حديد ، والبأس شديد ، انهزموا من قدامهم ، وفتحوا لهم طريق انهزامهم . فلو أن المسلمين أرددوا الحملة بأخرى ، كاسعة في أدبارهم ، مثخنة في غمارهم^(٣) ، لاستمرت الهزيمة بهم . خير أنهم لإدبار زمانهم قنعوا بالخلاص ، ولما علم^(٤) التاتار أن قصاراهم النجاة ، جدوا^(٥) في طلبهم ، وسدوا^(٦) عليهم وجوه مهربهم ، وتبعوهم^(٧) إلى حافة جيحون ، فلم ينج منهم إلا أينانج خان بشرذمة يسيرة . وشمل القتل معظم ذلك الجيش ، وغنم التاتار من الأموال والأسلحة والعباد والعدة ما ارتاشت به أحوالهم ، وأمرعت رحالهم^(٨) .

ولما فاجأ السلطان خبر هذه الحادثة الكارثة ، أقلقه وأكده ، وأضعف عن كل شيء قلبه ويده ، فعبر جيحون بائساً ، وعن بلاد ماوراء النهر آيساً ، وفارقه إلى التاتار عند اضطراب حاله ، وفنار رجاله ، المقدمين من بني أخواله ، سبعة آلاف من الخطائية . واتصل علاء الدين صاحب قشندز بجنكز خان مظاهراً ، وبعداوة السلطان مجاهر^(٩) ، وانقطع إليه الأمير جاهررى من قدام بلخ ، وأخذ الناس في التخاذل والتسلل ، ومن هناك وهى الأمر ، وانبثق السكر ، وانقصمت العرى ، وانتقضت المراير والقوى ، ولكل مريد انتقاض ، ولكل أمر انقراض . كذلك يؤق الله الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء وهو الفعال لما يريد .

(١) كذا في النسخة الخطية ، ولعل المقصود بها « أراد الله » أو « أرادوا »

(٢) في الأصل : لفحوا . (٣) في الأصل : عمارهم .

(٤) في الأصل : علموا . (٥) في الأصل : جد .

(٦) في الأصل : سد . (٧) في الأصل : تبعهم .

(٨) بلغ التخريب في مدينة بخارى مبلغاً كبيراً حتى أن أحد سكان هذه المدينة ، لا هرب إلى خراسان ، أجل ما أحدثه المفلول في مدينة بخارى بقوله : أنوا غربوا ، وأحرقوا ، وقتلوا

ونهبوا ثم ذهبوا . Vambery : Op. cit., p. 130.

(٩) في الأصل : مجاهداً .

ولما اتصل الخبر بجنكزخان من سبق ذكره من التوت ، أشعروه بما
استشعر السلطان من الوجع ، وأعلوه بما عنده من الفشل ، جردا المقدمين
نمه نوين وسبطى بهادر^(١) في ثلاثين ألفاً حتى عبروا النهر صوب خراسان^(٢) ،
فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً . وجرى من السفك والنهب
والتخريب ما غادر الصناعات خشين ، وشرذ الزراع عزين^(٣) ، واستنخاض
الضاحية الضامنة ، واعتصر البادية والكامنة ، وأخرس الثغاة^(٤) ، والرغا^(٥) ،
وأنطق الهام والأصدا ، وشوهد من اللأواء ما لم يسمع بمثله في الأعصر
الأول ، ولا فيما مضى من الدول .

وهل باخاك أن طائفة خرجت من مطلع الشمس ، فقطعت الأرض
إلى باب الأبواب^(٦) فعبرت إلى بلاد قفجاق^(٧) ، وشنت على قبائلها غارة .

(١) هما القائدان المغوليان شي «جه» Tchéb ، وسوبوتاي Souboutai . وقد
أرسلهما جنكيزخان في أثر علاء الدين محمد خوارزم شاه ، على رأس جيشين يتكون كل منهما
من ألف فارس ، وقد طاردهما حتى اضطررا إلى الاعتصام بإحدى جزر بحر قزوين .
D'ohsson : Op. cit., t. I, p. 240.

(٢) المقصود هنا نهر جيحون .

« وجدير بالذكر في هذا المقام أن المغول حينما عولوا على عبور نهر جيحون لم يجدوا سفناً
تصلح للعبور ، فصنعوا أحواضاً من الخشب ، وكسوها بجلود البقر لئلا يتسرب الماء إليها ،
ثم وضعوا فيها أسلحتهم وأمتعتهم وألقوا بخيولهم في الماء وتماقوا بأذيابها بعد أن شدوا تلك
الأحواض إلى أجسادهم ، « فكان الفرس يجذب الرجل ، والرجل يجذب الخوض المملوء من
السلاح وغيره ، فعبروا كلهم دفعة واحدة » . انظر ابن الأثير : الكام^(١) ، ج ١٢ ص ١٧٠ .

(٣) في الأصل : عرين ، وعزين ، بالزاي المعجمة ، أى متفرقين .

(٤) الثاغية : الشاة ، والثناء : صوت الشاة والمز وما شاكلهما .

(٥) الراغية : الناقة أو البعير ، والرفاء : صوت ذوات الخف .

(٦) باب الأبواب ، وتسمى أيضاً الدربند : مدينة على الشاطئ الغربي لبحر قزوين
شمالى باكو وقبالة تفليس . انظر القريزى : السلوك ج ١ قسم ١ ص ٢٤٨ حاشية ٣ ،
والقلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية مادة Derbend .
(٧) يكتب هذا الاسم في الكتب التركية قفجاق . انظر كتاب عثمانى تاريخى لأحمد
راسم ، ص ١٢٩ ، وانظر أيضاً كتاب لغات تاريخية وجغرافية لأحمد رفعت ج ٦ ص ٦ .

شعواء وخبطتها بالسيوف خبط ^(١) عشواء ، فلم يدم أرضاً إلا نهبا ،
ولا بلداً إلا خربها ، ثم رجعت إلى صاحبها من طريق خوارزم بعد هذه
الدورة سالمة غائمة ، وقد أهلكت حرث البلاد ونسلها ، وعرضت على ظبي
السيوف أهلها . كل ذلك فيما دون سنتين . إن الأرض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين ^(٢) .

(١) في الأصل : خبطاً .

(٢) سورة الأعراف ، آية ١٢٨ . وقد أوردها هوداس خطأ على النحو التالي : إن
الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين .

ذكر ما قاسى^(١) السلطان من الشدائد والجفلات

إلى أن مات بالجزيرة ببحر قلزم

ولما عبر السلطان جيحون وصل إلى الخدمة السلطانية عماد الدين محمد بن السديد الساوى وزير ابنه ركن الدين صاحب العراق ، وقد كان ابنه ركن الدين وجهه إلى باب السلطان لقضاء^(٢) أشغاله في ظاهر الأمر ، ومستريحا منه بتخلية بابه عنه من نقات الشر ، إذ كان قد شكى إلى السلطان تحكمه^(٣) واستبداده ، وأنه لم يتبع في الأمور إلا هواه ومراده . فلما حضر إلى الباب السلطاني ، وعلم بما دبر عليه ، نصب إذ ذاك حائل الحيلة في التخلّص من تلك الورطة ، وكان ذا قول مسموع ، ورأى في الأمور مشروع . فآخذ ينفث على السلطان أنه إذا تسحب إلى العراق سالياً عن خراسان وأهلها قالياً قرارة الميلاد ، ومياه الطارف والتلاد ، فيها يثير له من الأموال والرجال ما يسد به الثلم ، ويدأوى به الكلم ، أحاديث زور ، وأخبار غرور ، كسر اب ببيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجد شئاً^(٤) ؛ فباع العين بالضمار ، وخلف وراءه من البلاد والرجال ما كانت للعراق بالنسبة إليها كالشيء عند المعتزلة بل أحقر ، وبالجوهر الفرد عند من يثبته بل أصغر^(٥) . فرحل من حافة

(١) في الأصل : قاسا .

(٢) في الأصل : لفضي .

(٣) في الأصل : بحله .

(٤) سورة النور ، آية ٣٩ .

(٥) يذكر في هذا المقام أن علاء الدين محمد خوارزم شاه لما عزم على الفرار من وجه جنكيزخان ، عقد مجلساً من وزرائه وكبار قواده للتشاور فيما يفعله ، فانقسم المجتمعون في الرأي ، فريق رأى ترك بلاد ما وراء النهر للفقول والانصراف إلى حماية الأقاليم الواقعة غرب نهر جيحون ، وفريق آخر رأى أن ينسحب علاء الدين إلى غزنة حيث يجمع جيوشه المتفرقة ويواجه بها القوات المغولية . وقد فضل علاء الدين الرأي الثاني وسار في طريقه =

جيحون إلى نيسابور ، ولم يقيم بنيسابور إلا ساعة من نهار رعباً تمكن من قلبه ، وذعر أأسس في صميم صدره ، وخيفة سالت به في أودية الظنون ، ونفرتة عن ضم القوادم للسكون .

وحكى الأمير تاج الدين عمر البسطامى ، وكان من الوكيلدية ، قال : وصل السلطان في مسيره هذا إلى العراق بسطام^(١) ، فاستحضرني وأحضر عشرة^(٢) صناديق ، ثم قال : هل تعلم ما فيها ؟ قلت : السلطان أخبر بها . قال : هذه كلها جواهر لا يعرف قيمتها غير هذين ، وأشار إلى اثنين منها^(٣) فيها من الجواهر ما يساوى خراج الأرض ، بأسرها . وأمرني بحملها إلى قلعة أردهن^(٤) وهى من أحصن قلاع الأرض ، نزل عن محاذاتها^(٥) النصور ، لم ير ساكنها من الطيور غير الظهور . فحملتها إليها وأخذت خط الوالى بها بوصولها مختومة . ولما انتشر التاتار في الأقطار ، وأمنوا جانب السلطان ، حاصروا القلعة المذكورة إلى أن صالحهم الوالى بها على تسليم الصناديق إليهم فتسلموها بختومها ، وحملت إلى جنكرخان .

نعم ، ولما أتى السلطان العراق نزل بمرج دولت آباد ، وهى من أعمال همدان ، وأقام بها أياماً يسيرة ، ومعه من نفائث الديار ، بل لقاطات الأدبار ، زهاء عشرين ألف فارس . فلم ترعه إلا صيحة الغارة ، وإحداق

إلى غزنة ، ولكنه تقابل وهو في مدينة بلخ بالوزير عماد الدين (عماد الملك) الذى أوحى إلى السلطان بالعدول عن الذهاب إلى غزنة ، وزين له الاتجاه نحو العراق العجى ، قبل السلطان مشورته . وكان هذا الوزير مدبوحاً بالرجبة في الالتجاء إلى موطنه الأصلى

بالعراق العجى . D'ohsson : Op. cit., t. i, pp. 141—142.

(١) بسطام : مدينة في مقاطعة قوس وتمتاز بكثرة بساينها ، وإليها ينسب أبو يزيد البسطامى الزاهد . ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٠ ، والقلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٨٩ . راجع أيضاً ص ٥٣ حاشية ٥ .

(٢) في الأصل : عشر .

(٣) أردهن : قلعة من أعمال مدينة الري وعلى مسيرة ثلاثة أيام منها . ياقوت : معجم

البلدان ، ج ١ ص ١٨٩ .

(٤) في الأصل : محاذاتها .

خيول العدو^(١) به كخط في الاستدارة ، فقاتهم بنفسه وشمل القتل جل أصحابه ، وقتل عماد الملك يومئذ فيمن قتل ، ونجا السلطان في نفر يسير من أصحابه وخواصه إلى بلد الجبل ، ثم منها إلى الاستنداد^(٢) وهي أمتع ناحية من نواحي مازندران ذات دربندات ومضائق ، ثم منها إلى حافة البحر . وأقام عند الفريضة^(٣) بقرية من قراها ، فيحضر المسجد ويصلي به إمام القراءة الصلوات الخمس ، ويقرأ له القرآن وهو يبكي وينذر النذور ، ويعاهد الله بإقامة العدل إن كان يكتب سلامته ، ويقيم في الملك دعامته ، إلى أن كبست^(٤) التاتار بها ، ومعهم ركن الدين كبودخانه ، وكان السلطان قد قتل عمه نصرة الدين ، وابن عمه عز الدين كيخسروا ، وملك عليهم بلاده ، فانتهر الفرصة ركن الدين في هذا الوقت ، وانضوى إلى التاتار ، وملك ناحية عمه ، وكانت خالية من المنازعين . فحين هجموا على الضيعة على غفلة من السلطان ، ركب المركب فوقعت منهم سهام في المركب وخاضت خلفه طائفة منهم ، حرصا على أخذ السلطان ، فأشرعهم البدار بوارأ ، وأوردهم الماء ناراً^(٥) .

وحدثني غير واحد ممن كانوا مع السلطان في المركب ، قالوا : كنا نسوق المركب وبالسلطان من علة ذات الجنب ما آيسه^(٦) من الحياة^(٧) وهو يظهر الاكتئاب ضجراً ويقول : لم يبق لنا عما ملكناه من أقاليم الأرض قدر ذراعين نحفر فنقبر . فإلدينا لساكنها بدار ، ولا ركونه إليها سوى

(١) في الأصل : حول العدو .

(٢) كذا في الأصل ولعلها أستناياد أو أستناوند وهي قلعة من أعمال الري . ياقوت :

معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٥ .

(٣) الفريضة : الثمن أو المنياء . (٤) كذا في الأصل .

(٥) يلاحظ أن علاء الدين محمد خوارزم شاه ، عندما أتجه إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية فأراد من وجه القول ، كان قد عزم على الالتجاء إلى الخليفة العباسي في بغداد ، على أن المغول الذين كانوا يلاحقونه لم يتركوا له فرصة لتنفيذ هذه الفكرة ، فاضطر إلى الاتجاه إلى إقليم مازندران . D'ohsson : Op. cit., t. I, pp. 251—252

(٦) آيسه : أقطه . (٧) في الأصل : الحياة .

انخداع واغترار. ما هي إلا رباط يدخل من باب ويخرج من باب، فاعتبروا يا أولى الألباب. قالوا: فلما وصل إلى الجزيرة، سر بذلك سروراً تاماً، وأقام بها طريداً فريداً، لا يملك طارفاً ولا نليداً، والمرضى يزدد. وكان في أهل مازندران ناس يتقربون إليه بالمأكول وما يشتهي، فقال في بعض الأيام: أشتى يكون عندى فرس يرعى حول خيمتى هذه، وقد ضربت له خيمة صغيرة، فلما سمع الملك تاج الدين حسن—وكان من جملة سرهنكيتة^(١) وارثى زمان جلال الدين إلى درجة الملوكة فوفى له حقه بالإحسان والإنعام جزاء له عن خدمته للسلطان في هذه الأيام وملكه أستراباد^(٢) بأعمالها وقلاعها—أهدى إليه فرسا^(٣) أصفر. ومن قبل كان الأمير اختيار الدين أكبر أمير آخورية السلطان^(٤)، وقد ضم إليه ثلاثين ألف فرس يقول: إن المرتب معى ثلاثون ألفاً، ولو شئت جعلتها ستين ألفاً من غير أن أتكلف صرف دينار أو درهم، وذلك أتى استدعى من كل دشار^(٥) خيل السلطان في البلاد جواباً واحداً فيذفون على ثلاثين ألفاً. فليظن المتأمل إلى بعد ما بين الحالتين ويعتبر. نعم ومن حمل إليه في تلك الأيام شيئاً من المأكول وغيره كتب له توقيعاً بمنصب جليل، أو إقطاع طائل، وربما كان الرجل يتولى كتابة التوقيع لنفسه إذ كان لا يوجد عند السلطان من يكتب التواقيع الجورية^(٦)، بل كلها كانت يرسم^(٧) جلال الدين، فلما أحضرها

(١) أى أحد قواده.

(٢) أستراباد: إحدى المدن بإقليم طبرستان. انظر خريطة بلاد فارس

(٣) فى الأصل: فرس.

(٤) نسبة إلى أمير آخور. راجع ص ٩٠ حاشية ٣.

(٥) الدشار أو الجشار، هو مكان رعى الماشية من خيل أو غيرها. المقريزى: السلوك

ج ١ قسم ٢ ص ٤٩٠ حاشية ٢.

(٦) يرجح أن هذه التواقيع قد سميت بهذا الاسم نظراً لأنها كتبت فى تلك الجزيرة ببحر

قزوين التى اعتصم بها علاء الدين محمد خوارزمشاه.

(٧) فى الأصل: برسالة، والقصود هو أن تلك التواقيع كانت كلها باسم جلال الدين

منكبرى، أى موجهة إليه.

إليه عند ظهوره^(١) أمضاها جميعا ، ومن كان معه سكين أو منديل أو علامة من السلطان ياقطاع أو منصب قبلها وقبلها وأمضى حكمها .
ولما حل بالسلطان وهو بالجزيرة حمامه ، وانقضت لانقضاء الدين أيامه ، غسله سُهم الحشم شمس الدين محمود بن يلاغ الجاوش^(٢) ، ومقرب الدين الملقب بمهتر مهتران مقدم الفراشية^(٣) ، وما عنده ما يكفونه به ، فكفنه شمس الدين محمود المذكور بقميصه^(٤) ، ودفن بالجزيرة سنة سبع عشر وستمائة^(٥) .

أذل الملوك وصاد القروم	وصيّر كل عزيز ذليلا
وحفّ الملوك به خاضعين	وزمّوا إليه رعيل رعيلا
فلما تمكن من أمره	وصارت له الأرض إقليلا
وأوهمه العز أن الزمان	إذا رame ارتد عنه كليلا
أتمه المنية مغتظة	وسلّت عليه حساما صقيلا
فلم تغن عنه حماة الرجال	ولم يجد ^(٦) قيل عليه فتिला ^(٧)
كذلك يُسْفعِل بالشامتين	ويغنيهم الدهر جيلا فجئلا ^(٨)

(١) أى بعد عودة جلال الدين من بلاد الهند على أثر رحيل المغول عن أقاليم الدولة الخوارزمية إلى بلادهم .

(٢) الجاويش أو الشاويش أو الجاوش ، لفظ تركى وجمعه جاويشية . والجاويش جندى من رتبة بسيطة يكلفه مخدومه بحمل الرسائل وتبليغها . الميرزى : السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٨٧٠ حاشية ٢ .

(٣) مقدم الفراشية ، هو الذى يشرف على بيت الفراش الذى يحوى البسط المديدة والحيام .

(٤) ذكر السيوطى فى كتابه تاريخ الخلفاء ص ١١٣ ، أن علاء الدين محمد خوارزم شاه كُفّنَ بِشاش فراش كان معه .

(٥) أى سنة ١٢٢٠/١٢٢١ م .

(٦) فى الأصل : يحد .

(٧) فى الأصل : قتيلا .

(٨) وصف ابن الوردى فى كتابه تنمى المختصر فى أخبار البشر ص ١٥٥ ، حال علاء الدين

محمد خوارزم شاه فى أواخر أيامه بقوله :

وفارق المسكين أوطانه

وكم حوى من جوهر مشن

وملكه ممنحنا بالمرس

فأفدى الجوهر هذا العرض

ذكر وصول شهاب الدين الخيوق^(١)

من خوارزم إلى نساء
وحصار التاتار نساء وإهلاك وإهلاك العامة بها

كان شهاب الدين أبو سعد بن عمران فقيها فاضلا مبرزاً مفتياً في مذهب الشافعي رضي الله عنه . وقد جمع إلى الفقه ، اللغة والطب والخلاف وسائر العلوم والفصاحة واللسن والتدبير الحسن ، فالمشتري يشتري سعادته ، وعطارده^(٢) تليذ إفادته ، وثاقب النجم عبد دهائه ، وصائب الفسك خادماً رأيه . ونال عند السلطان من الرتبة ما ليس وراءها لا بتغاء العُلى أمد ، فيما فوق السماء للسمو مصعد ، فكان يشاوره في الأمور العظام ، ويفاوضه في جلائل الأمور . فكنت ترى ملوك الأرض ووزراءها وذوى المراتب العلية من أمرائها وقوفاً ، على بابه صفوفاً ، وهو يدرس الأئمة على جاري عادته . وكان إليه تدريس خمس مدارس بخوارزم ، وهو لا يبطل الدرس

(١) قرأ هوداس Houdas هذا الاسم في النسخة الخطية قراءات ثلاثاً : أولاً « الحيرق » كما جاء في هذا الموضع من الكتاب ، وثانياً « الخيوق » كما جاء في الطبعة العربية ص ٥١ ، ٥٢ ، أما القراءة الثالثة فكانت « الخيوق » كما جاء في صفحة ٥٨ من الطبعة العربية أيضاً . وقد ظننت بادئ الأمر أن ذلك ما هو إلا نتيجة خطأ في الطباعة ، فلما رجعت إلى الترجمة الفرنسية وجدت أنه ترجمها مع الأسف ترجمات ثلاثاً : الحيرق EL-Hâiraqi ، الخيوق EL-Khéyouqi ، الخيوق EL-Khabouqi .

ولما كانت النسخة الخطية ، وهي محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس ، ليست في متناولنا ، فقد حاولت أن أقف على صحة هذا الاسم بالاستعانة بالمراجع الأخرى . وقد اهتمت إلى أن صحته « الخيوق » أو « الخيوق » نسبة إلى مدينة « خيوق أو خيوق » ، إحدى مدن خوارزم ، وتسمى أيضاً خيوه . وتتمايز هذه المدينة كما يقول ياقوت ، باعتناق أهلها المذهب الشافعي على حين أن أهالي سائر مدن خوارزم يمتثلون للمذهب الحنفي . انظر ياقوت : معجم البلدان .

ج ٣ ص ٥٠٣ .

. (٢) المشتري وعطارده : من أسماء النجوم .

فيها إلى أن يزكت^(١) ، فتكلمه حجابيه في أمور أولئك . وربما كان ذوالحاجة يقيم على الباب متردداً سنة أو أكثر ، فلم تقض حاجته لكثرة الأشغال ، واتساع العرضة في الملك ، وتزاحم ذوى اللبانات . واحتاج السلطان إلى اتخاذ طابع لعلامته وهى : « اعتمادى على الله وحده » . واستناب في تعليم التواقيع بالطابع أكبر بناته خان سلطان ، إذ^(٢) التواقيع كثرت حتى كان تعليمها يستغرق أكثر الأوقات ويشغله عن سائر المهام ، فما كان يعلم في السنين الأخيرة إلا على توقيع يتضمن أمراً جليلاً^(٣) .

وكان مما يدل على جلال قدر شهاب الدين أبى سعد ، أن الرسالة إذا خرجت على لسان ملك من الملوك كائناً من كان يذكر بعد الوزير في آخر التوقيع ، وأما شهاب الدين فلا يذكر ، تعظيماً له وإجلالاً لقدره عن أن يذكر بعد الوزير ، بل يكتب « بالامر الأعلى » ، أعلاه الله ، والمثال العالى لا زال عالياً بما ذكرناه ، من ألقاب الوزير . ثم يكتب حسب الرسالة الواردة بالإملاء . وقد بنى^(٤) [شهاب الدين] بخوارزم في جامع الشافعية^(٥) دار كتب لم ير قبلها ولا بعدها مثلها . فلما عزم على الخروج من خوارزم ، وقد أيس من العود إليها ، ضن بتركها فاستصحب نفائسها . ووقعت بعد مقتله بنساء في أيدي العوام والسوقة ، فكنت أتبعها وأجمعها ، وظفرت بعده

(١) زكت الإثناء ملأه ، وزكته الحديث أوعيته إياه . والمبنى المقصود الذى يفهم من سياق الكلام هو الانتهاء من البحث والدرس .

(٢) فى الأصل : إذا .

(٣) كان علاء الدين محمد خوارزم شاه ، منذ تربع على عرش الدولة الخوارزمية ، فى شغل شاغل بمشاكله المديدة الخارجية عن النظر فى أحوال دولته الداخلية . فقد شغل بتحقيق أهدافه التى رسمها لنفسه والتى تتمثل فى الاجهاز على الدولة التورية بالاستيلاء على حاضرتها غزنة ، وفى توسيع أملاك الدولة الخوارزمية على حساب دولة الخطا فى الشرق ، وتوسيع أملاكه فى الغرب على حساب الخلافة العباسية بوجه خاص . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والمنقول ، ص ٢٥ — ٢٧ ، ٣٥ — ٤٦ ، ص ٦٠ — ٦٣ .

(٤) فى الأصل : بنا .

(٥) فى الأصل : الشفوية . وقد تقدم أن شهاب الدين المذكور كان من فقهاء الذهب الشافعى .

بنفائس منها إلى أن وقعت في تجاذب أيدي الغربية مشرق أرض مرة ومغرباً
تخلّفها بما حريته من الموروث والمكتسب بالقلعة ، ولم أنحسر^(١) مما خلفت
بها إلا على الكتب .

ولما وصل المذكور إلى نساء ، ومعه خلق كثير من أهل خوارزم ،
أقام بها ينتظر تجدد الأخبار من جهة السلطان ليقتصد خدمته ، فورد الخبر
بوروده بنيسابور ورحيله عنها من غير تلوم ، وتخير شهاب الدين في أمره ،
فذهب عليه أمره ، وأبهم عليه رأيه ، إلى أن وصل بهاء الدين محمد بن سهل
وهو أمير من أمراء نساء ، وذكر أن السلطان لما وليّ بجفلا^(٢) تقدم إليه
بأن يمشى إلى نساء ويحذر الناس ويقول لهم : إن هذا العدو ليس كسائر
العساكر ، والرأى تخليّة البلاد والتسحب إلى البراري والجبال ريثما يجمعون^(٣)
من الغارات ما تملأ به أعينهم وأيديهم ، فيرجعون ويسلم الناس من فاجيء
ركضتهم^(٤) . ثم لو قدر أهل نساء على عمارة قلعتهم ، وكان السلطان قد خربها ،
فقد أدنا لهم في عمارتها والتحصن بها . وكان السلطان تكش تجشم^(٥)
لاستخلاصها مراراً فلم يقدر عليها . وحين أيس من استصفائها لنفسه ،
صالح صاحبها عماد الدين محمد بن عمر بن حمزة فأدخله في ربة طاعته ،
واستهضه صحبته لاستخلاص سائر بلاد خراسان الدانية منها والقاصية ،
فلم يترك بها بلدة عاصية . وحين توفي عماد الدين بعد تكش بسنة أو أقل^(٦)

(١) في الأصل : أنحسر .

(٢) أي فاراً من وجه المغول إلى الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية .

(٣) في الأصل : فيجمعون .

(٤) يتفق النسوي مع ما ذكره سيكس Sykes في هذا المقام من أن علاء الدين محمد
خوارزم شاه لم يجمع جيشاً واحداً قوياً يواجه به المغول عند ما شرعوا في غزو الدولة
الخوارزمية ، بل وزع قواته على المدن المختلفة ظناً منه أن جنكيزخان سيكتفي من البلاد
الاسلامية بنهب ما يصل إلى يديه من القنائم والأسلاب ومن ثم يعود إلى حيث أتى .

انظر Sykes : Op. cit., p. 56.

(٥) في الأصل : تجشم .

(٦) توفي علاء الدين تكش خوارزم شاه سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩ م) .

مات ابنه الكبير ولى عهده ناصر الدين سعيد بعد وفاة والده بستة أشهر ، وقد قيل إنه كان دسّ على والده من سقاه سمّاً قاتلاً ، فلم يتمتع بعده بالملك طائلاً. ووجه السلطان إلى نساء وحمل صغار أولاده وخزائنه إلى خوارزم ، فأقاموا بها محصورين إلى حين خروج التاتار فتخلصوا على ما سذكروه .

وأمر السلطان ، لما ملك نساء عليهم ، بتخريب قلعتها فقلعت من ^(١) أساسها وسووا القدن فيها بالمجاريف ^(٢) ، حتى فرقت بمجوع ترابها وزرعوا فيها الشعير تشقياً ، وكانت من عجائب القلاع المبنية على التلول . ومن صفتها أنها كانت كبيرة جداً ، تسع خلقاً كثيراً ، وليس أحد من أهل المدينة ، غنياً كان أو فقيراً ، إلا وله فيها دار ، وبنت في وسطها أخرى للسلطنة أعلى ^(٣) منها ، والماء يجري منها إلى التي تحتها ، والتي تحتها لم ينبع الماء فيها إلا بعد حفر سبعين ذراعاً ^(٤) . وسبب ذلك ، على ما قيل ، أن المرتفعة منها كانت جبلاً فيه عين ماء والتي تحتها مجموعة من تراب جمع إلى ذيلها لما صارت نساء في زمن كستاسف ملك الفرس ثغراً حاجزاً ، وحداً حائلاً بين الترك والفرس ، سخرت أهل البلاد لجمع ذلك التراب إلى ذيل الجبل فكبرت القلعة .

(١) في الأصل : عن .

(٢) في الأصل : وسدوا القدن فيها بالمجاريف . والقدن جمع فدان ، مساحة من الأرض . والمقصود إعداد أرض القلعة للزراعة بعد هدمها .

(٣) في الأصل : أعلا .

(٤) من الثابت أن الحروب المستمرة التي سادت عصر الخوارزميين ، كان لها أثرها في حياتهم العامة وفي مدنهم المختلفة ، فترام يحيطون هذه المدن بالأسوار المنيعه ، ويشيدون قصورهم ومبانيهم داخل هذه الأسوار ، وفضلاً عن ذلك فقد شيدوا القلاع داخل المدن ليلجأ إليها السكان المدينون والعسكريون إذا ما هدد المدينة خطر خارجي ، ولذلك لم يقتصر الأهالي على تشييد الشككات العسكرية فيها ، بل امتلأت هذه القلاع بالنازل التي أعدت خصيصاً لإيواء الأهالي إذا ما دعا الداعي . وكان غالبية السكان ، من أبناء المدينة وفقرائها ، يملكون المنازل في هذه القلاع ، كما احتفظ السلطان نفسه بقصر في كثير منها .

نعم ولما سمعوا ما ذكره بهاء الدين محمد بن أبي سهل عن لسان السلطان ، اختاروا عمارة القلعة على الحلاء ، وشرع الوزير ظهير الدين مسعود بن المثور الشاى فى عمارتها بالسخرة ، وغيّر هافينى^(١) عليها حائطاً يشبه حيّطان البساتين ، وتحصّن الناس بها . وأقام عندهم شهاب الدين أبو سعد بن عمر الخيوقى^(٢) وجماعة من أهل خوارزم . ولما علم الأمير تاج الدين محمد بن صاعد وخاله الأمير عز الدين كيخسرو^(٣) وجماعة من أمراء خراسان بإقامة المذكور بها رغبوا فى الامتداد إليه ، والإقامة أيام المحنة لديه ، ليكون ذلك ذخراً لهم عند السلطان نافعاً ، وحجاباً بينهم وبين مكائدهم بنى الزمان دافعاً .

واتفق أن جنكزخان جرّده إلى خراسان صهره تفجار نوين^(٤) ، وأمير أمن قواده اسمه يركا نوين فى عشرة آلاف^(٥) فارس لنهبها وإحراقها وامتصاص نخ عظامها ودم أعراقها ، والتجريح على بقايا ورزايا^(٦) أرمها^(٧) . فوصلت عوارة^(٨) منهم إلى نساء مقدمها أمير يعرف بيل كوش^(٩) ، فترامى

(١) فى الأصل : فبنا .

(٢) سبق أن ورد هذا الاسم فى صدر هذا الفصل «شهاب الدين أبوسعدين عمران» . ولم يتحقّق هوداس Houdas من صحة هذا الاسم أثناء قراءة النسخة الخطيّة ، بل نرى على العكس من ذلك أن هذا اللبس ينتقل إلى الترجمة الفرنسية أيضاً . وقد حاولت دون جدوى أن أقف على صحة هذا الاسم بالرجوع إلى بعض المراجع العربية الأخرى . انظر ص ٤٨ ، ٥١ من طبعة هوداس العربية و ص ٨٢ ، ٨٦ من الطبعة الفرنسية ، وانظر أيضاً ص ١٠٩ حاشية ١ من هذه الطبعة .

(٣) فى الأصل : كيخسروا .

(٤) لفظ نوين مضاه أمير أو سيد أو قائد . راجع ص ٤٦ حاشية ١ . ولعل المقصود بفجار نوين القائد Togatcher كما جاء فى كتاب دوسون . انظر D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 274.

(٥) فى الأصل : عشرة ألف .

(٦) فى الأصل : رذايا .

(٧) أرماق : جمع رمق ، وهو بقية الحياة .

(٨) كذا فى الأصل ، ويفهم من سياق الكلام أن المعنى المقصود هو الفرقة الصغيرة ، كما يستدل على هذا المعنى أيضاً بما ذكره دوسون وهو فى معرض كلامه عن حصار مدينة نساء . انظر D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 275.

(٩) ذكر دوسون ، نقلاً عن كتاب جهان گشا ، أن اسمه بيل كوش Belgousch وليس بيل كوش . انظر D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 275.

الناس إليهم مقابلين ، ووقع نشابة في صدر يل كوش نخر ميتا ، فنفقوا بذلك على أهل نساء ، وقدّموا حصارها على حصار سائر المدن بخراسان ، فساقوا إليها في الطيم والريم^(١) ، والليل المدلهم ، وحوصرت قلعتها خمسة عشر يوما لم يفتروا عن القتال^(٢) ليلا ولا نهارا ، ونصب عليها عشرون منجنيقا تجذبها الرجال الذين جمعوا^(٣) من أطراف خراسان ، وكانوا يسوقون الأسارى تحت الحركات^(٤) ، وهى بيوت على وضع الجمون . أخذت من الخشب ، ولبست بالجلود . فلو رجعوا ولم يوصلوها إلى السور ضربت رقابهم . فكان هذا دأبهم إلى أن ثلوا فيها ثلثة لانتسد ، ثم لبس^(٥) التاتار بأجمعهم لامة حربهم وزحفوا عليها ليلا ، فلكوا السور ، وانتشروا عليه . والناس قد استخفوا في بيوتهم إلى أن أضاء النهار نزلوا إليهم من السور ، فساقوهم إلى فضاء وراء البساتين يسمى عدربان^(٦) كأنهم قطعان الضأنية تسوقها الرعاة . ولم يمد التاتار أيديهم إلى سلب ونهب ، إلى أن حشروهم إلى ذلك الفضاء الواسع^(٧) بالصغار والنساء ، والضجيج يشق

(١) جاء بالطم والرم أى بالمال الكثير .

(٢) فى الأصل : لم يفتروا القتال .

(٣) فى الأصل : التى جمعت .

(٤) لعل المقصود بلفظ « الحركات » هو الدبابات ، جمع دبابة ، وكانت أشبه ما تكون بالبرج المتحرك ، له أحيانا أربعة أذوار ، أولها من الخشب ، وثانيها من الرصاص ، وثالثها من الحديد ، ورابعها من النحاس الأصفر . ويتحرك هذا البرج الهائل على مجلات ، وتصد إلى طبقاته الجنود لمهاجمة الحصون وتسلق الأسوار . ويتصل بكل دبابة آلة تسمى كبش ، تجمع على كبوش وأكبش ، لها رأس ضخيم وقرنان تدفعها الجنود نحو الأسوار لتهدمها . انظر المفريزى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٥٦ حاشية ٨ . وانظر أيضا كتاب السلاح فى الإسلام للقائم عبد الرحمن زكى ، ص ٢٤ — ٢٥ .

(٥) فى الأصل : لبسوا .

(٦) ذكر هوداس Houdas أن هذا الاسم ورد فى النسخة الخطية دون تنقيط ، ولنا يمحتمل أن يكون أيضا غدربان أو غدريان .

(٧) فى الأصل : الواسعة .

جلباب السماء ، والصياح يسد^(١) منافذ الهوام^(٢) ، ثم أمروا الناس بان يكتف^(٣) بعضهم بعضا ، ففعلوا ذلك خذلانا ، وإلا فلو تفرقوا وطلبوا الخلاص عدواً من غير قتال ، والجبل قريب ، لنجا أكثرهم . فحين كتفوا جاءوا إليهم بالقوس وأضجعوهم على العدا^(٤) وأطعموهم سباع الأرض وطيور الهوام^(٥) . فن دماء مسفوكه ، وستور مهتوكة ، وصغار على ثدى أمهاتها المقتولة متروكة . وكان عدة من قتل بلسان من أهلها ، ومن انضوى إليها من الغرباء ورعية بلدها سبعين ألفاً^(٦) ، وهي كورة من كور خراسان^(٧) . وأحضر شهاب الدين الخيوق^(٨) وانه السيد الفاضل تاج الدين بين يدي تفجار نوين ويركا ، مكتوفين ، وأحضرت صناديق خزائنه ففرغوها وهم وقوف ، إلى أن حال الذهب بينه وبينهما ، فقتلا شهيدين . وهو الآن مدفون بنساء بمزار تسمى ميل جفنة .

(٢) في الأصل : الهوى .

(١) في الأصل : تسد .

(٣) في الأصل : يكتفوا .

(٤) في الأصل : العدى . والعدا مقصور عداً ومفرده عدو وهو حجر رقيق يستريحه الشيء . وعدو كل شيء طواره .

(٦) في الأصل : سبعون الفا .

(٥) في الأصل : الهوى .

(٧) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن القول تمكنوا من الاستيلاء على مدينة نساء بسنة

٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) .

(٨) راجع ص ١٠٩ حاشية ١ .

ذكر نبد بما جرى بخراسان بعد السلطان
بجمل ولا حاجة إلى التفصيل ، إذ الأحوال تشبه بعضها بعضاً
وليس إلا عموم القتل وشمول التخريب

لما رحل السلطان إلى العراق مجفلاً ، ولما وراه من بلاد خراسان
مهملاً ، وتبعه يمه نوين^(١) وسبطى بهادر^(٢) طالبين ، وعبر النهر إلى
خراسان تفجار ويركا اللعينان ، وجرى بنساء ماذكرناه ، تفرقوا في نواحي
خراسان فصاروا فرقا ، وانتشروا خرقا ، فكان إذا ساق ألف فارس منهم
إلى ناحية من نواحيها يجمع رجاله رساتيقها ، فيسوق بهم إلى المدينة فيدير^(٣)
بهم المجانيق ، ويأخذ بهم النقوب إلى أن يستولى عليها ، فلم يترك بها نافخ نار
ولا ساكن دار . واستولى الرعب على النفوس حتى أن الذي أسر كان
أروح سراً من القاعد في بيته ينتظر الحادثة .

وكننت حينئذ بقلعتي المعروفة بخرنندر^(٤) ، وهي من أمهات قلاع
خراسان ، ولست أعرف أول من ملكها من أسلافي . وقد اختلفت

(١) سبق أن ذكر هذا الاسم « نعه نوين » ، وكان ذلك وفقاً لقراءة هوداس في
النسخة الخطية . ولم يتحقق هوداس من صحة هذا الاسم بل لم يتنبه إلى هذا التناقض في الترجمة
الفرنسية فترجمها مرة « نعه Nemeh » ومرة أخرى « يمه Yemeh » . وسواء أكان الأصل
هو نعه نوين أو يمه نوين ، فالمقصود به القائد المغولي شي (چيه) Tchébé ، كما سبق
ذكرنا . راجع ص ١٠٢ حاشية ١ .

(٢) المقصود بسبطى بهادر ، القائد المغولي Souboutai . انظر . Dohsson : Op. cit., t.

i, p. 240.

(٣) في الأصل : فيدير .

(٤) راجع صفحة ٧٩ حاشية ١ .

الآقاويل فيها على حسب الأهواء ، وليس يمكننى أن أذكر^(١) إلا الصحيح ،
 وهم يعتقدون أنها في أيديهم من بدم الإسلام وإسفار صبحه بخراسان والله
 أعلم بذلك ؛ فقد بقيت إذ ذاك والدنيا تموج بالفتن مهربا للأسرى وملجأ
 للخائفين ، إذ هي واسطة البلاء وحققة العمران ، فكان أرباب الحشمة
 وذوو^(٢) الصيت من أهل النعمة ، يهربون إليها حفاة عراة ، وأكسوم بقدر
 الإمكان عراهم ، وأساعدهم على ماعراهم ، ثم أوصلهم إلى من أخطأته
 السيوف من أهاليهم ، فلا زالوا^(٣) كذلك إلى أن كبسوا خراسان عن
 آخرها ، وقفز إليهم شخص يسمى حبش من كالجبه ، وهي ضيعة من ضياع
 استواخبوشان^(٤) ، وكان « سرهنكا »^(٥) فلقبوه ملكا ، استهزاء وسخرية ،
 وقد موه على المرتدة ، وولوه أمر المجانيق ، وتدير الرجالة . ففى الناس منه
 بالدهاية الدهيام^(٦) ، والخطبة النكراء^(٧) والعذاب المنزل من السماء . وقد
 دخل فى المداخل الخبيثة ، وأخذ يكاتب رؤساء الضياع . وكانت ضياع
 خراسان ذوات أسوار وخنادق وجوامع ، والرؤساء بها أرباب مكنة ،
 فيأمر الواحد منهم أن يقوم بنفسه ورعيته فيحضر بالفؤوس والمعاول
 وما يقدر عليه من القسى وآلات الحصار ، فإن أجاب إلى ذلك حاصر بهم
 مدينة من المدن فيستولى عليها ويصب^(٨) عليهم صوت عذاب ، وإن تقاعد
 عنه وتعلل مشى إليه وحاصره فأخرجه ومن معه وعسّر^(٩) عليهم^(١٠) على السيف ،
 وأوردتهم مورد الختف .

وقد آخر^(١٠) أمر نيسابور وحصارها عن سائر الكور التي كانت معدودة

-
- (١) فى الأصل : ليس يمكننى أذكر .
 (٢) فى الأصل : دووا .
 (٣) أى المنول .
 (٤) ناحية من نواحى نيسابور .
 (٥) سرهنكا : رتبة عسكرية .
 (٦) فى الأصل : الدهيا .
 (٧) فى الأصل : النكرا .
 (٨) فى الأصل : يصب .
 (٩) فى الأصل : عرّضهم .
 (١٠) أى المنول .

في توابعها إلى أن وقع الفراغ من تخريبها ، وكانت تنيف عن عشرين مدينة ، ثم قصدوا نيسابور في عامتهم^(١) ، لينذيقوا أهلها نكال طامستهم ، ويجمعون^(٢) إليها من كان منهم في أطراف خراسان أقواماً متفرقة ، حتى إذا قابروها خرج أهل المناوشين ، فأصابت صدر تفجار اللعين نشابة تمكنت من^(٣) محل سره ، وأراحت الناس من شره ، فانتقل إلى نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة . وعلم^(٤) التاتار لما شاهدوا غلبة العوام أنها لا تحاصر إلا بمدد يأتهم^(٥) فتأخروا عنها وكاتبوا جنكزخان مستمدين مستجدين ، فأمدهم بقيقو نوين ، وقديوقا نوين ، وطولن حربي ، وعدة أمراء آخرين في زهاء خمسين ألف فارس^(٦) . فخطوا عليها ، وأحاطوا بها في أواخر سنة ثمان عشرة^(٧) ومستمائة ، وذلك بعد تسحب جلال الدين إلى الهند على ما سئذكره إن شاء الله^(٨) . فلما قابروها ، أقاموا شرقيا بقرية نوشجان ، ذات أشجار كثيرة ومياه غزيرة ، إلى أن أزاحوا عليهم بها في المتارس . والدبابات والمجانيق والجلونات ، فساقوا إليها ونصبوا في نهارهم ذلك ، مائتي منجنيق مكملة الأسباب ، فرموا بها واستولوا عليها بعد ثلاثة أيام

(١) تقدم القول إلى مدينة نيسابور سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) .

(٢) في الأصل : ويجمع . (٣) في الأصل : عن .

(٤) في الأصل : علموا . (٥) في الأصل : تأتهم .

(٦) الثابت أن الجيوش المغولية التي وكل إليها أمر الاستيلاء على مدينة نيسابور كانت

بقيادة تولوي بن جنكيزخان . انظر D'ohsson : Op. cit., t. I, p. 288.

(٧) في الأصل : ثمان عشر .

(٨) من الأمور التي تسترعى النظر في هذه المناسبة ، أن مدينة نيسابور قد خربت مرتين في غضون نصف قرن ، مرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) على يد الأتراك الغز الذين ثاروا في وجه السلطان سنجر السلجوقي واكتسحوا خراسان ، ومرة أخرى سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨ م) بتأثير هزة أرضية عنيفة حتى اضطر الأهالي إلى الهجرة والسكنى في الأراضي الصحراوية المحيطة بالمدينة ردحا من الزمن ؟ وبعد أن استعادت نيسابور بهاءها وعمرت بسكانها ومبانيها ، قدر لها أن تخرب للمرة الثالثة على يد تولوي . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ٧٩—٨٢ ، ج ١٢ ص ١٣١ .

فألحقوها بسائر المدن فصارت كغيرها ، وقد سال بها السيل ، وطاف بها
الويل ، وناح عليها النهار والليل . ثم أمروا الأسارى فبسطوها بالمجاريف
حتى صارت أرضاً ملساء ، لامدرة بها ولاصخرة ، يأمن فيها الفارس العثرة ،
فلعبوا فيها بالأكرة^(١) . ومات أكثر أهلها تحت الأرض إذ كانوا قد
اتخذوا بها سراديب ونقوباً ظناً أنها^(٢) مانعتهم^(٣) .

وحين طلع جلال الدين من الهند ، على ما أتى شرحه ، وملك إقليم
خراسان وما يليه من العراق ومازندران على خرابها ، ثمّنوا^(٤) الدفائن بها
كل سنة ثلاثين ألف دينار ، وربما كان الضامن يأخذ هذا المقدار ويظفر
به في يوم واحد ، إذ كانت الأموال بقيت مدفونة في السراديب مع
أصحابها . فهذا قياس مطرد في سائر مدن خراسان ، وخوارزم ، والعراق ،
ومازندران ، وأذربيجان ، والغور ، وغزنة ، وباميان ، وسجستان ، إلى
تقوم الهند . فلو ذكرت مفصلة لم يتغير فيه إلا اسم المحاصر والمحاصر ،
فلا حاجة إلى التطويل في ذلك .

(١) راجع ص ٦٠ حاشية ١ . وللقصود هنا أن مباني هذه المدينة قد اقتلعت من أساسها
وأصبحت أرضها سالحة لأن تجري بها لعبة الأكرة .
(٢) في الأصل : أن .

(٣) عمد القول إلى الإجهاد على جميع سكان مدينة نيسابور انتقاماً لمقتل توجاشر
Togatcher (تنجار) زوج ابنه جنكيزخان الذي قتل أمام هذه المدينة ، لذلك عول تولوي
على ألا يترك آدمياً من سكانها ، بل لم يترك للقول أيضاً القلط والكلاب . انظر
D'ohsson : Op. cit., t. i, pp. 278 & 290 . يل يروي في هذا الصدد أن تولوي ، لما رأى
بعض السكان يتلمسون النجاة بالرقاد بين جثث القتلى ، أمر بقطع جميع رؤوس القتلى ، ووضع
هذه الرؤوس في جانب والأجساد في جانب آخر . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢
ص ١٨١ . وقد قدر عدد من قتل من سكان هذه المدينة بنحو ١,٧٤٧,٠٠٠ نسمة .
انظر Douglas : The Life of Jenghiz-Khan, p. 23.
(٤) في الأصل : شمنوا .

ذكر تولية السلطان ولاية العهد ولده جلال الدين منكبرتي وخلع ولده قطب الدين أزلاغ شاه

قد ذكرنا أن ولاية العهد كانت لقطب الدين أزلاغ شاه ، لما كان يقتضى الوقت من مسدرة رأى تُركان خاتون وتببع مرادها ، على حالتي قريها وبعادها^(١) . فلما اشتد المرض بالسلطان بالجزيرة وبلغه أن والدته قد أسرت^(٢) ، أحضر جلال الدين وأخويه الحاضرين بالجزيرة ، أزلاغ شاه وأق شاه ، وقال : إن عرى السلطنة قد انفصمت ، والدولة قد وهت قواعدها وتهدمت ، وهذا العدو قد تأكدت أسبابه وتشبثت بالملك أظفاره وتعلقت أنيابه ، وليس يأخذ نأرى منه إلا ولدى منكبرتي ، وهأنذا^(٣) موليه العهد ، فعليكم بطاعته ، والانخراط في سلك تباعته . وشد سيفه بيده على وسط جلال الدين ، فلم يلبث بعده إلا أياماً قلائل حتى قضى نحبه ، ولحق بربه ، فنقل إلى حفرته بحسرتة ، رحمه الله تعالى .

(١) راجع س ٧١ .

(٢) راجع س ١٠٤ - ١٠٨ . وانظر أيضاً كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ،

س ١٣١ - ١٣٢ ، س ١٣٧ - ١٣٨ .

(٣) في الأصل : هأنذا .

ذكر حال خوارزم بعد جلاء تركان خاتون عنها

ولما أجلتها المذكورة ، وأخلت بها ، ولم تترك بها من يقوم بضبط الأمور وسياسة الجمهور ، تولى أمرها على كوه دروغان ، وكان رجلاً عياراً مصارعاً ، وقد سمي كوه دروغان لعظم أكاذيبه — ومعناه أكاذيب كالجبال ، ووقع الناس من سوء تديره وعدم خبرته بقوانين السياسة وقلة حظه من أدوات الرياسة في خباط واختلاط ، وزالت هيبة الملك ، واستراحت النفوس إلى ما في طبائعها من التفاضل^(١) والتباين ، والتشاحن والتضامن . وبقيت أموال الديوان خلسة لكل محتلس ، ونهزة لكل مفترس . وكان المذكور إذا كتب وصولاً إلى بعض الجهات لجباية خراجها بمائة ألف دينار تقديراً ، فحملت إليه منها ألف دينار ، يسر بذلك ويقع عنده أنها موهبة سمحوا بها عليه ، ومحبة فيه ، وولاء له ، إلى أن رجع إلى خوارزم بعض نواب الديوان بعد وفاة السلطان مثل عماد الدين المشرف وشرف الدين كيك ، فرورا كتباً سلطانية ، ولم يعلم الناس بعد وفاة السلطان ، فضبطوا أموال الديوان ، وانزجر كوه دروغان بعض انزجار حيث إنه سمع أن السلطان باق وأنه في قبالة التاتار ، واستمر الحال على ذلك إلى أن رجع إليها جلال الدين وأخواه أزلاغ شاه وأق شاه بعد وفاة السلطان .

(١) كنا في الأصل ، ولعلها التفاضل .

ذكر عود جلال الدين وأخويه أزلاغ شاه وأق شاه إلى خوارزم

لما اندرج السلطان إلى رحمة الله ودفن بالجزيرة على ما سبق شرحه^(١) ، ركب جلال الدين البحر إلى خوارزم بأخويه المذكورين ، وهم زهاء سبعين فارس . فلما قاربوها ، التقوهم من خوارزم من الدواب والأسلحة والأعلام بما حسنت به حالهم ، وأخل بهم اختلاطهم ، وتباشر^(٢) الناس بقدمهم تباشر من أعضل دأوه فظفر بدوائه ، أو عسر لقاءه فعاد إلى أودائه ، واجتمعت عندهم من العساكر السلطانية من أضرتهم البوادي ، ونقضتهم المجالس والنوادي بخوارزم ، زهاء سبعة آلاف فارس أكثرهم البياووتية^(٣) مقدمهم توخي بهلوان الملقب بقتلغ خان . فالوا إلى أزلاغ شاه للقرابة ، وأنكروا عليه رضاه بالخلع كفراناً للنعمة ، وتواطوا^(٤) على أن يقبضوا على جلال الدين^(٥) فيسملوه أو يقتلوه^(٦) ، وأحس أينانج خان بما دبر عليه فأعلمه بذلك ، وأشار عليه بالرحيل ، فرحل صاعداً صوب خراسان في ثلاثمائة فارس مقدمهم دمر ملك ، وأقام^(٧) أولئك بخوارزم بعده ثلاثة أيام ، ووافاهم الخبر المزعج بحركة التانار صوب خوارزم من جهة ماوراء النهر ، فرحلوا على أثر جلال الدين صوب خراسان . وسنذكر ماجرى لهم وله بعد الرحيل فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(١) راجع ص ١٠٤ — ١٠٨ . (٢) في الأصل : تباشروا .

(٣) نسبة إلى قبيلة بياووت وهي فرع من قبائل كانكال *Canakia* التي كانت تقيم في السهول الواقعة في شمال خوارزم والشمال المشرق من بحر قزوين . انظر *D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 196*

(٤) في الأصل : تواطوا . (٥) في الأصل : على أن يقبضوا جلال الدين .

(٦) في الأصل : فيسملونه أو يقتلونه . (٧) في الأصل : أقاموا .

ذكر نظام الدين السمعاني وإقامته عندى

بقلعتي^(١) خرنندز مدة ، وخروجه عنها في غير الوقت انزعاجا

كان نظام الدين السمعاني من بيت الفضل والرياسة ، ذا حماس موروثه منذ تعاقب الضوء والظلام ، وترادفت الليالي والأيام ، لا ينكر ذوو^(٢) البيوتات الشريفة محتدم ، من يلق منهم يقل^(٣) لا قيت سيّدهم . وكان المذكور حراً فاضلاً ، بل نجماً في الفضائل كأن يَخْرُ^(٤) النجم دونه ، والفصحاء كأدوا يعبدونه ، متى ينطق فقل : لافض فوه ، وإن يكتب فقل : لاشل عَشْرُهُ^(٥) .

وقد نقل إلى خوارزم ، رغبة من السلطان في أن يكون مثله في ملازمته يشاوره في أمور الملك وتدايرها ، ونال من السلطان رتبة محسودة ومنزلة مغبوظة . ولما تخلف عن الخدمة السلطانية ، أراد تحصين بعض القلاع ما أبقى^(٦) المخافة^(٧) ، من حشاشة نفس لفظتها الآفة . فوصل إلى قلعة خرنندز وأقام بها شهرين ؛ وكان مع جلال قدره ، وعظم محله ، وعظ في القلعة عدة مرار لحرقة باله ، وتراجع آماله . ولعله لوسيم بخوارزم أن يعظه ، إذ الناس^(٨) ناس ، والزمان زمان ، كان يابى ذلك إذا ذكر السلطان في وعظه ، ولم يملك البكاء ، مما زاد في وعظه على نياح ، والسامعون على بكاء وصياح . ولما استولى التاتار على نساء^(٩) ، وهى أول مدينة استولوا عليها من

(١) أى قلعة محمد النسوى .

(٢) في الأصل : ذووا . (٣) في الأصل : يقول .

(٤) في الأصل : تخمر . ويخر بمعنى يسقط .

(٥) المقصود هنا أصابع اليد العشرة . والمعنى المقصود هو ما يمتق وما يقوله الرب : لا شئت يمينه .

(٦) في الأصل : ابتته .

(٧) في الأصل : المخافة . وقد صحها هوداس في الترجمة الفرنسية : « المخافة » ، والواقع أنها لا هذا ولا ذاك ، وإنما هي المخافة ، كما يفهم من سياق الكلام .

(٨) في الأصل : إذا الناس . (٩) كان ذلك في سنة ٦١٧ هـ (١٢٣٠ م) .

مدن خراسان — وبلغه قتله الإمام شهاب الدين الخيوقى^(١) رحمه الله بها ، أدركه الوجل ، واستولى عليه الهول والوهل . وكان يدور معى على شفقان القلعة ، فيرى منها مواضع تزلق النمل طالعة ، وتعجز الطير فى حوماتها قارعة ، فيقول : هاهنا يطلع التاتار . واتفق أن ناجن نوين^(٢) وكان من كبار الطاغية^(٣) ، وصل^(٤) إلى القلعة ثالث يوم استيلائهم على نساء ، وحط عليها حيث تمكن النزول وهو جانب واحد^(٥) . [ولما رأى^(٦) نظام الدين ذلك خانه^(٧) الصبر ، وأهلكه^(٨) الذعر ، وألح على^(٩) أن أدليه بالجبال من بعض جهاتها المأمونة^(١٠) ، بحاشيته ودوابه ، وغلمانة وأسبابه ، ففعلت ذلك على إنكار مضممر بل مظهر ، وتعجبت مما داخل أعوان الدولة وأعيانها من الوجل الذى لم يعتقدوا معه أن قلعة تمنع ، أو صولة ترد وتدفع ، نعوذ بالله من الخذلان .

فنزول المذكور ليلاً بالجبال من غربها ، والتاتار نازلون بشرقيها . وكانوا إذا نزلوا من السقيف إلى التل ، وهو تن لايسلك ، يتدحرجون إلى أسفل التل ، فانكسر لهم بعض الدواب ، ووصل المذكور إلى خوارزم وبها أولاد السلطان ، مُنْصَرَفُهُمْ^(١١) من الجزيرة ، وميرلى من أزلاغ شاه توقيعاً بإقطاع جليل .

(١) فى الأصل : الخيوقى . راجع صفحة ١٠٩ حاشية ١ .

(٢) جاء هذا الاسم غير منقوط فى النسخة الخطية ، لآك فإنه يحتمل قراءات كثيرة . وقد حاولت تحقيق هذا الاسم بالرجوع إلى المصادر المختلفة ، فلم أجِدْ هذا الاسم أو ما شابهه من بين القواد الذين اشتركوا فى الاستيلاء على مدينة نساء ، على أن القائد المغولى الذى لعب دوراً هاماً أمام مدينة نساء كان تولوى بن جنكيزخان .

(٣) أى جنكيزخان . (٤) فى الأصل : ووصل .

(٥) كذا فى الأصل ، ولعلها [من] جانب واحد .

(٦) فى الأصل : رأى . (٧) فى الأصل : خانه .

(٨) فى الأصل : وهلكه .

(٩) أى أن يتره ببعض الجهات الجبلية الأمانة .

(١٠) أى وقت انصرافهم من تلك الجزيرة الكائنة بين قزوین الى بلخ إليها علاه الدين محمد خوارزم شاه وتوفى فيها بعد أن فر من وجه الجيوش المغولية . راجع ص ١٠٤ — ١٠٨ .

نعم ولما شاهد اللعين ناحن نوين القلعة وأنها كعقاب الجو^(١)، لا وصول ولا حصول ، بعث الرموول ، وعرض السول ، فطلب عشرة آلاف ذراع من الخام ، وعدة ملتزمات أخرى خسيصة ، لوما^(٢) طُبع على غراره^(٣) ووسم بناره بل عاره . ولم يقنعه ما حواه من ملابس أهل نساء ، فأجبتته إلى ما سأل دفعا للسيئة^(٤) بالتى هي أحسن ، فلما أحضر الخام ، لم يحسر أحد من القلعة أن يحمله إليهم لعلهم بأنهم يقتلون من غالطهم ، سواء كان رسولا أو قاضيا سولا ، إلى أن أجاب شيخان هرمان إلى ذلك من أهل القلعة تبرعا منهما ، وأحضرا أولادهما ووصيا بمرعاتهم والإحسان إليهم إن قتلا ، وحمل ذلك إلى اللعين فتسلبه وقتل الشيخين ورحل . ثم شن الغارة على بلدها ، فساق من المواشي ما امتلأت به الأباطح ، وضاحت به قيعانها والصحاصح ، قارب كل من نديه^(٥) وثار غبر أطلال الضياع عليه .

ومن العجائب أن خراسان لما شملها القتل ، وخصت القلعة المذكورة دون سائر الأماكن بالسلامة من صدمتهم ، والخلاص من نقيمتهم ، وقع فيها الوباء ، وعم أهلها بالفناء ، فكانت تخرج في كل يوم^(٦) منها عدة جنات حتى لحقت بالآخرين وكفاهم ملك الموت كلفة الحصار . فسبحان من حكم^(٧) على الخلق بالفناء ، ولقد أحسن من قال :

من لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والداء واحد^(٨)

(١) الشقاب طائر من الطيور الجارحة ، ويطير في الجو على أبعاد شاهقة ، ويبني عشه في أعالى الجبال حيث يصعب الوصول إليه ، وقد قيل ، « أمنع من عقاب الجو » .
 (٢) في الأصل : لوماً .
 (٣) في الأصل : غراره .
 (٤) في الأصل : للسيئة .
 (٥) كذا في الأصل .
 (٦) في الأصل : في يوم .
 (٧) في الأصل : حلم ، ثم صححها هوداس Houdas في الطبعة الفرنسية « خلم » .
 ..والحقيقة أنها لا هذا ولا ذاك ، وإنما هي « حكم » ، كما ذكرت .
 (٨) كذا في الأصل ، وصحة البيت هو :
 ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

ذكر رحيل جلال الدين من خوارزم وسببه

لما علم جلال الدين بأن أخاه أزلاغ شاه ومن معه من الأمراء تأمروا^(١) على مسكه ، وأجمعوا على هلكه^(٢) ، ركب في ثلاثمائة فارس مقدمهم درملك^(٣) ، فقطع المفازة الحاجزة بين خوارزم وخراسان في أيام قلائل وهي ، ستة عشر مرحلة للفقول على سوقهم ، ومعهود عادتهم في الرحيل والنزول وتخلص منها إلى بلد نساء .

وكان جنكزخان ، لما بلغه عود أولاد السلطان إلى خوارزم ، وجه إليها عسكرياً كشيفاً^(٤) ، وقدم إلى من بخراسان من عساكره بالتفرق على حافات تلك البرية مرصدين ، فضربوا على البرية المذكورة حلقة من تخوم مرو إلى حدود شهرستانه ، وهي كورة من كور فراوة ، حتى إذا هم أولاد السلطان بالمسير إلى خراسان عند انزعاجهم من خوارزم يقبضونهم . وكان بحفاة

(١) في الأصل : توامروا .

(٢) يرجع السبب في تأمر أزلاغ شاه على أخيه جلال الدين ، إلى أن أباهما علاء الدين محمد خوارزم شاه كان قد اضطر أن يوصى بالملك من بعده لابنه أزلاغ شاه تحت تأثير تركان خاتون ، متخطياً في ذلك ابنه الأكبر جلال الدين منكبرتي ، ثم عاد وهو في أخريات أيامه وأوصى بالملك لابنه جلال الدين لتأكده من قدرته على الوقوف في وجه المغول ولأن تركان خاتون كانت قد أسرت . فلما وصل جلال الدين وأخواه إلى خوارزم بعد وفاة أبيهم ، جمعوا جيشاً كبيراً لمواجهة المغول ، على أن عادة هذا الجيش كانوا من أنصار تركان خاتون وابنها أزلاغ شاه ، فتآمروا على قتل جلال الدين . D'ohsson : Op. cit., t. I, p. 262

(٣) جاء هذا الاسم في دوسون Timour-Melik - انظر D'ohsson : Op. cit., t. I, p. 224

(٤) كان هذا الجيش بقيادة جوجي وجغتاي وأجتاي (أغتاي) من أبناء جنكيزخان ، الذين كانوا قد آتموا تتج بلاد ما وراء النهر بالاشتراك مع جيوش جنكيزخان . انظر D'ohsson : Op. cit., t. I, p. 263 . ويلاحظ أن جنكيزخان كان في مدينة سمرقند عند ما وجه فرقتين من الجيوش المغولية إلى كل من خوارزم وخراسان . انظر ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ١٢٩ — ١٨٢ .

برية نساء منهم سبعائة فارس مقيمين ، ولم يعلم الناس موجب إقامتهم هناك ، إلى أن خرج جلال الدين من المغازة صادمهم ، فبلغ كل من الفريقين غاية الإمكان ، في منازلة الأقران ، ومناوشة الضراب والطعان . وانجلت عن انهزام التاتار ، وتركوا أسلابهم وعدتهم وعنادهم وأسلحتهم وأزوادهم ، ولم يفلت منهم إلا الشارد الفارد ^(١) البارد المبادر . فهذا أول سيف في الإسلام خضب بدمائهم ، ولعب في جثث أشلائهم ^(٢) .

وكان جلال الدين يقول لي بعد علو شأنه ، وتمكته من سلطانه : لولا ماتارك ^(٣) ، يعني التاتار ^(٤) ، بلد نساء وإسعادهم إيانا بالخيال التي لهم لما تمكنا من الوصول إلى نيسابور ^(٥) ، لضعف دوابنا التي قطعنا بها المغازة . وقد كانت طائفة من التاتار تماقتوا إلى قنوات البلد حين أعياهم النجا ، وصالحهم الصوارم والقنا ، فأخرجهم الفلاحون وساقوهم إلى المدينة ، فضربت رقابهم . وكنت حينئذ بمدينة نساء في خدمة الأمير اختيار الدين زنكي بن محمد بن حمزة ، ولم يعلم المذكور بما قد تم على التاتار ، إذ ورد على المذكور كتاب من رئيس جوامند ، وهي قرية من قرى نساء ، يذكر فيه أن خيلا جاءتنا في نهار يومنا هذا زهاء عن ثلاثمائة فارس بأعلام سود زاعمين أن جلال الدين فيهم ، وأنهم أفنوا التاتار المقيمين بنساء ، فساكننا لنصدقهم ^(٦) إلى أن حضر شخص منهم إلى قريب السور وقال : أنتم معذورون في احترازكم هذا ، والسلطان شاكركم على ذلك ، فأدلو لنا من

(١) الفارد : المفرد ، الوحيد .

(٢) الثابت أن الجيش الذي أرسله جنكيزخان إلى خوارزم لم يكن قد وصل بعد ،

وهذا هو سبب انتصار جلال الدين .

(٣) كذا في الأصل ، وتارك بمعنى ترك .

(٤) في الأصل : تاتار .

(٥) كان جلال الدين منكبرتي قد فر إلى مدينة نيسابور بعد اشتباكه مع المغول

بالقرب من مدينة نساء .

(٦) في الأصل : نصدقهم .

المأكل وعليق الخيل ما يسد الجوعة ، ويعين على الرحلة ، وستعرفون الحال فتندمون . قال : فأدليناهم إذ ذاك ما احتاجوا إليه ، ورحلوا بعد ساعة . فتحقق صاحب نساء أن الذي وقع على التاتار المقيمين ^(١) بنساء هو جلال الدين ^(٢) ، فجرد بعض خواصه بخيل وأحمال بغل برسم الخدمة ، فلم يلحقه ^(٣) . فساق جلال الدين إلى نيسابور ، وأقام من توجهه بالخيل والبغال بقلة خرنندز ، إلى أن وصل أزلاغ شاه وأق شاه بعده بثلاثة أيام مجفلين ^(٤) من التاتار ، فقدمها لهما ، ووصل جلال الدين إلى نيسابور منصوراً وبما يسر الله تعالى من إدماء سيفه بدماء الكفرة مسروراً .

(١) في الأصل : المقيم .
 (٢) في الأصل : بنساء جلال الدين .
 (٣) أى جلال الدين .
 (٤) في الأصل : مجفلين .

ذكر خروج قطب الدين وأخيه أقي شاه من خوارزم بعد رحيل جلال الدين عنها وسببه ، وما آل إليه أمرهما

لما رحل جلال الدين عن خوارزم ناجياً من طوأت الحين^(١) ، ومفلتاً مما دبّر عليه من أنواء النفس أو العين ، ورد الخبر بتجريد عسكر من التاتار إلى خوارزم لطردهم عن سرية الطلب ، وإزعاجهم عن حصانة الأمل^(٢) ، فأجفل عنها قطب الدين وأخوه أقي شاه مساقطاً في يده على ما فاته في ذلك الوقت من الاستظهار بمكان جلال الدين والانتصار به . فاقتفى أثره باحثاً عن خبره ، سالكا حيث سلك سائراً منجداً كان أو غائراً ، إلى أن وصل إلى مرج سائغ ، فوافاه رسول نساء بما كان معه من خيل التقدم برسم جلال الدين ، فوقعت عنده إذ ذاك على حقارتها ، وقلة مقدارها ونزارتها ، موقعاً مشكوراً . ورسم لصاحب نساء بعده مواضع زيادة على ما كان تحت يده من البلاد ، ففرح صاحب نساء فرحاً شديداً ، إذ كان يرضى بالأمان وحده لعوده إلى نساء في زمن التاتار ، واستعادته الحق الموروث عن غير مثال يصدر ، وأمر من السلطان يحتاج به فيعذر ، فبيناهم في تقرير أمر الإقطاع إذ أتاهم مخبر بكتاب من ابن عمي سعد الدين جعفر بن محمد منذراً بأن عسكراً من التاتار وصل إلى القلعة يكشف أخبار جلال الدين ومقصده ومن وصل من العساكر السلطانية بعده ، ولم يعلموا بوصول أزلاخ شاه . وذكر في كتابه أنه خرج من القلعة يشغلهم بالمناوشة ريثما يركب السلطان ، يعني أزلاخ شاه ، مستعداً للحرب ، أو متحملاً لطرب .

(١) الحين : الهلاك .

(٢) كان هذا الجيش ، كما سبق القول ، بقيادة جوجي وجغتاي وأجتاي من أبناء جنكيزخان .

فركب أزلاغ شاه للوقت ورحل ، وتبعه التاتار إلى أستوا^(١) بلد خوشان ولحقه بقرية تسمى « وشت » ، فوقف لهم واصطف حذامهم ، وجد الفريقان في القراع ، وأبليا عددهما في المصاع^(٢) . ثم انجلت عن هزيمة الكفار ، ولم يفانهم بعودة الفرار ، أنى^(٣) ورماح الطلب مشرعة ، وخيوله مسرعة ، فلم ينج منهم إلا راكب جواد ، أو مختبئ في معاطف واد .

واغتر أزلاغ شاه ومن معه بما تيسر من الفتح المستعجل ، ذاهلين عما يصنعه رجم المقدور في المستقبل ، ظانين بأن نواحي خراسان ليس بها من التاتار إلا من قد عُرض على الهادم^(٤) وسبق إلى سواقي الصوارم . فكبسهم بمنزلتهم تلك ، طائفة أخرى من الملاحين ، ولم ترعهم إلا إحاطة الطلاب^(٥) بهم إحاطة الأطواق بالأعناق ، فتوالى اليسر عسرا وترادف النصر كسرا^(٦) تردى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل^(٧) إلا وهي من سندس خضر

فاستشهد رحمه الله ، واستشهد معه أخوه أق شاه ومن معهما من لفاظات المصائب وجلالات أنياب النوائب . وعاد التاتار برأسيهما وقد نصباً على الرماح ، رغماً للأحرار وكياداً^(٨) للنظار ، يدورون بهما في البلاد فتقوم القيامة على أهلها عند مشاهدة الراسين ، وتجدد لهم مصيبتهم في الحسن

(١) أستوا : كورة من نواحي نيسابور وتشتمل على قرى كثيرة . كما ينسب إليها القاضي أبو جعفر محمد بن بسطام الاستوائ المتوفى سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) . انظر ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٢٥ .

(٢) المصاع : القتال بالسيف .

(٣) أتى : كيف أو إلى أين المهرب . (٤) الهادم : الموت .

(٥) في الأصل : الأطلاب .

(٦) في الأصل : فتوالى اليسر عسرا ، وترادف النصر كسرا .

(٧) في الأصل : له الليل . والبيت من قصيدة في الرثاء لأبي تمام .

(٨) قرأها هوداس في النسخة الخطية كياداً ثم عدلها في الطبعة الفرنسية إلى « كباداً » ، والمحققة أن القراءة الأولى كانت صحيحة .

والحسين^(١) ، فنجى^(٢) الله دنيانا من صيبة تأكل أولادها عقوقا ، وجافية لا ترعى لأضيافها حقوقاً . وإلى الله المشتكى من صرف الزمان ، وريب الحدثنان^(٣) .

نعم وكان مع أولئك القتل من الجواهر ، نفائس كالنجوم الزواهر ، ولم يفتش التانار عنها ، فخرجت عوام تلك الضيعة إلى القتل فجمعتها ، وكانوا يبيعونها لقلّة معرفتهم بها في سوق الهسوان بأبخس الأثمان ، وعهدى بنصر الدين صاحب نساء أنه اشترى منهم عدة فصوص بذخشانية وزن كل واحد منها^(٤) ثلاثة^(٥) مثاقيل أو أربعة ، كل فص منها بثلاثين ديناراً أو أقل . وقد اشترى المذكور منها فص الماس بسبعين ديناراً ، فحمل إلى جلال الدين بعده فعرفه وقال : كان هذا الفص لأخي أزلّاغ شاه . وقد اشتروه له بخوارزم بأربعة آلاف دينار وسلبه جلال الدين إلى صائغ بكسجة^(٦) يركبه له في خاتم ، فزعم أنه قد ضاع فصدق ، وأمر بالنداء عليه في المدينة يومين فلم يظهر .

(١) الحسن والحسين، ابنا علي بن أبي طالب .

(٢) في الأصل : فلجأ .

(٣) راجع كتابنا : الدولة الخوارزمية والمنقول ، ص ١٣٩ .

(٤) في الأصل : منها .

(٥) في الأصل : ثلاث .

(٦) كسجة : حاضرة إقليم أرمّان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ص ٢٨٣ .

وتمتاز هذه المدينة بساتينها الكثيرة . الفلقشندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٣ .

ذكر وصول جلال الدين إلى نيسابور

ورحيله عنها صوب غزنة

لما وصل إلى نيسابور^(١) وأقام بها شاحداً عزيزته في الجهاد ، وطفق
يكانب الأمراء وأصحاب الأطراف والمتغلبين في هذه الأيام عن الجهات
عند تعطيلها عن الحاة ، وكانوا قد كثروا ، وقد سموهم ظرفاء ذلك الوقت بأمراء
سنة سبع ، يأمرهم بسرعة الوصول ، واستجاشة الجمهور بوعدهم بالترجية
مقرون ، ورفق عن الخرق مأمون . وكان اختيار الدين زنكي بن محمد بن حمزة
قد عاد إلى نساء فلك مخصوب حقه ، واستعاد مسلوب إرثه ، وهو مع تحققه
موت السلطان لم يحسر أن يظهر الاستقلال ، فكانوا يكتبون التواقيع
والبروات^(٢) وهو يعلمها بعلامة من كان قد ورث السلطان بنساء قبل استيلاء
التاتار عليها إلى أن ورد عليه التوقيع الجلالى^(٣) بتقرير ما تمكنت منه يد
الاستعادة ، والوعد له إن شاهد منه ما يزيد من الخدمة بالزيادة . فعادت
الأمثلة اختيارية ، وأقام جلال الدين بنيسابور شهراً يتابع الرسل إلى الجهات
في الاحتشاد والاستعداد إلى أن علم التاتار بذلك ، فأسرعه عن المراد ،
فخرج من نيسابور فيمن انضوى إليه من الخوارزمية يطوى المراحل إلى
أن وصل إلى القلعة القاهرة ، وهى التى بناها مؤيد الملك صاحب كرمان
بزوزن^(٤) ، تخال نيران الحراس بها لارتفاعها كواكب ، بل الجباب ،
وهم أن يتحصن بها فوجه إليه عين الملك ختن مؤيد الملك ، وكان مستحفظاً
بها ، يحذره ذلك ويقول له : إن مثلك لا يحسن به أن يتحصن بقلعة ولوبنيت

(١) راجع كتابنا : الدولة الخوارزمية والمنقول ، ص ١٥٤ وما بعدها .

(٢) أى البراءات . (٣) نسبة إلى جلال الدين منكبرتى .

(٤) زوزن : إحدى مدن خراسان ، وتقع بين نيسابور وهرات .

على فرق الفرقتين أو هامة الجوزاء بل أعلى وأبعد ، وحصون الملوك ظهور الحصن ، وما للضراغم والمدن ، فلو تحصنت بالقلعة لآبقي التاتار عليها أعمارهم إلى أن ينال الغرض .

وأمر جلال الدين بإحضار بعض ما في الخزائن من الذهب ، فأحضر وفرقه بأكياسه على من صحبه من خواصه ، وانفصل عن القاهرة ، وجد في السير إلى تخوم بست^(١) ، فأعلم بها أن جنكز خان مقيم بالطالقان^(٢) في كتيبة كثيفة ، وجيوش على الإحصاء منيفة ، فاستظلم ضوء النهار واستخشن جانب القرار والفرار ، إذ لامه رب قدامه ، ولا منجى^(٣) خلفه وأمامه ، فاستمر مخاطراً وإلى غزاة مبادراً بدار من لا يمكن بدار ، ولا توطى الأرض جنب قرار . فأخبر ثاني يومه ذلك أو ثالثه أن أمين ملك ، وهو ابن خال السلطان وكان والى هراة ومقطعها بالقرب ، قد^(٤) أخلى هراة مستبعداً من التاتار ، فقصده سيستان^(٥) ليستولى عليها فلم يقدر ، وهو الآن عائد ومعه زهاء عشرة آلاف فارس رجالاً أتركا ، وأشبالا فتياً ، من نخب العساكر السلطانية سالمين من النكبة بعدة متكاثرة ، وأهبة وافرة . فبعث جلال الدين إليه يعلمه بقربه ، حاثاً له على سرعة الوصول إليه ، فاجتمعوا وانفقا على كبس التاتار المحاصرين قلعة قندهار^(٦) ، فهضاً إليهم وأعداء الله غارون^(٧) ، لا يدرون كيف ترصدهم النوايب ، وتحيط بهم المقاب^(٨) ، يحسبون أن

(١) بست : مدينة بين سجستان وغزاة وهراة . انظر ياقوت ، معجم البلدان

ج ٢ ص ١٧٠ .

(٢) راجع خريطة الدولة الخوارزمية في أقصى اناسها .

(٣) في الأصل : منجا . (٤) في الأصل : وقد .

(٥) في الأصل : سيستان .

(٦) قندهار : بضم القاف وسكون النون ، من بلاد السند أو الهند . ياقوت :

معجم البلدان ج ٧ ص ١٦٧ .

(٧) غارون : غافلون .

(٨) المقاب : جمع مقب ، أى جماعة الفرسان . ويقال قنبوا نحو العدو وقنبوا ،

إذا تجمعوا .

الظبي^(١) قد توارت عنهم فلا حامل، وأن عوامل الردينيات^(٢) قد تعطلت فلا عامل . حتى إذا شاهدوها ظاه^(٣) إلى نحورهم ، عطاشا إلى صدورهم ، ركبوا صهوة الفرار ، فلم يفلت منهم إلا نفر يسير ، مخبرين جنكز خان بما تم على عسكره . فقامت قيامته حين رأى أصحابه جزراً للسيوف القواطع ، وطعماً للنسور الخوامع .

وساق جلال الدين إلى غزنة فدخلها ظاهراً ظافراً^(٤) ، ولله على تيسير عسير النجح شاكر . ولعل من وقف على كتاب المسالك والممالك ، وعلم أن ما بعد خوارزم وغزنة الذي ثبت فيه عساكر جنكز خان طالبة جلال الدين بعدئذ شاسع ، فوجده مع ذلك كالليل مدركة وإن خال المنأى^(٥) عنه واسع . وهل سمعت بخنود تواصلت مسيرة شهرين وجوع غصت بها ما بين البحرين ؟

(١) الظبي : السيوف .

(٢) في الأصل : الرد ثنيات . والردينيات بمعنى الرماح .

(٣) في الأصل : ظها .

(٤) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن مدينة غزنة كانت ، في الوقت الذي دخلها جلال الدين منكبرتي ، يسودها القلاقل والثورات بسبب تعدد جيوشها المختلفة الأجnas ، إذ كان يسكنها الأتراك والفراريون من بقايا الدولة النورية ، كما أن بعض الجنود من الخوارزميين كانوا قد لجأوا إليها فراراً من وجه المغول . وكان طبيعياً أن يتنازع قواد هذه الجيوش وأن يتنافسوا على السلطة ، كما كان من الطبيعي أن يكثر الطامعون في حكم هذا الإقليم . فلما وصل جلال الدين إلى هذه المدينة ، انضوى كثير من الجنود تحت لوائه ، كما انضم إليه عدد كبير من أولئك الخوارزميين الذين كانوا قد فروا إلى حدود الهند في أثناء التزو للمغول . وعلى هذا النحو أصبح جلال الدين على رأس جيش يتراوح بين ستمين وسبعين ألفاً من الحياة .. انظر

D'ohssen : Op. cit., t.i, pp. 297-300

(٥) في الأصل : المشاي .

ذكر حال بدر الدين أينانج وما جرى له بخراسان وغيرها

بعد خلاصه من بخارا إلى أن توفي بشعب سلمان

كان بدر الدين أينانج خان من كبراء أمراء السلطان. وحجابه^(١)، ووجوه قواده وعظائه. وقد رتبه السلطان فيمن رتب ببخارا على ما سبق ذكره، ثم قذفته الجفلة بعد استيلاء التاتار عليها إلى البرية المتصلة بنساء في شردمة يسيرة من أصحابه وغيرهم، فأقام بحيث لا يصدق رواد، ولم ير ورا، فلا ماء ولا زاد. ولما سمع اختيار الدين زنكي صاحب نساء بإقامته هناك خوفا، رغب في أن يعده ذخراً لنفسه عند السلطان نافعا، وحجابه بينه وبين من ينازعه حق إرثه وازعا. فراسله مهتأ له بالسلامة، ومعيًا في كل ما يقدر عليه من الأرفاد^(٢)، إلى أن ألقى عنده عصا الإقامة لعلبه برفيع منزلته، ومنيع رتبته، ورجائه الانتفاع بمقبول قوله ومأمول طوله وقال: إن كان سبب الانزواء بالبرية الاحتراز من فاجيء^(٣) ركضة التاتار فما نحن بغافلين عنهم أين حلوا، ومتى ارتحلوا. فامتد المذكور إلى نساء وواساه اختيار الدين بمسا ساعدته القدرة من سلاح ودواب وملبوس وأسباب ومطعوم، حتى ارتاشت أحواله، وأخلّ به اختلاله.

وكان أبو الفتح رئيس نشجوان، وهي من أمهات قرى نساء ذات سواد وسور وخندق وباشورة، يمالى^(٤) التاتار ويكاتبهم، فأعلم حين دمر شحنة خوارزم بإقامة أينانج خان بنساء، والاتفاق بينه وبين صاحبها، فجرد إليه عسكرياً لطرد أينانج خان وحصده، فحين وصلوا إلى نشجوان أصحبهم

(١) راجع ما كتبناه عن الحجابة في صفحة ٦٢ حاشية ٢.

(٢) الرفد: العطاء. (٣) في الأصل: فاجيء.

(٤) في الأصل: يمالى.

رئيسها من يدهم على أينانج خان ، وكان بالقرب منه ، وقد التأم إليه أيام مقامه بنساء ونواحيها من العساكر السلطانية كل منزو في زاوية ، ومنضو إلى ناحية . فاصطف بهم حذاء العدو للجدال ، وحرص المؤمنين على القتال . وقد شهدت الواقعة فائزاً بفضيلة المجاهدين على القاعدين ، إذ كنت أُلَازمه نائباً عن صاحب نساء في إنجاح مآربه ، وإسعاف مطالبه ، كيلا يحتاج فيما دعت حاجته إلى مراجعة . فشاهدت من أينانج خان في الواقعة ما لو شاهده رستم^(١) في زمانه لرهبه خدمة عنائه ، وهدية آداب سيفه وسنانه ؛ فحين اشتبكت الحرب خاض بنفسه غمرتها يضرب باليدين ، ويقطع الذراع بنصفين^(٢) . وحمل التاتار عليه حملتين فثبت لهم أحسن ثبات ، واستك إذ ذاك سمع الهوى من قرع الحديد بالحديد ، والمواضي رويت صدورهما من موارد الوريد . وتحطم سيف أينانج خان عند احتداد جمة المصاع^(٣) واشتداد وقدة القراع . وعثر به فرسه فأردف بجنيب وألحق بسيف ، وكشف أصحابه عنه ما أحاط به من أوشاب الزحوف ، وأخلط الصفوف . فحين علا صهوة فرسه حمل عليهم حملة جعلها خاتمة القتال ، وصيرها آخره الزوال ، فولوا الأدبار مغلولين ، ونكصوا على أعقابهم مخذواين ، يظنون أن النجا ينجيهم الطلب ، ويقيهم مصارع العطب ؛ أنى ووراءهم السراحيب القود ، وقد امهم المهامة البید ، فاقتنى أينانج الفل^(٤) إلى نشجوان ، نشوان لإفنائهم ، ظمآن إلى دمائهم ، فلم يزل نهاره ذلك كاسعاً^(٤) في أدبارهم ، ومثخنأ في في أعمارهم ، يتبعهم في كل مسرب ، ويحشرهم عن كل مهرب .

(١) رستم : من أشهر أبطال الفرس ، وكان الشعراء يكثر من ذكره في أشعارهم ، ويضربون الأمثال بطولته . انظر مقال الدكتور عبد الوهاب عزام بك عن « الصلات بين العرب والفرس وأدبيتهما في الجاهلية والإسلام » ، في عدد أكتوبر سنة ١٩٣٨ من مجلة المتكلم .

(٢) يقطع الذراع بنصفين أى يقطعها نصفين .

(٣) المصاع : القتال بالسيف . (٤) كاسعاً : مطارداً .

حتى الرضا من رداهم ميت العصب

ووصل آخر النهار إلى نشجوان ، وقد انتبذت إليها من نباذات رحي^(١) الحرب ، طائفة منهم واقفين ببابها ، منادين أبا الفتح فأبى الفتح ، بعد أن سخم وجهه بثور الارتداد ، وتردى لخسران الدارين برداء^(٢) الاتحاد . فحين عابنوا حر الطلب إلى الخندق غاطسين في الماء ، ووقف أينانج خان فيمن وصل معه من سرعان الخيل يطر عليهم من عزالي^(٣) القسي لمطارا ، إلى أن غرقوا فأدخلوا نارا .

ولما عاد إلى مخيمه منصور اللواء ، صاعد الجدد على خط الاستواء ، وجه إلى صاحب نساء مبشر آ بتيسير الله مراده ، وتسديده نحو المراد سهامه . وأصحابه عشر رموس من الخيل التاتارية برسم الازمعان ، وعشرة من أسرائهم ، وأوعز إليه بحصار نشجوان وتطهيرها^(٤) من أبي الفتح ، فحاصرها واستولى عليها ، وهلك أبو الفتح تحت المعاصير ، وخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . ورحل أينانج خان صوب أييورد^(٥) ، وقد تمكنت هيبته في النفوس فجئ^(٦) خراج أييورد من غير منازع ، وقد انضوى إليه هناك من طوحتهم الطوائف ، وأضمرتهم الشعاب والأباطح ، من العساكر السلطانية رتوت مثل يلناج ملك ، وتكنى ملك ، وبكشان جنكشي ، وكجيدك أمير آخور^(٧) ، وأمين الدين رفيق الخادم ، وجماعة أخرى . وعاد إلى نساء وقد كثف سواده^(٨) ، وكثرت أتباعه وأجناده . واتفق وصوله إليها مضى صاحبها اختيار الدين زنديكي لسيليه ، واقترح على

(١) في الأصل : رجا . (٢) في الأصل : ترداء .

(٣) في الأصل : غزالي . (٤) في الأصل : تطهرها .

(٥) أييورد : مدينة بخراسان بين سرخس ونساء . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٠٢ . وانظر أيضا خريطة بلاد فارس .

(٦) في الأصل : فجبا . (٧) أمير آخور : راجع ص ٩٠ حاشية ٣ .

(٨) كثف سواده : كثرت أتباعه . والسود كثرة السواد ، أي كثرة الأنصار والأشياع .

القائم مقامه أن يساعده بخراج سنة ثمان عشرة وستمائة ، معونة له على مؤنة من اتصل به من العساكر السلطانية ، فأجابه إلى ذلك طوعا أو روعا . فجهاد وفرقه فيهم وسار منها إلى سبزوار^(١) من أعمال نيسابور وبها يلجى بهلوان ، وقد تغلب عليها وطمع في مغالبتها عليها فالتقى بظاهرها وانجلت المعركة عن هزيمة إيلجى بهلوان ، وامتد به الركض إلى جلال الدين وهو إذ ذاك في أعماق بلاد الهند^(٢) ، وقويت شوكة أيناك خان ، واستفاض حكمه في أعماق بلاد خراسان عامة ، وسائر ما أبقته الفتن كافة . ثم إن كوج تكين بهلوان ، وكان مقبلا بمرور متغلبا على حشاشه منها أخطأها المنون ، عبر جيحون إلى بخارا وكبس شحنة التاتار بها وقتله ، فحرك ساكن الفتنة ، وألهم خامد الإحنة ، فقصده في زهاء عشرة آلاف فارس ، وكسروه وامتدت به الجفلة إلى سبزوار وبها يكثفون إيلجى بهلوان ، فحلا^(٣) بها واتفقا على أن ينحدرا إلى جرجان ويصلا جناحهما بأيناك خان ، وكان إذ ذاك بظاهرها ، فوردوا عليه وتبعهما التاتار متقاسمين منازل الطلب والحرب ، ومرتقبين العلالة بين السير والخب ، فوجداه بالحلقة — وهى فضاء بين جرجان واستراباذ^(٤) واسع للجمال والقتال — ووصل التاتار بعدهما بيومين ، وتصاف^(٥) الفريقان ، وعند ذلك حمى الوطيس ، واختلط المرءوس والرئيس . فكنت ترى السيوف للسهامات دامغة ، والرماح في

(١) انظر خريطة بلاد فارس .

(٢) كان جلال الدين منكبرتي قد فر إلى بلاد الهند بعد أن حلت به الهزيمة على يد جنكيزخان على حافة ماء السند كما سيأتي ، وكما ذكرناه مفصلا في كتابنا : الدولة الخوارزمية والمنقول ، ص ١٥٣ — ١٦٤ ، ص ١٧٠ — ١٧١ .

(٣) جاءت هذه الكلمة في الأصل العربي لطبعة هوداس « فأحلبا » ، ثم صححها هوداس نفسه خطأ في طبعة الفرنسية « فأخلا » ، والأصح أن يقال فخلا بها أى تزلوا .

(٤) استراباذ : بلدة من أعمال طبرستان وهى تتكون من مقطعين : أستر وهو اسم رجل وأباز بمعنى عمارة ، وعلى ذلك فعناها عمارة أستر . انظر القلشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٨٧ ، وياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٢٤ . وانظر أيضا خريطة بلاد فارس .

(٥) في الأصل : تصافا .

الآكباد والغلة . وثارت عجاوجة غبراء سترت العيون عن الأشباح ، فلم تعرف
الرماح من الصفاح . واستشهد يومئذ من مشاهير الرجال ، ومساير
الابطال سركنقرو وكجيدك أمير آخور^(١) ، فَرَسًا الرهان عند الضراب
والطعان ، واكتست الأرض لون الشقائق من دماء السطلى والعواتق ، إلى
أن زلت أقدام الأتراك ، وتقاسموا بين الأسر والهلاك ، وولى أيناخ خان
ولم يزل راكضا خيله ، نافضا عن الأثقال ذيله^(٢) ، حتى اتصل بغياث الدين
بيرشاه وهو بالرى ، فسر بمقدمه وعرف له حق قدمه ، فلم يزل يوفى له
الإكرام إلى أن طمحت نفسه من خطبة والدته إلى ما يستبعد مرأى ،
ويستعقب خجلا وملاما ، فلم يعش بعد ذلك إلا أياما . فتقيل إنه دس إليه
من ذعف له نقيعاً ، وغادره على الفراش صريعاً ، والله أعلم بصحة ذلك .
فدفن بشعب سلمان من بلاد فارس ، وهو مزار معروف .

كانت الواقعة بمرجان في سنة تسع عشرة وستمائة^(٣) ، وقد حضر ثنها
أيضا ، فرمتى لطوات الحرب إلى الأصفهيد عماد الدولة نصرة الدين محمد
ابن كبودخامه ، وهو بقلعة همايون ، فأكرمنى وأتت عنده أياما إلى أن
أمنت الطرق فوجهنى إلى قلعتى مخفراً .

(١) راجع ص ٩٠ حاشية (٣) .

(٢) في الأصل : ناقضا عن الأثقال ذيله .

(٣) في الأصل : تسعة عشر وستماية .

ذكر حال ولد السلطان ركن الدين غورشايحي صاحب العراق وما آل أمره^(١)

كان المذكور قد اتصل بالسلطان عند تسجبه إلى العراق ، وانتبذ به الركن من السكبة بقزوين إلى حدود كرمان ، فانبسط فيها أوامره ، ونفذت أحكامه ، وأقام بها مدة تسعة أشهر نافذ الأمر في أعمالها ، متصرفا كيف شاء في أخرجتها وأموالها ، إلى أن لاحت له أمان^(٢) في العود إلى العراق فعدها بها جده ، وأصلد عليها زنده ، فشخص نحوها سائرا إلى دمه بقدمه ، فساق إلى أصفهان ووافته الأخبار بها بأن جمال الدين محمد بن أبي أبه القزويني حدثته نفسه بتملك العراق ، واجتمع عليه هههذان من الأتراك العراقية طلاب الفرصة ومساعدير الفتنة خلق مثل ابن لاجين جعرجة ، وأبيك الخزيندار^(٣) ، وابن قراغز ، ونور الدين جبريل ، وآقسنقر السكوئي ، وأبيك الاندار ، ومظفر الدين باردكر صاحب قزوين .

واتفق أن قاضي أصفهان ، مسعود بن صاعد ، قد خرج عليه في تلك الأيام ابن أبي أبه مائلا ، ولموالاته قاتلا ، فزحف ركن الدين بمن معه من

(١) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الدولة الخوارزمية عند ما بلغت درجة كبيرة من الانساع في عهد علاء الدين محمد خوارزم شاه ، رأى هذا السلطان أن يقسم أقاليمها بين أبنائه الأربعة ، ليتولى كل تصريف شئون قسم منها ، وبذلك يتمكن من السيطرة عليها ، ويضمن بقاءها على ولائها لأسرته .

وعلى هذا الأساس آل حكم الأقاليم العرقية من الدولة الخوارزمية إلى جلال الدين منكبرتي ، وآلت أقاليمها الشمالية إلى قطب الدين أرلاخ شاه ، وأقاليمها الجنوبية إلى غياث الدين شيرشاه ، أما القسم الغربي من هذه الدولة فقد كان من نصيب ركن الدين غور شاه . انظر ابن الوردي : تمة المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ص ١٥٤ .

(٢) في الأصل : أمان .

(٣) لملها الخازندار . راجع ص ٥٨ حاشية ١ .

العسكر وأتباع الرئيس صدر الدين الخجندی^(١) على محلة القاضي المعروفة بجوبارة ، فسفك وأهلك ، إلى أن استولى عليها وملك . وهرب القاضي إلى فارس مستذرياً^(٢) بظل الأتابك سعد^(٣) ، فأمنه وآواه وأكرم مشواه . ثم عزم ركن الدين على المسير إلى همدان للقاء جمال الدين وتدارك أمره ، وحصد ما نجم من شره ، وتفرقت عساكره في محال أصفهان للزود ، وإزاحة عائلهم في النجمل والتجرد . وكانت قلوب أهلها قد حنقت عليهم بما جرى على محلة القاضي من النهب والسفك ، فأغلقوا أبواب المدينة ، وقاموا إلى السكاكين ، فقتلوا خلقاً منهم في الأسواق والدكاكين ؛ ففت ذلك في عضم ركن الدين وهمته ، وفقر ما قوى من عزيمته . ثم أنه جرّد قرسی بك ابن خاله وطغانخان ، وكجيوقة خان ، وشمس الدين أمير علم^(٤) العراقي لقتال ابن أبي العراق^(٥) . فلما تدانت الخطى بين الفريقين خالفهم كجيوقة خان إلى ابن أبي كفرانا لمن ملكه رقاباً حسناً ، ووجده وشاقاً فجعله خائماً ، وانخذل الباقون بخذلانه فرجعوا من غير التقاء .

وامتد ركن الدين نحو الرى فوجد بها طائفة من دعاة الإسماعيلية يدعون أهل الرى إلى طاعتهم ، ويزينون لهم أن سلامتهم في مشايعتهم ، فعلم ركن الدين بهم فقتلهم . وورد الخبر قبل استجابه بها بأن التاتار صامد صمده ، وناو قصده ، ففرع إلى قلعة أستون آوند^(٦) وتحصن بها ، وهي

(١) نسبة إلى خجنده ، إحدى المدن الواقعة على نهر سيحون .

(٢) مستذرياً : ملجئاً .

(٣) هو سعد بن زنكي أتابك فارس (٥٩٩ / ٦٢٣ هـ = ١٢٠٢ / ١٢٢٥ م) .
انظر ما كتبه عن أتابكية فارس في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ١٠٩ — ١١٠ . وانظر أيضاً سلسلة نسب هذه الأسرة في ص ١٦٨ من نفس الكتاب .

(٤) أمير علم : اسم يطلق على من يتولى أمر أعلام السلطان . انظر الفلشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٨ . والمقرزي : السلوك ، قسم ١ ص ١٢٤ حاشية ١ .

(٥) كذا في الأصل ، ولعله ابن أبي أبي القزويني ، كما سبق ذكره .

(٦) إحدى القلاع القريبة من الرى .

حصينة جداً ، تزل عن محاذاتها أجنحة النسور ، غير محتاجة^(١) لمناعتها إلى السور . فأحاط التانار بها ، وبنوا^(٢) على عادتهم في حصار مثلها من القلاع حولها سوراً . وكان ركن الدين ومن ملكها قبلُ يعتقدون أنها لا تؤخذ إلا صبراً ، ولا تملك إلا بعد حصارها دهرأ ، ولم يقدر عليها حيلة ومكرأ . فلم ترعه إلا زعقة الملاءين حول فئانه سحرة . والسبب في ذلك أن الحراس كانت مرتبة^(٣) على جهاتها التي يحترز عليها ، ويتوهم منها حيلة تعمل . وقد غفلوا عن جهة لم يكن^(٤) السلف بترتيب الحراس عليها لمناعتها ، فوجد التانار في بعض تلك الجهات شقاً في السقيف نبت فيه العشب من أسفله إلى أعلاه ، فاستعملوا من الحديد أو تادأ طوالاً ، ودقوها فيه ليلاً ، وكانوا إذا دقوا الواحد منها علاه الواحد منهم ودق فوقه آخر ، إلى أن صعد وأدلى الحبال وجذب الآخرين ، فأحاطوا بالدار ، وتفرق الجند وخذل الحارس والبواب وحل لهم الباب . باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب .

فسأهم وبُسطهم حرير وصبيحهم وبُسطهم تراب
ومن في كفه منهم قناة كن في كفه منهم خضاب^(٥)

فقتلوا ركن الدين أحسر ما كان برداء جمال ، وعمود اعتدال ، وطلعة هلال وروعة عزة وجلال .

كان بنى نبهان يوم وفاته فيجوم سماء خراً من بينها البدر^(٦)

ولما بلغ جمال الدين محمد بن أبي أبيه ومن معه من أمراء العراق ما تم على ركن الدين وأصحابه ، خفق قلبه ، وطار لبه ، وأخذ من بهمذان من

(١) في الأصل : غير محتاج .
(٢) في الأصل : يمين .
(٣) في الأصل : مرتبته .
(٤) البيت لأبي تمام .
(٥) الشعر للمتنبي .
(٦) في الأصل : بنا .

الاجناد ينفض إلى ذروته وغاربه ^(١) بالانخراط في سلك التاتار والاستيلاء به على ما أرثه سعيًا في ضلال ، وتسويلا في محال ، كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني ^(٢) برىء منك، إني أخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهم أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ، ^(٣) فكانت بهم طائعا مذعنسا ، وبشعار الطاعة معلنا ، فسيروا له خلعة تاتارية مشهرة بالشوم ^(٤) ، مطرزة بالحسد واللوم . فلبسها مجاهراً بالوداد ، مسخما ^(٥) وجهه بثور الارتداد .

وتوجه التاتار صوب همدان ، وأرسلوا إليه يقولون : إن كنت صادقاً فيما زعمت من طاعتنا وموالائنا فلا بد من الحضور . فحضر واثقاً بما أعطوه من ذمام عهد ، ونفثوا عليه من كلام ينبي عن ود ^(٦) . وخجل في وثوقه بخدار ، وبناية على شفا جرف ^(٧) هار ، فقتلوه وقتلوا من معه من العراقية ، ومشوا إلى همدان والتقاهم الرئيس علاء الدولة الشريف العلوي ، وكان ابن أبي أبه قد بالغ في إيدائه ^(٨) ، واستيفاء ما حوته يده من الأموال . واستصفائه . فضمن المذكور لهم حسن الطاعة ، فقلدوه أمرها ، ورجعوا إذ كانوا يعلمون أن يمه نوين وسبطي بهادر ^(٩) قد استولوا على همدان منذ خروج التاتار . فكبسها عن أموالها ، وأخلياها عن رجالها ، فليس بها طائل ، وأن مادونها حائل .

(١) من أمثال العرب : يقتل له في الذروة والغارب ، أي يدبر ويكيد له .

(٢) في الأصل : إني .

(٣) سورة المفسر ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٤) الشوم : الشؤم . (٥) مسخما : مسوداً .

(٦) في الأصل : يثنى عن ود : (٧) في الأصل : حرف .

(٨) في الأصل : إيدائه .

(٩) راجع ص ١٠٢ حاشية ١ ، ص ١١٦ حاشية ١ . ولاحظ أن « بهادر » كلمة تركية

معناها شجاع ، انظر Bretschneider : Op. cit., t.I, p. 279, note 668.

ذكر حال غياث الدين ومسيره إلى كرمان

كان السلطان قد نصّ على ولده غياث الدين بيرشاه بملك كرمان ، ولم يتفق مسيره إليها حتى جرى بقزوين^(١) من الكبسة ماسبق شرحه ، فلفظته أشداق البلية إلى قلعة قارون وخدمه الأمير تاج الدين صاحبها أتم خدمة إلى أن عاد ركن الدين غور شايجي من كرمان إلى أصفهان ، فبعث إليه يحرضه على المسير إلى كرمان ويعلمه بأنها خالية من^(٢) يمانح ، صافية من^(٣) يحاي أو يناع . فسار إلى أصفهان وبها ركن الدين فأكرمه أتم إكرام ، ولاطفه بإحسان وإنعام ، فنهض إلى كرمان بعد ثلاثة أيام فملكها ، وصفت أشراها ، ودنت عليه أحلابها ، وأخذ أمره يزداد بها بهاء ونورا ، وأمر ركن الدين بالعراق وهناً وفتورا إلى أن تم عليه من القتلة بقلعة استون آوند ما ذكرناه ، ففرغت^(٤) الآمال فيه إلى الكذب ، وأحال الدهر^(٥) محاسنه عن كذب^(٦) ، فنبى إلى ذوى الآداب والحسب .

تعثرت به في الأفواه السنها

والبرد في الطرق والأقلام في السكتب^(٧)

وعادت العراق معرضة للقصاد ، بلسكه خالية عن المتادين الاضداد . وخرج الأتابك يغان طاييسى^(٨) إذ ذاك عن محبسه بقلعة سرجهان . وكان سبب حبسه بها أن السلطان كان قد رتبته في خدمة ولده ركن الدين

(١) في الأصل : بفرزين .

(٢) (٣ ، ٢) في الأصل : عمن .

(٤) في الأصل : فقرعت .

(٥) في الأصل : والحال لدهر .

(٦) في الأصل : عن كذب .

(٧) الشعر المتنبى في رثاء أخت سيف الدوله .

(٨) يكتب اسم هذا الرجل أيضا « يغان طاييسى » ، انظر ابن الاثير : الكامل ،

ج ١٣ ص ١٩٠ .

غور شايحي حين ملكه العراق ليكون أتابكا لديه ، ورداء بين يديه . فشكا ركن الدين إلى أبيه تجرؤ. ^(١) المذكور وتأبيه ، وأوهمه أنه إن أرخى ^(٢) من عنانه فيما يذره ويأتيه ، يبدو منه ما يعسر تلافيه . فأذن له في القبض عليه فقبض ، وحبس بقلعة سرجهان إلى أن خلت العراق في هذه الفتن بمن ^(٣) يحدها ، وحلت لمن يطمع فيها ، أخرجه وإلى القلعة أسد الدين الجويني .

وكانت الآهواء إليه مائلة ، والآراء في منابذته فائلة ^(٤) . فاجتمعت عليه طوائف من العراقية والخوانزمية ، فاشتدت بهم مناكبه ، واحتدت عليه أنيابه ومخالبه . فمن جملة من ^(٥) انضوى إليه بهاء الدين سكر مقطع ساوة ^(٦) وجمال الدين عمر بن يوزدار والامير كيخسرو ^(٧) ، ونور الدين جبريل مقطع قاشان ^(٨) ، وابن نور الدين قران خوان ، وأيدمر الشامي ، وكتك مقطع سمنان ^(٩) وأيدغدي كله ، وطغرل الأعسر ، وسيف الدين كيتارق مقطع كرخ .

وكان أدك خان قد استولى على أصفهان في هذه الفترة ، وأراد غياث الدين استمالته قلبه ، وأن يجعله من حزبه ، فوجه بأخته أيسی خاتون ، تثبيتاً له على الطاعة ، ودافعه في زفافها إليه إلى أن يبدو له ما ينكشف عنه الوحشة القائمة بين المذكور والأتابك يغان طايسی ، إذ كانا قد استوليا على طرفي العراق ، واستحوذ عليهما السلطان ، فلم يريا سوى الشقاق ، وأيا

(١) في الأصل : تجرأ . (٢) في الأصل : أرخا .

(٣) في الأصل : عمن . (٤) فائلة : ضعيفة .

(٥) في الأصل : ما .

(٦) ساوة : مدينة بين الري وهمنان ، خربها المغول سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) ،

وقتلوا أهلها وأحرقوا مكتبتها المامرة . انظر ياقوت . معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢١ - ٢٢ .

(٧) في الأصل : كيخسروا .

(٨) قاشان : مدينة قرب أصفهان ، ومنها تجلب الغضائر القاشاني ، وأهلها من الشيعة

الإمامية . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ص ١٣ .

(٩) راجع ص ٥٣ حاشية ٢ .

مذهب الاتفاق . فصمد الأتابك نحوه وهو بأصفهان في زهاء سبعة آلاف فارس من نخب الأتراك العراقية الخوارزمية . وحين حسّ أدك خان برحيله صوبه ، راسل غياث الدين مستنجداً ، فأنجده بدولة ملك في ألبى فارس . وأعجله^(١) الأتابك عن وصول المدد فالتقيا بظاهر أصفهان ، وأدك خان في خف من العدد . وانجلى المعركة عن أسر أدك خان ، فكف الأتابك عن قتله لقرابته من السلطان ، وامتنازه برفيع منزلته عن الأقران . حين أخذت الكورس مأخذها منه ومن أصحابه ، تقدم بإحضار أدك خان فأحضر ، وكان المجلس غاصاً^(٢) بالعراقية . فوفى له الأتابك حق الإعظام ، والتقاء بالإجلال والإكرام . غير أنه أجلس دون بعض العراقية فغاضه ذلك وحمله بالإدلال بقرابته من السلطان على أن سافه في الكلام ، وشافه في الخصام ، فأمر به خنق ، وندم الأتابك حين أفاق على ما فعل ، وأنى له وقد سبق السيف العزل .

ولما بلغ دولة ملك ، وكان قد جرد من كرمان نجدة^(٣) لأدك خان على الأتابك يغان ، ما حدث من الواقعة بباب أصفهان ، جذب عنانه ، ولزم مكانه ، وكاتب غياث الدين منبهاً إليه بصورة الحال ، وما انكشف عنه حومة القتال . فلحقه غياث الدين طالباً للثأر ، ومقاوماً^(٤) من العار ، وتضافراً على قصد أصفهان ، وبها الأتابك يغان طامسى ، وكان القاضى قد صالحه أوطاوعه بأهل محله ، وعصته محلة الرئيس صدر الدين الخجندی^(٥) لمضادة بينهما ، وثارات منيمة^(٦) ، فساق غياث الدين إلى أصفهان وصبح الأتابك بظاهرها قبل أن يبلغه النذر ، أو يروعه الذعر ، فكان كما قال أبو فراس :

(١) في الأصل : بجمله . (٢) في الأصل : غاضاً . (٣) في الأصل : نجده .
(٤) في الأصل : مفادماً . وقاوم الرجل صاحبه بمعنى قام معه ، وفي المصارعة قام أحدهما للآخر .

(٥) نسبة إلى مدينة خجندة الواقعة في أعلى نهر سيحون .
(٦) الثأر النيم ، هو الثأر المبيت الذي لا بد من الوفاء به .

ويارب دار لم تخفني منيعة^(١) طلعت عليها بالردى أنا والفجر
فلم ير عن الخدمة بدأ ، ولم ينزع عن الطاعة يدأ . فقبل الأرض حين
رآه ، وعفر وجهه في التراب ، واستوفى في التخصع سائر الآداب . وزال
ما في قلب غياث الدين من الوحشة بمواطاة للجاعة على قتل أدك خان ،
وزوجه بأخته أيسی خاتون وزفت إليه ، واستوحش لذلك رفقائه من
الأمراء ، ففارقوا حيمه ، وأقاموا حجرة ، إلى أن ترددت رسل غياث الدين
إليهم في الإصلاح ، وكف عادية الكفاح ، فزال عنهم ما توهموا ، وبطل
ما هموا به من التفرق ، وعزموا فعادوا إلى الخدمة طائعين ، وعلى صدق
الموالة متابعين ، ما خلا أيدمر الشاه فإنه ساقه حينه^(٢) إلى الأتابك أذربك
صاحب أذربيجان ، فقتل هناك . وتمكن غياث الدين من العراق ونفذت
أوامره في خراسان ومازندران ، فأقطع دولة ملك مازندران بأسرها فقوى
على أمرها ، ويغان طايسی همذان بأعمالها ونواحيا فانبسطت أحكامها فيها ،
وتفرق كل منهما على رياس عمله ، فرتب أعماله ، وجي^(٣) أمواله . ولما
رجع دولة ملك إلى الخدمة ، قويت شوكة غياث الدين فقصده أذربيجان ،
وبها الأتابك أذربك بن محمد بن إيلدكر^(٤) صاحبها ، وشن الغارة على بلد
مراغة وما يلي العراق من سائر أعماله ، وأقام بأوجان^(٥) ، وترددت رسل
أذربك في موضعه على سلم يفتدى بها^(٦) من حرارة كأسه ، ومرارة بأسه ،
وزوجه بأخته الملكة الجلالية صاحبة نخجوان ، وعاد غياث الدين إلى العراق
بعد تأكد أسباب الوفاق^(٧) .

(١) في الأصل : ويارب دار لم تخفني منيعة .

(٢) حينه ، أى قضاؤه وهلاكه . (٣) في الأصل : جيا .

(٤) هو خامس أتابكة أذربيجان : ٦٠٧ / ٦٢٢ هـ = ١٢١٠ / ١٢٢٥ م ، ويكنى
بمظفر الدين . وقد قرأ هوداس Houdas اسمه في النسخة الخطية « ايلدكر » وهذا خطأ .
انظر ما كتبناه عن أتابكة أذربيجان في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ،
ص ١٠٨ — ١٠٩ . وانظر أيضا سلسلة نسب أتابكة أذربيجان في ص ١٦٧ من نفس الكتاب .

(٥) أوجان : إحدى مدن أذربيجان . (٦) في الأصل : يقتدى .

(٧) حدثت حوادث هذه الحرب سنة ٦٢٠ هـ (١٢٢٣ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ،
ج ١٢ ص ١٩٠ — ١٩١ .

ذكر مسير غياث الدين إلى فارس وشنه الغارات في نواحيها وفساد عسكره فيها

كان غياث الدين بالعراق يكيل لمجاوريه بمكياهم له من المواراة^(١) والنفاق ، إلى أن قويت شوكته بمن انضم إليه من العساكر السلطانية ، نقاضات المنون ولفاظات الحرب الزبون^(٢) . واتفق إفلات أينانج خان من حرب عرت^(٣) بينه وبين التاتار بظاهر جرجان ، على مامبق شرحه ، فوفى له حق مقدمه ، وأفاض عليه من سجال نعمه ، مراعاة لحقوقه السالفة ، وموالاته الثالدة والطارفة^(٤) ، وبالح في إجلاله وإكرامه وإقامة العطايا له ولعامة رجاله ، حتى نافسه في ذلك خاله دولة ملك ، وبلقي ملك ، وجنبه الآتابك يغان طايبي ، وهموا بهلاك المذكور بغياً وكناداً^(٥) ، وحسداً على منزلته وعناداً .

وحين علم غياث الدين بما أطمروا^(٦) له من الشر ، ونووا في حقه من الختل والغدر ، حذّرهم ، وبعواقب المعاقبة أنذرهم . فتسحب كل واحد منهم إلى جهة من الجهات ، كارهاً مواصلته بباطن موتور ، وحقد في الصدر مستور . واتفق حينئذ عود التاتار ثالثاً إلى العراق ، وقد وجد شملهم مبدداً للنظام . منحل المرا والأوذام^(٧) ، فوقع بدولة ملك بمحدود زنجان فقتله ، فذاق وبال أمره ، وحق به شر غدره . ولما أحاطت به أفواه الشرك ، وشاهد نفسه في أشد اق الهلك ، دلّ ابنه بركتخان ، وكان طفلاً ، على

(١) في الأصل : اللوازة . والمواراة ، المسارة والإخفاء .

(٢) في الأصل : الريون . (٣) عرت : اشتدت .

(٤) في الأصل : الطارقة . (٥) الكنود : كفر النعمة .

(٦) طمر الصمى : طواه ودفنه . ولعلها هنا أشمروا .

(٧) الأوذام : سيور الدلو ، ورباطها عند أفوامها ، والواحد وذم .

جادة أذريجان ، وقال اسلكها إلى أن تفضى بك إلى المأمن . فسلكها إلى تبريز ، فعطف به الأتابك أزبك وكان يريه ، وقام في تربيته مقام أبيه ، إلى أن طلعت الرايات الجلالية من الهند (١) ، وملكت تبريز انسل عن غمد التعويق ، وانسحب إلى رحب فثائه عن الضيق .

ثم وقع التاتار بيغان طايبي عند منصرفهم من زنجان (٢) فتهبوا جلة سواده وأهلكوا (٣) عامة قواده ، ونجا بنفسه وعمره إلى حدود طارم (٤) . وعاد التاتار فعبّر جيحون منتصراً ، وبما قد غنم منهم مستظهر أ . وهكذا الحسد لا يرضى إلا بسخط صاحبه ، وانشاب (٥) الزمان عليه بأنيابه ونوائبه . وعاد من نجا منهم إلى غياث الدين بوجوه سوادها العصيان ، وجموع بددها الخذلان ، فقوى بهم أزره ، واشتد بعودهم ظهره . وكان قد نقم على الأتابك مظفر الدين سعد بن زنكي صاحب فارس في تلك المدة عدة أمور ، منها مكاتبة أهل أصفهان مستميلاً لأهوائهم المتقلبة ، مستجلباً لأرائهم المنجذبة المضطربة . ومنها قلة الاحتفال ، بما يقتضيه حكم الحال ، من المساحة بالأموال ، والمساعدة بالرجال . فساق نحو فارس في جيوش كثيفة ، وخيول على الآلاف منيفة . وحين علم الأتابك أن لا قبيل له به تحصن بقلعة اصطخر (٦) ، فساق غياث الدين إليها ، وزحف على ربضها (٧) فملكها

(١) المقصود هنا عودة جلال الدين منكبرتي من مخبئه في بلاد الهند بعد رحيل جيش كيرخان وجنوده إلى منغوليا .

(٢) زنجان : إحدى المدن الكبرى في أقصى شمال بلاد الجبل وعلى الحدود الجنوبية لأذربيجان وتنسب إليها جبال زنجان . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٩ . وانظر أيضاً خريطة بلاد فارس .

(٣) في الأصل : وهلكوا .

(٤) طارم : أحد الأقاليم الجبلية المشرقة على مدينة قزوین .

(٥) في الأصل : وانساد .

(٦) اصطخر : من أهم وأقدم مدن فارس وحصونها ، وكانت في وقت ما حاضرة الملك فارس .

انظر ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٧ .

(٧) الربض : ما حول المدينة من بيوت .

عنوة ، وخرّبها عقاباً و سطوة . ثم ارتحل عنها إلى شيراز فدخلها عنوة ، وسقاها من كؤوس الانتقام قهوة ^(١) . وحط على قلعة جره ، ^(٢) زماناً ثم صالح أهلها على مال وأعطاهم أماناً ، ومات أينما كان هناك فدفن بشعب سلمان ^(٣) .

وسير ألب خان إلى كازرون ^(٤) ، وبها الشيخ أبو اسحق الشيرازي ، فاستولى عليها وسبي الذراري ، وهتك الحرم ، وأحل بأهلها النقم . وكان قد اجتمع هناك على مر الدهور ، أموال جمّة من الذنور ، فحملها ألب خان إلى بيت ماله ، وأعاد بها رونق حاله وجماله ، وهيئات لإنها مظالم حديدات السفائر ، ومغارم ثقيلات الغوائر ، ومطاعم ظاهرها عاسل ، وباطنها سم قاتل . لاجرم ^(٥) كان عاقبة أمره أن أسره التاتار بباب أصفهان فشدوا رجله ^(٦) تحت الفرس وكتفوه وبعثوه مسيرة سنتين إلى خاقان ^(٧) فأحرقه وعرض على النار رمقه ^(٨) . ولعل العذاب العاجل ^(٩) يرد عنه الأجل ، فلا يعذب مرتين ، والله عزيز ذو انتقام .

ثم سار غياث الدين منها إلى حدود دأمر ، من بلاد بغداد فأخلاها علم الدين قيصر نائب الديوان العزيز ^(١٠) ظناً منه بأنه يسلك بها مسلكه بفارس نهبا وإحراقا ، وسفكا وإرهاقا ، فلم يتعرض غياث الدين إليها ، محافظة على الأدب ، ومراعاة لما فرض الله من الطاعة ووجب . وجمع الإمام

(١) كان ذلك سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٣ .

(٢) جره : قلعة بالغرب من مدينة شيراز .

(٣) الشعب بكسر الشين : الطريق في الجبل .

(٤) على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة شيراز حاضرة أتا بكية فارس .

(٥) أي لاشك . (٦) في الأصل : رجله .

(٧) لعل المقصود هنا إرساله إلى قره قورم حاضرة المغول .

(٨) الرمي : بقية الحياة . (٩) في الأصل : الأجل .

(١٠) أي ديوان الخلافة .

الناصر^(١) رضوان الله عليه تلك السنة جمعا كثيرا من إربل وسائر البلاد
الجزرية ، وديار بكر وريقة، وراسل غياث الدين في العود إلى ما هو أحد
في الأولى ، وأعود عليه في الأخرى . فأذن بالطاعة وعاد إلى العراق^(٢) .

(١) الخليفة الناصر لدين الله ، أبو العباس أحمد بن المستضى ، : ٥٧٥ / ٦٢٢ هـ .

١١٨٠ / ١٢٢٥ م .

(٢) على الرغم من أن غياث الدين تمكن من السيطرة على العراق العجمي وخراسان
بالإضافة إلى إقليم مازندران جنوبي بحر قزوين ، فضلا عن الجزء الأكبر من أتابكية فارس ،
على الرغم من ذلك كله لم يجن هذا الأمير أكثر من الدماء له على المناير في خطبة الجمعة . إذ
أن الكثيرين ممن قبلوا طاعته اقتصروا على الوعد بإرسال هذه الجزية ولم يقوموا بتنفيذ
ما وعدوا . وقد عمد الأتراك في هذه البلاد إلى تخريب ما تصل إليه أيديهم ، ولم يستطع
غياث الدين أن يحد من أعمال السلب والنهب التي قاموا بها .

وعلى هذا النحو ، فقد ظل هذا الاقليم ، رغم خضوعه لغياث الدين ، في حالة شديدة من
الفوضى والاضطراب ، واستمر الحال على هذا النحو حتى آل حكمه إلى جلال الدين منكبرتي
بعد عودته من البلاد الهندية .

ذكر الحوادث بغزوة قبل وصول جلال الدين إليها

كان كبر ملك بغزوة ينوب عنه ، فلما سنح^(١) لأمين ملك قصد سيستان^(٢) طمعاً في الاستيلاء عليها ، ستر إليه يستحضره ليتعاضدا على تلك الجهة المذكورة ، فنهض إليه مساعد ، وعما كان يليه من غزوة وأعمالها مباحداً . وكان اختيار الدين خربوست ، وهو من قدماء الغور ، مقبلاً بيزشاور^(٣) ، على إقطاعه الذي أفرد له جلال الدين بها قبل . فاعتزم إذ ذاك خلوة غزوة من^(٤) يحميها ، وأراد تحريف كلمة الدعوة فيها . فدخلها على ركوب منهم إلى جانبه ، وكان صلاح الدين محمد النساي^(٥) والياً بقلعة غزوة للسلطان موالياً . فصالح خربوست عند استيلائه مظهر مشايعته جهاراً ، ومضمر آنتهاز الفرصة فيه أسراراً . فلما حصل الاسترسال ، ولاحت الفرصة فيه وقفا ذات يوم في الميدان ، عمد بخنجر في صدره هناك حجاب ستره ، وعاد الصلاح إلى الفتنة ، فقلع الفساد وأصفى السلطان البلاد ، وأمر أصحاب خربوست ، فكبسوهم في الدور والحجر . وأخرجوهم من تحت كل مدر وحجر ، وأمر بتاج الدين ابن أخت خربوست فصلب .

وكان رضى الملك مشرفاً للديوان الجلالى بغزوة ، فرأى صلاح الدين تقليده أمور الديوان كيلا ينسب إلى الاستقلال ، ولا يفوت حق الأخرجة والأموال ، فقلده ذلك ، فلما استقر به المكان تاه وتجبّر ، وعتا وتكبر ،

(١) في الأصل : أسنح .

(٢) في الأصل : سيستان .

(٣) مى بشاور الحالية ، إحدى مدن إقليم السند . انظر خريطة الدولة الخوارزمية في أقصى اناسها .

(٤) في الأصل : عمن .

(٥) كذا في الأصل ، ولعلها النسائي ، نسبة إلى مدينة نساء .

حين رأى أمور الدولة لا تزداد على الرتق إلا فتقا ، وعلى الرفو إلا خرقا .
 فاحتجن أموال الديوان عن مصارفها ، وبسط يده في الإنعامات
 والإطلاقات زائدة على وظائف الوزراء . ثم أحس من صلاح الدين
 إنكارا على ما كان يركبه من ذنب تدم عواقبه ، وكسب لم تصف مشاربه ،
 أغرى به طائفة من السجزية^(١) فقتلوه ، واستقل رضى الملك بالملك إلى
 وصلها جلال الدين ، فرأى تقرير ما يليه مدة تغافلا عما سبق من هباته ،
 وتصاعما عما بلغه من زلاته ، إلى أن كسر التاتار ببيروان^(٢) على ما يأتى
 شرحه . ورجع^(٣) إلى غزنة ظافرا ، أمر بالقبض عليه والمطالبة بما بذره من
 الأموال أيدى إتلافه ، ووذره^(٤) خطرات إسرافه ، فمصر مطالبا بالمال ،
 إلى أن مات على شر حال .

(١) كذا صححت عن الطبعة الفرنسية لهوداس Hondas ، والمراد هنا طائفة تنتمى
 إلى سبستان .

(٢) انظر خريطة الدولة الخوارزمية في أقصى اتساعها .

(٣) لعلها ، ولا رجع . (٤) في الأصل : ووذره بـوذره أى قطعه وجرحه .

ذكر الحوادث بغزاة بعد عود جلال الدين إليها

وصل غزاة في سنة ثمان عشرة وستمائة^(١)، وتباشر الناس بوصوله تبشير الصوام بهلال الفطر، وذوى المحول^(٢) والإعدام بانهلال القطر. واتصل بخدمة سيف الدين بغراق الخلجي، وأعظم ملك صاحب بلخ، ومظفر ملك صاحب الإيغانية، والحسن قزلق، كل هؤلاء في زهاء ثلاثين ألف فارس، ومعه من عسكره وعسكر أمين ملك مثلها. وحين بلغ جنكزخان ماحل بعسكره من النقمة بقندهار^(٣)، جرد إليه ابنه تولى خان^(٤) في عسكر كشيء من نخب الرجال أحلاس^(٥) الظهور، وأبناء الصوارم المذكور، واستقبله جلال الدين بنية في الجهاد قوية، وحمية في الإسلام أبية، وواقفه ببيروان في الخيول بل السيول، والجنود بل الأسود. فلما ترأى الجمعان حمل بنفسه على قلب تولى خان فبدد نظامه، ونثر تحت قوائم الخيل أعلامه، وألجأه إلى الانهزام، وإسلام المقام، وتحكمت فيهم سيوف الانتقام. وركب جلال الدين أكتاف الغل يخطف بالقواطع علاوات الأخادع^(٦)، ويفصل بالأسياف بجامع الأكتاف. وكيف لا وقد لجعوه بإخوته وأبيه، وعلمكته وذويه، وفصيلته التي تؤويه، فترك لا والد ولا مولود، ولا عابد ولا معبود، تلفظه النوادي إلى البوادي، وتقذفه المخاوف إلى التناثف^(٧). وقتل تولى خان^(٨)

(١) في الأصل : ثمان عشر .

(٢) في الأصل : المحول . والمحل ضد الحصب .

(٣) راجع ص ١٣٣ حاشية ٦ . (٤) هو : تولوى Toulouï

(٥) المجلس ، بفتح فكسر : الشجاع .

(٦) الأخادع : عروق في الرقاب .

(٧) في الأصل : التنايف . أما التناثف فجمع تنوفة بمعنى المغازة .

(٨) يجرى بنا أن نشير هنا إلى أن ما ذكره النسوى عن مقتل تولوى بن حنكيزخان في هذه الموقعة لا يستند إلى أساس، والثابت أن تولوى لم يقتل في هذه الموقعة بل ولم يشترك فيها . وتدل الحقائق التاريخية الثابتة على أن هذا الابن كان ضمن من رافقوا جنكيزخان في أثناء عودته إلى بلاده .

في وهج القتال ، واحتداد جمره الصيال ، وكثر الأسر حتى كان الفراشون يحضرون الأسارى الذين ^(١) يأسرونهم إلى بين يديه ، فيدقون الأوتاد في آذانهم ، تشفياً منهم وجلال الدين يتفرج ، ووجهه بالبشاشة يتبلج ^(٢) ، فقد عذبوهم في الحياة ^(٣) الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ^(٤) .

وقد كانت شرذمة من التاتار حاصرت قلعة ولج ، وضايقتها ^(٥) مطاولة ، فلما بلغهم ماصب الله على أولئك من سوط العذاب ، أفرجوا عنها خائنين خائفين ، ومن الله بالخلاص على المسلمين . فلما عادت الجفلة إلى جنكزخان ، قام إليه بنفسه في عساكره التي يضيق عن ضمها الفضاء ، وينص بمجموعها العراء . وانفق أن العساكر الخلجية ^(٦) قد فارقوا جلال الدين في ذلك الوقت صحبة سيف الدين بغراق ، وأعظم ملك ، ومظفر ملك ، غضاباً أحوج ما كان إلى حضورهم ، وأنجادهم إياه في جمهورهم . وسبب ذلك أنهم لما كسروا ابن جنكزخان بيروان زاحمتهم الأتراك فيما أفاء الله عليهم من الغنائم لو ما طبعوا على غراره ^(٧) ، ووسموا بناره ، حتى إذا نازع بعض الأتراك الأمينية ^(٨) أعظم ملك في فرس من خيل التاتار ، وطال ^(٩) بينهما التنازع ، ضربه التركي بمقرعة ^(١٠) ، فاشمأزت لذلك نفوسهم ، ونفرت قلوبهم ،

(٢) في الأصل : يتبلج .

(١) في الأصل : الذي .

(٣) في الأصل : الحبوة .

(٤) في الأصل : أبقا . وما هو جدير بالذكر في هذا المقام ، أن انتصار جلال الدين في إقليم بيروان كان له أثره في ثورة بعض المدن الخوارزمية في وجه المغول ، فلما أن هذا الانتصار كان ضربة قاضية وجهت إلى الجيوش المغولية ، ومن أهم هذه المدن مدينة هراة ، وهي المدينة الحراسانية الوحيدة التي سلمت إلى حد ما من التخریب في أثناء الغزو المغولي . ومهما يكن من شيء فقد تمكن المغول في سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) من الاجهاز على هذه المدينة ، كما تمكنوا من قتل غالب سكانها ، ولم يعفوا من القتل إلا أصحاب المهن والحرف للاستفادة من خبرتهم انظر : Hóworth : Op. cit., part I, p. 91. و D'ohsson : Op. cit., t.i, pp. 311, -314.

(٥) في الأصل : ضايقها .

(٦) نسبة إلى خليج ، وهو موضع قرب مدينة غزنة . انظر ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٣ ص ٤٥٤ .

(٨) نسبة إلى أمين مملك .

(٧) في الأصل : مراره .

(١٠) في الأصل : بمقرعه .

(٩) في الأصل : وأطال .

وطارت في رموسهم نكرة الخلاف ، إذ رأوا أنهم لم يقدرُوا على الانتصاف .
ومهما هم جلال الدين بإرضائهم ، زاد الأتراك شراً وعصية بسوء معاملة ،
وعدم جمالة ، وقلة حظ من التجارب ، وقطع نظر^(١) من العواقب .
وتشاكى الغرباء^(٢) بعضهم إلى بعض وقالوا : إن هؤلاء الأتراك كانوا
يعتقدون التاتار ليس من جنس البشر ، لا يفزعون إذ لا أثر فيهم للناسل^(٣)
ولا ينصرفون إذ لا عمل فيهم للعوامل^(٤) . حتى إذا رأيتهم تحكّم في مفاصلهم
المناسل ، وفي قبائلهم الفنا والقنابل ، رضوا بعهدهم ينكته وبعدهم يحله
استكباراً في الأرض ومكر السيئ^(٥) ، ولا يحقّ المكر السيئ إلا بأهله .
وكان جلال الدين إذا لطفهم في الاسترجاع ، ورأسلهم في عقد كلبة
الإجماع ، نفرت الأتراك نفوراً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، ففارقوه .
ولقد أخطأ^(٦) ملوك ذلك البيت في انتصارهم بالترك ، على جنسهم من ذوى
الشرك إذ^(٧) الذى يقاتل عن دين متين وعقيدة أكيدة لا يرجو ثواباً ،
ولا يخشى عقاباً ، لا يؤمن عند الحاجة توائمه وتتبعه أهواه^(٨) في
ساعاته وأنيه .

نعم ، ولما بلغ جلال الدين نهوض عدو الله إليه في معظم جيوشه ،
وحفوفه إليه في الطاغية من أخايشه^(٩) ، وقد فارقه الأمراء في مساعير أبطالهم
وجماهير رجالهم ، حدس^(١٠) بالآفة ، وأحس بالخفاة ، وعلم أن لا طاقة له
بجشكزخان إلا باستردادهم ، وتلبعهم على مرادهم ، فرأى أن يتأخر إلى
مآه السند ثم يستأنف بها مكاتبة المنفصلين ، ويعرفهم أن العوداً أحمد ، وإلى

-
- | | |
|--|--------------------------|
| (١) في الأصل : نظراً . | (٢) في الأصل : الغرباء . |
| (٣) في الأصل : المناسل . | (٤) في الأصل : العوامل . |
| (٥) في الأصل : ومكر السيئ . | (٦) في الأصل : أخطأ . |
| (٧) في الأصل : إذا . | (٨) في الأصل : أهواه . |
| (٩) الجيش : موضع الأسد وجهه أخياش ، وجه الجمع أخيايش . ذكر المحل وأراد | |
| الحال ، وهم الشجعان الأشداء . | |
| (١٠) حدس : ظن وتوهم . | |

الجانين أعود . فإن أجابوا إلى ذلك يلتق (١) جنكز خان بهم مبكراً ، وبمن معه من الأتراك مستظراً . فعجله جنكز خان عمادبر ، فجاء الأمر بخلاف ما قدر .

وكان لجلال الدين عند خروجه من غزنة قولنج (٢) شديد ، ولم ير مع ذلك الجلوس في المحفة ، فركب الفرس تجلداً على مابه من ألم شديد ، ووجع وييد (٣) ، إلى أن من عليه بالعافية الشافية ، والسلامة الوافية . وورد الخبر أثناء ذلك أن مقدمة جنكز خان نزلت بجردين ، فركب جلال الدين ليلاً ، حمد عند صباحه مسراه ، مستضيئاً بتوفيق الله وهداه ، وكبس المقدمة بجردين ، فلم يرعها إلا العاديات صوايح والموريات قوادح ، ولم يفته إلا سرعان الخيل تحت ذيول الليل .

ولما بلغ اللعين (٤) ذلك هاله ، ونعى إليه آماله ، أخذ لا يلوى على شيء ، يطوى المراحل أسرع طي . ورجع جلال الدين إلى خيمته بحافة ماء السند ، وضاق الوقت عما كان ينويه من جمع المراكب ، واسترجاع الكتائب . ووصل مركب واحد فأمر بتعبير والدته وحرمة ومن ضمنته الدور ، وحجبتة الستور ، فانكسر المركب وتعذر العبور . ووصل جنكز خان مستعداً للقتال ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً (٥) فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وائل .

(١) في الأصل : يلتقى .

(٢) القولنج : مرض معوي مؤلم . (٣) الويد : الشديد .

(٤) يقصد جنكيزخان . (٥) في الأصل : سوء

ذكر المصاف بين جلال الدين وبين جنكزخان على حافة ماء السند
وهذه من معظلات الحروب ومعضلات^(١) الخطوب

وصل جنكزخان إلى حافة ماء السند قبل إتمام مانواه جلال الدين
من استرجاع الأمراء المنفصلين ، فتطايير الفرسان وتجالد الشجعان ،
سحابة يومهم ذلك ، ثم تصافا صيحة يوم الأربعاء لثمان خلون من شوال
سنة ثمان عشرة^(٢) وستائة . فلما تلاقى^(٣) الفريقان ، والتقت حلقتا البطان ،
وقف جلال الدين حذاه في قل من العدد ، وقد فارقه العدد الدثر .

بنفس تعاف العسار^(٤) ، حتى كأنه

هو الكفر عند الروح أو دونه الكفر

ثم حمل بنفسه على قلب جنكزخان فزقه بدداً ، وجعله طرائق قدداً^(٥)
وولى اللعين بنفسه هزيماً ، بحث مركب النجا حرصاً على النجاة هشيماً .
وكادت الدائرة تدور على الكفار ، والهزيمة تستمر بأهل النار ، لولا أن
اللعين أفرد قبل اللقاء الكمين ، وفيه عشرة آلاف فارس من نخب رجاله
الملقبين بالبهادرية^(٦) . فخرجوا على ميمنة جلال الدين ، وفيها أمين ملك ،
فكسروها وطرحوها على القلب فتبدد نظامه ، وتزعزعت عن الثبات أقدامه
وانجملت المعركة عن^(٧) قتلى مضرجين بالدماء ، غاطسين في الماء ، فكان الرجل

(١) في الأصل : معظلات . (٢) في الأصل : ثمان عشر .

(٣) في الأصل : تلاقى .

(٤) في الأصل : الغار ، والبيت لأبي تمام .

(٥) طرائق قد ، أى جماعات متفرقة ، والمفرد قدّة .

(٦) نسبة إلى بهادر ، وهى كلمة تركية معناها شجاع . انظر Bretschneider: Op. cit. vol. I, p. 279, note 668.

(٧) في الأصل : على .

منهم يأتي الهر فيهوى^(١) بنفسه في تياره ، وهو يعلم أنه لابد غريق^(٢) ،
وأن ليس له إلى الخلاص طريق . وأسر ولد جلال الدين وهو ابن سبع
سنين أو ثمان في الواقعة ، وقتل بين يدي جنكز خان .

ولما عاد جلال الدين إلى حافة ماء السند كسيراً ، رأى والدته وأم
ولده وجماعة من حرمه يصحن^(٣) بأعلى صوتهن : بالله عليك اقتلنا وخلصنا
من الأسر . فأمر بهن فغرقن ، وهذه من عجائب البلايا ونوادير المصائب^(٤) .
وأما العساكر الخلجية المفارقة لجلال الدين فقد^(٥) استنزهم جنكز خان
بعد فراغه من جلال الدين من عصم الجبال^(٦) وشتم الأعلام والقلال ،
واستخرجهم من بطون الغاب ، وأجواف الشعاب . وتحصن أعظم ملك
بقلعة دروده فحوصرت إلى أن أخذت فألحقت بالآخرين الآخرين .

وحدثني ضياء الملك عالي الدين محمد بن مودود العارض النسوى
— وكان ذا أصل زكى ، وزند في الأريحية وكري — قال : أهويت بنفسى
إلى الماء ولم أعرف السباحة ماهى ، فغطست وأشرفت على الهلاك ، وبيننا^(٧)
أنا في غمرات الماء اضطرب ، إذ بصي معه زق منفوخ فددت يدي وهممت
بتغريقه ، وأخذ الزق منه فقال : إن كنت ترضى بخلاصك دون هلاكى
شاركنى فيه أو صلاك إلى الساحل ، ففعلت وسلمنا . وطلبت به بعد ذلك أشد
الطلب أجازيه على صنيعة فلم أجده على قلة عدد الناجين .

(١) في الأصل : قهوى . (٢) في الأصل : أنه لابد من غريق .

(٣) في الأصل : يضجن ، ويحتمل أن تكون يضجن .

(٤) ذكر دوسون أن نساء السلطان وقعن في الأسر ، ولم يفر إلى غرقهن في نهر السند ،
والراجع أن أم جلال الدين ونساءه قد غرقن فلا في ماء السند كما ذكر النسوى ، وأما التي
أسرها المغول فكانت ترکان خاتون أم علاء الدين محمد خوارزم شاه التي أسرت في إقليم
مازندران . انظر D'ohsson; Op. cit., t.ii, p. 307

(٥) في الأصل : قد . (٦) في الأصل : الجبال .

(٧) في الأصل : بينا .

ذكر عبور جلال الدين ماء السند

وحوادث سنة تسع عشرة وستمائة^(١)

لما وصل جلال الدين إلى حافة ماء السند، وقد سددت^(٢) دونه المهابر وأحاطت به المعاطب، وقد رأى وراءه البواتر، وقدامه البحر الزاخر، رفس فرسه في الماء لابساً عدته، فعبر به الفرس ذلك النهر العظيم صنعا من الله تعالى فيمن يتولى حفظه. وكان قد بقي معه ذلك الفرس إلى أن فتح تفليس معافى^(٣) عن الركوب.

وقد تخلص إلى تلك الجهة زهاء أربعة آلاف رجل من عسكره. حفاة عراة كأنهم أهل النشور، حشروا فبعثوا من القبور. وفيهم ثلاثمائة فارس تقدموا جلال الدين بعد العبور ثلاثة أيام، إذ كانت غوارب الموج قد رمته إلى ناحية بعيدة في ثلاثة من خواصه وهم قلبرس بهادر، وقابقح، وسعد الدين على الشربدار^(٤). والجماعة لم يعلموا بسلامته فأصبحوا حائرين وفي تيه الفكرة سائرين، هملاً كالشاء فقد راعها، وقد أحاطت بها موايش^(٥)

(١) في الأصل : تسعة عشر . (٢) في الأصل : سددت .

(٣) في الأصل : معافا .

(٤) إن مدلول وظيفة الفريدار ظاهر، وهو الخدمة بغير إيجانه السلطان أو الأمير، على أن هذه الوظيفة كانت من وظائف الخدم أو الحرف الصناعية. أما الأمير الذي يتولى سقى السلطان على اللواتد ويمسح على مد السباط وتقطيع اللحم، وسقى المشروب بعد رفع السباط، فاحمه الساق. هذا بخلاف وظيفة الجاشنكير، ويقوم صاحبها بذوق الماء للكل والمشرب، قبل أن يتأوله السلطان أو الأمير خوفاً من أن يفس عليه فيه سم أو نحوه. انظر الفلشندي : صبح الأعشى، ج ٥ من ٤٦٩، ٤٥٤، ٤٦٠.

(٥) في الأصل : موايش .

الذئاب ، تخطفها فوارس الطلاب ، إلى أن اتصل بهم جلال الدين فاعتدوا لمقدمه عيداً ، وظنوا أنهم نشثوا خلقاً جديداً .

وكان في الزردخاناة ^(١) الجلالية ^(٢) شخص يعرف بجمال الزراد ، وقد انتبذ قبل الواقعة بما كانت تحويه يده من خالص ماله إلى بعض الجهات ، فوصل إذ ذاك بمركب فيه ملبوس ومأكول ، وقطع ماء سار به إليهم ^(٣) ، فوقع ذلك عند جلال الدين موقعاً حسناً ، وولاه أستاذ الدارية ^(٤) ، ولقبه باختيار الدين ، وسيجيء ذكر أحواله في موضعها إن شاء الله تعالى .

ولما علم زانه شتره ، صاحب جبل الجودی ، أن جلال الدين محتلهوات الحرب في القل من أتباعه ، والفل من أشياعه ، إلى جانب بلاده مكسراً ، ولم يترك الواقعة معهم من الخيل إلا يسيراً ، صمد صمده في زهاء ألف فارس وخمسة آلاف راجل ، اغتناماً لنهزة الانتصاف ، وانتهازاً لفرة الاستضعاف . وبلغ خبره جلال الدين فرأى الموت قد فغر فاه ، والصوارم تطلب وجهه وقفاه . فحيث أم ^(٥) شهرت عليه السيوف ، وأنى ألم أحذقت به الختوف ، ومعه من الجر حى من يتعذر استصحباهم إن أراد الخفوف للانفلات ، وعلم أن الهنود لو ظفروا بهم لم يقتلهم إلا مثلة ونكالا ، فمضى الأخ منهم إلى أخيه الجريج ، والقريب إلى حميمه الطريح ، وجز رأسه ورحلوا عازمين على أن يعبروا النهر إلى صوب التاتار فيخطفوا ببعض تلك الأجام المحتففة والغياض الملتفة ، فيعيشوا بما تنال أيديهم من الغارات .

(١) الزردخاناة : دار السلاح ، وهى كلة فارسية مركبة ، وقد أطلقها القرزى على السلاح نفسه . ومن معانى الزردخاناة أيضاً ، السجن المخصص للجرمين من الأمراء وأصحاب الرتب . انظر القرزى : السالك ، ج ١ قسم ٢ ص ٣٠٦ حاشية ١ .

(٢) نسبة إلى جلال الدين منكبرى . (٣) فى الأصل : سوده إليهم .

(٤) أستاذ الدار : أو الأستاذار هو الذى يتولى شؤون بيوت السلطان كلها من المطابخ والفراخاها ، والحاشية والعلمان ، وهو الذى يعشى بطلب السلطان ويحمى فى علماته وباب داره . وله حديث مطلق وتصرف تام فى اسفعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان من النفقات والكساوى . الفلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٠ .

(٥) أم : قصد .

وتخيل الهنود أنهم من الثائتار لحين تأمروا^(١) على ذلك ، توجهت الرجاله صوب مقصدهم ، وتأخر عنهم جلال الدين بمن معه من ناصرته وأعيان خيله على رسم البرك^(٢) فجاء^(٣) زانه شتره ومن معه من مكاكركته . فلما اكتنحت عينه^(٤) بجلال الدين حل عليه بنفسه وجيشه ، بل بطيشه . فركب جلال الدين عزيمة الرجال في الثبات فوقف له إلى أن قارب ورماه بنشابة طارت إلى صدره ، هتكت حجاب سره ، نخر ساجدا لاسجود عبادة ، بل هجود إبادة . وانهم عساكره ، وتحمل جلال الدين بخيله وعدته وما أفاء الله عليه من أمواله وأسلحته .

ولما سمع قمر الدين نائب قباجة بدبدة وساقون بهذه الواقعة الغربية والحادثة العجيبة ، تقرب إلى جلال الدين بإهداء الطاف ، وتقاديم أصناف في جملتها الدهلن ، تفادياً عن قتاله^(٥) ، وتصوناً بما تم على زانه شتره من التقائه وجداله ، فوقع ذلك منه موقعا مشكورا^(٦) .

(١) في الأصل : توامروا .

(٢) البرك : لفظ فارسي معناه الطلائع . وقد جاءت أمثلة كثيرة لوجوه استعمال هذا اللفظ منها « كان يزك وطلايعه لاتقطع من القريج » . انظر كتاب السلاح في الاسلام للقائم عبد الرحمن زكي ، ص ٦١ .

(٣) في الأصل : فجاءت .

(٤) في الأصل : اكتحل عينه .

(٥) في الأصل : تقادما عن قتاله .

(٦) يجدر بنا أن نغير هنا إلى أن هرب جلال الدين منكبرتي إلى بلاد الهند لم يكن بالأمر بالجديده على حكام إقليم غزنة . فقد كانت البلاد الهندية مأوى للحكام من الأتراك الذين فروا إليها من قبل . فقد قامت الدولة النورية في هذه الجهات ، ثم توسع حكمها في أملاك الأقاليم الهندية ، بل لمنهم اقتصروا على حكم هذه الأقاليم بعد أن ضاعت هيبتهم في إقليم غزنة ، على أثر ظهور الدولة الخوارزمية واتساع رقعتها في هذه الجهات .

انظر Lane-Poole : Mediæval India Under Mohammedan Rule, p.71

ذكر ما كان بين جلال الدين وقباجة من وفاق تارة وخلاف أخرى

ولما استراح جلال الدين من ثقل تلك الوطأة ، ولمّ مابه وبيقباها أصحابه من شعت الواقعة ، بلغه أن بنت أمين ملك سلمت من الغرق ولجأت إلى أوجاهي من مدن قباجة ، فأرسل إليه يقول ^(١) : إن ذوات الخدور ، وضماير الستر من حرمه قد غرقن ، وإن بنت أمين ملك تمت إليه بقرابة ، وقد رغب في نقلها إلى الدار ، فليجهزها إليه صحة الرسول . فنشط قباجة ليجري مرضاته فيما توخاه ^(٢) ، وجهرها تجهيز الهدى إلى زوجها الكفي ^(٣) ، وأصحابها تقاديم برسم جلال الدين في جملتها الفيل . فقبل جلال الدين ذلك أحسن قبول ، وقابله بأجمل مقول ومفعول ، وانتظم الصلح ، وأمنت البلاد ، إلى أن قضت الأيام بالفرقة والبين ، ودبت عقارب الفساد في ذات البين ، وتجدد من موجبات الوحشة ما يأتى ذكره : منها أن شمس الملك شهاب الدين ألب كان السلطان قد استوزره لجلال الدين على ما ذكرناه . وكان المذكور جامعا لأدوات الرياسة ، لم يطيع على مثله غرارها ^(٤) ، ولم يضع شرواه في مضمارها ، سماحة كرم ، وسجاجة شيم ، وهيبة خفيت لها جنادب الليل ، وغصت لها مباحث السيل . فرمته الواقعة إلى قباجة فأمنه وآواه ، وأكرم مشواه . وحيث كان يعتقد أن جلال الدين ليس فيمن نجا ،

(١) نقلها هو داس عن الأصل الخطى : « بلغه أن بنت أمين ملك سلمت من الغرق ووجاهي من مدن قباجة أرسله يقول » . ثم رأى هو داس أن يضيف [إلى] إلى أوجاهي . ولعل تصحيحنا يستقيم مع المعنى .
(٢) في الأصل : توخاه .
(٣) الكفي : الكف . وجمع الكفي أكفيا ، مثل ولي وأولياء .
(٤) في الأصل : عرارها .

ولا بمن يخاف ويرجى ، استرسل معه في أمور كان الحزم يقتضى إخفاءها^(١) عنه . فلما تحقق أن جلال الدين سلم ، استوحش من جانب شمس الملك لما نفث إليه مصدوره ، وندم على ما أودعه من سر ضميره . ولما علم جلال الدين أن شمس الملك عنده ، استدعاه وحمله التوهم على أنتقاض ذممه ، والاسترواح إلى سفك دمه ، طمسا على أسرار وضعها عنده ، وظن أنه ضيعها ، وأودعها لديه ، فتوهم من إشاعتها . ولم يعلم جلال الدين بذلك إلى أن فارق الملك نصرة الدين محمد بن الحسن بن خر ميل ، والامير أبان المعروف « بهزار مرد » ، قباجة إلى جلال الدين فأعلماه بباطن أمره ، وغامض سره في غدره ، وختله في قتله الوزير المستجير به .

ومنها أن قرن خان بن أمين ملك ، كانت الواقعة طرحته إلى مدينة كلور^(٢) من مدن قباجة ، فشرهت نفوس عامتها إلى سلبه ، فقتل طفلا أحسن ما كان ورد خد ، وغصن قد ، وطلعة غرة ومجد . وحملت إلى قباجة من سلب اليتيم درة كانت في أذنه ، فسكر الحامل على حملة ، وجازى القاتل خيرا على قتله وأقطع له ضيعة وإحنة^(٣) في الصدر دفينه ، وكان يداريه تربصا للجنين المقدور في إدالة الميسور على المعسور ، إلى أن اتصل به الأمراء المنفصلون عن أخيه غياث الدين بيرشاه وهم سنجقان خان ، وإيلجى بهلوان ، وأرخان ، وسر سلاحدار السلطان^(٤) ، وتكشارق جنكشى ، فقويت الأنفاس الخامدة^(٥) ، وحميت النفوس الجامدة ، وقصد مدينة كلور لخاصرها ، وداوم

(١) في الأصل : إخفاؤها .

(٢) من مدن إقليم البنجاب .

(٣) وإحنة : غلة .

(٤) كان ديوان الجيش من أهم دواوين الخوارزميين ، فيه كان يدبر كل ما يلزم الجيش من أسلحة وذخائر وعتاد وأموال ، ويتبع هذا الديوان « بيت السلاح » الذى تحفظ فيه الأسلحة المختلفة ، ويقوم بالعمل فيه عدد كبير من الصناع يشتغلون في إصلاح الأسلحة . . ويشرف على هذا البيت رجل عرف بالسلاح دار .

(٥) في الأصل : الخامدة .

القتال عليها ، ضرباً بالسيوف القواضب ، وآخذاً باللحي والدوائب . وباشر
الزحف بنفسه ، فأصابته نشابة في يده فأصبح كالأسد موتوراً ، والنزح مجروحاً
ومضروباً . ولم يفتر في القتال ليلاً ولا نهاراً ، إلى أن استولى عليها ، فلم
يترك بها مباشر قراع ، بل لابسة قناع . ثم رحل منها إلى قلعة « برنوزج » ،
وحط عليها وباشر القتال بنفسه وخواصه ، وأصابته هناك نشابة أخرى
فألقى برنوزج بأختها عن كعب ، وكان الخراب لها أعدى من الحرب ،
وتأمت الوحشة بهذه الأسباب بينه وبين قباجة .

ولما رأى قباجة أن بلاده تطوى شيئاً فشيئاً فزع إلى الاحتشاد ومال
إلى الاستنجد ، فركب في زهاء عشرة آلاف فارس ، وأنجده شمس الدين
إيلتمش^(١) ببعض عسكره ، فتجرد للانتصاف ، وعزم على المصاف .

وعلم جلال الدين أن التقاه^(٢) بأصحابه الذين عضتهم الوقائع ، ورضيتهم^(٣)
الخطوب القوارع ، بغرير^(٤) عزم على الثبات وركب .

ليسرى^(٥) في ضمير الليل سرّاً ويخطر في جوانبه خيالاً

في السباع والذئاب الجياع ، مخرجين من جهد البلاء ، وضنك البؤس
والألواء^(٦) ، حتى أحاط به وبعسكره إحاطة الدائرة بالمركز ، فعجله عن
الركوب مستعداً ، وأجأه إلى الهروب مجدداً . فسار بنفسه ومن خفت به
الظهور مجفلاً .

ونجا برأس طمير^١ ومضى كما رعت النعام فراخه فاستعجلا
لحقته غائلة الشقاء فحوّلت في كفه الرمح المثقف مغزلاً

(١) كان شمس الدين إيلتمش أحد أركان الترك في الدولة النورية ، وقد سار إلى بلاد الهند
بعد سقوط هذه الدولة ، وتمكن من تأسيس إمارة في الجزء الشمالي من هذه البلاد . وقد
حكم هذا الرجل مدينة دهل من ٦٠٨ / ٦٣٤ هـ (١٢١١ / ١٢٣٦ م)
(٢) كذا في الأصل . (٣) في الأصل : ورضيتهم .
(٤) كذا في الأصل . (٥) في الأصل : يسبى .
(٦) الألواء : الشدة . وفي الأصل اللواء .

وترك العسكر شاغراً بما فيه من الخيام المضروبة ، والدهاليز المنصوبة ،
والخزائن المتكاثرة ، والعدد الوافرة . ونزل جلال الدين وأصحابه به نزول
العسكر بخيام السبق ، وتحملوا بما غنموا من الأموال والأثقال فرشوا
بها عارى نبالهم ، وأمروا ضعيف خيالهم^(١) . فأهلا به من مقصد حمد فيه سعيه
القاصد ، ومنزل صدق في خصب أهله الرائد^(٢) .
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

(١) أمّره : جعله أميراً . والخيال صورة تمثال الشيء كخيال الإنسان في المرأة . وهو
أيضا ثوب يلقي على خشبة يخيل به للبهائم والطير فتظنه إنساناً . ويقصد الذنوى أن الجنود
تشجعت وقويت بعد أن كانت كالخيال .
(٢) في الأصل : في حصة أهله الرايد .
وقد جاء في خطبة الرسول عليه السلام في أهل مكة ، إن الرائد لا يكذب أهله . وهو
الذي يرسلونه ليجت عن الماء والعشب فلو كذبهم لأهلكهم .

ذكر الحوادث بعد كسر جلال الدين قباجة

. وما جرى بينه وبين شمس الدين إيلتمش إلى أن خرج من الهند

لما كسر جلال الدين قباجة ، نزل على نهاور^(١) ، وكان بها ابن لقباجة وقد عصى والده متغلبا عليها ، فرأى جلال الدين تقريرها عليه على مال معجل وآخر في كل سنة تحمّله . ورحل صوب سيستان وبها غفر الدين السعلاوى والياً عليها من قبل قباجة ، فتلّقه بالطاعة ، وسلم مفاتيحها إليه رغبة أو رهبة ، فجبي المال ، وأرضى الرجال . ثم رحل عنها صوب «أوجاء» فحاصرها أياماً ، واقتتل من الفريقين خلق كثير ، ثم صالحوه على مال فحمل إليه ، ورحل صوب «خانسر»^(٢) ، وكان رأيها والرأى بين الملك بلغة الهند من أتباع شمس الدين إيلتمش وأنصاره ، والمقسمين بطاعته وشعاره . فخرج طائفاً ، وحضر إلى الخدمة مشائفاً ، وألقى^(٣) بها جلال الدين عصا القرار ، استجماً^(٤) من وعثاء السفر ، واسترواحاً من مكابدة الخطر . فأتاه الخبر بأن شمس الدين إيلتمش قاصده في ثلاثين ألف فارس ، ومائة ألف راجل ، وثلاثمائة فيل ، سواد^(٥) فذبح بثقله كاهل الدو^(٦) ، وسد بقسطله منافذ الجو .

وقد تنهض العصفور كثرة ريشه ويسقط إذ لا ريش فيها نسورها^(٧)

(١) المقصود هنا مدينة لاهور . انظر D'ohsson : Op. cit., t.i, p. 309.

(٢) كذا في الأصل ولعلها «خانسر» وهى قرية قريبة من همدان . انظر ياقوت : معجم

البلدان ، ج ٣ ص ٧٣ ، ٣٩٢ .

(٣) في الأصل : ألقا .

(٤) في الأصل : استجماً .

(٥) سواد : جوع .

(٦) الدو : البرية .

(٧) في الأصل : يسورها .

فتجرد نحوه جلال الدين تجلداً ، وقدم أمامه جهان بهلوان أربك باين وهو من حماة الأبطال وكفاة الرجال ، برسم اليك وساق ، يخالفه يرك شمس الدين في الطريق ، وتوسط أربك باين معسكر شمس الدين ، فهجم على جماعة منهم فقتل منهم وجرح . وأحضر إلى جلال الدين من أعليه بذلك الجمع الكثير ، والجم الغفير . وورد عقيب^(١) ذلك رسول شمس الدين إليتمش في طلب المودعة ، والتماس المصافحة ، وكف يد المكافحة ويقول : ليس يخفى على ما ورامك من عدو الدين ، وأنت اليوم سلطان المسلمين ، وابن سلطانهم ، ولست استحل أن أكون عليك عوناً للزمان ، وعدة للحدثان . ولا يليق بمثلي أن يجرّد السيف في وجه مثلك إلا إذا اضطره إليه دفاع ، أو سامه إليه تحرز وامتناع . وإن رأيت زوَجَتِكَ بانبتي لتستحكم الثقة ، وتأتأ كد المقة^(٢) ، وتزول الوحشة . قال جلال الدين إلى ما قال ، وأصحب رسوله باثنين من أصحابه ، وهما يزيدك بهلوان ، وسنقرجق طايسی فمضيا إليه ، واختاراه عليه ، وأقاما لديه ، استخلاصاً عما منوا^(٣) به من مكابد الأخطار ، ومداومة الأسفار ، ووصلهم سهر الليل بذات النهار . وترادفت الأخبار بأن إليتمش وقباجة وسائر ملوك الهند ، وعامة راياتها وتكاكرتها وأصحاب ولاياتها ، قد تأمروا^(٤) على قلعه ، وأن يمسكوا عليه حافة ماء نخجينير ، فيلجشوه^(٥) إلى حيث لا سبيل إلى الذب ، ويحترشوه احتراش الضب^(٦) . فعظمت إذ ذاك بليته ، وفترت في وجوه العزائم نيته ، ورأى أن الزمان حزّب عليه أحزاباً ، ومتى سدّ للحوادث بجُهدِه باباً ، فتح عليه أبواباً . فاستشار نصحاءه في تدبير ذلك الأمر بصوابه ، وإتيانه من بابِه . فترجحت آراؤهم في التقريب والتعديد ، وتخالفت أقوالهم في التخطية والتصويب .

(١) في الأصل : عقيب .

(٢) المقة : المحبة . .

(٣) منوا : ابتلوا .

(٤) في الأصل : توامروا . .

(٥) في الأصل : فيلجأوه .

(٦) احتراش الضب : اصطاده .

اما الواردون من العراق ، المنفصلون من أخيه غياث الدين ، [فقد]
مالوا بأجمعهم إلى قصد العراق ، تطمينا له من انتزاعها من يد أخيه . وقد
ذكروا أنها معرّضة لقصّادها لتواكل الآراء ، ومداهنة النصحاء ،
واغتنامهم صلاح أنفسهم في وجوه المقاصد والانجاء ، استصغارا
لغياث الدين ، واستضعافا لركنه ، ورغاوة جانب سياسته ووهنه .
وأشار عليه جهان بهلوان أزبك بلزوم بلاد الهند من جنكزخان استظرافا ،
وبملوك الهند استضعافا . فحمله شغفه بتملك الممالك الموروثة والحكم فيها
على قصد العراق ، تخفّف النهوض إليها ، واستناب جهان بهلوان على ما كان
يمسكه من بلاد الهند الحسن قزلق ، وقد لقبه « بوفاء مُلك » ، على ما قد نجح
من بلاد الغور وغزنة من صدمات التاتار ، واستمر وفاء ملك إلى آخر
أيامه ، ومنقرض شهوره وأعوامه . وطرد جهان عما كان يليه في سنة
سبع وعشرين وستائة ، فوصل إلى العراق . وسيأتي الشرح على بقية حاله
في موضعها إن شاء الله ^(١) .

(١) نرى بما ذكره النسوي وغيره من المؤرخين عن حال جلال الدين متكبر قزلق في بلاد الهند ،
أنه كثيرا ما كان يظهر بمظهر الكسير الذليل من هول ما أصابه خاصة ، وأصاب دولته عامة
بعد موقعة السند . وقد نظم ابن الوردي قصيدة وصف فيها جلال الدين ودولته في هذه الأثناء
جاء فيها :

من ملك الدنيا ودانت له	فالجهل كل الجهل أن يحسدا
بقدر ما ترفع أصحابها	تخطم فالرأى قرب المدى
ويلى على المنرى بعليائها	سيمضحك اليوم ويكي غدا
تعطيه كالشفق لكنها	تبطش في الأخذ كبطش العدا
مبتدأ حلو لمن ذاقه	واكن انظر خبر المبتدا
غدارة خيانة أهلها	ما زهد الزهاد فيها سدى

انظر ابن الوردي : تمة المختصر في أخبار البشر ، ص ١٥٥ .

ذكر حصار التاتار خوارزم في ذى القعدة
سنة سبع عشرة^(١) وستائة
واستيلائهم عليها في صفر سنة ثمان عشرة^(٢) وستائة

وقد خصصتُ حصارها بالذكر دون سائر البلاد لعظم^(٣) أمرها ،
ومبدأ احتفال التاتار لها . لما انفصل أولاد السلطان عن خوارزم على
ما ذكرناه ، وافى^(٤) التاتار تخومها ، وأقاموا بالبعد منها إلى أن تكملت
عدتهم للحصار وعددهم ، وتواصلت نجدتهم من الأقطار ومددهم . فأول
من وصل منهم باجى بك في عسكر كشيغ ، ثم بعده ابن جنكيزخان
أو كطاي وهو الخاقان يومنا هذا^(٥) ، ثم سيئر الخيخ وراهم حلقة الخاصة
ومقدمها بقرجن نوين في سرار الطواغيت ، وأشرار العفاريت . وأردفهم
بابنه جغتاي ومعه طولن جرجى ، واستون نوين ، وقاضان نوين في مائة
ألف أو يزيدون^(٦) . فطفقوا يستعدون للحصار ويستعملون آلاته من

(١) في الأصل : سبع عشر . (٢) في الأصل : ثمان عشر .

(٣) في الأصل : لعظم . (٤) في الأصل : وافا .

(٥) حكم أجتاي Ogotaï بن جنكيزخان من ٦٢٤/٦٢٩ هـ = ١٢٢٧/١٢٤١ م .
ومن ذلك يتضح أن محمد النسوى قد كتب سيرة جلال الدين منكبرتي بعد وفاة جنكيزخان
سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) ، بل بعد وفاة جلال الدين نفسه سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣١ م) ،
ولهذا الأمر خطورته عند الحكم على قيمة الكتاب نفسه كرجع تاريخى ، من حيث إدراك
تحرر المؤلف إلى حد ملحوظ ، رغم ولائه لن سرد سيرته ، من قيود الكتابة .

(٦) مهما تعددت أسماء القواد التي ذكرها النسوى في هذا المقام ، فالمهم أن جنكيزخان
قد أسند قيادة الجيوش المغولية التي وجهها إلى خوارزم لأبنائه الثلاثة ، جوجى وجغتاي وأجتاي

(أكتاي) . انظر D'ohsson; Op. cit., t.I, p. 265 & seq.

المجانيق^(١) والمتارس والدبابات^(٢) . وحيث رأوا خوارزم وبلادها خالية عن حجارة المجانيق ، وجدوا هناك من أصول التوت غلاظ الجداول كبار الأصول ما يكفي ويفضل ، فأخذوا يقطعون منها قطعاً مدورة ، ثم ينقعونها في الماء فتصير كالحجارة ثقلاً وصلابة ، فتعوضوا بها عن حجارة المجانيق^(٣) فلا يزالون^(٤) على البعد منها إلى أن استكملوا آلاتها . ثم إن دوشى خان^(٥) وصل برجاله ما وراء النهر^(٦) ، فراسلهم منذراً ومخبراً ، ووعدهم الأمان إن سلموها سلباً . وقال : إن جنكزخان قد أنعم بها عليه وأنه ضنين بتخريبها ، حريص على إبقائها عليه . وما يدل على ذلك أن هذا العسكر ما تعرضوا له مدة مقامهم بالقرب منها إلى غارات رسائيقها تميزاً لها عن غيرها بمزيد الرعاية ، ومزيد العناية ، وإشفاقاً عليها من تعريضها للأنواء والإتلاف ما لم تصل إليها يد الإتلاف . قال ذوو^(٧) النباهة منهم إلى المسألة ، غير أن السفهة غلبهم على رأيهم بإغرائهم ، ولا أمر للبغضى إلا مضيقاً .

(١) استعمل العرب المتجنيق منذ أيام الرسول ، ولا يعرف على وجه التحقيق أهل العرب استعماله عن الفرس أم الروم . والمجانيق أنواع مختلفة أهمها ما يستعمل في (١) رى السهام، إذ توضع في المتجنيق الواحد عدة منها وترى عنها بالأقواس إلى مسافات بعيدة وبقوة خارقة . (ب) رى الحجارة لهدم الحصون بالحجارة الضخمة . (ج) رى قدور النفط أو الكرات المشتعلة من النار اليونانية . (د) رى العقارب أو سلال الرماد وغيرها من الرمم المفعنة . انظر كتاب السلاح في الاسلام للقاء مقام عبد الرحمن زكى ، ص ٥٨ — ٥٩ .

(٢) راجع ص ١١٤ حاشية ٤ . (٣) في الأصل : المجنيق .

(٤) في الأصل : يزالوا . (٥) المقصود هو جوجى بن جنكيزخان .

(٦) أى إلى الجهات الواقعة شرق نهر جيحون ، وقد وصل جوجى إلى هذه الجهات بعد أن أخضع الكثير من المدن التي وكل إليه إخضاعها والواقعة على نهر سيجون . فالتاب أنه بعد أن أخضع هذه المدن ووضع عليها حكماً مخلصين ، أصدر أوامره إلى جنوده بالعبور إلى خوارزم . انظر D'ohsson : Op. cit., t.i, pp. 221—223

(٧) في الأصل : ذوو .

وكان السلطان يكاتبهم وهو بالجزيرة أن لاهل خوارزم علينا وعلى سلفنا من الحقوق المتلاحقة ، والسوالف الحاضرة والسابقة ، ما يوجب علينا النصح لهم ، والإشفاق عليهم ، وهذا العدو عدو غالب فعليكم بالمسألة والطريق الأرفق ، ودفع الشر بالوجه الأوفق . فغلب السفيه على رأى النبية ، ولم ينفع ما قدم من التنبيه ، وخرج الأمر من أيدي ذويه . فساق دوشى خان إليها فى البحر الخضم ، إلحاقاً الفرد بالأعم ، وأخذ يطويها محلة فمحلة ، فكان إذا أخذت واحدة منها التجأ الناس إلى أخرى يحاربون أشد حرب ، وينذّبون عن أنفسهم وعن حريمهم أتم ذب ، إلى أن أعضل الأمر ، وكشر عن نابه الشر ، ولم يبق معهم إلا ثلاث محال تراكت الناس فيها متزاحمين ، أرسلوا حين أعيتهم الحيل ، وضائق بهم السبل ، إلى دوشى خان ، الفقيه الفاضل عالى الدين الخياطى محتسب (١) خوارزم ، وكان السلطان يحترمه لفضيلتى العلم والعمل ، مستضعفاً ومستشفعاً ، الآن وقد نشبت أظفاره ومخالبه ، ودميت أنيابه وترايبه ، فهلا ذلك قبل ظهور الاضطراب ، وانقضاء مدة ملك الخيار . وأمر دوشى خان باحترامه ، وأن ينصب له خيمة من خيامه ، فلما أحضر ذكر فى جملة ما قال : إننا قد شاهدنا من هبة الخان وقد آن أن نشاهد من مرحته . فاستشاط اللعين غضباً ، وقال : ماذا رأوه من هيبتي وقد أفنوا الرجال ، وطاولوا القتال ، فأنا الذى شاهدت هيبتهم وما أنا الآن أريهم هيبتي . وأمر فأخرج الناس فرادى وثباتاً (٢) ، وجموعاً وأشتاتاً ، ونودى بانفراد أرباب الصنائع وانعزالهم

(١) كانت وظيفة المحتسب من الوظائف ذات الشأن عند المسلمين بوجه عام . إذ كان للمحتسب نواب يطوفون فى الأسواق فيفتشون القدور والاحوم وأعمال الطهارة ويلزمون رؤساء المراكب ألا يحملوا أكثر مما يجب حمله من السلع ، ويشرفون على السقاين لضمان تنظيهم القرب ، ولبس السراويل بما لا ينافى الآداب العامة ، ويعنمون معلمى الكتائب من ضرب الصغار ضرباً مبرحاً ... واتسعت سلطته حتى ألزم رجال الشرطة أن يقوموا بتنفيذ أحكامه . انظر كتاب النظم الاسلامية للدكتور حسن ابراهيم حسن ، ص ٣٥٥ .

(٢) ثباتاً : جمع ثبة وهى الجماعة أو الفرقة ، أى جماعات جامعات .

ناحية ، فمنهم من فعل ونجا ، ومنهم من اعتقد أن أرباب الحرف تساق إلى بلادهم وغيرهم يترك في وطنه ، فيقيم بمسكنه وعطنه ، فلم ينفرد ، ثم وضعوا فيهم السيوف بل المعاول والفؤوس^(١) ، إلى أن أضجعوهم على العراء^(٢) وجمعوهم في حيز^(٣) الفناء^(٤) .

(١) في الأصل : الفؤوس .

(٢) في الأصل : العرا .

(٣) نقلها هوداس Houdas عن النسخة الخطية « ح » ثم صححها في الطبعة الفرنسية حرز ، والواقع أن صحتها حيز .

(٤) صور ابن الأثير ما أصاب هذه المدينة تصويرا دقيقا في هذه العبارة : ثم أنهم [المنقول] فتحوا السد الذي يمنع ماء جيحون عن البلد ، ودخله الماء ، ففرق البلد جميعه ، وتهدمت الأبنية ، وبقي موضعه ماء ، ولم يسلم من أهله أحد البتة ، فإن غيره من البلاد قد كان يسلم بعض أهله ، منهم من يختفي ، ومنهم من يهرب ، ومنهم من يخرج ثم يسلم ، ومنهم من يلقي نفسه بين القتلى فينجو ، وأما أهل خوارزم فن اختفى من التتر غرقه الماء ، وقتله المهدم ، فأصبحت خرابا يبابا . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٨٢ . وقد ذكر دوسون قولا عن كل من رشيد الدين والجلويني ، أنه قد وكل إلى كل جندي مغولي قتل أربعة وعشرين رجلا ، كما ذكر أيضا أن أصحاب الحرف والمهن الذين أرسلوا إلى مغوليا بلغوا مائة ألف رجل . ورغم أن هذه الأرقام تبدو فيها المبالغة ، فإنها تصور ما أصاب مسلمي هذه المدينة من عن . انظر D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 269.

٤٣

ذكر طلوع جلال الدين من الهند ووصوله إلى كرمان^(١)

في سنة إحدى وعشرين وستمائة

وما جرى من الحوادث إلى أن ملك العراق

قاسى جلال الدين ومن معه من رزايا (٢) الأرواح المتخلصة ، من بين
مشتجر الرياح في البرارى القاطعة بين كرمان والهند ، شدائد أنسهم سائر
الكرب وأوردتهم بأجمعهم سواقي العطب ، وقد أعوزتهم في تلك القفار
علامات الشفاء ، وبلاغات الأفواه ، فضلا عن الأقوات ، فكان الرجل
يتنفس عند هبوب السموم ، تنفس المحموم ، فلم يزل (٣) نفسه بالسموم يرجع
إلى أن ينقطع . فتخلص إلى كرمان في أربعة آلاف فيهم ركاب أبقار
وحمير (٤) .

وكان بها براق الحاجب ينوب عن أخيه غياث الدين . وبراقي هذا كان
حاجبا لسكورخان (٥) ملك الخطائية ، ورد رسولا على السلطان مبدأ المكاشفة
بينهما ، فنعه أن يعود إلى مرسله رغبة فيه ، فبقى محصورا بخوارزم إلى أن
أورث الله السلطان أرضهم وديارهم ، وملك بلادهم وأمصارهم ، فأحضره
« على به » ورتبه في جملة حجابيه ، إلى أن وضعت الأيام ما جنته (٦) أرحامه
من فتنة التاتار ، لفظته الوقائع إلى أن خدم غياث الدين بيرشاه ، وهو

(١) حكم أتابكة كرمان من سنة ٦١٩ / ١٢٢٢ = ١٣٠٣ م .

(٢) في الأصل : رزايا . (٣) في الأصل : تزل .

(٤) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أوجه الشبه بين ما حدث لجلال الدين منكبرتي في هذه
البلاد وبين ما حدث للاسكندر الأكبر من قبل بعد أن أخفق في الاستيلاء على بلاد الهند .

(٥) راجع صفحة ٤٣ حاشية ٤ . (٦) في الأصل : أجنته .

إذ ذاك صاحب كرمان ، فأواه وأكرمه ، وأفاض عليه فضله وكرمه ، وتوفر في اصطناعه ، والجذب بياحه . وحين لاح لفيث الدين تملك العراق لخلوها عن المزاحمين عليها ، استناب براقاً بكرمان طمعاً في وفاته ، وتأميلاً على ذمامه وظناً منه بأن الصنعة عنده تشر فلا ينكرها ، والنعمة عليه يشكرها فلا يكفرها ، ولم يعلم أن أعجز ماء يحاول أرضاً ذات دحل^(١) ، وأجنى^(٢) نية من انطوى على بتل^(٣) . فأقام المذكور بها يخاط طاعة بجفاه ويؤسر حسواً في ارتغاء^(٤) ، وهلم جرأ إلى أن رمت البرية بجلال الدين إلى كرمان ، فوجدته في ظاهر الأمر ولياً مطيعاً ، وصفيّاً إلى الانقياد سريعاً^(٥) . وأقام بكواشر ، وهي دار المملكة ومحل السرير ، شهراً إلى أن حدس منه أنه نوى غدراً ، وأضر مكيدة ومكرراً ، شاور في أمره ونجوه أصحابه ، وذوى الوفاء والحفيظة من نوابه وحجابه ، فأشار عليه أورهان بالقبض عليه واستصفاء مملكة كرمان والاستظهار بها على سائر الممالك والبقاع ، وكتم امرئ بالرشد غير مطاع . وخالفه في هذا الرأي الوزير شرف الملك علي بن أبي القاسم الجندي المعروف بخواجه جهان ، وقال : هذا أول من بذل الطاعة من ولادة البلاد وزعماء الأطراف ، وليس كل واحد يتحقق غدرة ومكيدته ، ويتبين في التفاسق سريره وعقيدته ، فلو

(١) الأعجز : الماء الكثير . والدحل : الأرض الخوارة الدينة التي يتداخل فيها الماء .

(٢) في الأصل : أصفا .

(٣) البتل : القطيعة .

(٤) مثل من أمثال العرب يقصدون به المكر وإخفاء شيء وإظهار غيره . وقد قرأه هوداس خطأ عن النسخة الخطية : يسر حشوا في ارتغاء .

(٥) انظر ما كتبه عن أتابكية كرمان في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ١١١ . وانظر سلسلة نسب أتابكة كرمان في صفحة ١٦٩ من نفس الكتاب . ويلاحظ أن براق الحاجب قد عمد إلى إظهار ولاته لجلال الدين فقدم إليه الكثير من الهدايا كما عرض عليه إحدى بناته ليتزوجها . انظر D'ohsson : Op. cit., t. i, p. 6 . نقل عما كتبه الجويني وصاحب تاريخ كزنده .

غوجل جزاء غُدرة ، نفرت القلوب ، واشمازت النفوس ، وتبدلت الأهواء ،
وتغيرت النيات والآراء . فرحل جلال الدين صوب شیراز^(١) ، وورد
عليه الأتابك علاء الدولة صاحب يزد^(٢) مدعياً له بالطاعة ، ومعلناً شعار
التباعة ، فرحاً بإقبال مواكبه وطلوع كواكبه ، وأحضر من الخدم والتقايم
ما عمر به منزلته ، فلقبه أبا خان وكتب له توقيعا^(٣) بتقرير بلاده .

وكان الأتابك سعد صاحب فارس قد استوحش من أخيه غياث الدين
لإساءات^(٤) سبق ذكرها ، فرغب جلال الدين في إصلاحه لنفسه ، وسير
الوزير شرف الملك إليه خاطباً ابنته ، فأمرع إلى الإجابة والانقياد ،
وجرى في حلبة المراد طلق الجواد . ورجع المذكور منجح الطلب ، مقضى
الأرب ، كريماً يتقبل كريمة^(٥) ، ويحمل من صدف الملك إلى شرف السلطنة
درة يقيمة . فاستظهر جلال الدين بمصاهرته ، وقويت العزائم بمظاهرته^(٦) .
ثم تقدم من شیراز إلى أصفهان فخرج إليه القاضي ركن الدين مسعود بن
صاعد خروج ظمآن إلى مشاهدته ، مرتاح لمساعدته ومعاضدته ، هوسى
منه لم يرض بزمهم وحطام ، وولاء لم يدلك بإسراج وإلجام ، وفات
أصفهان أفلاذ كبدها إليه ، من عدد للجند مصنوعة ، وآلات للحرب
مجموعة . فطابوا نفوساً ، حين وجدوا مركوباً وملبوساً .

ولما سمع غياث الدين بتورطه وتوسطه ، ركب إليه فيمن تكشفهم
رعائته ، وتظلم رأيته ، من بقايا العساكر السلطانية زهاء ثلاثين ألف
فارس ، لطرده عما رامه ، وحرف إليه اهتمامه . فرجع جلال الدين بحزبه
حين سمع بقربه ، آيساً بما ظمحت إليه نفسه من مأربه ، يائساً حزيناً على
فوات مطالبه ، وسير إلى غياث الدين « أدك » أمير آخور وكان من

(١) شیراز : حاضرة أنابكية فارس .

(٢) يزد : إحدى مدن فارس وتقع على بعد سبعين فرسخاً من شیراز .

(٣) في الأصل : توقيع . (٤) في الأصل : لاسات .

(٥) في الأصل : يتقل كريمة . (٦) في الأصل : بمظاهرته .

دهاة خواصه ، يقول : إن الذي قاسيته من الشدائد الفادحة بعد السلطان^(١) ،
لو عرضت على الجبال لأشفقن أن يحملنها ، واستثقلنها فأيتن أن يقبلنها ،
وحين ضاقت على الأرض بما رحبت ، وانتفضت يدي عما ورثت وكسبت ،
قصدتك لأستريح عندك أياماً ، وحيث علمت أن ليس عندك للضيف إلا
ظبي السيف ، وللوارد التزيل سوى الصارم الصقيل ، رجعت بظاء من
السيوف حلات عن المناهل ، وردت كما أتت بيلابل . وسير إليه تولى خان
ابن جنكرخان وفرسه وسيفه ، وكان قد قتل في المصاف بيروان على
ما شرحناه^(٢) .

فلما سمع غياث الدين بالرسالة ، انصرف منعطفاً ، وعاد إلى الري
منحرفاً ، وتفرقت عساكره في المصايف . وكان جلال الدين سيّر صحة
رسوله عدة خواتيم ، وأمر بإيصالها إلى جماعة من الأمراء السلطانية
علامات منه ، يمنهم الاحسان ، ويزيّن بوعده اللسان ، مستميلاً لهم عن
أخيه ، ومدّأ من البر دونهم أوأخيه^(٣) . فمنهم من تناول الخاتم وسكت ،
وأجاب إلى الانقطاع إليه والتقاعد عن نصرة أخيه غياث الدين ، ومنهم
من سارع به إلى غياث الدين فثأله الخاتم ، فعند ذلك أمر بالقبض على الرسول
المذكور والاحتياط عليه ، وبادر إلى خدمة جلال الدين أبو بكر ملك ، وهو
من بني أخواله ، والمتجنّين على قتاله . وذكر أن القلوب إليه مشتاقة ، وإلى
لقياه نوافة ، وإلى لقاء الجمال بارتهان رضاه . فركب جلال الدين في ثلاثة آلاف
ضعاف^(٤) متوكلاً على الله وحده ، متجنّزاً في النصر وعده . وسار سير

(١) علاء الدين محمد خوارزم شاه . (٢) راجع ص ١٥٤ حاشية ٨ .

(٣) أوأخيه : أوأصره .

(٤) قرأ هوداس Houdas هذه الكلمة في النسخة الخطية «ضعاف» ، ثم عدلها في الطبعة
الفرنسية إلى «ضعاف» ، والواقع أن القراءة الأولى هي الصحيحة .

السحاب يحثه ريح الجنوب في رجال لوراموا الوعور^(١) فوعول^(٢) ،
أو قصدوا السهول فسيول ، قد كرت عليهم^(٣) التجارب ، ونيتهم^(٤)
النوائب . حتى أناخوا بعقوته مطلقين الأعنة في ليل من القسطل كواكبه
الأسنة ، فعجل غياث الدين عن التدبير ، وفوجيء^(٥) عن النفير ،
فلما أتاه المنذر ركب فرس النوبة^(٦) إلى قلعة سلوقان ، ودخل جلال الدين
خيمته وبها بكلواى والد غياث الدين ، فاستوفى لها أدب الخدمة . وشرط
التعظيم والحرمة ، وأنكر انزعاج غياث الدين وإخلاء مكانه ، وقال : لم
يقول من بنى أبي سواء ، وأنا له فيما يميل إليه ويهواه . وإنه اليوم عندي
بمنزلة العين الناضرة^(٧) أو أعز ، واليد الباطشة أو أعز ، فسيرت إليه من
سكن روعه وأزال^(٨) روعه ، فعاد إلى الخدمة . نعم ونزل السلطان في
حدقة الحلقة^(٩) منزلة السلاطين والخانات ، والأمراء يأتونه بالأكفان على
الرقاب ، يعقرون^(١٠) وجوههم في التراب ، فيقفون بين يديه استغفاراً
عما سبق من جريمة الاسعاد^(١١) عليه اعتذاراً ، وهو يسمعهم من العفو .
ما يعيد أبد أنسهم^(١٢) ، ويزيل حادث بأسهم . وصفت له شراب الملك ،
ودرست عليه أحلاب الولايات ، واثالت إليه كنانين المدن والقلاع ، فلم
يمض إلا أدنى مدة حتى حضر بابه من كان بخراسان والعراق ومازندران
من المتغلبين ، هيبة منه ، استنزلهم من قنن^(١٣) قلاعهم ، واستجذبهم من
أباعد بقاعهم . فتواردوا من غير استدعاء ، فمنهم من حسنت في أيام

(١) الوعر : المكان الصعب .

(٢) في الأصل : فرعول . والوعل حيوان يسكن قم الجبال .

(٣) في الأصل : كرتهم . (٤) ثيَّب الرجل السهم ، عجم عوده .

(٥) في الأصل : وقوضى . (٦) انظر ص ٦٥ حاشية ١ .

(٧) في الأصل : للناظرة . (٨) في الأصل : واثال .

(٩) حدقة الحلقة : وسطها . (١٠) في الأصل : ينفرون .

(١١) كذا في الأصل . (١٢) في الأصل : ايد .

(١٣) قنن : أعلى .

الفترة^(١) سيرته ، فأعيد إلى مكانه . ومنهم من ساءت طريقته ، فأذيق وبال طغيانه . وكانوا قبل قد أقاموا حجة على اشتداد منهم ، يمتنون غياث الدين بالخطبة المجردة. وهلك بقايا الأشباح في تجاذبهم ، ورزايا^(٢) الأرواح عند تسالهم . فأفرجت أيام السلطان عن الناس الكرب ، وأطفأت من نيران الفتن ما التهب ، وتفرقت الوزراء العمال في الأطراف بالتواقيع السلطانية فضبطوها^(٣) .

(١) في الأصل : الفترة . (٢) في الأصل : رزايا .

(٣) انظر كتاب D'ohston: Op. cit., t. iii, pp. 3-9.

ذكر نبذ من سيرة غياث الدين في الملك

ولما كان السلطان بالهند مكابداً ما ذكرناه من مداومة الكفاح ، وملاقة الصفاح ، والسهم بالوجه الوقاح ، انضوى إلى غياث الدين من شداد عسكر أبيه من كتتمته الآجام^(١) وحمته الأعلام^(٢) . وساق بهم إلى العراق فلما كان ، وأقيمت له الخطبة بخراسان والعراق ومازندان على ما ذكرناه ، ولد كل متغلب بمكانه لا يحمل أتاوة ، ولا يظهر إلا بالقول طاعة . فاستولى تاج الدين قمر على نيسابور وماحولها من أعمالها ، على شعث حالها ، ونقصان أموالها . وتغلب يلتقو بن إياجي بهلوان على شيراز ويهق^(٣) ومضافتهما . وتملك شال الخطائي جوين^(٤) وإلجام^(٥) وبأخرز^(٦) وما يتأخهما . واستولى شخص من الاسفيسالارية ، وقد تلقب بنظام الدين ، على اسفراين^(٧) وبندوار^(٨) وما يليهما . وآخر ، وكان اسفيسالاراً توحش أيام السلطان الكبير^(٩) يعرف بشمس الدين على بن عمر ، [على] قلعة صلول ، واشتعلت جذوته^(١٠) ، وتوالت الحروب

-
- (١) الآجام : جمع أجة وهي مأوى الأسد . وفي الأصل : عسكر أبيه كتتمته الآجام .
 (٢) الأعلام : الجبال .
 (٣) يهق : ناحية من نواحي نيسابور . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٤٦ .
 (٤) جوين : إحدى مقاطعات فارس ، وينسب إليها علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب كتاب جهانگشا . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ١٨١ .
 (٥) إلجام : ناحية من نواحي مدينة هراة .
 (٦) بأخرز : كورة ذات قسرى كثيرة بين نيسابور وهراة . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٢٨ .
 (٧) اسفراين : قرية حصينة من نواحي نيسابور . ياقوت : ج ١ ص ٢٢٨ .
 (٨) بندوار : مدينة قريبة من اسفراين .
 (٩) علاء الدين محمد خوارزم شاه .
 (١٠) في الأصل : جذوته .

بينه وبين نظام ، وهلك فيهما خلق كثير . وعاد اختيار الدين زندي بن محمد بن عمر بن حمزة إلى نساء ، وقد كان المذكور وإخوته وبنو أعمامه بخوارزم تسع عشرة^(١) سنة ممنوعين من الخروج ، فعاد إلى ما أورثه أبوه فملكها ، ولم تطل أيامه بها ، وأقام مقامه بها بعد ابن عمه نصره الدين حمزة بن محمد بن حمزة بن عمر بن حمزة ، واستولى تاج الدين عمر بن مسعود ، وكان من التركان ، على أبيورد^(٢) وخرقان^(٣) إلى ما يلي مرو وعمر قلعة مرغة ، وقد كانت تناوح^(٤) السماء ، وتناطح الأفلاك .

هذا حال خراسان ، وعلى هذا القياس كان أمر مازندران والعراق ولا حاجة إلى التطويل ، وغياث الدين متوفر على لذاته ، منهمك في أهوائه وشهواته ، لا يشهد مقاماً محموداً ، ولا يشهر حساماً مغموداً . وقد تجرد أثناء ذلك إليه من التاتار عشرة آلاف فارس فلم يثبت لهم ، وحين سمع بهم تسحّب إلى الجبال مفرجاً لهم عن العراق ، فقتلوا أوطارهم من النهب والقتل والإحراق . ولما رأى الأتراك وهيه^(٥) في السياسة ، أظهروا الفساد وخربوا^(٦) البلاد ، وجزروا^(٧) على ما أبقت التاتار من أرماق العراق ، فكانوا يأتون الضيعة فيكننون حولها حتى تصبح الرعية ، فتخرج مواشيها فيسوقونها إلى المدينة نهراً جهاراً ، والرعية تستغيث فلا تغاث ، وكأن كان صاحب الثور يتبع ثوره فيشتريه مراراً^(٨) ، إذ لا يقع له أرخص من ذلك . هذا كله لرخاوة كانت في عنان تديره ، وإلا فكان رحمه الله شهما في نفسه ، مجرباً كالسيف القاطع بل أمضى ، والبدر اللامع بل أضوا .

(١) في الأصل : تسعة عشر .

(٢) راجع ص ١٣٧ حاشية ٥ .

(٣) بلدة من نواحي بسطام . راجع ص ١٠٥ حاشية ١ .

(٤) في الأصل : تناطح . (٥) وهيه : ضعفه .

(٦) في الأصل : وجزروا . (٧) جزر الغداة : نحرها .

(٨) أى وكثيراً ما كان صاحب الثور الخ .

وحيث انقطعت مواد الأموال عن خزائنه ، اضطر^(١) إلى إسكات
الأتراك بالسكوت، وكان إذا لجّ بعضهم في السؤال، وألجّ في الطلب يرضيه
بزيادة في لقبه، فإن كان أميراً يلقبه ملكاً، وإن كان ملكاً يلقبه خانا^(٢)،
يمضى بهذا الوجه وقتاً، ويعبر زماناً، فكان أبو بكر الخوارزمي وصف
حاله بقوله^(٣) :

مالى رأيت بنى العباس قد فتحوا من الكنى ومن الأسماء أبوابا
ولقبوا رجلا لو عاش أولهم ما كان يجعله للحش بوابا
قلّ الدراهم في كفى خليفتنا هذا فأنفق في الأقوام ألقابا
وتحكمت والدته فيما كان تحت ولايته، وتلقبت بخداوند جهان^(٤) أسوة
بوالدة السلطان^(٥)، ترکان خاتون. وبلى الناس بخباط، واعتراض واختلاط.
فن خصام ينفق أسواقه^(٦) فلا يكسد، وتهب رياحه فلا يركد^(٧). وزحام
يتصل مواده فلا ينقطع، ويطبّق غمامه فلا ينقشع، فالناس دائماً^(٨) بين
تباين وجدال، وتباعد و قتال، إلى أن من الله تعالى عليهم بطولع السلطان
من الهند فأنصلح الزمان، وانزجر مفسده ونابه، وارتدع لصدّه وحاربه.
لقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقارب^(٩)
وحيث ورد ذكر شرف الملك، فلا بد من تقرير منشأه ومبدأ حاله،
وانتقاله من رتبة إلى أخرى أعلى منها شأناً، وأرفع مكاناً إلى أن تقلد الوزارة.

(١) في الأصل : واضطر .

(٢) راجع ما كتبناه عن لفظي خان وملك في صفحة ٣٨ حاشية ٤ .

(٣) لما كان أبو بكر الخوارزمي (٣٢٣/٣٨٣ = ٩٣٤/٩٩٣ م) قد عاش في
عصر كان البويهيون يسيطرون فيه على الدولة العباسية، ويتحكمون في الخلفاء أنفسهم مما دفع
هؤلاء الخلفاء إلى إرضائهم بثنى الوسائل والأساليب، منها الإسراف في منحهم الألقاب، فن
المحتمل أن يكون الخوارزمي قد قصد بهنك الأبيات أن يصوّر هذا المظهر في حياة العباسيين
في ذلك الوقت .

(٤) أي سيدة العالم . (٥) علاء الدين محمد خوازم شاه .

(٦) نفقت السوق : راجت . (٧) في الأصل : فلا يركز .

(٨) في الأصل : دائماً . (٩) الشعر لأبي تمام في مدح عبد الله بن طاهر .

ذكر نحر الدين علي بن أبي القاسم الجندی إلى أن تقلد الوزارة^(١)

ولقب بشرف الملك خواجه جهان^(٢)

كان المذكور قد ناب عن المستوفى في ديوان جند^(٣) برهة ، وهو أول أشغاله ، وبداية تصرفاته وأعماله ، ثم تولاه بعده استقلالاً ، وكان الوزير بها يومئذ نجيب الدين الشهرزورى المعروف بالقصة دار . والقصة دار هو الذى يرفع إليه القصص . بالحاجات والظلمات أيام الأسبوع فيجمعها ويوصلها إلى موقف العرض ليلة الجمعة عند فراغ السلطان لها ، فيأخذ أجوبتها ، وذلك من المناصب الجليلة عندهم . وكان ابنه^(٤) بهاء الدين حاجى ينوب عنه وزيراً بجند . ونجيب الدين هذا قد صاحب السلطان وخدمه في هذا المنصب أيام كان السلطان صاحب الجيش بخراسان ، وفي هذا المنصب من الارتفاع والانتفاع مودعة متنوعة ، وإمداد غير مقطوعة ، فلما تمكن نحر الدين [من] منصب الاستيفاء^(٥) بجند ، طمحت همته إلى مغالبة نجيب الدين ومسالبته ووزارة جند ، فرفع عليه مائتي ألف دينار تناولها مدة مباشرته . وحكى رحمه الله في بعض مجالس الأنس أيام خواجه جانيته ، قال :

لما عزمت على الرفيعة على المذكور ، شاورت في إمضاء العزيمة عدة من أكابر الصدور بمن لم يأل في نصحي ، ولا يقيس^(٦) نجيحه ونجحي^(٧) .

(١) راجع صفحة ٨١ حاشية ٣ (٢) أى سيد العالم (٣) راجع صفحة ٧٧ حاشية ٣ .
(٤) قرأها هوداس Hondas في النسخة الخطية « أبوه » ثم عدلها في الطبعة الفرنسية .
(٥) كان للمستوفى من كتاب الأموال بالدواوين ، وعمله ضبط الديوان التابع له والتمني على ما فيه مصلحة من استخراج أمواله ونحو ذلك . وقد بقى اسم المستوفى في بلاد فارس إلى القرن التاسع عشر الميلادى وكان يطلق على كبار كتاب المالية . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ١٩٢ حاشية ٢ .

(٦) في الأصل : بفروس . (٧) في الأصل : نجيحه ونجحي .

فما زادوا على إلا الإنذار ، وقولهم حذار حذار ، لعلمهم بمعمور محله ، ومقبول كلمته ، وتمسكه في الدولة بسابقي خدمته وقدمته . فلم ينه ذلك عما شرهت إليه النفس الأماره ، ومن مغالبتها على صدر الوزارة ، فرفع^(١) القدر المذكور ، وأثبتوه في الديوان ، وأنهوه إلى السلطان . وقد جلس ذات يوم جلوسه العام ، فدخلت فيمن دخل ، ووقفت في أخريات الناس ، فرأيت نجيب الدين واقفاً بقرب^(٢) السرير ليس فوقه إلا عدد يسير ، وهو مطرق مفكر ، مخاطبه السلطان وقال : مالي أراك نجيب الدين مفكراً ، ولعلك تظن أن الذي رفع عليك من القدر أنزله يحط عندي من قدرك ، وأيم الله وترتبه والدي السلطان لم أطلعك بشيء مما رفع عليك ، بل جعلته وهبة مني لولدك بهاء الملك حاجي . فقبل نجيب الدين الأرض ، فتبينت عظم محله ، وبهت^(٣) لأجله وارتعت ، ورجعت أجر رجلي على الأرض رعباً تمسكن من جلدي ، وذعراً أوهن خلدي^(٤) ، ساقطاً في يدي على ما ارتكبته من معاداة من هو أعلى مني يداً ، وأورى في السعادة زنداً ، فضت لي أيام في خوارزم كالليالي سواداً ، وليالٍ^(٥) كالأيام سهاداً . إلى أن برز الأمر السلطاني بتقليدي وزارة جند ، فزال ما بي من السكند ، والتهب من السرور ما قد خمد . نعم فتقلدها أربع سنين وأكثر من محدثات العسف ، وأثقل كواهل الرعية بالحيف . فصاروا في أيامه أعزى من الصخر معصوراً ، والسيف مشهوراً ، والخصن مخبوطاً ، والدجاج على السفود مربوطاً . واتفق بعده عبور السلطان على جند صامداً^(٦) صمد بخارا ، فتبادروا إلى مفصل الظلامات^(٧) صارخين كما يقيق في الجو بنات الأعداد^(٨) ، وجمهور في الشعب جميع البلاد .

(١) في الأصل : فرغت . (٢) في الأصل : يقرب .

(٣) في الأصل : بهت . (٤) خلدي : قلبي وبالي .

(٥) في الأصل : ليالي . (٦) صامداً : قاصداً .

(٧) في الأصل : التلاعات . وقد قرأها هوداس Houdas قراءة صحيحة في موضع آخر .

انظر ص ٢٣١ من طبعة هوداس الدريية .

(٨) في الأصل : الحوائيات . وفاق الدجاجة ، صوتت . والمقصود بينات الأعداد ، جماعة الدجاج .

فمن قاتل^(١) نهب ماله وأخرج عياله ، ومن آخر غصب عليه موروث
أملكه فأفضى به إلى هلاكه ، ومن مشنع أشعلت نار التهديد في حشاه ،
فأطفأها برشاه .

فأذن لهم السلطان في إحراقه بنارهم ، تبريداً لأوارهم ، وإراحة لأسرارهم .
فاستخفى المذكور وتوارى ، وانتزع منها إلى بخارا . فظفروا بنائبه فأحرقوه
وتسحب نحر الدين من بخارا إلى ناحية الطالقان وأقام بها مستخفياً خبره ،
معمياً عينه وأثره ، إلى أن رمت الحوادث التاتارية بجلال الدين إلى حدود
غزنة — على ما سبق شرحه — بادر إلى الباب ، وتوَّسب في جملة الحجاب .
وكان لسناً جلدأ ، مقداما على السلطان ، منبسطا في الكلام ، فصيحاً في
اللغة التركية .

واستمرت به الحال في الحجورية إلى أن حدث من الواقعة بماء السند
ما قدمنا ذكره ، فهلك أرباب الدولة ما بين قتيل وغريق ، وتلف الوزير
شمس الملك شهاب الدين ألب الهروي على يد قباجة ، حسبما تقدم ذكره ،
وخلا صدر الديوان عمن يقوم بضبط ما ملكوه من ديار الهند وتديرها ،
والنظر في أحوالها وأمورها ، فأقيم المذكور في صدر الوزارة نائباً عن
ترشح فيما يعدها ، فساعده المقادير حتى استمر في الأمر ، ونال الرتبة
التي طالما يتناحر^(٢) عليها كباش القروم^(٣) ، وسادات الصدور ، فلم يحظ
بها إلا العدد اليسير الذين سار ذكرهم في الآفاق ، واعترفت لهم رجالات
خراسان والعراق . فعلا أمره ، وارتفع قدره ، واستغنى بعصام المروءة^(٤)
عن عظام النبوة^(٥) ، فلم يزاحمه أحد على ما كان بصدده إلا بئلى بنكبة ، وخاب
شر خيبة .

وكان السلطان مع تمكنه وبسط يده في ارتفاعات الأقاليم يبذرها

(١) في الأصل: قاتل . (٢) في الأصل: طال ما يتأخر . وتناحر القوم تخصصوا .

(٣) القروم هم قوم وهو السيد العظيم في قومه . (٤) المروءة : الحجر الصلب يورى النار .

(٥) النبوة : الجفوة والبعد .

كيف شاء ، لم ينزله منزلة الوزراء ، فلم يخاطبه إلا بشرف الملك . وكان من عاداتهم أن يخاطبوا وزراءهم بخواجة^(١) ، وأن يجلسوهم على إيمانهم عند الإذن العام . وكان المذكور يجلس مجلس الحجاب بين يدي السلطان أيام وزارته ، وكان لا^(٢) يجلس إلا على السباط العام . ومن عادة من لقب بنظام الملك أن يجلس على الخوانجاة الخاصة ، وكان من تقدمه من الوزراء يجلس في دار الديوان في الدست الأسود ، ولم يكن شرف الملك يجلس في الدست في دار الديوان ، بل^(٣) كان له دست في داره إذا رجع من الديوان يجلس فيه . ومن عادة من لقب بالنظام أنه إذا كان في دست الوزارة لا يقوم لمن يحضر وإن كان ملكا ، إجلالا للنصب ، وحفظا لناموس المحل ، إذ هو قائم مقام السرير . وكان شرف الملك يقوم لأرباب المناصب وهو في صدر الديوان . وكانوا يحملون لمن يقدمه من كبار الوزراء إذا ركب أربع حراب مغطاة^(٤) بالنصب بالذهب ، ولم يأمر له السلطان بذلك . وسيجيء باقي أحواله متفرقة في مواضعها ، إلى أن تقاضاه الزمان بدينه فجرّعه كأس حينه^(٥) ، فلهق بالواحد الغفار ، إن الكرام قليلة الأعمار .

(١) خواجة : كلمة تركية معناها سيد . راجع ص ٨٢ الحاشيتين ٣ ، ٤ .
 (٢) في الأصل : وكان لم .
 (٣) في الأصل : بلى .
 (٤) في الأصل : مفتى .
 (٥) حينه : هلاكه .

ذكر سبب وصولي إلى أبواب السلطان

واستمراري في الخدمة

كان الملك نصرة الدين حمزة بن محمد بن عمر بن حمزة لما ورث نساء من ابن عمه ، على ما شرحت ، استنابني في أموره ، وعول عليّ فيما كان بصدد تديره . وكان المذكور في الفضل سحرآ ، وفي البذل بحرآ . وكان يحفظ سقط الزند لأبي العلاء ، واليمينى العتي ، والمخلص لفخر الدين الرازي ، والاشارات لابن الخياط الرئيس . وله بالعربية والفارسية أشعار مدونة ، فمن شعره وهو محبوس :

وإني لني قيد هذا الزمان لكالدرد إذ بات حشو الصدف
تحلى بقدرى جيد العلى ونظم فضلى عقد الشرف
وإني على الرغم من حسدى لأسلافى الصيد نعم الخلف
وإن كان أنكر قدرى الزمان فذاهفوة صدرت عن خرف^(١)
فعرى أمم تنجلي غمقى كبدر الدجى بعد ما قد خسف
وتأنى المقادير منقاد يقولون عفوك عما سلف
وأما ترسله فالسحر الحلال ، والعذب الزلال ، يبرى بـرّ^(٢)
الحائل^(٣) ، وقد عطرتها أنفاس الشمائل ، فما كتب إلى أيام مقامى
بما زندران مع أينانج خان قبل انتقال الملك إليه ما أغرانى ، تذكر
نجدآ ، وتلوى شوقآ ووجدآ ، وقد هاجت نبضة البرق الكليل ، وزفرت
خفقة النسيم العليل ، فسام منتضى^(٤) ذلك بطرف أرتع فى مآقه

(١) فى الأصل : حرف . والحرف : فساد العقل من أثر الكبر .

(٢) النور : الزهر .

(٣) فى الأصل : الجمائل .

(٤) فى الأصل : منتضى . وانتضى الفارس سيفه ، استله من غمده .

اسراب الدمع ، وفتش أحباء هذا عن خبر يهفوا إليه السمع ، بأشوق منى
إلى مناسبة أخبار المجلس الرفيع حشاشة المجد ، وريحانة الفضل ، وبأكورة
البراعة ، ومالك رق البراعة . نشر الله رميم الفضائل بامتداد ظله ، وقد
كنت قبل وارده ^(١) ألوم نفسى على التلوم منادم التندم وأنشد :

أأترك ليلي ليس يبنى وبينها سوى ليلة ، إنى إذا لصبور
مستجيراً من التصارييف المولعة بتفريق الأحبة ، فكيف وقد بعد
الدار ، وشط المزار ، فالآن لا تعلل إلا بفالح بره ، ورايح ذكره . وقد
توجه بعض خدمه تلقاء الخبيم الميمون ، فأوجب محض الخلوص لإرسال
نبد من تباريح الصبابة كى لا أثبت على حواشى النسيان . كيف وحسن العهد
طوع سجيته ، والله تعالى يطيل بقاءه والسلام ^(٢) .

فهذا القدر على مبلغ القدرة ذاك وللبراد أقصد الإنصاف فى المدح
والتقريظ محال . وقد برع فى علوم الأوائل ، مجموعة إلى سائر الفضائل ،
فرغ لتحصيلها أيام تعريفه بخوارزم وكانت تسع عشرة ^(٣) سنة . وله فى
النجوم أحكام قلباً تتخرم ^(٤) ، فكان يقول عند إخفاء خبر السلطان وتوسطه
أعماق بلاد الهند إنه سيظهر فيملك ويصلح ، وإن غياث الدين لا يفلح ،
وإن طالعه لا يقتضى انه يسعد ، وهذه ناره ^(٥) ستخمد . فكان لا يخطب
لغياث الدين لهذا السبب ^(٦) منفرداً بتلك الشعار ، عن سائر زعماء الأمصار .
فوقع بعد حين ما ذكر ، وجاء الأمر حسب ما حكم به وقذف ، لكن
بعد هلاكة فكان كما قيل : حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء . فقد حكم بظهور
السلطان واستقامة أموره ، ولم يعلم بهلاك نفسه قبل ظهوره ، تخاب الأمل
وأخطأ الفكر .

(١) فى الأصل : والدرايم .

(٢) من الواضح ، كما يقول هوداس ، أن فى هذا الخطاب الكثير من العبارات والألفاظ النامضة .

(٣) فى الأصل : تسعة عشر .

(٤) فى الأصل : يتحرم .

(٥) فى الأصل : نارة .

(٦) فى الأصل : بهذا السبب .

معلتي بالوصل والموت دونه إذا مت ظمأنا فلا نزل القطر^(١)
ولما علم غياث الدين برأيه في السلطان واختياره عليه، ومسيره^(٢) دون
سائر أكفائه إليه، جرد إليه طولق بن أينانج خان في عسكر أبيه وأنجده
بأرسلان خان وطائفة أخرى، وكانت من المتغلبين^(٣) بالأطراف يأمرهم
باتباع رأيه فيما قدّم وآخر، والشد على عضده فيما أورد وأصدر. وحين
بلغ نصرة الدين ذلك شاور نصحاءه في إزالة البوس، ودفاع الخطب العبوس.
فكانت زبدة مخضهم أن وجهن إلى الأبواب الغيائية بقدر^(٤) من المال لرد
الفتنة الشاغرة، ولسد الأفواه الفاغرة^(٥)، فتوجهن نحوها كارها، ثم
صادفت^(٦) ابن أينانج خان بحدود رعد ليلا، فقتلت بأذيال الليل البهيم^(٧)
محفلاً إجمال الظليم^(٨)، بل هارباً كالنكليم^(٩). فلما وصلت إلى جرجان،
رأيت بظاهرها خياماً فأخبرت بأنها للأمير كوج قندي، وصل من الأبواب
الجلالية^(١٠) متوجهاً إلى خراسان لينوب بها عن أورخان. وذكر ما حدث
بالرى في زوال الدولة الغيائية، وتحدد الدولة الجلالية^(١١). فشيت إلى
المذكور، وما أدري كيف أسير، وكدت إليه من فرحى أطير. فجالسته
طويلاً، وسمعت للأحوال جملة وتفصيلاً. ثم فكرت في الأمر، وعلبت
أن لا وجه للعود، وابن أينانج لا يرده عن نساء، وقد تعلق بها أظفاره،

(١) البيت لبشار بن برد. وفي الأصل :

معلتي بالوعد والموت دونه إذا مت عطشانا فلا نزل القطر

(٢) في الأصل : ومسيره. (٣) في الأصل : وكانت المتغلبين .

(٤) في الأصل : بصدر .

(٥) في الأصل : لردته الفتنة الشاغرة وأسدته الأفواه الفاغرة .

(٦) في الأصل : صادفت . (٧) في الأصل : البهيم .

(٨) الظليم : ذكر النعام . (٩) هو كلهم الله موسى .

(١٠) نسبة إلى جلال الدين منكبرتي .

(١١) أي تقلص نفوذ غياث الدين بن علاء الدين محمد خوارزم شاه وسيطرة جلال الدين

منكبرتي على أراضي الدولة الخوارزمية بعد عودته من الهند .

إلا أمر سلطاني، فسرت إلى استراباذ^(١)، وبها الملك تاج الدين الحسن يستعد لقصد الأبواب الجلالية، فعزمت على مرافقته، وجعلت أحثه على سرعة البدار. فبينما هو يتحمل، إذ وصلت غارة دانشمندان - وهو من الغياثة ولم يدس بعد بساط السلطان إلى تخوم بلده - فانتقض عليه تدبيره وألجأتني الضرورة إلى العود إلى طريق بسطام، فعدت إليه وسرت إلى الري مخاطرأ، ومنها إلى أصفهان مبادراً. وكانت الأخبار تتبعني بحصار نساء والتضييق عليها فيحرمة، أن أستريح، وأن أنتشق الريح. غير أني تعوقت بأصفهان شهرين اضطراراً لا اختياراً، إذ لا وصول إلى السلطان لأسباب من جعلتها فساد اللر^(٢) بالجيال، وإخافتهم للطرق المفضية إلى السلطان، والآتابك سعد من القواعد المهمة^(٣)، والآلفة الأكيدة، وهو معادي. ومنها الثلوج وانسداد المسالك، وهلاك خلق من السابلة في تلك المهالك. فكنت أبيت بأصفهان « بلبان القدارى السركان قد »^(٤) إلى أن أقبلت أيام الربيع بطيها، وفرشت الأرض بجلايينها، وتحركت رايات السلطان صوب أذربيجان^(٥) وأقيمت خيمه بتخوم همدان والسلطان غائب. وكان قد نهض لكبسة الآتابك يغان طايسى وهو ختن غياث الدين المزوج بشقيقته. ولما نصر^(٦) الله السلطان على أخيه، وملكه ما كان يحويه، تسحب المذكور صوب أذربيجان يرى أنه يناضل عن دولة قد حمى حماها،

(١) راجع ص ١٣٨ حاشية ٤ .

(٢) يبدو أن هذا اسم لبعض القبائل، ولعلها تنسب إلى جبال اللور أو بلاد اللور الجيبية (لورستان) وتفيد بين مدينتي تستر وأصفهان. ويسكن هذه البلاد خلق عظيم يمتازون بخفة حركاتهم. انظر القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٣) المهمة : المهمة .

(٤) إن اختفاء النقط من هذه الأسماء في النسخة الخطية جعلت من العسير كتابتها على وجهها الصحيح .

(٥) كان ذلك سنة ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) . انظر ابن الأثير : الكامل، ج ١٢ ص ١٩٨ .

(٦) في الأصل : انصر .

وانقضت أيامها . وتعاضدا هو والآتابك أوزبك صاحب أذربيجان على خلاف السلطان ^(١) . وحين تحقق حقوق الرايات السلطانية صوبهما ، وحقوقها نحوهما ، سوّلت له نفسه البدار إلى العراق واغتنام خلوها عن السلطان . وبلغ السلطان خبره فكبسه بهمدان ، ولما ظفر به آمنه وآواه ، ومهد له ذراه ، وختم بالخير عقباه ، وعاد إلى مضارب فرحاً بحصول مأربه . وكنت قد قدمت إلى شرف الملك خواجه جهان قبل عود السلطان ما كان أصحبنى نصره الدين برسم كريم الشرق وزير غياث الدين من الخدمة ، وهي ألف دينار ، فشكر ووعدني بتمشية الحال ، وقضاء ^(٢) الأشغال ، فأحسن المتاب ، وبرز الأمر السلطاني بتقرير بلاده مضافاً إليها ما كان يتاخمها عدة نواح ، وقد عينوا من الخواص من يصحبني إلى نساء لطردين أيتانج خان عنها وإحضاره للأبواب السلطانية ، فلم يكن إلا يومان أو ثلاثة ^(٣) حتى ورد الناعي بهلاك نصره الدين وأن ابن أيتانج خان أخرجه من قلعة نساء فأحضره وصرعه كياداً ^(٤) لدوى الآمال ، وأضجعه عناداً للأحرار من الرجال . ونقل إلى ترابه بماء شبابه ^(٥) ، فقامت نواعي المجد يندبته جميعاً ، ويكيته نجيعاً ^(٦) ، فظلت بينهم صريعا ، وأنشدتهم والقلب وجيع :
قد كان لي في رأيه وذكائه أشراط ^(٧) صدق أن يموت سريعا
وقد قابل ابن أيتانج خان سوابق خدمتي والده بنساء وجرجان ، بقتل من ظفر به من الزامى ، ونهب ما وجد من أسبابي وكبس يتي بما جمعه إرثي واكتسابي .

(١) كانت الحالة الداخلية في أذربيجان من العوامل التي ساعدت الخوارزميين على السيطرة على هذا الأقليم ، فقد كان الآتابك أوزبك بن البهلوان حاكم هذا الأقليم رجلاً مسناً ، منصرفاً إلى مجالس اللهو واللعب ، لا يهتم بمصالح بلاده ، بل إنه ترك مقاليد الأمور لزوجته التي أخذت تصرف شئون دولتها على قدر استطاعتها .

(٢) في الأصل : قضى . (٣) في الأصل : فلم يكن إلا يومين أو ثلاثة .
(٤) قرأها هوداس Houdas في النسخة الخطية كياداً ، ثم عدلها في الطبعة الفرنسية كياداً .
والقراءة الأولى هي الصحيحة .
(٥) في الأصل : بما شبّاه . (٦) التجميع : الدم .
(٧) أشراط : أمارات وعلامات .

ذكر مسير السلطان صوب خوزستان

بعد تمكنه من أخيه

لما تمكن السلطان من أخيه وصار معه كأحد أمرائه ، يتصرف بتصاريف آرائه ، سار نحو خوزستان وأقام بها مشيتا ، ووجه من هناك ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود العارض النسوى رسولا إلى الديوان العزيز . وكانت رسالته تتضمن تعنتاً^(١) وتعتياً^(٢) ، وكان من قبل قد جرد جهان بهلوان إيلجى برسم اليزك^(٣) ، فصادم المذكور عسكرياً من عسكر الديوان وعرباً من خفاجة ، فأوقع بهم ، وخرق^(٤) الهيبة ، وهتك الحرمه ، وعادوا إلى بغداد بوجه غير مرضى ، وأرب غير مقضى .

وأحضرت منهم طائفة إلى الخيّم السلطاني فأطلقوا ، ووصل ضياء الملك بعد هذه الحادثة إلى بغداد ، فأحل بمعهود الإكرام ، ومألوف الاحترام ، وطالت مدة المقام ، وأحف^(٥) الناس فيه أقوالاً تخميناً ، ورجحوا بالغيب ظنوناً ، إلى أن ملك السلطان مراغة ، فأذن في العود موفوراً الحظ من

(١) في الأصل : تنبأ .

(٢) يجدر بنا أن نذكر في هذا المقام أن مهمة جلال الدين الأولى ، بعد توليد نفوذه واطمئنائه إلى أنه لم يسهك من ينازعه السلطان ، هي أن يوجه عنايته إلى توسيع نفوذه على حساب القوى المتعددة القائمة في ذلك الوقت ، وأن ينتقم من أعدائه القدامى الذين لم يناصروا أباه إبان الغزو المغولي . وكانت الخلافة العباسية من أهم هؤلاء الأعداء الذين وقفوا في سبيل تقدم الدولة الخوارزمية في عصورها السابقة ، ولا شك أن الخليفة العباسي الناصر كان إلى حد ما من العوامل التي شجعت جنكيزخان على غزو الدولة الخوارزمية . لذلك وضع جلال الدين منكرته نصب عينيه أن يوجه ضربه إلى الخليفة عدو أبيه وجده ، فشرع في غزو خوزستان سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) وكان هذا الاقليم تاجاً له .

(٣) راجع صفحة ١٦٢ ، حاشية ٢ . (٤) في الأصل : أخرج .

(٥) أحفوا : ذكروه بالفيح من الصفات .

الإنعام ، جزيل القسط من النائل العام . وحين كشف عن وجه الربيع قناع الشتاء ، رحل من نواحي بغداد نحو أذربيجان ، فلما أشرف على دقوقا صعد أهلها السور فصرحوا بالشتائم ، لما بلغهم من شنه الغارات على بلاد الديوان ، فأغاظه ما أسمعوه ، فأمر بالزحف عليها ، فلم يكن إلا حملة واحدة حتى صعدت الأعلام ، وترادف الزحام ، ووضعوا في أهلها السيوف؛ فإلى أن نودي بالكف هلك خلق كثير . وصمد^(١) السلطان نحو أذربيجان ، فلما حاذى جبال همدان ، بلغه عبور يغان طائسي من أذربيجان صوب العراق وجرى من الكبسة عليه بهمدان ما قد سبق ذكره .

ذكر ملك السلطان أذربيجان^(١)

لما انتظم يغان طايىسى فى الخدمة ، وخلص العراق من ينطق بفساد ، ويحكم
بغير استقامة وسداد ، رحل السلطان صوب أذربيجان ، فلما قاربها وردت
على شرف الملك كتب أهل مراغة حاثين عزائم السلطان بالمسير إليها ، خلاصا
بما منوا به من شنوع الظلم ، واستيلاء أرباب الدولة ، وحكم النساء^(٢) ،
وتشبهت أظفار الكرج بها ، وضعف الأتابك صاحبهم عن حماية بيضته ،
والذب عن حوزته^(٣) . فساق إليها ودخلها من غير مدافع ، وأقام بها أياماً^(٤) ،
ووجه من هناك القاضى بجير الدين عمر بن سعد الخوارزمى رسولاً إلى
ملك الروم وملوك الشام بكتب تتضمن تملكه بلاد أذربيجان ، وقلعه
ما تشبث بها من أنياب الكرج بحدى سنانة وعصبه^(٥) ، فذانك برهاتان
من ربه وإعلامهم بأنه نوى غزو^(٦) الكرج ، فيعركم نهبا وحربا ، ويعرفهم
أن البيت رباً . وقد ضمها^(٧) صدرأ من الرغبة فى الموالاة .

وفى نهاره ذلك فوض إلى كتابة الإنشاء ، فتقلدتها للإنشاء على كره منى
لذلك ، استحقاراً بها من قلة تجربة وعدم خبرة ، وذهولاً عما فيها من مواد

(١) كان ذلك فى سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٩٨ — ١٩٩ .

(٢) كان أوزبك بن البهلوان حاكم أذربيجان قد ترك مقاليد أمور دولته إلى زوجته ، وهى
ابنة السلطان طغرل بك آخر سلاطين السلاجقة فى العراق ، فأخذت تصرف شئون الدولة على
قدر استطاعتها . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ١٩٨ .

(٣) فى الأصل : جورته .

(٤) استولى جلال الدين على مدينة مراغة دون صعوبة ، ثم أخذ يتودد إلى أهلها بأن
حاول أن يصلح من أحوالهم كما عهد إلى إصلاح ما تغرب من هذه المدينة فى أثناء الحرب .
انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والمنقول ، ص ١٧٧ .

(٥) العضب : السيف القاطع . (٦) فى الأصل : بنزو .

(٧) فى الأصل : ضمها .

متواصلة الأمداد ، وفوائد غير منقطعة المواد ، وجاء يعم نفعه وضرة ، ويشمل عسره ويسره . وقد حصل لى فى يوم واحد من منافع الإنشاء وفوائده ، والسلطان بنخجوان ^(١) لقضاء ^(٢) أشغال أهل خراسان ومازندران ، مافوق ألف دينار . وأما مادون ذلك فى سائر الأيام فإداة لانتقطع ، فصرت أقاتل من يزاحنى عليها . وانفصل بحير الدين عن الخدمة متوجهاً إلى الجهات المذكورة ، ولم يعد إلا بعد فتح تفليس ^(٣) .

ثم إن السلطان رحل من مراغة صوب أوجان ^(٤) ، وهى أرض معشبة ذات مياه جارية ، وقد خرب التاتار مدينتها فى مبدأ خروجهم فأقام بها أياماً والناس يمتارون ^(٥) من تبريز ، وبها بنت طغرل بن أرسلان زوجة الأتابك أربك فلم يمنعهم ، فجاءه من أهل تبريز من أطمحه فى تملكها ، فسار نحوها ، وحط عليها ، وأحاط بها من كل صوب . فخرج إليه الرئيس نظام الدين بن أخى شمس الدين الطغرائى — وكان متحكما فيها يملك رقاب أهلها ، موالاة له ولأسلافه ورثوها عن آبائهم ، ومودة فيهم امتزجت بدمائهم — فساق إليها وتقدم إلى الأمراء بترتيب آلات الحصار من المجانيق ^(٦) والدبابات والسلام ^(٧) ، فأخذوا يقطعون أشجارها ، وهى كثيرة جداً ، فخرج بعد سبعة أيام من إحاطة السلطان بها ، رسول بنت السلطان طغرل فى طلب الأمان لها ولخولها وخدمها على أموالهم ودمائهم ، على أن تكون مدينة خوى ^(٨) مفردة باسمها ، وأنها تحفر إليها مصونة . فأجاب السلطان

(١) نخجوان : بلد فى أقصى أذربيجان . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٧٣ .

(٢) فى الأصل : لطفى .

(٣) كان ذلك فى سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٧ .

(٤) أوجان : إحدى مدن أذربيجان .

(٥) يمتارون : يتحركون .

(٦) فى الأصل : المنجنيق .

(٧) فى الأصل : السلايم .

(٨) خوى : إحدى مدن أذربيجان الكبيرة بينها وبين سلماس أحد وعشرون ميلاً ،

كثيرة الخيرات والفاكهة ، وينتسب إليها الثياب الخوية . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص

٤٩١ — ٤٩٢ . والقلقشندي : صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٥٩ .

إلى ذلك وتسلم تبريز سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وسير السلطان خادميه الخاصين تاج الدين قليج وبدر الدين هلال خفارين^(١) فأوصلاها إلى خوى بمن معها من أتباعها سالمين ، ودخل السلطان تبريز فلكها عفواً صفواً ، ونزل بدار السلطنة ، وولى الرئيس نظام الدين رئاستها ، واستمرت حال الطغرائي في نفاذ الحكم ، وقبول القول ، وما كان المذكور يخوض فيما يتعلق بالدولة وأموالها ، بل فيما يعود إلى مصالح الرعية ويرضيهم ، وتقوية صالحهم ووجيهم ، وزجر مفسدهم وسفاههم ، من غير أن يتولى أمراً ، ويتقلد شغلاً ، إلى أن قبض عليه ، على ما يذكر في موضعه إن شاء الله تعالى^(٢) .

(١) في الأصل : خفارين .

(٢) على الرغم من أن أهالي أذربيجان كانوا قد وقفوا في وجه الخوارزميين أثناء غزو جنكيزخان لبلادهم ، بل وناصروا المغول عليهم وقت محنتهم ، فإن جلال الدين قد تسامح مع أهالي تبريز ، وأحسن إليهم ، وأصلح ما خرب من هذه المدينة . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٩ .

ذكر كسر السلطان الكرج

لما ملك السلطان أذربيجان اجتمع الكرج^(١) بموضع يعرف بكربي من حدود زون^(٢) في ستين ألفاً ، مظهرين جلادة ومضميرين بلادة ، وقد أخذهم من مجاورته المقيم المقعد ، وملكهم المزعج المكمد . وكان قصدهم من الاجتماع إشعار السلطان بما عندهم من الشوكة والكثرة لعله^(٣) يرغب في مهادنتهم^(٤) . فيسلبون بها من حُر^(٥) العقاب ، ومر الحجاب^(٦) . واجتمعوا لذلك متجلدين ، وعلى زوال الدولة الأتابكية متجردين ، إذ كانت مصيدة وهم يقنصون فيها جملة وفرادى ومثنى^(٧) وآحادا .

ولما بلغ السلطان اجتماعهم على مضغ الأباطيل بينهم ، كلف إليهم فيمن حضر من عساكره ، وقد كان أكثرهم تفرقوا إلى إقطاعاتهم بالعراق وغيرها ، فحين وصل إلى شاطئ نهر أرس^(٨) وجد هناك أمراء اليزك

(١) أي أهالي جورجيا .

(٢) كذا في النسخة الخطية ، ويذهب هوداس إلى أن المقصود بها هو زوزان Zauzan أحد أقاليم أرمينية .

(٣) في الأصل : لعل .

(٤) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن أهالي جورجيا قد قابلوا لإعلان جلال الدين الحرب عليهم بالتحدي والاستهزاء ، إذ أرسلوا إليه يقولون : « إننا قد قصدنا التتر الذين فعلوا بأبيك ، وهو أعظم منك وأكثر عسكرياً وأقوى نفساً ، ما تعلمه ، وأخذوا بلادكم فلم نبال بهم » . ولم يفت ذلك في عضد جلال الدين ، بل جمع جيوشه وسار يوقع بهم الهزيمة تلو الأخرى . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٠ .

(٥) في الأصل : خُرَّ .

(٦) الحجاب : الخداع .

(٧) في الأصل : مثنأ .

(٨) هو نهر أراس Araxes ، ويصب في بحر قزوين بعد أن يلتقي بنهر الكور Kur . وقد ورد ذكر هذين النهرين في صبح الأعشى باسم الرس والكُمر . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٠٢ . وانظر أيضاً خريطة «وسط آسيا» في كتاب : Bretschneider Op. cit., vol. i.

ومقدمهم جهان بهلوان إيلجي وقوفاً ، فأعلموه بأن العدو بالقرب ، وأن
فيهم كثرة ، فكان جوابه عما سمع أنه رفس فرسه فرمى به في الخاض ، غير
مبال بما ذكره من قرب العدو وكثرته ، وتبعه العسكر . فلما وصل إلى
كري ، رأى الكرج نزولاً على نشز عال^(١) ، جبلا على جبل ، وسواداً
كليل أليل^(٢) ، وقصارى ماشوهد منهم في نهارهم^(٣) ذلك زعقات تشق
أستار النجم ، وتسمع آذان الصم . فراعته من كثرتهم ما يروع الذئاب من
سوام الغنم ، والليوث الجياع من هوام النعم . واصطف حذاءهم تحت الليل
فرتب الخيول ، قلباً مشحوناً بكبانه ، وميسرة مملوءة بحبانه ، وميمنة محفوفة
برماته ، ولم يزل نهاره ذلك ينتظر نزولهم إلى القتال فلم ينزلوا ، فلما جنحت^(٤)
الشمس للغروب ، ضرب السلطان خركاة^(٥) صغيرة وراء القلب فبات فيه ،
وتقدم إلى الخانات والأمرام يتناوبون السهر إلى السحر ، ففعلوا ما أمر ،
واحتذوا بنارهم . ولما أصبحوا استحضروهم وقال : إن العدو قد عزم على
المطالبة ، ومال عن المصاولة إلى الماطلة ، فالرأى أن نقصدهم من كل صوب
مصعدين . فإن حملوا عليكم فبادروا إلى الزوال ، وارشقوهم بالنبال . وتحرك
السلطان صاعداً ، بل ساعداً ، وتحركت بحركته الأطلاب ، كما نفضت
جناحها العقاب . وتبادرت ميسرة السلطان في الصعود ، وفيها أخوه غياث
الدين وأورخان ويغان طايىسى وعدة أمراء آخرين . فحمل عليهم شلوه ،
وكان من شطارهم المشهورين ، فنازلوه . وتطارت السهام كاتتهارى^(٦) النجوم

(١) في الأصل : على .

(٢) ليل أليل : شديد الظلمة .

(٣) في الأصل : نارهم .

(٤) في الأصل : أجنحت .

(٥) خركاة : كلمة فارسية معناها خيمة أو نجح . المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١
ص ٣٢ حاشية ه .

(٦) تنهاري : تتساقط .

السائرة ، وتهاوى الثلوج المتطائرة . واختلط المسلم بالكافر^(١) ، والراجح بالخاسر ، والصاعد بالنازل ، والفارس بالراجل ، وتضاربوا ما بين الشوى^(٢) والمقاتل ، وتسابق في الصعود إلى ذروة الجبل ، فمن هارب يرى نجاته وتقاه في ارتقائه ، وطالب يحشه على الصعود صدق أم له وتحقق رجائه . فحين قرعت الخيل صدمات الخيل المنصورة ، في أخلاط الويل المشبورة^(٣) ، ولى الكرج أذارهم على زروسها قبل أن يصير^(٤) التناظر تبارياً ، والتراعى تضارباً . وهفوا بأجنحة الفرار ، متعلقين بالذل والصغار ، يرون الأشباح كتائب تحتطفهم ، والأشخاص مقانب^(٥) تنسفهم . وفرشت أرض المعركة بزهاء أربعة آلاف جيفة تهاووا^(٦) فيه استخلاصاً من حر الطلب .

ووقف السلطان على تل ، والكرج تساق إليه بحزائم الذل ، كما ساق المجرمون إلى النيران وجوه عليها غبرة^(٧) الكفران ، ترهقها فترة الخذلان . وأقام هنالك إلى أن تراحفت الطلبة ، واجتمعت السكسبة ، وقد ضربت له خرقة ، فمن أراد الوصول إليه يطاء القتلى ويدوسهم . وحكى أن شمس الدين القمي^(٨) ، وكان من حجاب الأتابك أربك ، قال : أرسلني صاحبي إلى الكرج أيام استيلائهم وقال وددت أن يكون عليّ ، يعني أمير المؤمنين

(١) كان السواد الأعظم من أهالي جورجيا يدينون بالديانة المسيحية ، بخلاف الحال في أتابكية أذربيجان . وكثيراً ما كان يتخذ المسيحيون في جورجيا من الخن التي حلت بالفرق الإسلامي أثناء الغزو المغولي ومن ضعف أذربيجان والأقاليم المجاورة لها ، فرصة للانارة عليها في فترات متعددة ، وكثيراً ما استولوا على المدن الواقعة على حدود بلادهم وأذاقوا أهلها سوء العذاب ، ونهبوا ما وصل إلى أيديهم من خيرات هذه البلاد . ولذلك نرى أن المعاملة التي عامل بها جلال الدين منكبرتي أهالي جورجيا تختلف عن تلك التي سار عليها في أذربيجان ، فبينما قتل وسي ونهب في جورجيا ، نراه يذهب إلى درجة كبيرة من التسامح في أذربيجان .

(٢) الشوى : الأطراف .

(٣) المشبورة : الهالكة . وفي الأصل ، المشبورة . (٤) في الأصل : تصير .

(٥) المقانب : جمع مقنب وهي جماعة الخيل . (٦) تهاووا : تساقطوا . وفي الأصل ، يهاوما .

(٧) في الأصل : عبدة .

(٨) نسبة إلى مدينة قم ، إحدى مدن العراق المعجى . انظر خريطة بلاد فارس .

عليه السلام ، باقياً في زمانه لآريه من سطوت ما ينسبه يوم بدر وخير^(١) .
فلما استبيح في ذلك النهار خميسهم^(٢) ، وقتل مرموسهم ورئيسهم ، أخذته
الحيرة فلم يعرف أعلام الأرض وأعفأها ، فنزل ونام بين القتلى ولطخ وجهه
بالدم سخمة بالعار ، فحدث^(٣) ابن داية غياث الدين ، وهو صبي ، به
فأخرجه وأحضره إلى السلطان مكتوفاً .

فكذب الله اللعين في مجاوزته حد الأدب وسخره بمن لا يذكر في الرجال
فضلاً أن يعد من الأبطال . وأمنته السلطان ولم يستعجل في قتله ليرى الناس
حسن صنيع الله فيمن طعن^(٤) في مظهرى الدين ، وناشرى^(٥) كلمة اليقين .
ووجه السلطان ملك الخواص ، تاج الدين قليج ، إلى تبريز بجماعة من أمرائهم
الأسرى^(٦) ورموس القتلى ، مبشراً بما أتاح الله على يديه من الفتح الرائع
منظره ، الشائع خبره . وساق من المعركة إلى مدينة زون . فزحف عليها
وفتحها للوقت ، ثم أمر القاضى بها أن يفرد من بها من المسلمين ، نساءهم
وذراريهم ، وقد أفاء^(٧) الله على السلطان وأنصاره أموالاً موفورة ، وغنائم
غير محصورة ، رخص بها الصدور عن زين الحسد^(٨) لا شتر الكافة في
الغنى المقصود ، واستوائهم في كفاية الموجود . ووصل شرف الدين أزدرة
وحسام الدين خضر صاحباً سرمارى يومئذ إلى الخدمة ، ووصلاً إلى السلطان
وكتب لهما توقيعا^(٩) بتقرير ما كان لهما عليهما .

(١) في الأصل : خير .

(٢) الخميس : الجيش الجرار .

(٣) حدث : طن به .

(٤) في الأصل : طعن .

(٥) في الأصل : باشرى .

(٦) في الأصل : الأسرا .

(٧) في الأصل : أفاء .

(٨) في الأصل : رخص بها الصدور عن زين الحسد . ورخص الثوب ، غسله .

(٩) في الأصل : توقيم .

والرين ، الدنس .

ذكر عود السلطان من زون إلى تبريز

وتخليف الميمنة ببلاد الكرج

في رجب سنة اثنتين وعشرين وستمائة

كان السلطان لما قرن الظفر بتاليه ، وأردف الفتح الأول بثانيه ، بث غوارته^(١) إلى خريات بلاد أبخاز^(٢) ، وفي نفسه قصد تفليس ، ورد عليه كتاب من شرف الملك ، وكان بتبريز ، يذكر فيه أن شمس الدين الطغرائي وابن أخيه^(٣) الرئيس نظام الدين قد توامروا على الفتك به والعصيان على السلطان إفكا وزورا ، وكذباً افتراه من كان موتورا . وقد ظهر بعد حين أنه بهتان ، لن يشهد بصحته برهان . غير أن الطغرائي كان ديسناً منصفاً في سيرته ، ذاباً عن رعيته ، لم يرض أن يخاف ، ولا يمكن أحداً^(٤) أن يتجاوز حد الإنصاف . وإذا طولب أهلها بما لا يجب ولا يليق ، وحمل ما لا يطيق ، كان يحميمهم تارة بالشفاعة ، وطوراً بالتوبيخ والشناعة .

ونواب شرف الملك يكرهون ذلك ، إذ ملكوها متهمين لا يقنعهم الطفيف^(٥) ، ولا يرضيهم من الخدم الخفيف ، وقد شجنوا^(٦) أفواههم

(١) من معاني الغارة ويقصد المؤلف الجيش المغير .

(٢) إحدى مقاطعات جورجيا الجبلية ، وهي كما يقول ياقوت صعبة المسالك وعرة ، لا مجال للخيال فيها . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٧٢ .

(٣) قرأها هوداس Houdas في النسخة الخطية « أخته » ثم عدلها في الطبعة الفرنسية .

(٤) في الأصل : أحد .

(٥) في الأصل : الضعيف . (٦) في الأصل : شعوا .

بالإطعام ، ولا يداخل الولايج الخوف فهم مفاتيح الكهوف^(١) .
 كالخوت لا يرويه شيء يلهمه يصبح ظمآن وفي البحر فه^(٢)
 فلما وقف السلطان على كتابه ، وقد نشره عن سموم الأراقم وطعوم
 العلاقم ، هزم على العود إلى تبريز يعتقد أنها قد تغيرت عن مزاجها ، وأن
 علة حدثت بها ، فلا بد من علاجها . واستحضر أمراء الميمنة بباب سرادقه ،
 وخرج إليهم بعض الحجاب ، وقال : إن السلطان يقول إننا قد تحققنا
 تقصيركم^(٣) في المصاف واتفاقكم على أن تولوا وجوهكم ، إن حمل الكرج
 عليكم . وحيث وهب الله لنا النصر والظفر ، وأحاق سوء العذاب بمن كفر ،
 فقد عفونا عنكم ما تحققناه ، على أن تقيموا بهذه البلاد فتقلبوها بغاراتكم
 ظهرا لبطن ، إلى أن نعود إليكم . فضمنوا له ذلك وأصبحهم السلطان صاحبي
 سرمارى دليلين إلى مضايق أنجاز ودربنداتا .

وحدثني حسام الدين خضر ، وكان صديقي ، جدا قال : أقننا
 بأبخازه فيهمر ثلاثة أشهر ، يشنون عليها الغارات إلى أن أخلوها من الغنائم
 وأبلوا أهلها بالعظام ، ورخصت الممالك السكرجية ، حتى إن المملوك منها
 يباع بدينارين أو ثلاثة . والذي تخلص منهم بمواشيه إلى وراء الدربندات
 لم يأمن من ركضاتهم ، فكنا نصل بهم إلى بعض الدربندات وتتأخر ثم
 نحذرهم أن يعبروه ، ونخبرهم بما وراءه من المضايق ، فلم يبالوا بذلك ،
 فيعبرونها^(٤) وحداناً وزرافات^(٥) ، ويرجعون بعد يومين أو ثلاثة
 بالغارات والأسارى . وقد أذاب الله الكرج لهم ، فكانوا يلجئونهم^(٦)

(١) الولايج : جمع وليجة وهم بطانة الرجل ومن يعتمد عليهم من غير أهله . ولعل المعنى
 قد انضح بهذا التصحيح . وفي الأصل : ولا يداخل الكهوف ومفاتيح الولايج الخوف .

(٢) أورد هوداس هذا البيت مثورا في سياق الكلام .

(٣) في الأصل : بقصيركم .

(٤) في الأصل : فيبعدونها . (٥) في الأصل : زرافات .

(٦) في الأصل : يلجئونهم .

من مضيق إلى مضيق ، وينجمعونهم بفريق بعد فريق . ووصلوا إلى حيث لم يبلغ للإسلام راية ، ولم تستل فيها سورة ولا آية .
ورجع السلطان إلى تبريز ، وأحضر شرف الدين بين يديه من الدثراء والآواباش من شهد على الطغرائي وابن أخيه بما كان قد أنهى إلى السلطان أكذوبة لم يخلق الله لها رأساً ولا ذنباً ، ولم يضرب لها وتدا ولا طنباً^(١) ، وأمر السلطان بالقبض عليهما ؛ فأما الرئيس فقتل للوقت وترك بالشارع صريعاً ، يمج دماً نجيباً^(٢) . وأما الطغرائي فحبس وصودر ما ينيف على مائة ألف دينار مال ، أو هي متن طاقته ، وأتى من وراء فاتته . وكان الواصل منها إلى خزانة السلطان دون ثلاثين ألف دينار . ثم نقل من تبريز إلى مراغة محتاطاً عليه ، وشرف الملك لم يفتر في نصب الحبال ، وإعمال الحيل في إهلاكه إلى أن أخذ خاتم السلطان بقتله . وأراد الله بقاء ذلك السيد الجليل ، والصدر العديم المثلل والبديل^(٣) . فضن بهلاكه من ينوب إعن الديوان الجلالى بمراغة فأعانه بالخييل وهرب تحت الليل .

وسار إلى إربل ومنها إلى بغداد ، وحج في سنة خمس وعشرين وستمائة ، فلما ازدحم الناس حول السكبة ، وقف تحت الميزاب على رأسه مصحف ، وحاج الأقاليم وقوف ، والذي كان متولى سبيل السلطان حاضر ، وقال : أيها الناس قد أجمع المسلمون كافة أن ليس لله في أرضه مقام أشرف من هذا المقام ، ولا يوم أجل من هذا اليوم ، ولا كتاب أشرف من هذا الكتاب ، ولا أعظم . وأنا حالف بالثلاثة هذه ، أن الذى نسبني إليه شرف الملك ما كان إلا إفكاً مفترى ، وغلظ اليمين بما تغلظ به إيمان البيعة

(١) الطنب : الحية .

(٢) ذكر ابن الأثير أن جلال الدين منكبرتي نكل به أشنع تكيل ، فأمر بأن يطاف عليه في المدينة ليأخذ كل من ظلم على يديه بحقه منه ، ثم قتله في النهاية . ابن الأثير :

الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٠ .

(٣) في الأصل : البديل .

في البراءة . وتفرق الناس فبينهم مشتم^(١) ومعرق^(٢) ، ومغرب ومشرق .
وتحدث بذلك كل طائفة في مسالكهم وأماكنهم ، وتواترت الأخبار به
على السلطان ، ووصل أمير الحاج وشهد بما شاهده منه في ذلك الموقف ،
فعلم السلطان براءته ، وندم على ما فعل ، ندامة خجل بما انتكبه^(٣) ، بئس
على ما اكتسبه من سوء الذكر واحتقبه^(٤) ، هيات أين من الندامة ؟ دور عن
سكانها خالية ، وسكان تحت أطباق الثرى بالية . وقد قال الله تعالى : يا أيها
الذين آمنوا إن جاءكم^(٥) فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا
على ما فعلتم نادمين^(٦) . ثم إن السلطان أمنه فأعاده إلى تبريز ، ورد عليه
أملاكه وقد تركوها أطلالا ، وكان يحضره المشورة .

نعم ، وأقام السلطان بتبريز فصام بهارمضان . وأمر فوضع منبراً^(٧) بدار
السلطنة ، ونص على ثلاثين من علماء الأطراف وفضلائها ، وقد حضروا
لحاجاتهم فوعظ كل واحد منهم يوماً ، والسلطان قاعد في القصر حذاء
المنبر ، فشكر منهم من وعظ وقال حقاً ، وذم من بالغ في الإطراء ولم يقل
صدقاً . وكان صدر الدين العلوي المراغي رحمه الله من جملة المشكورين .

(١) مشتم : ذاهب إلى الشام .
(٢) معرق : ذاهب إلى العراق .
(٣) في الأصل : مما أنتكبه .
(٤) في الأصل : وأحقبه .
(٥) في الأصل : يا أيها الذين إن جاءكم .
(٦) سورة الحجرات ، آية ٦ .
(٧) في الأصل : منبر .

ذكر ملك السلطان كنجة وسائر بلاد أران

لما ألقى السلطان عصا القرار بتبريز منصرفه من الكرج ، وجه أورخان في رجاله إلى كنجة فتسلها ، وتسلم الكور التي تنضاف إليها مثل ييلقان^(١) وبرذعة^(٢) وسكور^(٣) ، وشيز^(٤) . وكان نائب الأتابك الرئيس جمال الدين القمي^(٥) صاحب ثروة ومال ، وقدرة وسعة حال . فسلها إليه مبادراً في الخدمة ، ومبقياً على ماحوته يده من النعمة . فتمكن أورخان بكنجة ، وكان شرف الملك قد سير معه نائبه المعروف بالكافي ليتولى أمر الديوان وجباية الأموال عند تسلها ، فلما استولى أورخان عليها ، مد يده إلى ماليس له من الحقوق الديوانية ، لتمكنه في الدولة وقرابته من السلطان ، وجرت بينهما مفاوضات أفضى آخرها إلى المخاشنة ، وجذب أورخان على الكافي سيفه . وورد الخبر بذلك على شرف الملك ، فشكا^(٦) إلى السلطان صورة الحال ، وأراه أنه ما يريد ضبط الأموال إلا لخزائنه . فاسترد السلطان أورخان إلى بابه . واستمرت الوحشة بين أورخان وشرف الملك إلى آخر عهدهما . وقد

(١) ييلقان : إحدى مدن أرمينية ، وهي قريبة من شروان . ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٣ ص ٣٤٠ .

(٢) برذعة : بلد في أقصى حدود أذربيجان ، وهي مرب « برده دار » ومعناه بالفارسية موضع السبي وذلك أن بعض ملوك الفرس سبي سبياً من وراء أرمينية وأترلهم هناك . ياقوت :

معجم البلدان ، ج ٢ ص ١١٩ — ١٢٠ انظر أيضاً ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦١ .

(٣) كندا في الأصل ولعلها شمكور ، وهي قلعة في نواحي أران بينها وبين كنجة يوم واحد .

ياقوت . معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢٩٥ وتماز هذه المدينة بمناراتها الشاهقة . القلقشندي : صبح

الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٣ .

(٤) شيز : ناحية من نواحي أذربيجان . يقال إن منها زرادشت نبي المجوس . ياقوت :

معجم البلدان ، ج ٥ ص ٣٢٥ .

(٥) نسبة إلى مدينة قم ، إحدى مدن العراق العجمي . (٦) في الأصل : فشكي .

وقفت على عدة مكاتبات لأورخان إلى شرف الملك لم يخاطبه فيها إلا بمخوافة
طاش من غير تلقيب ولا غاطبة ، وكانت تنطوي مضامنها اللوم والتوبيخ
والتخطية والتخوين فيما هو بصدد من أمور الدولة وقضايا الملك . وكان
يلطفه، فلم ينزل عن حران وشماس^(١)، ويداريه فلم يخلص منه رأساً برأس
ولولا الإسماعيلية أراحوا شرف الملك منه ، كاد يقيم مقامه غيره .

(١) الحيران : العصيان ، وحرنت الدابة أى وقفت ولم تسكن للقياد . والشموس :
الامتناع والاباء .

ذكر نكاح السلطان بنت طغرل بن أرسلان

وردت نساء من قبيل بنت طغرل بن أرسلان ، والسلطان بتبريز ، يعلمن^(١) السلطان في رغبته في أن يملكها ، وأنها تثبت بالشهود أنها مطلقة من زوجها الأتابك أذربك . فأجابها إلى ذلك مشروطاً بإثبات الطلاق ، فشهد لها قاضي ورزقان ، وهي كورة من كور تبريز ، وشخص آخر بأن زوجها المذكور علق طلاقها على أن لا يغدر بفلان وقد غدر به ، وحكم الفقيه عز الدين القزويني وهو القاضي يومئذ بتبريز ، بوقوع الطلاق والبنوثة^(٢) . وسيرت الملكة برسم التتار أموالاً جمعة . وتزوج السلطان بها ، وسار بعد عقبة النكاح من تبريز إلى خوى^(٣) ودخل بها . وزاد لها على خوى مدينتي سلباس^(٤) وأرمية^(٥) بأعمالها .

وحدثني الصدر ربيب الدين ، وزير الأتابك أذربك ، قال : كان الأتابك أذربك بقلعة النجعة من أعمال نخجوان يسمع استيلاء السلطان على بلاده شيئاً فشيئاً ، فلم يزد على قوله : إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين^(٦) . إلى أن بلغه أمر النكاح . فسأل مخبره بذلك : أكان برضاً من الملكة أم على كره منها ؟ قال : برغبة منها صادقة ، وخطبة من صوبها متتابعة . وقد خلعت على شهود الطلاق . وأنعمت عليهم . قال : فوضع رأسه على المحدة ، وحمل لوقته ، ومات بعد أيام .

(١) في الأصل : تعلم . (٢) في الأصل : البنوثة .

(٣) راجع ص ١٩٥ حاشية ٨ .

(٤) سلباس : إحدى مدن أذربيجان ، وبينها وبين أرمية يومان أو بينها وبين تبريز ثلاثة أيام . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ص ١١٠ ، ولهذه المدينة أهميتها التجارية بوجه خاص . انظر القلقشندي . صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٥٨ .

(٥) أرمية ، مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان ، وهي فيما يقال مدينة زرادشت نبي المجوس وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام ، وبينها وبين إربل سبعة أيام . ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ٢٠٣ . وكان لهذه المدينة قلعة حصينة على أحد الجبال تسمى قلعة نلا ، ومما يذكر أن هولاكو كان قد وضع فيها أمواله لحصانها . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٥٩ .

(٦) سورة الأعراف ، آية ١٢٨ .

ذكر قضاء عز الدين القزويني بتبريز وسببه وعزل قوام الدين الجداري

كان السلطان لما قارب تخوم أذربيجان - وقد أسفر^(١) صبح الفتح، ولاحت تباشير النجاح - ورد عليه كمال الدين المتولى شغل الاستيفاء^(٢) بالديوان الأتابكي رسولا مستعظفاً، وبالضراعة في رده متلطفاً^(٣) على أن يقيم صاحبه رسمى الخطبة والسكة باسم السلطان، وأن يحمل إلى الخزانة السلطانية في عاجل الحال صدراً من المال، فلم يصادف قوله أذناً واعية، وقلوباً لما يعيد من المحمول راعية.

وأردف المذكور بالفقيه عز الدين القزويني، وكان فاضلاً بارعاً، بنى^(٤) الطغرائي من ماله بتبريز مدرسة، وفوض إليه بتدريس عدة مدارس أخرى غيرها. فحين تحقق عز الدين أن السلطان لا بد له من أذربيجان، وأن تأثير القول في هذا الباب، تأثير الرخا^(٥) في الصخرة الصماء، اختلى بشرف الملك، واستوثق منه على أنه إذا ملك تبريز يوليه قضاءها. وكان القاضي بها يومئذ قوام الدين الجداري ابن أخت الطغرائي توارثاً عن أسلافه، فلما ملك السلطان تبريز، واستمرت حال الطغرائي في الجاه وقبول القول، علم القزويني أن الذي وعد^(٦) به من تفويض القضاء إليه لا يكون إلا بعد نكبة الطغرائي، فلم يزل يسرى عنه إلى شرف الملك،

(١) في الأصل : أسفر .

(٢) انظر ما كتب عن وظيفة المستوفى في ص ١٨٣ حاشية ه .

(٣) في الأصل : منطلقاً .

(٤) في الأصل : بنا .

(٥) الرخاء : الريح اللينة .

(٦) في : الأصل أوعد .

بنميمة كقطار ديمة ، وبوقية^(١) كمراب ببيعة ، حتى هاجه عليه كالحاقد ،
وأراه في عينه كالمعاند ، فنكب على ما ذكرناه ، وتقلد القزويني الفضاء .
وبلغني أن المذكور دخل على الطغرائي وهو محبوس يظهر افتقاراً ،
ويشمت اعتقاداً ، فدخل بعض أصحابه بسجاده قبل دخوله وبسطها في مجلس
الطغرائي ، فد الطغرائي يده ولقها ورماها إلى صف النعال ، ثم دخل القزويني
وجلس وعزاه بآبن أخيه المقتول الرئيس ، فلم يتغير وجه الطغرائي ، ولم
ينزعج لقتله ، إلى أن قال القزويني : كان المرحوم المظلوم مطروحا بالمرء ،
فكفنته ودفنته . فبكي الطغرائي حينئذ وقال : لم يصعب علي ما ذكرته
أنه مقتول .

كل ابن أثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول^(٢)
لكن الذي ذكرته من تكفينك إياه عار عظيم ، وشين^(٣) على وجه
البيت مقيم . وتمكن القزويني من شرف الملك فيما لا يعنيه من رفغ زيد ،
ونخض عمرو ، ونصب عامل ، وجزم نايل ، إلى أن ورد قاضي دمشق
على السلطان رسولا عن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن
أيوب سقى^(٤) الله ثراهم صحبته القاضي مجد الدين رسول السلطان ، فلما
فرغ من أداء رسالته وخرج^(٥) ، جلس في مجلس الوزير ، وعفله

(١) في الأصل : وتوقية .

(٢) البيت لكعب بن زهير .

(٣) في الأصل : شنى .

(٤) في الأصل : سقا .

(٥) بينما كان جلال الدين منكبرتي يوسع أملاكه ويوطد نفوذه في الأقاليم الغربية من الدولة
الخوارزمية ، وقع خلاف كبير بين ثلاثة من أمراء الدولة الأيوبية من أبناء الملك العادل أيوب
وهم الكامل محمد صاحب مصر ، والمعظم عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس ، وطبرية وما
جاورها ، والأشرف موسى صاحب بلاد الجزيرة وخراسان وميفارقين . ولم يأل المعظم عيسى
جهداً في الكيد لأخويه بمهاجمة بعض أملاكهما تارة ، وبثأليب بعض الحكام عليهما تارة
أخرى ؛ من ذلك أنه أرسل إلى جلال الدين منكبرتي الذي تجاور أملاكه أملاك أخيه
الأشرف يمرض عليه تكوين حلف منهما يكون هدفه الأول الاستيلاء على مدينة خراسان من

خاص^(١) بالأكابر ، قال له القاضي مجير الدين : اذكر لمولانا الوزير ما حدثك به عز الدين القزويني . فأبى^(٢) أن يذكر ، إلى أن حلف عليه بنعمة السلطان . فقال : إن القاضي عز الدين قال له موبخاً : ماذا رأى صاحبك ، يعني الملك المعظم ، في ميله إلى هؤلاء عن أخوته السلاطين ؟ وإيم الله إن معاداة إخوته أنفع له وأعود عليه من مصافاة هذه الطائفة ، وسيندم على ما يفعل حين لا تنفعه الندامة . فحافظ شرف الملك ما سمعه وأحضر القزويني ، وقابل بينه وبين الناقل ، وخجل القزويني ، وبقي بفصاحته كباقل^(٣) . فقال شرف الملك لولا حرمة الشيخوخة^(٤) وفضيلة العلم ، لطيرت رأسك بهذا السيف . قم عني يا خبيث مدحوراً^(٥) . فقام عز الدين خجلاً .

فلست أدري أي السادات الثلاثة أجود ، وأهم عن الخير أبعد ، المستشهد أو الشاهد ، أو المشهود عليه ؟ ولعمري إن عز الدين أنصف فيما قال وذكر ما يشهد به العيان ، ويسجل بصحته الامتحان ، غير أن اعتبار المخامرة قبيح ، وكفران النعمة لؤم صريح^(٦) . فعزل وولى القضاء مجير الدين بعد استنزاله بالمصادرة عن ماله ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

== أملاك الأشرف موسى . وقد صادفت هذه الفكرة قبولا حسنالدي جلال الدين الذي وجد في ذلك الحلف فرصة لتوسيم نفوذه ، وتبذلت الهدايا بين الفريقين المتحالفين . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٦٣ — ٢١٤ و ٢١٥ ، p. 180 ، t. iii ، Op. cit. ، Dohsson .

(١) في الأصل : فاض . (٢) في الأصل : فأبى .

(٣) نقلها هوداس عن النسخة الخطية « كالباقل » ثم صححها في الطبعة الفرنسية « كالناقل » . والواقع أن محتها « كباقل » . وقد قيل : « أعيا من باقل » . ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن باقل هذا رجل من العرب كان قد اشترى ظيلاً بأحد عشر درهماً فبقي له : يك ما اشترته ؟ ففتح كفيه وخرج لسانه يشير بذلك إلى أحد عشر ، فاقبلت الظبي ، وضربوا به المثل في العي .

(٤) في الأصل : الشيخوخة . (٥) مدحوراً : مطروداً . وفي الأصل : مدحوراً .

(٦) في الأصل : لؤم صريح .

ذكر عود السلطان إلى بلد الكرج

وقتحه تفليس

ثم ركب السلطان بعد العيد لغزوة أخرى في الكرج ، يبيض بها وجهه الإيمان ، ويعتقر خدود عبدة الصليبان . فعند وصوله إلى نهر أرس ، مرضت مرضاً شديداً تعذرت معه الحركة ، وأذن لصاحبي سرماري إذ ذاك في العود إلى بلدهما ، فسيرت معهما ، وبرز الأمر إليهما أنهما لا يفتحان^(١) كتاباً يرد عليهما من ملوك الشام والروم والكرج إلا بحضورى ما دمت فيهم ، وأن لا يحضر رسول من رسل هذه الجهات إلا وأنا حاضر ، وإلى ما يرد أو يصدر ناظر ، فأقت بها سبعة أشهر لتعذر الوصول إلى المراكز السلطانية ، وقد دوخ أعماق أنجاز .

ولما وصل السلطان إلى شاطئ نهر أرس ، مسك لشواه الكرجى كتاباً^(٢) أرسلها إلى أمراء أنجاز يحذرهم برحيل السلطان صوبهم وينذرهم ، فأمر السلطان به فوسط^(٣) على شاطئ النهر ، وقاسى السلطان وعسكره من الثلوج في ذلك الشتاء ببلد الكرج شدة عظيمة ، وكلح وجه الهواء بها كالوحاً أثر في الجوافر ، فضلا عن الأطراف والمحاسر^(٤) . ولما وصل إلى مروج تفليس ، جرّ العساكر إليها ، متجدة عن أنقاليها ، فوجدها حصينة منيعة ، قد بنى معظم سورها على الجبال والسقفان . فتهاقت عوامها إلى مصرع البوار ، تهاقت الفراش في النار ، فاستجروهم إلى أن انفصلوا من

(١) في الأصل : لا يفتحا . (٢) في الأصل : كتب .

(٣) وسط فلان الشى : جماله وسطا ، وقطعه نصفين .

(٤) المحاسر : الأعضاء المكشوفة كالوجه .

جدران المدينة ، وحملوا عليهم حملة كشفتهم عن رموس بلاغلاصم^(١) ، وايد
بلامعاصم ، وانزحوا في العود ، وسبقهم إلى الباب غياث الدين وملكيت المدينة
بهذه الحملة ، وتحكمت السيوف في أهلها ، والأيدى الناهبة في أموالها . وقتل من
بها من الكرج والأرمن . وتحصن أجناد الكرج وأرتاروزتهم^(٢) بالقلعة .
ومن صفة تفليس أنها بنيت على حافة نهر أرس بين جبال وأودية ، والنهر
يشق بين المدينة والقلعة ، وهو نهر عظيم لا يخاض ، وكان بينهما جسر
من خشب فأحرق حين شوهد هول المقام ، وتسقط يدالاتقام ، وتكاثف
عليه الزحام . ثم عبر السلطان النهر في نهار واحد إلى ناحية القلعة ، وكتب
إليه ولعسكره . بالسلامة فأحاط بالقلعة ، وأخذ الناس يعدون آلات
الحصار وخرج أثناء ذلك رسول من بها من الكرج في طلب الأمان ،
فأجاب السلطان إلى ذلك ، إذ كان الشتاء قد هجم ، وتسلم القلعة بما فيها من
ربد^(٣) الاحقاب ، أموال تكل عن ذكرها أنامل النحرير ، وتضيق عن
إثباتها أدراج الأضاير^(٤) .

-
- (١) الفلصة : اللحم بين الرأس والعنق ، والجمع غلاصم .
(٢) لعل القصود بها الجنود المرتزة ، فقد كانت جيوش جورجيا تضم قوى كبيرة من الجيوش
المرتزة من البلاد المحيطة بها . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٧ .
(٣) في الأصل : زيد . والربد : المحبوس القديم من الأشياء .
(٤) في الأصل . الأضاير .
ولعل من المناسب أن نذكر هنا أن جلال الدين قد تكل بسكان المدينة بأن أعمال الأسر في
الرجال والسبي في النساء ، ولم يعف من القتل إلا من اعتنق الإسلام . وهكذا انتقم للمسلمين
الذين طأوا ما طأوه من أهالي جورجيا في السنوات التي سبقت عودته إلى فارس من بلاد الهند .
ومن المهم أن نذكر أيضاً أن الخوارزميين استطاعوا بعد هذا النصر أن يضعوا أيديهم على
هذه البلاد وأن يطبقوها بالطابع الإسلامي إلى حين . انظر .

Defremery : Fragments de Géographes et d'Historiens Arabes et Persans
Inédits, pp. 486-487. (J.A., Nov.-Déc., 1849).

ذكر قصد السلطان كبسة براق الحاجب بكرمان ورجوعه عنها قبل وصوله إليها

لما فتح السلطان تفليس ، غارت غوارته^(١) في أقاصى أبخاز ، ومن قبل كانت الأخبار تصله من صوب العراق بفساد نيّة براق في الطاعة ، وأنه أخذ يكاتب التاتار ويراسلهم مغرياً بإيائهم بالسلطان^(٢) ، وانضاف إلى ذلك انقطاع مواد خدمته المعهودة ، وكان شرف الدين علي بن الفضل التفرشي^(٣) وزير السلطان بالمرق يطالع بأخباره يوماً بعد يوم ، فوردت^(٤) الأخبار من صوبه والسلطان بأبخاز أن المذكور أبرز خيامه^(٥) إلى بعض منفسحاته ، مغترأً ببعده السلطان ، فحملته همته التي كانت ترى الصعب ذلولا ، وتُسعد الوعور سهولا ، أن يكبسه بكرمان . فاختر من جريدته^(٦) ستة آلاف خفاف ، واستصحب أخاه غياث الدين موعوداً بأن كرم ان يصفيها من المتغلب ويسلمها إليه إذ كانت ملكه ، فوثق فيها بغادر ، وعود في تسليمها إلى فاجر وخلف حرمه وأثقاله بكيلكون مع رتوت الخانات وكبار الأمراء .

وكان شرف الملك حينئذ مقبياً بتفليس مركزاً بها ، يبلى بقايا الكرج بالبلايا ، وغوارته تضرب يمنة ويسرة^(٧) ، يزبدنهم حسرة . وكنت بسرماري ،

(١) يقصد المؤلف الجيش المغير .

(٢) انظر أيضاً ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٩ .

(٣) لهبة إلى تفرش ، وهي ناحية من نواحي قاشان .

(٤) في الأصل : فورد . (٥) في الأصل : برز خيامه .

(٦) الجريدة : الفرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها ، ويقصد بها في كثير من الأحيان ، سير السلطان على وجه السرعة دون أن يأخذ معه أثقالاً أو حشداً . انظر الميرزى :

السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ١٠٦ حاشية ٨ .

(٧) في الأصل : يمنة ويسره .

على ماذكرته ، وأخبار السلطان منقطعة ، فبينما أنا جالس والهموم قد ملكت فكري ، والأحزان قد أخذت بجوامع سري ، إذ دخل واحد من جاوشية^(١) السلطان مبشراً بقدومه ، وقد تقدم بعارة الجسر الممدود بسرماري على نهر أرس . فقممت إلى الجسر ، ووقفت حتى عمر ، وصاحبها واقفان ، وعبر السلطان فنزل بشرقها ، فأنهى إليه أن ثلاثة من أسرى الكرج ومشاهير أمرائهم ، وكان السلطان قد أسرم فسيرهم صجبة ملك الخواص تاج الدين قليج إلى تبريز حين وجهه إليها بكسر الكرج ، قد أحضرهم بعض نواب^(٢) شرف الملك إلى سرماري وقرر فداءهم عشرين ألف دينار ، وقد تعلم أكثرها نائب شرف الملك قاشاً وعيناً ودواب^(٣) ، وحين أن يطلقهم ، فاستحضر في السلطان ، وأمر أن لا يمكن أحداً من إطلاقهم ، وقال : لو كنت أرغب في بيع عدوى لجمعت من الكرج أموالاً لا تأكلها النار ، ولا يكاد يفنيها الليل والنهار . ورحل إلى صوب كرمان ولم يتعرض إلى ما أحضروه من فدائهم ، وحملته إلى شرف الملك وهو بتغليس فسلط عليه جوده المبذر ، فلم يبت على خزائنه منه شيء .

وقد كان السلطان استصحب خمسة آلاف فارس أخرى ، دون المتجردين معه صوب كرمان ، لينغروا على بلد خلط ، وقدم عليهم بسرماري سنجان خان ، فساقوا إلى بلد خلط بما يلي سرماري ، وعادوا بعد ثلاثة أيام بغارات ضاقت بها الطرق . وساق بنفسه صوب كرمان ركضاً بادر أفواج الرياح ، وقسم^(٤) أوقات الإظلام والإصباح ، لم ينل فيه لذة طاعم ، ولا راحة نائم ، طوى فيه عرض البيد فوق قوائمه ، توهمته منهن فوق

(١) كذا في الأصل ، وصحتها جاوشية .

(٢) في الأصل : يواب . (٣) في الأصل : دواباً .

(٤) في الأصل : أقسم . وقسم الأمر دبره وفكر فيه .

قوادم^(١) . فتعب ولم يبلغ مقصوده من براق ، إذ كان المذكور محترزاً ،
ولما علم بتحرزه وتحصنه رجع آيأ ، وعما طمحت إليه همته خائياً^(٢) .

(١) القوأم : السوق من الأرجل . والقوادم : الأجنتة .
(٢) يذكر ابن الأثير في هذا المقام ، أن جلال الدين أرسل إلى صاحب كرمان رسولا
« ومعه الخلع ليطنن ويأتيه وهو غير محتاط ولا مستعد للامتناع منه ، فلما وصل الرسول علم
أن ذلك مكيدة عليه لما يعرفه من عاداته ، فأخذ ما يرض عليه وصعد إلى قلعة منيعة فتحصن بها ،
وجعل من يثق إليه من أصحابه في الحصون يمتنعون بها وأرسل إلى جلال الدين يقول : إني
العبد والمملوك ، ولما سمعت بمسيرك إلى هذه البلاد أخليتها لك لأنها بلادك ، ولو علمت أنك
تبقى على الحضرت بابلك ، ولكفى أخاف هذا جميعه » . فأرسل إليه جلال الدين الخلع وأقره
على ولايته . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٩ .

ذكر ماجرى للعساكر المذكورة في بلاد الكرج

في غيبة السلطان

كان شرف الملك مقبياً بتفليس ، على ما سبق شرحه ، فأرجف إلى الخانات بكيلىكون أن شرف الملك حوَّص بتفليس ، وقد أتاه الكرج في غلبة قد ثلثوا فيها كناين الاحتشاد . فتشاوروا في أمره ، وكشف بؤسه وإزالة ضرره ، فأشار أكثرهم بالتغافل عنه ، والتشاغل إلى ما أتم بصدد من حفظ الحرم والأثقال السلطانية ، ما خلا أورخان وحده قال : لو أسر الكرج وزير السلطان ومثل هذا العسكر بالقرب منه لبقيت على الدولة وصمة لا ينسى ضررها ، ولا يرحض^(١) عن وجهها قترها ، وتعود الأحذوثة التي حصلت بهذه الفتوح سمعة وهن ، وسبة منقصة ، وتبين هذا على عداوة مؤكدة كانت بينه وبين شرف الملك دون سائر الخانات ، غير أنه كان في نفسه من الرجال الأجواد ، والأبطال الأفراد ، أرباب الحزم والسداد . فركب بنفسه وعسكره ، فلما رآوا جده^(٢) في نصرة شرف الملك ، وصدقه في الذب عنه والمحاماة دونه ، خرجت إليه منهم أفواج حتى صار في خمسة آلاف فارس أو أكثر ، وسار بهم إلى تفليس ، وسرت في صحبته ، وظهر أن الذى بلغه من حصار تفليس إرجاف ، ردفه خلاف ، وباطل ليس له حاصل . وقدم ملك الخواص تاج الدين قليج بعد يومين مباشراً بوصول السلطان إلى نخجوان عائداً من العراق ، فأعطاه شرف الملك أربعة آلاف دينار حق البشارة . ووصل السلطان عقيبها ، ونفرت العساكر في بلاد الكرج ناهيين كاسيين ، ورتب السلطان قرمك^(٣) وتاج الدين الحسين مقطوع

(١) يرحض : يغسل ويمسح .

(٢) في الأصل : جده .

(٣) يحتمل أن يكون هذا الاسم « قراملك » أو « قره ملك » . وقرا . أو قره لفظ منبولى أو تركى معناه أسود أو نحس أو ردى .

استقرا باذ ، ونصرة الدين محمد بن كبودجامه صاحب جرجان بتفليس ،
وقصد بمساكره المتجردة عن البيوت والأثقال خلاط^(١) ، فلما وصلها ثار
عليه العوام ومن بها من العساكر الشامية ، فزحف عليهم زحفه انكشفت
عن قتلى مضرجين^(٢) قد طرخوا ، وأسرى قد جرحوا . وتزاحم الناس
إلى المدينة ، ودخل العسكر معهم ثم خرج . واختلفت الأقاويل في سبب
خروجهم ، فزعم الأتراك أن السلطان أمرهم بالرجوع كيلا ينهب ، وقد
اعتقد أنها لاتعصى إلا بملكها مهما شاء . وأما أهل خلاط فقد زعموا أنهم
أخرجوا قهراً^(٣) ، والله أعلم^(٤) . وأقام السلطان عليها أربعين يوماً ورجع .
نعم ولما انفصل السلطان من الحرم والأثقال قاصداً خلاط ، رحل
شرف الملك صوب كنجة مشتبهاً بها . وكان صاحب أرزن الروم قد نصر
أحد ابنيه وأنكحه ملكة الكرج ، وحين ملك السلطان تفليس ، أحضر
الصبي بين يديه فأمنه وآواه ، ومهد له ذراه ، إلى أن نهض السلطان صوب
خلاط في هذه المرة ، استحوذ عليه الشيطان فارتد في حافة الكفر وعاد
إلى الكرج ، وأخبرهم بقلة من في تفليس وضعفهم ، فاغتنموا بعد السلطان
وخفة أسيحابه بها ، فساروا إليها بما احتشده من خيل ورجل^(٥) ، فأخلاها
قرملك ومن معه من الأمراد ، جنباً عُرِف المذكور بسمته ، وقصوراً
شاع من همته ، فدخلها^(٥) الكرج وأخرقوها ، لعلهم بأنهم يعجزون
نعم حفظها .

(١) كانت مدينة خلاط ملكاً للأشرف موسى بن الملك العادل أيوب . انظر ابن الأثير :
الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٣ .

(٢) في الأصل : مصرجين .

(٣) يذكر ابن الأثير في هذا المقام أن أهل خلاط لما وجدوا الخوارزميين يعملون النهب
والسلب والقتل والسبي في المدينة ، قاتلوا جلال الدين حتى أبعادوا عسكره عن المدينة . وكانوا
' يقاتلون قتال من يمنع عن نفسه وحريره وماله ' . كما ذكر ابن الأثير أيضاً أن جلال الدين
اضطر إلى الرحيل عن المدينة فظراً لاشتداد البرد واضطراب حال بعض بلاد أذربيجان مما اضطره
إلى الرحيل لإعادة توطيد قوذه هناك . ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٢ — ٢١٣ .
(٤) الخيل : الفرسان . والرجل : المشاة . (٥) في الأصل : فدخلوها .

وكان شرف الملك مقبياً بكنجته ، تطير كتبه إلى السلطان وهو محاصر خلاط ، تعلمه باجتماع الكرج طالبين تغليس ، فرجع على أن يتدارك^(١) الأمر^(٢) قبل تعذر تلافيه ، وفوات الفرصة فيه ، فلم يلحق ذلك . وقد كانت الأتراك الإيوانية قد أوغروا صدر السلطان بإخافتهم الطرق ، وأخذهم الغارات مما يتأخهم من البلاد ، وكان فيهم كثرة ، وطال ماركبوا في زهاء عشرة آلاف فارس . فحين انصرف عن خلاط ، سار إليهم فشن عليهم غارة لم تخل من نهاب نفوس ، واختطاف رهوس . وساق مواشيهم إلى موغان فكان الخمس منها ثلاثين ألفاً . ولما شفي^(٣) السلطان غيظه فيهم ، انفرد في قرابة مائة فارس من خواصه إلى خوى لاجتماعه بالملكة صاحبها ، فلما قاربها أعلم بأن بكلك السديدي ، وسنقرجاه^(٤) الدويدار^(٥) ، وطائفة من الممالك الأتابكية نزول بمرج خوى في أضعاف من كان مع السلطان ، فلم ير لذاك للعود وجهاً ، فأقدم مبادراً ، وساق إليهم مخاطراً ، فلم يلبثوا^(٦) له ، وتبعهم السلطان وجدد في الطلب ، حتى ضيق منافسهم ، فوقفوا له وطلبوا الأمان فأمنهم ، وانخرطوا في سلك الخدمة .

ولم يصل السلطان إلى كنجته إلا بعد فراغ الكرج من إحراق تغليس . ولما فارقه شرف الملك عند توجهه صوب خلاط في هذه المرة ، قبض على القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي ، وصادره على اثني عشر ألف

(١) في الأصل : انه يتدارك .

(٢) في الأصل : اشفي .

(٣) ورد هذا الاسم « سنقرجاه » في موضع آخر سنشير إليه فيما بعد .

(٤) الدويدار أو الدواتدار أو الدوادار أو الدودار ، اسم مركب من لفظين ، أحدهما عربي وهو الدواة ، والثاني دار ومعناه ممسك ، وصاحب وظيفة الدوادارية هو الذي يعمل دواة السلطان أو الأمير ، ويتولى أمورها مع ما يلحق ذلك من المهمات نحو تبليغ الرسائل عن السلطان أو الأمير وإبلاغ عامة الأمور ، وتقديم البريد وغير ذلك . انظر المقرئ : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ١٤١ حاشية ١ ، وانظر أيضاً دائرة المعارف الإسلامية مادة Dawatdar .

(٦) من البت وهو الإقامة .

حيتار ، زعماً منه انه خان السلطان في أداء رسالاته التي وجه فيها ، فيبقى شهراً محبوساً إلى أن أدى ما ذكرناه برسم الخزانة . وقد ذكر المذكور أن الذي أخذ منه بالرشا^(١) والخدم^(٢) كان ضعف ما أخذ منه برسم الخزانة . ثم إن شرف الملك كره ملازمته خدمة السلطان بعد الإنجاش^(٣) لوجهته ، ورفيع منزلته ، وسوابق خدمته ، فولاه قضاء تبريز ، وضعاً للشئ في خبير موضعه .

(١) في الأصل : الرشى . والرشا : الرشوة .
 (٢) في الأصل : الخدم . أما الخدم ، فيقصد بها الهدايا .
 (٣) في الأصل : الإنجاش .

ذكر وصول شمس الدين رسول المغرب^(١)

في سنة ثلاث وعشرين وستمائة

لما عاد السلطان إلى كنجة في هذه المرة ، وصل رسول المغرب فتلقوه بالإكرام والاحترام ، ووظفت له إنازال وإقامات ، على ريب منهم في أمره ، وشك في صدقه ، إلى أن وصل رسول السلطان من الروم وأخبر بأن هذا الرسول قد قطع البحر إلى الروم وهو حاضر ، وتلقاه علاء الدين كيقباز صاحب الروم بنفسه ، وضربت له خيمة النوبة ، وبولغ في احترامه وإعظامه ، إلى أن علم أنه مبعوث إلى السلطان لا إيهام ، فنقص من الإنزال ، وأخل بمعهود الإجلال . فعند ذلك زال الشك في أمره ، وصدق في رسالته ، واستحضره السلطان ، وكنت الترجمان بينهما ، ولست أرى في إعادة ما أورده من الرسالة فائدة إلا الوحشة^(٢) . ومن مزيلات الشك ودوافع^(٣) الشبهة في صدق هذا الرسول أنه كان ذا همة عالية ، ومروءة تامة ، لا تشتره نفسه إلى احتقاب واكتساب . وأقام بكنجة سنة أو أكثر إلى أن أذن له بالعود ، فكان مبلغ ما حمل إليه في هذه المدة ما يقارب عشرة آلاف دينار ، ففارق ولم يبق معه شيء منه ، بل كان استقرض من التجار جملة أخرى طائلة ، واشترى بها الثناء والمجد . واقترح على السلطان عودده الكوسات

(١) لعل الرسول المقصود في هذا المقام هو رسول من قبل الخليفة العباسي في بغداد كما

يبدو من النص نفسه .

(٢) كانت العداوة على أشدها بين الخلافة العباسية في بغداد وبين الخوارزميين منذ أيام

علاء الدين تكش خوارزم شاه ، كما استفحل الخلاف في عهد ابنه علاء الدين محمد وخاصة بعد أن وقف الخليفة العباسي الناصر موقفاً عدائياً من الخوارزميين قبيل الغزو المغولي وفي أثنائه . وكان طبعاً أن يستفحل العداء بين جلال الدين منكبرتي وبين الخلافة العباسية في بغداد .

(٣) في الأصل : وروافق .

والاعلام ، فأجابه إلى ملتصقه ، وطلب أن يكتب له توقيع اللجنة الزبدانية^(١) يد دمشق ، وعلم أنه كان يورثها عن أسلافه وقد غصبت منه وأخذت ظلياً ، فأجابه السلطان إلى جميع ما سأل ، وأصبحه بشق الدين الحافظ رسولاً من جهته ، إذ كان لا يرغب في التوجه إلى الجهة القاصية من له في الدولة قدر ، أو في البلاد ذكر . فلما انفصلاً ، أرجف من جهة العراق أن شرذمة من التيارات وصلت إلى العراق ، فرأى السلطان أن يبادر إلى أصفهان ، فساق حتى أناخ ، بمناج^(٢) ، وهي من كور أذربيجان على حافة النهر الأبيض ، واستعرض الجيش بفضائها . فبينما السلطان يعبر على الأطلاب مستعرضاً إذ قدم رسول المغرب عائداً من مراغة ، فقال لى السلطان : أسأله عن سبب عودته ، فسأله فقال : لما بلغنى أن العدو واصل ، وأن السلطان يركب على نيسة الغزو ، أحبت أن أفوز بفضيلة المجاهدين على القاعدتين . فشكره السلطان على ذلك ، وقال : هكذا فليكن أصحاب الخلفاء . وأمرني أن أسير معه وأوريه العسكر طلباً طلباً ، ففعلت ، ولما رجعنا إلى الخدمة قال السلطان : عسكر أمير المؤمنين أكثر أم عسكرنا ؟ فقال : عسكر أمير المؤمنين أكثر من الجوع والرجالة ، غير أن هؤلاء كلهم رجال الحروب .

ثم ورد الخبر بأن العسكر الذى وصل إلى العراق من جملة العساكر السلطانية الذين كانوا مركزين بالهند ، ومقدمهم بلكاخان . فعاد السلطان إلى مضاربه بأوجان^(٣) ، وجرى رسول المغرب تجهيزاً ثانياً ، فلما وصل الرسول إلى الموصل دخلت عليه طائفة ليلاً فأخرجوه ولم يعد ، وتحقق أنه حذر إلى بغداد ورجع بقاشه وخيله إلى السلطان وما تعرضوا إليها ولم يدر عاقبة أمره .

(١) في الأصل : الزبدانية . والزبداني : بساتين من ضواحي دمشق .

(٢) مياخ أوميانة : إحدى مدن أذربيجان بين مراغة وتبريز . يافوت : معجم البلدان ،

ج ٨ ، ص ٢٢٠ ، والقلقشندى : صبح الأمشى ، ج ٤ ص ٣٦٠ .

(٣) أوجان : إحدى مدن أذربيجان .

ذكر تملك لمطان مدينتي ييلقان^(١) وأردويل^(٢) بأعمالهما شرف الملك في سنة أربع وعشرين وستمائة

لما توجه السلطان إلى العراق في هذه السنة وجدهما^(٣) من الخراب
بحال لم ترج عمارتهما^(٤) ، وما كان قد حصل بهما عليق خيله ، ورجعت
الممتارة عنهما بأوعية خالية ، فلكها شرف الملك ، علماً بأنهما مادامتا
في جملة الخاص لا تزدد إلا خراباً ، ولم تلقيا^(٥) إلا ياباً. فضرب عليهما
في تلك السنة سورين من آجر ، ترغيباً للرعية في العود إليهما ، فعادتا إلى
أحسن ما كانتا عليه قديماً من حال العارة ، وأثمرتا^(٦) أموالاً يتضام^(٧) .
مال كنجة وتبريز في جنبهما^(٨) قدرأ .

وقد نزل السلطان بعد سنة أو أكثر فرفع شرف الملك على يدي إلى
المواقف السلطانية رقعة مضمونها أن أقل الممالك يقبل الأرض ، وينهى
لدى السرير الأعظم أنه يحمل إلى المطابخ والخايز والاسطبلات من حاصل
ييلقان ما ياتي شرحه : الغنم الحلال ألف رأس ، الخنطة ألف مكوك^(٩) ،
الشعير ألف مكوك . فوقف السلطان عليها ، وما زاد غير تبسم .

(١) راجع صفحة ٢٠٥ حاشية ١ .

(٢) أردويل أو أردويل : إحدى مدن أذربيجان ، بينها وبين تبريز سبعة أيام . انظر
ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٨٣ ، وقيل إنها كثيرة الخصب وعلى فرسخين منها جبل عظيم
الارتفاع ، وأهلها غليظو الطبع شرسوا الأخلاق ، انظر القلقشندي : صبح الأعشى ،
ج ٤ ص ٣٥٦ .

(٣) أي مدينتي ييلقان وأردويل . (٤) في الأصل : عمارتهما .

(٥) في الأصل : تلقيا . (٦) في الأصل : أثمر .

(٧) في الأصل : يتضام . (٨) في الأصل : جنبها .

(٩) المكوك وجمعه مكايك : مكيال للعجوب يسع صاعاً ونصفاً ، والصاع قدر نصف
وبة ، والوبة ثلاث كيلات . وهذه المكاييل ليست ذات سعة واحدة في أنحاء البلاد الإسلامية .

انظر المقرئ : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٤٠٩ حاشية ١ .

ذكر الملك خاموش بن الآتابك أزبك

ووصوله إلى خدمة السلطان

لم يخلف الآتابك أزبك ولداً إلا الملك خاموش ، وكان قد ولد أصم أبكم لا يفهم ولا يستفهم^(١) منه إلا بالإشارات ، ولا كل أحد يقدر تفهيمه والاستفهام منه إلا شخص واحد قد ربّاه . وكان أبوه قد زوجه بصاحبة « روين دز »^(٢) ، وهي من حفدة الآتابك علاي الدين كرابه صاحب مراغة ، فلما وصل السلطان إلى كنجة منصرفه من خلاط ، على ماسبق ذكره ، قدم الملك خاموش ، وقد سموه خاموشاً لأنه غير قادر على النطق ، وأحضر في جملة تقاديعه حياصة كيكاووس ملك الفرس قديماً ، وكانت تحوي عدة جواهر نفيسة لا تقوّم ، من جملتها قطعة بذخشانى مسوح مصفح طولاني على قدر كف ، أغرما يكون من الجوهر وأباه ، وقد نقر فيها اسم كيكاووس وأسماء جماعة من الملوك بعده ، وأضاف السلطان إليها قطعاً أخرى نفائس مما كانت له وغير صناعتها ، وجعل الفص الكيكاووسى واسطتها . وكانت تشد في الأعياد لا غير ، إلى أن كبسه التاتار بآمد في شوال سنة ثمان وعشرين وستائة^(٣) ، فظفروا بالحياسة وسائر الجواهر ، وحملت إلى الخاقان ابن جنكزخان ملك الترك^(٤) ، وأقام الملك خاموش

(١) في الأصل : لا يفهم ويستفهم .

(٢) روين دز : إحدى الفلاع القريبة من مدينة أردويل .

(٣) انظر حوادث هزيمة جلال الدين منكبرتي عند مدينة آمد في كتاب الكامل لابن

الأثير ، ج ١٢ ص ٢٣١ .

(٤) هو أجتاي (أگتاي) بن جنكيزخان : ٦٢٤ / ٦٣٩ هـ = ١٢٢٧ / ١٢٤١ م .

في خدمة السلطان مدة مديدة ، فلم يحظ بعناية إلى أن رثت^(١) حاله ، وأعول
عياله^(٢) ، ففارق السلطان من غير إذن إلى علاء الدين صاحب الإسماعيلية^(٣)
وساقه الموت إلى الموت^(٤) ، فتوفي بها بعد شهر .

(١) رثت حاله : ساءت .

(٢) أعول عياله : افتقروا .

(٣) هو علاء الدين محمد الثالث بن حسن الثالث : ٦١٨/٦٥٣ هـ = ١٢٢٦/١٢٥٥ م .

(٤) أُمم وأُمم حصون الإسماعيلية في فارس .

انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٣ ص ٢٤٤ ، وراجع ما كتبه إدوارد براون
E. Browne : من هذه القلمة في كتابه : A Literary History of Persia, vol. ii, pp.203-204.

ذكر رفع صدور العراق على شرف الدين على التفرشي وزير السلطان بالعراق

كان شرف الدين على بن الفضل من رؤساء تفرش ، وهي كورة من كور العراق ، خدم الدواوين ^(١) منتقلا ^(٢) من رتبة إلى أخرى أعلى منها شأنًا ، وأرفع مكانًا ، إلى أن ولي استيفاء ^(٣) العراق عند تملك السلطان الكبير ^(٤) ، ولده غورشايجي إقليم العراق ، وقد تعصب عليه ونكب في أيام غياث الدين إلى أن طلعت رايات السلطان من الهند وصفا ^(٥) له ملك العراق بادر ^(٦) كفاه إلى الخدمة ، فاستوزره لجميع العراق حكما في الرقاب والأموال ، منزلا حكمه منزلة الأحكام السلطانية ، فانبسط يده وباعه ، وتموجت بذخائر الأموال رباعه ^(٧) ، وأخذ يقلع صدور ^(٨) العراق ومن كان يتوهم من جهته مزاحمة على ماتحت يده ، ومنازعة لما هو بصدد . فنسكب الصدور ، وأوغر الصدور . ولم يتول حكم العراق بأسرها وزير قبله بل كان لكل مدينة وزير يدبرها بمفردها ^(٩) ، فاتفق نظام الدين وزير أصفهان قديما ، وشهاب الدين عزيزان مستوفيا ، وقاضي أصفهان ركن الدين مسعود بن صاعد ، على الرقعة ^(١٠) عليه ، والوقعة به ، واسترواح الأرواح منه ،

-
- (١) في الأصل : الدواوين .
(٢) في الأصل : منتقلا .
(٣) راجع ما كتبناه عن وظيفة المستوفي في صفحة ١٨٣ ، حاشية ٥ .
(٤) علاء الدين محمد خوارزم شاه .
(٥) في الأصل : صفى .
(٦) في الأصل : بادرا .
(٧) الرباع ، جمع ربع : الدار وما حولها . (٨) الصدور : رموس القوم .
(٩) راجع ما كتبناه عن الوزارة عند الخوارزميين في صفحة ٨١ ، حاشية ٣ .
(١٠) الرقعة : القضية ، يريد الايقاع به .

وتفريغ الخواطر من جهته . وواطأهم شرف الملك على أن يساعدهم ليحطه عما ناله من المنزلة المحسودة ، إذ كان قليل الاحتفال لم يتبعه في جميع أغراضه وأهوائه ^(١) ، بخلاف سائر وزراء الأطراف . فأمر السلطان أن يعقد شرف الملك لهم مجلسا يسمع فيه رفايعهم ^(٢) ، بحضرة سائر أرباب المناصب بالديوان . وجلس السلطان ينظر إليهم من شبك يسمع مقالاتهم وهم لا يعلمون ، يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بل ورسلا لديهم يكتبون ، ^(٣) .

فلما أحس شرف الدين بأن شرف الدولة مواطئهم على ما اتفقوا عليه من الرفعة ، وحطه عن المنزلة الرفيعة ، أرضى ^(٤) السلطان بمائة ألف دينار يحملها إلى الخزانة ، على أنه لا يقبل قولهم فيه ، وعلى أن كلامهم يسمع فيما يرفع عليهم من المعاملات العتيقة . وكان السفير بينهما في ذلك ملك الخواص تاج الدين قليج ، فرضى السلطان بذلك ، وأولئك ^(٥) لا يدرون . وقد كانوا من نصب تلك الحبال قد ملئوا سرورا ، وما كان يعدم الشيطان إلا غرورا .

وكنْتُ قد حضرت المجلس أسمع رفايعهم ، فكان بين كلامهم وكلام شرف الدين في التوجيه من البعد ما بين الثرى والثريا ، إذ كان شرف الدين في الكفاية فريد عصره ووحيد دهره . فقام عن المجلس مستمرا على ما كان له من الجاه والحكم بعامة مدن العراق . وكاد شرف الملك يموت كمدأ ، وسائر الصدور قد أقيموا بالتوكيل يطالب كل واحد منهم بعشرين ألف دينار ، وثلاثين ألفا ^(٦) . ولما عزم شرف الدين على العود إلى بيت

(٢) جمع ربيعة ، وهي القضية .

(٤) في الأصل : أرضا .

(٦) في الأصل : ألف .

(١) في الأصل : أهوائه .

(٣) سورة الزخرف ، آية ٨٠ .

(٥) في الأصل : أولئك .

عليه ، لم ير أن يترك شرف الملك بغيظه ، فاستحلفه على الاعتناء به على أن يحمل إلى خزانته عشرين ألف دينار ، فحملها في مدة سنة ، وما غيرت شيئاً من قلة اعتنائه به ، وترصده الإيقاع به في سائر أوقاته ، ولم يأل جهداً^(١) في قلعه من أصوله^(٢) ورده إلى خيمته . وكفاه الله ما كان ينويه إلى أن قتل بغيضه فيه .

(١) في الأصل: جبراً .

(٢) في الأصل : في قلعه أصوله .

ذكر قتل الاسماعيلية أورخان بكنتجة^(١)

ولما كان السلطان بالهند ، قاصر اليدين عن مقابلة الخدمة بالإحسان ، يطيب قلب من ترضيه خدمته باللسان ، وعد لكل من معه من الأمراء بإقطاع إذا ملك العراق وخراسان . فلما تملكها وفي بما وعد ، فأقطع أورخان ما كان قد تبقى من أرماق خراسان . وكان نائبه يتعرض إلى ما يتأخها من بلاد الإسماعيلية ، مثل تون^(٢) وقاين^(٣) وقهستان بالنهب والقتل ، فورد منهم شخص يلقب بالكمال ، وقد ناب عن صاحبهم زماناً ببلاده الشامية ، رسولاً على السلطان بخوى يشكو نواب أورخان وتطاولهم إلى تخوم أرضهم ، فأمر شرف الملك أن يقابل بينه وبين أورخان فيقطع الشكوى . فلما سمع أورخان كلام الكمال ، وكان يتضمن نوعاً من التهديد ، جذب من خفيه وحياسته وكراماته عدة سكاكين ورماها بين يديه ، وقال : هذه سكاكيننا ، ولنا من السيوف ما هو أمضى منها وأحد ،

(١) كانت طائفة الاسماعيلية قد أخذت تتقرب إلى المغول منذ أيام جلال الدين حسن الثالث ابن محمد الثاني داعي دعاة الاسماعيلية في فارس ، ٦١٨/٦٠٧ هـ = ١٢١٠/١٢٢١ م ، الذي راسل جنكيزخان بقصد التقرب إليه ، وحثه على مناهضة الدولة الخوارزمية بعد أن عجزت الخلافة عن مناهضتها . فلما اكتسح المغول الدولة الخوارزمية وعاد جلال الدين من بلاد الهند بعد عودة جنكيزخان إلى منغوليا ، وجد أن رجال الاسماعيلية قد أعمالوا التخريب في أراضي الدولة الخوارزمية ، وأكثر من ذلك فإنهم كانوا يتقربون إلى المغول خوفاً على أنفسهم من ازدياد قوة جلال الدين منكبرتي . ولم يكن جلال الدين من القوة بحيث يستطيع أن يتوجه إلى حصون الاسماعيلية ، لذا كان العداء بين الطرفين عمالاً بالخذر من كلا الجانبين . انظر : Vladimirtsov : Op. cit., pp. 131-132. & Bretschneider : Op. cit., vol. i, p. 116.

وانظر أيضاً كتابنا : العرق الاسلاوي قبيل الغزو المغولي ، ص ٨٦ — ٨٧ .

(٢) قرأها هوداس Houdas خطأ عن النسخة الخطية «بون» ، وصحتها تون وهي مدينة في نواحي قوهستان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٢٥ .

(٣) قاين : بلد بين نيسابور وأصبهان . انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٢٠ .

واعلى يداً ، وليس لكم منهم شيء . وعاد الرسول بظلامه ما أنصفت ،
وحاجة ما أسعفت .

فلما عاد السلطان إلى كنجة ، وثب بأورخان ثلاثة من الفدائية فقتلوه
بظاهرها ، ودخلوا المدينة والسكاكين بأيديهم ينادون بشعار علاء الدين^(١) ،
إلى أن وصلوا إلى باب شرف الملك دخلوا دارالديوان فلم يجدوه بها ، وكان
حينئذ يباب دار السلطنة بالقصر ، فجرحوا فراشاً له ، وخرجوا منادين
بشعارهم ، مباهين بانتصارهم . فرجعتهم العوام من السطوح إلى أن رضوهم
وهم يقولون إلى آخر النفس : نحن قرايين المولى علاء الدين^(٢) .

وقد كان وصل بدر الدين أحمد رسول الموت إلى يلقان قاصداً باب
السلطان ، فلما سمع بالحادثة تحيّر في أمره فلا يدري أيقدم أم يرجع . وورد
كتابته على شرف الملك يستشير في أمره ، فاستسر بمقدمه لرعب داخله من
طلب الفدائية داره ، وأراد تمهيد قاعد معه يؤمنه في الأجل عن مثل ماتم
على أورخان من القتل الفظيعة ، والفتنة الشنيعة . فكتب إليه يحثه على
إيراده ، ويمنيه قضى شغله على وفق المراد . وكان قصوى مرادهم ، إزالة
التعرض عن بلادهم . وكانوا قد استولوا على دامغان^(٣) في زمن التاتار
حين خلت عن يحميها ، والسلطان مطالبهم بتسليمها ، فنقرر الأمر على

(١) في الأصل : علاء الدين . والمقصود هنا علاء الدين محمد الثالث بن حسن الثالث ،

داعي دعة الاسماعيلية في فارس : ٦١٨ / ٦٥٣ = ١٢٢١ / ١٢٥٥ م .

(٢) كانت طبقة الفدائيين أهم طبقات المجتمع الاسماعيلي في فارس ، لذا كانت الأداة التي
يعتمد عليها دعائهم في القضاء على أعدائهم . وقد مهر الفدائيون في فن التخفي واستعمال
السلاح وإتقان اللغات الأجنبية ، وكانوا يقتلون المسلمين أيام الجوع في المساجد ، كما كانوا يقتلون
المسيحيين في الكنائس علناً . وكان داعي دعة الاسماعيلية إذا أراد قتل أحد أعدائه ، أرسل
إليه عادة ثلاثة من الفدائيين بحيث إذا فشل أحدهم أدى الآخرين المهمة على أكمل وجه .
أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ص ٥٢ ، طبعة R.H.O.C . وانظر أيضا :

Browne : A Lit. History of Persia, vol. II, pp. 209-210.

(٣) دامغان : مدينة على الطريق بين الري ونيسابور . انظر ياقوت : معجم البلدان ،

استمرارها بأيديهم على أن تحمل إلى الخزانة السلطانية ثلاثون ألف دينار ،
وكتب لهم بها توقيعا^(١) ، وركبوا صوب أذربيجان ، وبدر الدين أحمد
رسول الموت في صحبة شرف الملك ، يحضر خاص مجلسه ، وعام سماطه ،
وبسط شرف الملك له أسباب انبساطه . فلما وصلوا إلى مرج سراو^(٢) ،
وقد حصل الاسترسال ، قال في بعض مجالس الشرب ، وقد أخذت
الكؤوس منه مأخذها ، إن لنا في عسكركم هذا جماعة من الفدائية ، وقد
تمكنوا فصاروا كالواحد من غلبانكم ، فمنهم من خدع اصطبلك ، ومنهم من
خدم عند مقدم جاويشية السلطان . فألح شرف الملك عليه أن يحضرهم
ليبصرهم ، وأعطاه منديله علامة للأمان لهم ، فأحضر المذكور خمسة من
الفدائية ، فلما وقفوا بين يديه ، وكان الواحد هندياً وقحاً ، صار يقول
لشرف الملك : كنت قد تمكنت منك يوم كذا وكذا في منزل كذا ، إلا أني
كنت أنتظر ورود الأمر بامضاء العزيمة فيك . فرمى شرف الملك حين
سمع كلامه الفرجية من ظهره ، وقعد بين أيديهم بالقميص وقال : ما سبب
ذلك ؟ وماذا يريد مني علام الدين ؟ وما الذي صدر عني من الذنب^(٣)
والتقصير ليعطش إلى دمي وأنا مملوكه ، كما أنا مملوك السلطان ، وهأ نذا^(٤) بين
أيديكم فافعلوا ما شئتم . وبالع حتى جاوز في التذلل حد الاقتصار .
وبلغ السلطان ذلك فغضب له وأنكر عليه تذله ، وسير إليه من خواصه

(١) في الأصل : توقيم .

(٢) في الأصل : سراة . ومما يجب الإشارة إليه في هذا المقام ، أن هوداس قرأ اسم هذه
المدينة مرة سراة ، ومرة أخرى سراة . وقد انتقل هذا الخطأ إلى الترجمة الفرنسية فقد كتبها
مرة Sérât ، ومرة أخرى Sérât . والحقيقة أن صحتها سراو ، وهي إحدى مدن أذربيجان
بين أردبيل وتبريز ، وتقع على مسيرة ثلاثة أيام من الأولى . راجع ص ٦١ حاشية ٢ . وانظر
الصفحات ٣٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ من الطبعة الفرنسية ، وانظر أيضا ياقوت : معجم البلدان ،
ج ٥ ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) في الأصل : صدر عني الذنب . (٤) في الأصل : ها أنا .

من ألزمه بإحراق الفدائية الخمسة على باب خيمته ، فاستعفى^(١) عن ذلك فلم يعف ، فأمر على كره منه . فأوقدت على باب خيمته نار عظيمة ، ورمى أولئك الخمسة فيها ، فكانوا يحترقون^(٢) وهم يقولون : نحن قرايين المولى علام الدين : إلى أن فارقت الأشباح الأرواح ، وصاروا رماداً تذروه الرياح . وقتل السلطان كمال الدين مقدم الجاوشية^(٣) بسبب استخدامه الفدائي ، إذ كان أولى من يقدم الاحتراز ، ويعمل بالاحتياط . ورحل من هناك صوب العراق ، وتخلف شرف الملك بأذريجان وتخلف^(٤) معه ، فبينما نحن ببرذعة ، إذ ورد رسول من الموت يلقب بصلاح الدين على شرف الملك يقول : إنك قد أحرقت خمسة من الفدائية ، فإن أحببت سلامتك أد^٥ عن كل واحد منهم عشرة آلاف دينار دية . فباله ما سمع وأكده ، وأضعف عن كل شيء قلبه ويده . فحصر^٦ هذا الرسول عن أمثاله بإنعام وافر ، وتشريف فاخر ، وأمرني فكسبت لهم توقيعاً ديوانياً يسقط عشرة آلاف دينار مستمرة في كل سنة مما تقررحملها إلى الخزانة السلطانية ، وهي ثلاثون ألف دينار . وعلم^٧ عليها شرف الملك علامته على التوقيع .

١ (١) في الأصل : فاستعفى .

(٢) في الأصل : يحترقوا .

(٣) في الأصل : الجاوشية .

(٤) يتحدث محمد النسوى عن نفسه .

ذكر مسير السلطان إلى العراق في سنة أربع وعشرين وستمائة^(١) والتقاءه التاتار بظاهر أصفهان

لما وصل السلطان إلى سراو^(٢) ، وجرى ما ذكرناه ، من إحراق
الغدائية الخمسة سار صوب تبريز وأقام بها مدة استجماماً^(٣) ، فورد الخبر
من خراسان بأن التاتار على أهبة العبور ، فضم السلطان أذباله ، وجمع
أطرافه ، ورأى البدار إلى أصفهان والتقاءهم بها أصوب ، ومن الاحتياط
والحزم أقرب ، لما فيها من عدة وعديد ، ورجال يموجون في بحار من
حديد . فوصلها وجرد أربعة آلاف فارس صوب الري ودامغان برسم
اليزك ، إذ كانت الأخبار ترد من جهتهم يوماً بعد يوم ، فهم يتأخرون
والتاتار يتقدمون^(٤) ، إلى أن عادوا إلى السلطان سالمين وأحضروا معهم
من أعلم السلطان بما في عسكر الملاحين من مرده العفاريت ، وعتاة
الطواغيت^(٥) ، مثل تاجن نوين ، وتاتاك نوين ، وباقونوين ، أسن طغان
نوين ، وياتماس نوين ، وباسور نوين وغيرهم من الملاحين^(٦) .

(١) تكلم ابن الأثير عن هذه الحرب ضمن حوادث سنة ٦٢٥ هـ .

(٢) راجع صفحة ٦١ حاشية ٢ ، ص ٢٣٠ حاشية ٢ .

(٣) في الأصل : استجماماً . (٤) في الأصل : يتقدم .

(٥) الطواغيت جمع طاغوت وهو الشيطان . قال تعالى : يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت
وقد أمروا أن يكفروا به . سورة النساء ، آية ٦٠ .

(٦) جاءت معظم هذه الأسماء في الأصل الخطى دون قطع ، ولذا فإنها تحتمل عدة قرارات .
وعلى كل فإن كتابة هذه الأسماء على هذا النحو تبدو في جملتها مختلفة تماماً عن أصلها المغولي .
ولكن يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن « نوين » Noyan لفظ مغولي معناه أمير . انظر الفلقتندي
صح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٢٥ ، وانظر أيضاً Howorth : Op. cit., part iii, p. 88 .

ونزل التانار شرق أصفهان على مسيرة يوم بقرية تسمى «السين»^(١). وكان المنجمون أشاروا على السلطان بمصايرتهم ثلاثة أيام والتقاءهم في الرابع، فلزم المكان يرتقب اليوم الموعود، والميقات المضروب. وبما يدل على قوة قلب السلطان في الأمور القادحة، وقلة مبالاته بالخطوب الكالحة، أن جماعة الأمراء والخانات لما سمعوا بقرب العدو، انزعجوا لذلك، وقصدوا بابه، فجلسوا ساعة حتى أذن لهم بالدخول. فلما وقفوا بين يديه وهو واقف في صحن الدار أخذ يتكلم زماناً فيما ليس يتعلق بالتانار استحقاقاً بهم، وإظهاراً للجماعة بأن الأمر ليس بأمر، وأن الحادث ليس بنكر، تسكيناً لقلوبهم الخافقة، وتقوية لنفوسهم الفارقة. وطاول في أطراف المحادثة إلى أن أجلسهم وشاورهم فيما يقع عليه الاتفاق^(٢) في ترتيب المصاف، فكانت زبدة المشورة أنه استحلفهم على أن لا يهربوا ولا يختاروا الحياة على الموت. ثم حلف لهم بمثل ما حلفوا له تبرعاً منه من غير استدعاء، على أنه يقاوم مستقتلاً^(٣). وعين لهم يوم المصاف، وأحضر قاضي أصفهان ورئيسها وأمرهم باستعراض الرجال في السلاح شاكين، وفي غلهم^(٤) المزاجية^(٥) شاكرين. وعامة أصفهان لا تقاس بعامة سائر البلاد في هذا الباب. إذ كانوا يبرزون إلى ظاهرها في الأعياد والنياريز^(٦) بقزاقندات من الأطلس مختلفة الأصباغ، كأنها زهر الربيع، أو وشمى المِرط^(٧) الصنيع يرى الرائي^(٨) عليها كواكب نيرات، أو مصاحف زينت

(١) سين : قرية بينها وبين أصفهان أربعة فراسخ . انظر ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٥ ص ٢٠٣ .

(٢) في الأصل : الاتفاق .

(٣) في الأصل : مستقلاً . واستقتل : عرض نفسه للقتل واستمات في الحرب .

(٤) في الأصل : غلهم . (٥) لملها المزججة .

(٦) يشير إلى عيد النوروز ، وهو عيد فارسي الأصل ، ومعناه اليوم الجديد . وقد احتفل

به الأقباط والمسلمون فيما بعد ، ولا سيما القاطميون في مصر .

(٧) المِرط : الملاعة . (٨) في الأصل : المرائي .

بعشر ايات . فلما رأى الملاعين أن السلطان أبطأ في الخروج ، ظنوا أنه امتلاً رعباً ، وضعف قلباً ، وجنح إلى المطاولة عن المصاولة ، جرّد ألني فارس إلى الجبال بلاد الر^(١) ليجمعوا من الغارات ما يقوتهم^(٢) مدة الحصار . فدخلوا الجبال وتوسطوها واختار السلطان من عسكره زهاء ثلاثة آلاف فارس . فأخذوا عليهم المضايق ، وأرسلوا عليهم الصواعق والبوارق . وعادوا فأحضرهم معهم زهاء أربعمائة أسير ، مابين مأمور وأمير . فسلم السلطان جماعة منهم إلى القاضي والرئيس كي يقتل في شوارع المدينة تضرية^(٣) للعوام . وضرب رقاب الباقين بيده في صحن الدار . فجروا إلى ظاهر المدينة وترك جثثهم الخبيثة بالعراء ، تتجاذبها الكلاب جياعا ، وتقاسمها النصور انتزاعا وابتلاعا .

وخرج السلطان في اليوم الموعد للمصاف ، فرتب الجيوش قلباً كجتمع الليل ، وميمنة كندفع السيل ، وميسرة مشحونة بأشاهب الخيل . وأشرقت الأرض من الوميض ، ولمعان السمر والبيض ، فلما تراءى^(٤) الجمعان ، خذله غياث الدين في ذلك الوقت ، وفارقه بعسكره وطائفة من عسكر السلطان مقدمهم جهان بهلوان ايلجي ، مفتنيا فرصة الانفلات عن اشتغال السلطان عن طلبه ، وتبعه في مهربه ، خاسرا فوز الدارين ، ومفتونا كلنا الجنتين ، لوحشه حدثت في ذلك الوقت ، وسندكرها وسببها فيما بعد . وتغافل السلطان عنه شغلا بالبازل^(٥) القرم^(٦) عن المثني^(٧) . وبالعقاب^(٨)

(١) راجع ص ١٩٠ حاشية ٢ .

(٢) قرأها هوداس Houdas في الأصل الخطي « يقويهم » ، ثم عدلها في الطبعة الفرنسية إلى « يقوتهم » . والواقع أن القراءة التي تتناسب مع المعنى هي لاهنا ولا ذاك وإنما هي « يقوتهم » كما ذكرنا ، والقرص جمع القوت مدة الحصار .

(٣) تضرية : إثارة للضراوة .

(٤) في الأصل : تراءى .

(٥) البازل : ما طلع نابه من الإبل .

(٦) القرم : البعير المكرم عند أهله لا يحمل عليه .

(٧) المثني : البعير التي سقطت ثنيته أي مقدم أسنانه كذا .

(٨) العقاب : طائر من إبلجوارح .

المنقض عن الكرّكى^(١) ، ووقف التاتار حذاء السلطان على رءسهم أطلابا متفرقة ومتراذفة ، وأمر السلطان ، لما حاذاهم ، رجالة أصفهان بالعود ، إذ أعجيبته كثرتة ، وبالعدو استحقارا واستضعافا ، وقد رأى عسكره بالنسبة إليهم أضعافا . وتباعد ما بين الميمنة التي للسلطان وميسرته ، حتى لم تعرف الواحدة منهما ما حال أختها ، فغدت وحوش البر مأسورة وطيور الجو مقهورة . ولو أحست الأرض لرنت^(٢) من ثقل الحديد ، والمشى الوثيد . فالتقوا على حرب أشابت الذوائب ، وأزارت الكواكب . وحملت آخر النهار ميمنة السلطان على ميسرة التاتار ، حملة أخرجتها الى الفرار ، وحرمتها جانب القرار ، وركبوا أكتافهم فقتلوا منهم أنى يثقفونهم^(٣) وتبعوهم إلى تخوم قاشان ، وعندهم أن ميسرة السلطان فعلت بمن حذاءها مثل فعلهم . وكان السلطان لما رأى انهزامهم وقد جنت^(٤) الشمس للغروب^(٥) ، وكاد الليل ينشر سحوا لك الجلابيب ، نزل على حافة جرف كان في المعركة نأناه إعلان توغو مشنعا ومعيرا ، وقال : قد تمنينا دهرنا أن يرزق مثل هذا اليوم الأبيض في هؤلاء الملاعين ، نذهب فيه غيظ قلوبنا ، ونطفي حر صدورنا . فلما سمع الدهر بالمأمول ، وجاد الزمان بأسعاف السؤل^(٦) ، يخلى عطاش آمالنا عن الماء ويذاد عن مشربها العذب بلاها ظاء^(٧) . وفي هذه الليلة تقطع التاتار مسيرة يومين فنندم على فواتهم حين لاتغنى الندامة ، هلا نركب فنتبع آثارهم ، ونقطع أدبارهم ، فنسقيهم مما سقونا كزوسا ، فنطيب^(٧) نفوسا ؟

فركب السلطان للوقت . وكان التاتار لما شاهدوا السواد الأعظم ،

(١) الكرّكى : طائر غير جارح .

(٢) رنت : صوتت ، من الرنين .

(٣) يثقفونهم : يجدونهم .

(٤) في الأصل : انهزامهم قد جنت .

(٥) في الأصل : السؤل . والسؤل ، أى السؤل وهو السؤل .

(٦) في الأصل : يخلى عطاش آمالنا الماء ، ويذاد عن مشربها العذب يلابها ظاء .

(٧) في الأصل : فنطيب .

والأمر الأهم ، تجردت نجب شجعانهم بطاغية بهادر يتهم للكين وراء
 تل ، فلما عبر السلطان الجرف ، وقد توجت الشمس قمة المغرب ،
 خرج الكين من الميسرة كالنار تستعر ، لاتبقي ولا تذر ، ف ضربوا الميسرة
 على القلب ، فلم تكن إلا حملة واحدة حتى زلت الأقدام عن مقارها ،
 و تنهات الرقاب عن مزارها ، و جمعت تتسافط أشخاص الأولوية والمطاردة ،
 و تبرد النفوس عن ضرب السيوف البوارد ، وفارت (١) ينابيع الدماء ،
 فيض مجاديع الأنواء ، وثبت الخانات والأمراء أصحاب الميسرة وفاء بالإيمان
 حتى قتلوا ، فلم يسلم منهم إلا ثلاثة ، كوج تكين بهلوان ، والحاجب الخاص
 خان بردى ، وأودك أمير آخور . ووقف أخش ملك يقاتل إلى أن ترك
 من السهام كالقنفذ واستشهد ، واستشهد ألب خان ، وأرتق خان وكجوقه
 خان ، ويولق خان ، ومنكل بك ملان ، فلم يدر دائر (٢) الحرب يومئذ
 إلا على ليث أغلب ، أو جرف محجب . وماج الفريقان بعضهم في بعض
 ضرا يزيل الزنود عن المرافق . والرموس عن العواتق ، وطعننا يهتك
 ودائع الصدور ، ويرد مشارع الغيوم والسرور . وأمر علاء الدولة
 أبا خان صاحب يزد ، وأخذه واحد من المرتدة فأعطاه صدرا من المال
 كان في يده ، فأطلقه ووقع في بئر بالليل فمات .

وقد علم الناس يومئذ مكان أورخان الذي قتله الإسماعيلية بكسجة من
 ميسرة السلطان إذ لم ير ماعاش لغيره من الخانات أثر مشكور ولا مقام
 محمود ، وكانت الميسرة مذحياته منصورة . نعم ووقف السلطان في القلب
 وقد تبدد نظامه وتفردت عن الحماة أعلامه . وأحاط العدو به من كل صوب ،
 فصار المستخاض من كثرة الأخطا ، أضيق من سم الخياط . ولم يبق معه إلا
 أربعة عشر من خواص مماليكه . والتفت إذ ذاك وإذا بحامل الراية ، وهي

(١) في الأصل : فازت . (٢) في الأصل : دابر .

سنجقة ، قد ولى منهزما ، فلاحقه بطعنة أسلمته فيها إلى قدر ^(١) الآقدار ،
 وفتح لمن معه ولنفسه بحملة على التاتار ، أفرجت عن الطريق ، وخلصت من
 المضيق . ولما عاين اللعين باينال ماقد جرى منه أعجبته بسالته فحرك المقرعة
 وراء ، وقال : سلبت حيث سقت ، فإنك رجل زمانك ، وكبش أقرانك .
 وحكى ذلك أمير من أمراء التاتار فارقمهم إلى السلطان . ثم إن القلب
 والميسرة تفرقا في الأقطار كسواد الأمثال ، فمنهم من وقع إلى فارس ، ومنهم
 من طرحتة الجفلة إلى كرمان ، ومنهم من احتد في ركضه إلى أذربيجان ،
 ومنهم من أقعده عدم الدواب ، وتلف المراكب والأسباب ، فدخل
 أصفهان وعادت ميمنة السلطان بعد يومين من جهة قاشان معتقدين أن
 الميسرة بأصفهان وأنهم والقلب فائزان ^(٢) أيضا . فلما علمت بصورة الحال
 جد الآخرون ^(٣) في التفرق بتانا ، والتسحب أشتاتا ، فلم يسمع بمثله مصافا
 عجيبا لانهزام كلا ^(٤) العسكرين وتغافى أمرائهما وركض الجفلة ببقاياهما إلى
 أخريات ديارهما ، وأقاصى أقطارهما .

وخفي خبر السلطان ثمانية أيام ، فلم يدرك أحى فينتظر عوده ، أم لا
 فينتظر الامر من يقوم به بعده . وهمت عامة أصفهان بمد الأيدي إلى عورات
 النساء الخوارزمية وأموالهن ^(٥) ؛ فاستمهلهم القاضي إلى العيد ريثما يتحقق
 حال السلطان . وكان المصاف في الثاني والعشرين من رمضان سنة خمس وعشرين
 وستائة . وقد كان الأتابك يغان طايسى لم يخرج من أصفهان يوم المصاف
 لمرضه ، فانفق القاضي ومن تخلف بها من أرباب الدولة على أنهم إن صلوا
 صلاة العيد ولم يظهر للسلطان خبر ، يجلسوه على السرير ، إذ كان فيه من
 أسباب الرياسة ، وأدوات السياسة ما استمالت القلوب إليه ، وجمعت
 الأهواء عليه . فلما خرج الناس يوم العيد إلى المصلى ، وصل السلطان وحضر
 الصلاة ، فاعتدوا بعوده عبدا ، وظنوا بأنهم أنشثوا خلقاً جديداً . وأقام

(١) في الأصل : قدار . (٢) في الأصل : فايزين .

(٣) في الأصل : جدوا الآخرين . (٤) في الأصل : كلى .

(٥) في الأصل : أموالهم .

بها عدة أيام إلى أن تراجعت فرق من عساكره المتفرقة ، وجازى السلطان أمراء ميمنته بجيزيل الرواتب والمراتب ، ولقب يكت ملك بأوترخان ، وتكشارق حاسى بخاص خان ، وكتسنقر ملك بسنكرخان ، وأبو بكر ملك بإينام خان . وسار بهم مشرقاً نحو الرى ليزيد التاتار نفوراً وتبعيداً . وجر دسراياه إلى أرض خراسان يزيد بذلك انتشار حيث القوة ، وبعد سمعة القدرة . وهيات أوردأ وقد يصب الماء وشماً^(١) . وقد أصبحت السماء وقيرة^(٢) ، وقد سقط الجدار وشيزة ، وقد ظهر الشوار .

إذا اجتمعت دموع في حدود تبين من بكي^(٣) من تباكي^(٤) وأما الملاعين^(٥) ، فقد عادوا من أصفهان خائفين ، وأنهم مع انتصارهم في آخر النهار قد نالت منهم السيوف مالم تنله من المسلمين ، فنكصوا على أعقابهم مغلوبين ، أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا ثقيلًا^(٦) . فلم يخلص منهم إلى ماوراء جيحون إلا قليلاً^(٧) .

(١) الوشم : نزول المطر قطرات فلا يروى . وقد صححها هوداس خطأ في الطبعة الفرنسية « سما » .

(٢) في الأصل : وغيرة . والوقيرة : النقرة في الصخر تمسك الماء . نهبت بها السماء ، أى غير صافية .

(٣) في الأصل : بكا . (٤) في الأصل : تباكا ، والبيت للمثنى .

(٥) في الأصل : للملاعين . (٦) عن سورة الأحزاب ، آية ٦١ .

(٧) يجدر بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن هذه الحملة المغولية لم تكن نتيجة تدبير أو تنظيم محكم ، وليس أدل على ذلك مما ذكره الجوينى صاحب كتاب جهانگشا ، أنه على الرغم من انتصار المغول على الخوارزميين فإنهم لم يفعلوا أكثر من الاقتراب من أبواب أصفهان ، ثم عادوا مسرعين إلى بلاد ما وراء النهر بعد أن فقدوا الغالية الكبرى من جيوشهم .

انظر D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 27.

ذكر الوحشة بين السلطان وأخيه غياث الدين بيرشاه وما آل أمره بعد مفارقة السلطان

قد سبق ذكر نصرة الدين محمد بن الحسن^(١) بن خرميل وانفصاله بيلاد الهند من قباجة إلى خدمة السلطان ، وكان والده من كهراء أمراء الغور وقد ملكوا هراة . ولما وهنت قواعد ملك بنى سام^(٢) بالغور ، وقويت شوكة السلطان الكبير ، سبق إلى طاعته مبدئاً^(٣) إسفار راياته وإطلاها بيلاد شهاب الدين الغورى وولاياته . فرعى له حق هجرته وأقره على هراة إلى أن طارت نعمة^(٤) الخلاف فى رأسه لأسباب يزحف ذكرها عن الغرض المقصود . فعصى بهراة ووجه السلطان نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح ، وكولى خان شحنة^(٥) خراسان ، ومؤيد الملك قوام الدين ملك كرمان ، وعز الدين جلدك مقطع إلجام وباخرز^(٦) من أعمال نيسابور ، إلى حصار هراة ، فحوصرت أحد^(٧) عشر شهراً ، وقد خرج إليهم الحسن ابن خرميل بعد حصار ثلاثة أشهر بأمان من نظام الملك ، فغدر به كولى خان ، وكان شيخاً ظالماً سيئ الأخلاق لثيم الطباع ، فقتله عناداً لنظام الملك .

-
- (١) فى الأصل : الحسين ، وقد صححناه استناداً إلى ذكره باسم « الحسن » فى مواضع أخرى سابقة ولاحقه . راجع الكشف .
(٢) حكمت هذه الأسرة فى هراة من سنة ٤٩٣ / ٦١٢ هـ (١٠٩٩ / ١٢١٥ م) .
(٣) فى الأصل : مبدا . (٤) فى الأصل : نفرة .
(٥) أى رئيس الشرطة . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٣٥ حاشية ١ .
(٦) راجع صفحة ١٨٠ الحاشيتين ٦ ، ٥ .
(٧) فى الأصل : احدى .

ولما رأى الصاحب وزيره أنهم غدروا بصاحبه ، ركب عزيمة الرجال في حفظ المدينة ، فحفظها ثمانية أشهر أخرى . واشتد القتال ، وفيت الرجال ، وتلفت^(١) الأموال . فحين أعييت الحيل في استصفائها ، شكوا إلى السلطان صورة الحال ، وما يقاسونه من وخامة عاقبة الغدر ، وشر مغبة المكر . فأحس كولى بأن السلطان أضمر له ما يورثه حزناً طويلاً ، وأمر أويلاً . ففارقهم هاتماً على وجهه ، وناجياً بحشاشة نفسه ، متخلياً عما تحت يده من الحكم . والمملك بنيسابور وحشم السلطان كلفه^(٢) الركوب لأجله ، فخرج من خوارزم وبث عساكره في مظان مهاربه لقبضه ، فاصطيد ، وأيد على ما ذكره ابن الأثير في كتابه المسمى بالكامل .

وسار بعد فراغه من أمره إلى هراة ، إذ علم أن ليس لمرتاحها علاج غير هيئته التي تغنى عن الزحوف ، وتقوم مقام السيوف . فسار إليها ، وزحف عليها ، ودخلها في اليوم الثالث من وصوله ، وقتل الصاحب بها أقبح قتلة^(٣) .

وكان نصرة الدين محمد بن الحسن بن خرمل تسحب إذ ذاك إلى بلاد الهند ، فأقام عند قباجة إلى أن جرى من إيقاع السلطان بقباجة ما ذكرناه ، انقطع إلى جنابه ، وبادر إلى خدمة بابه ، ولم ترابه . وكان ظريفاً لبقاً ، لطيف الفكاكة ، حسن المحاورة^(٤) ، سريع البداة . فحظى عند السلطان ، وتمكن من قلبه ، فخصه بمناذمته والتلى به في مجالس نشاطه ، وولاه شحنة^(٥) أصفهان حين ملكها ، وعين له بها إقطاعاً جليلاً . واتفق أن السلطان لما أقام

(١) في الأصل : وترفت .

(٢) في الأصل : كلفة . (٣) في الأصل : مقتلة .

(٤) في الأصل : المحاورة .

(٥) أي رئاسة الشرطة بها ، ويسمى متوليها صاحب الشحنة . انظر المقرئ : السلوك .

ج ١ قسم ١ ص ٣٥ حاشية ١ .

بأصفهان على نية التقاء التاتار بظاهرها ، فارقت جماعة من السرهنكية^(١) الغياثية^(٢) باب صاحبهم لضيق حاله ، فأواهم ابن خرميل واستخدمهم ، فقال له غياث الدين في بعض الليالي ، ولقد لعبت الشمول بالعقول ، ودارت عليه الكؤوس بالروس ، وهم في مجلس السلطان ، : هلا ترد غلماني إلى باب دارى ؟ فأجابه نصره الدين بجواب غير لائق ، وقال : الغلمان يخدمون من يطعمهم ولا يصبرون على الجوع ، ولم ندر ما هو قائل : وقال السها^(٣) للشمس أنت خفية وقال الدجى للصبح لو نك حائل^(٤) فغضب غياث الدين لما سمع ، وأخذ يكرر لفظه . فلما علم السلطان غيظه قال لنصرة الدين : قم يا حمدي وأخرج فإنك قد سكرت ، وتسمى النقبابون بإصطلاح الغورية حمدية ، فخرج نصره الدين وتبعه غياث الدين بعد هنيهة^(٥) ، فمضى إلى داره ، وهم بالدخول عليه ، فلم يفتح له الباب ، فنزل من السطح إليه وضربه بسكين في الخاصرة ، فنقل بعد^(٦) أيام إلى الآخرة ، وحزن السلطان عليه أشد حزن ، وجزع لموته جزعاً خرق فيه الناموس ، وأظهر عليه من القلق والاكتئاب ما لم يظهر الوالد على ولده ، ولا الولد على افتقار والده . وراسل غياث الدين مغاضباً ، وعلى ما صدر منه لائماً معاتباً ، وقال : إنك قد حلفت لى أن تكون صديقاً لصديقي ، وعدواً لعدوى ، وهذا المقتول أصدق أصدقائي ، وأحب أوليائي ، وكنت أنسى الهم عند لقائه ، وأرى^(٧) السرور في بقاته ، وقد قتلت ظلياً فأنت الناقض الناكث ، والخالف الخائن ، وما بقيت الآن لك في ذمتي يمين .

(١) راجع صفحة ١١٧ حاشية ٥ .

(٢) أنباع غياث الدين بن علاء الدين محمد خوارزم شاه .

(٣) في الأصل : السهى .

(٤) حائل أى غير واضح ، والبيت لأبى علاء المرى .

(٥) في الأصل : هنيئة .

(٦) في الأصل : وبعد .

(٧) في الأصل : أورى .

وأنا مع ذلك لا أحكم في القضية إلا بالشرع . فحكم أخاه إلى القاضي فإن شاء اقتضى وإن شاء عفا .

فاظلم بهذه الرسالة على غياث الدين ضوء النهار ، فاستخشن بعدها جانب القرار ، ثم أمر السلطان بأن يعضوا بجنازة المقتول على بابه كرتين ، تشنيعاً عليه ^(١) ، فصار كالذي ارتكب حوباً ^(٢) ، يصبح خائفاً ويمسى مذعوراً ، إلى أن وقف السلطان حذاء التاتار بظاهر أصفهان ، اغتم اشتغاله ، فنجبر رأسه ولم ينج ، وكان مثله كما قد قيل :

فررت من معن ^(٣) وإفلاسه إلى اليزيدي أبي واقد
فكنت كالساعي إلى مشعب ^(٤) ووابل ^(٥) من مسبل ^(٦) الراعد ^(٧)

ومضى [غياث الدين] من هناك إلى خورستان ، وأرسل كريم الشرق وزيره إلى الديوان العزيز ^(٨) معلماً بمفارقة أخاه ومذكراً أيامه . وقد جاور المالك الديوانية زماناً بالعراق فأحسن الجوار ، ولم يقصدها يوماً بهتك حرمة ، أو لإزالة حشمة ، إلى أن طلع أخوه من الهند فرفع الحجاب ، ورفض الآداب ، وشن الغارات عليها فملها بطناً لظهر . فلو أعين في الوقت على استرجاع ما غُصِبَ عليه لوجد في الخدمة أطوع من النعل اللابسة ، والطرف للذلول الفارسة . فأعيد رسوله بوعد جميل ، وحظ من الإناعام جزيل . وأصبح بثلاثين ألف دينار إنعاماً مستعجلاً .

وتسحب [غياث الدين] من هناك إلى الموت لما بلغه من عود التاتار

-
- | | |
|---------------------------|---------------------|
| (١) في الأصل : تشنعا . | (٢) الحوب : الإثم . |
| (٣) هو معن بن أبي زائدة . | (٤) مشعب : ميزاب . |
| (٥) في الأصل : موابلا . | (٦) السبل : المطر . |

(٧) في الأصل : الواعد . والراعد : ذو الرعد من السحاب .

(٨) أي ديوان الخلافة العباسية . وقد اتجه غياث الدين إلى الخلافة لما كان يعلم من العداوة الكامنة بين العباسيين والخوانساريين .

وظهور السلطان ، رعباً لم ير معه أرضاً تمنع ، ولا عوناً يدفع ، ولا وازعاً يردع . وأقام بها إلى أن وصل السلطان إلى الرى مقتنيا آثار التاتار بعد الواقعة ، على ما سبق شرحه ، ففرق إذ ذاك عساكره بتخوم الموت من حدود الرى إلى أبخاز ، فصار غياث الدين كالمخنوق سدت عليه المنافس . ثم ورد رسول من علاء الدين صاحب الموت على السلطان فى التماس الأمان لغياث الدين ليعود إلى الخدمة ، فأجاب السلطان إلى ما سأل من الأمان ، وأكده قوله بالإيمان ، وأصحح رسول الموت بتاج الملك نجيب الدين يعقوب الخوارزمى مشرف الممالك^(١) ، وجمال الدين فرج الطشت دار^(٢) رسولين ، يستردان غياث الدين إلى الخدمة ، وشكر علاء الدين على ما ضمن له من إصلاح ذات البين^(٣) . وقد كان قبل مخاطبته « بالجناب الشريف » ، مخاطبه إذ ذاك « بالمجلس الشريف »^(٤) ، تحريضا^(٥) له على إتمام ما نوى إتمامه ، وإسراج ما تولى إتمامه . فحين وصلا إليه ندم غياث الدين على ما نواه من العود ، ورأى هيبانه على وجهه فى الاقطار طائماً ، وفى

(١) كانت قصور الخوارزميين مليئة بالأعداد الكبيرة من الممالك الذين اشترؤهم من أسواق النخاسة ، وكان أكثرهم من الأتراك الذين اشترؤوا بجمال الخلفة . وكان يقوم بالإشراف عليهم رجل سمي بمشرف الممالك ، يتولى النظر فى كل ما يتعلق بهم ، فينظر فى مشاكلهم ويتولى الحكم فيهم . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢١ .

(٢) راجع صفحة ٦٨ حاشية ١ .

(٣) ذكر ابن الأثير فى هذا المقام رواية أخرى تختلف عن تلك التى ذكرها النسوى ، فقال إن جلال الدين منكبرتي ، لما علم بوجود أخيه لدى طائفة الإسماعيلية ، هددهم بنزوحصونهم إذا لم يسلموا أخاه إليه ، فرد عليه مقدم الاسماعيلية برسالة جاء فيها : « إن أخاك قد قصدنا ، وهو سلطان ابن سلطان ، ولا يجوز لنا أن نسله . ولكن نحن نتركه عندنا ، ولا نمكته أن يقصد شيئا من بلادك ، ونسألك أن تشفعنا فيه ، والضمنا علينا بما قلنا ، ومتى كان منه ما نكره فى بلادك ، فبلادنا حيثن بين يديك تفعل فيها ما تختار » . فأجابهم جلال الدين إلى شفاعتهم وعاد من بلادهم . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

(٤) كان لقب « الجناب الشريف » أقل من لقب « المجلس الشريف » حسب نظام للرتب والألقاب فى ذلك الوقت .
(٥) فى الأصل : تحريضا .

الآفاق سائحا ، أقرب إلى السلامة ، وأبعد عن الندامة ، فاقترح على علماء الدين صاحب الموت إعانتة بما يحمله ويحمل أثقاله من الخيل ، فأعانه بثلاثمائة رأس أو أربعائة ، فخرج ، ووقعت عليه طائفة من العساكر المركوزة حول الموت مقدم الطواشي جبهه ، السلاح دار^(١) ، فلحقوه ببعض حدود همذان ، وكادوا يمسكونه لولا أن جهان بهلوان إيلجي كان قد كمن من وراء خان^(٢) ، يقرضهم^(٣) ذات اليمين وذات الشمال ، فخرج من الكمين وردم ، وأسر جماعة منهم ، ونجا غياث الدين إلى كرمان ، وبها الحاجب براق نائبه ، فسار إليه طمعا في وفاته . فأول قبيح عامله به أنه تزوج بوالدته على كره منه ومنها ، ثم إنه شنع عليهما بعد حين أنهما أرادا يسقياه سماً زعافاً ، ويشفيا الغيظ منه انتصافاً ، فقتلها وقتل معها الوزير كريم الشرق ، وجهان بهلوان إيلجي ، وخبس غياث الدين ببعض القلاع .

واختلفت الآقاويل في خاتمة أمره ، فقليل إن براق قتله بعد حين ، وقيل إنه تخلص من الحبس إلى أصفهان ، وأن جماعة من نساء أهل القلعة رثن له فاتفقن على تخليصه ، فجمعن له الحبال وأدليته من القلعة وقتل بأصفهان بأمر السلطان . وما أنا إلا شاك^(٤) في الأمر ، متعجب منه ، فإنني قد وقفت على كتاب لبراق الحاجب إلى شرف الدين نائب العراق إلى السلطان ، والسلطان بتبريز ليقف عليه ، يذكر فيه سوابق خدمته ولواحقها ، فيعد في جملتها أنه قتل أعدى عدو السلطان ، يريد به غياث الدين ، ثم يذكر فيه ما ذا يضر السلطان لو قررنى وأنا شيخ كبير على ماتحت يدي . ثم وصلت إلى الري في سنة ست وعشرين وستائة ، فبشرت بخلاصه إلى أصفهان ،

(١) راجع صفحة ٥٦ حاشية .

(٢) في الأصل : ورا خان .

(٣) أي يولهم . قال تعالى : وترى الشمس إذا طلعت تراور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا

غربت قرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه . سورة الكهف ، آية ١٧ .

(٤) في الأصل : بشاك .

وقد ضربت البشائر بجميع بلاد العراق . ثم شنع بعد أيام أن صيياً تركانيا
كان تزييا بزيه ، وتسمى باسمه ، وجاء إلى أصفهان ، والوزير شرف الدين
غائب ، فلم يعرفه الناس واعتقدوا أنه غياث الدين ، فخدموه إلى أن عاد
الوزير وعلم أنه قد زور فأمر به في الأسواق وضرب . وبقي من العجائب
خفاء حاله على أهل أصفهان ، وقد كان سلطانهم وأقام بها ثلاث سنين ،
ولله أعلم بحقيقة الحال .

ذكر الفدائية الذين سيرهم علاء الدين صاحب الموت إلى السلطان إظهاراً للوالة^(١)

لما كان السلطان مقبياً بالرى والعساكر مقتفية آثار التاتار صوب خراسان، ورد رسول من علاء الدين صاحب الموت بتسعة من الفدائية، تقرباً إلى السلطان على أن يجهزهم إلى من شاء من أعدائه فيقتلونهم. ثم شاور السلطان في أمرهم وجوه أصحابه وذوى الرأى، فأشار أكثرهم بقبول ذلك، وتعيين الأعداء لهم، ما خلا شرف الدين نائب العراق فإنه قال: ما مراد علاء الدين من ذلك إلا استنباط نيّة السلطان واستطلاع ما على مكنون ضميره فيتقرب حتى يطلع على ذلك إلى ما تعين له من الأعداء. فأعاده السلطان إليه وقال: ليس يخفى عليك وعلى غيرك معاندنا ومعاهدنا، ومخالفتنا ومخالفتنا، فإن شئت أن تفعل ذلك فافعل، ولا حاجة إلى التعيين. ونحن إن شاء الله ما نحتاجك إلى هذه الكلفة وإن في الصوارم الماضية، والقشاعم^(٢) الضارية لغنية عن السكاكين والفدائية.

وخرج غياث الدين عقيب عودهم من الموت مزاح العلة بقدر الكفاية من الدواب والأسلحة. واستوحش السلطان من علاء الدين لتجهيزه إياه ورجوعه عما كان قد ضمن له من رده وأولاه، واستمرت الوحشة إلى أن وجهني إليه سنة ست وعشرين وستائة في معانبات تذكرها، ومخاطبات نشرها في موضعها، إن شاء الله تعالى.

(١) كانت طائفة الإسماعيلية في ذلك الوقت قد فقدت سلطانها القديم في أقاليم الشرق الإسلامى، ولم يعد لها تلك الهيبة التي كانت تتمتع بها من قبل. ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة منها ازدياد شوكة جلال الدين منكبرتي والساع نفوذ في أقاليم العراق العجمي وفارس وأذربيجان وأران وغيرها، مما جعله يحيط بأملاك الإسماعيلية جنوب بحر قزوين. ومنها أيضاً ما يرجع إلى زوال الخطر المغولي عن بلاد الشرق الإسلامى إلى حين مما ترتب عليه إطلاق جلال الدين لنفسه النان في هذه البلاد، وضعف تلك العلاقة التي كانت أشبه ما تكون بالتحالف بين الإسماعيلية والمغول، فلا عجب إذا ما حاول قادة الإسماعيلية أن يسلكوا في هذه الفترة سياسة للسالة مع الخوارزميين. (٢) القشاعم: الأسود، يعنى بها القشعمان.

ذكر عزل صفى الدين محمد الطغرائى

عن وزارة خراسان

وإقامة تاج الدين محمد البلخى المستوفى مقامه بها

كان صفى الدين محمد الطغرائى ، من قرية كليجرد من رستاق مَتر شيش^(١) ابن رئيسها ، وكان أكبر أدواته حسن الخط ، فرفعته الاتفاقات الحسنة ، وساعدته المقادير بأنها ساقته إلى الهند مضطراً ، وحين شمل الغرق معظم أصحاب السلطان بماء السند ، على ما شرحناه ، سلم وانضم إلى شرف الملك ، وواظب على خدمته إلى أن ملك السلطان البلاد . ودانت له الممالك وعادت الأمور إلى قواعدها .

وكانت عنايات شرف الملك تشتمل حال المذكور فولاه الطغراء قنموال المذكور وتجهل^(٢) ، وأكثر الخدم والخنول ، إلى أن استولى الكرج ثانياً على تفليس ، والسلطان بخلاط ، وقد شرحنا ذلك . فرجع ناقاً عليهم إحراقهم تفليس ، ولّى الصفى وزارة شكى وقبلة من مدن شروان^(٣) عند احتداد جمرتهم ، وضم إليهم قشغرا بملوك الأتابك أذربك واليا ومحامياً ، فملكاهما ، وأخذ الصفى يجبي الأموال إلى أن هم الكرج بطردهما ، فشل قشغرا عن الثبات ووجل ، وطاش للعود واستعجل ، وأقام الصفى فخاصره الكرج أياماً ، ورجعت لقرب السلطان خوفاً من حقوفه إليهم فى ألوفه ،

(١) مَتر شيش : ناحية من نواحى نيسابور . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٧٦ .

(٢) فى الأصل : تمسّل .

(٣) مما يذكر أن « أنوشروان » هو الذى بنى هذه المدينة ولذا سميت باسمه . انظر ياقوت معجم البلدان ، ج ٥ ص ٢٥٨ ، والقفقندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٤ . وانظر أيضاً خريطة الدولة الخوارزمية فى أقصى اتساعها .

واحترازاً من بأس يأتهم بيئاتاً وهم نائمون ، فسلم الصفي وسلبت الأموال التي جباها ، ووقعت خدمته موقعاً مرضياً ، ووافق عوده إلى الباب قتل الإسماعيلية أورهان مقطع خراسان بكنجة . فولى الصفي وزارة خراسان وأجريت في جملة الخاص فأقام بها سنة أو أكثر . فثقلت على أهلها وطأته وسامت^(١) فيهم سيرته^(٢) ، وخشنت في السياسة أحكامه ، وفي القضاء ينقضه وإبرامه . فاتفق إذ ذاك مضى السلطان إلى العراق لالتقاء التاتار ومقامه بالرى ، على ما شرحنا ، وترادفت متظلمة خراسان إلى بابه مستغيثين ، وانفقت كلية أكابرها ومشاهيرها وذوى الأقوال المقبولة من معارفها ومشايخها على تقييح الصورة ، وتفضيح المساوى المستورة . فاستدعاه السلطان إلى الرى فقدم ، وقدم من التقادم ما استكثر ، فلم تغن قتيلاً^(٣) ، ولم^(٤) تفتح إلى الخلاص سيلاً ، وأمر بالقبض عليه ، فقبض وحملت أمواله وتحملاته إلى الخزانة ، ودوابه إلى الاسطبلات ، وكانت ثلاثمائة رأس ، وقبض على عماليكه وغلبلانه ، ونجا غلامه على الكرماني إلى قلعة فيرابه ، وهى من أمهات قلاع خراسان ، فكان الصفي قد عمرها بالذخائر ، وبها دوره وحرمة فتحسن بها وحفظها .

واستوزر السلطان تاج الدين البلخي المستوفى بخراسان ، وسلم إليه الصفي ليستصفي ماله ويتسلم القلعة . وكانت بين الصفي والمذكور ضغينة قديمة ، وإحثة في الصدور مقيمة . فتتابعت كتبه إلى السلطان تتضمن أن الطغرائى لا يكاد يسلم القلعة ، وأنه يوصى غلامه سرأ بسلامات كانت بينهما على المحافظة ، ويحذره تسليمها . ولم يزل يغريه به إلى أن تقدم إليه بإحضار الطغرائى تحت القلعة ، وإنذار أصحابه بقتله ، فإن أبوا إلا الاصرار يضرب غنقه . وقد كان الطغرائى أرضى^(٥) المتوكل يصدر من المال ودفعه إليه سرأ

(١) في الأصل : وسامت .

(٢) في الأصل : سيرته .

(٣) في الأصل : قتيلاً .

(٤) في الأصل : فلم .

(٥) في الأصل : وسامت .

(٦) في الأصل : قتيلاً .

(٧) في الأصل : أرضاً .

ووعده الموساة والمساواة بما يسمح به الدهر من جاه ومال ، وانتظام أمر وسعة حال ، على أنه مهما أحس بالشر وعلم أنهم يريدون إهلاكه يختصه ويصعد به إلى القلعة . فحين تحقق أنهم عزموا على إزهاق^(١) نفسه وإيداعه في رمسه ، فعل ذلك .

ولما أمن الطغرائي جانب البوار والخلاص عن مصرع الهلاك ، طفق يكتب أرباب الدولة في استعطاف السلطان وترقيق قلبه ، متصلا بما عَزَى^(٢) إليه من العسف . وكانت يبنى وبينه صداقة مؤكدة ، بالخصوص مؤبدة ، فقامت في أمره قيام من طب لمن أحب ، إلى أن أصلح الأمر واستتب^(٣) . وأخذت له خط السلطان بالأمان ، فورد الباب بآدى الفقر ، ظاهر العسر فواسيته بما وصلت إليه القدرة من عين^(٤) ، وثياب ودواب وخيام ، موساة الشركة ، إلى أن استقامت حاله ، وأمرعت^(٥) رحاله . وشددت وسطى ، وشمرت ذيلي في طلب الثأر له عن قصده في نفسه ، ونازعه في منصبه بأمره حتى استوفيت ، واشتفيت ، فكاد يتولى أمر خراسان نائباً لولا الصاخة^(٦) العظمى من حادثة التاتار أنت ، فحالت بيننا وبين كل مراد .

وعما يستدل به على محارقة أرباب تلك الدولة وجسارتهم في أموال سلطانهم ، أن الطغرائي لما قبض عليه بالرى حضره حميد الدين الخازن^(٧) يوماً وهو محبوس يقول له عن السلطان : إن كنت تريد أن أعفو عنك وأرضى عليك ، فابعث إلى ما جمعت من الجوهر ، واحمل إلى الخزانة

(١) في الأصل : إزهاق ، (٢) في الأصل : متصلا بما عرى ،

(٣) في الأصل : استتب . (٤) عين : مال قد ذهب أو فضاة .

(٥) في الأصل : أمرعت . وأمرعت ، بالعين للهمة ، أخصيت وسميت .

(٦) الصاخة : الكرامة .

(٧) الخازن أو الخازندار : هو الذى يعرف على ديوان المال : ويسلمه موظفون مخصوصون يقومون بتسجيل الوارد والتصرف من الأموال . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والنقود ، ص ٨٣ — ٨٤ .

ما خبيته لشرف الملك من الذهب . فأحضره أربعة آلاف دينار كان أودعها
 بعض التجار باسم شرف الملك ، وسبعين فصاً ما بين ياقوت وبلخشاني^(١)
 وزمرد وفيروسج. وتسلمها الخازن ولم يسلم شيئاً منها إلى الخزانة ، ظناً منه
 بأن الصفي لا بد مقتول ، لعله بسخط السلطان عليه ، وأراد الله تأخير أجله
 فعاد إلى الأبواب السلطانية ، وقتش عن دفاتر كتاب الخزانة ، فلم يجد
 للقصوص والذهب فيها ذكراً ، ولا عندهم منها علماً . فراسل الحميد مهدداً
 واستقر الحال بينهما على أن يكتم الصفي جنايته ، ويأخذ منه كل شهر مائتي
 دينار معونة^(٢) له على إخراجاته ، إذ كان حيثئذ خالي الوعاء ، فارغ الامعاء
 إلى أن وفي^(٣) له أربعة آلاف دينار . وأما الجوهر فقد تعذر بعد الابتلاع
 رده ، فنسى عهده .

(١) بلخشاني : نسبة إلى بلخشان ، وهو اسم أطلقه العامة على المكان الذي يوجد فيه
 معدن البلخش المقام للياقوت ، ويوجد في الجبال على هيئة عروق ، لكن الجيد منه قليل .
 وقد سبق ذكره في مواضع أخرى بنسخاني . وهي تسمية صحيحة لهذا المعدن أيضاً .
 (٢) في الأصل : ومعونة . (٣) في الأصل : وفناً .

ذكر تقليدي وزارة نساء

وما جرى بيني وبين ضياء الملك بسببها

كان ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود العارض النسوي من بيت
الرياسة ، يقر له بالفضل^(١) من لا يوده ، ويعترف له بالسيادة من هو
ضده . وقد رمته الداهية الدهيا ، والخطة الكبرى ، من حادثة التاتار ،
واستيلائهم على الديار ، إلى غزته . فأقام بها مسلوب الإرادة ، ينتظر صبح
السعادة ، إلى أن عاد السلطان إليها ، على ماسبق ذكره ، فاستمر في الخدمة
وتولى ديوان الإنشاء والعرض ، واستناب فيهما من قبله نوابا ، وتمكن
حتى كان شرف الملك يتوهم من جهته مزاحمة له على صدر الوزارة . فلما
وردت من نساء رسولا ، على ما ذكرته ، وتعذر العود ، جذبتني^(٢)
جذبات العناية فارتقيت من حالة إلى أخرى ، إلى أن تقلدت كتابة
الإنشاء^(٣) ، وضاق الأمر على ضياء الملك فلم يختار المقام بالباب السلطاني ،
فحرص على الاستطراف واستناب في ديوان العرض المجيد التيساوري ،
وتولى وزارة نساء على ضيق رقعتها ، وأقطع السلطان له بها إقطاعا بعشرة
آلاف دينار مضافة إلى منافع الوزارة ومعاشها ، فسار إلى نساء وانبطت
أحكامه فيها لإلحاق السلطان أمره بأمره ، وفيما يتأخها لكبر قدرة^(٤) ،
وحملته الشجاعة^(٥) على المبالغة في أذية من له أدنى تعلق بي من قرابة أو
صدقة أو خدمة . وانضاف إلى ذلك انقطاع الخول الراتبية عن الخزائنة

(١) في الأصل : الفضل .

(٢) في الأصل : حدثني .

(٣) راجع ما جاء عن ديوان الإنشاء في صفحة ٥٧ حاشية ٦ .

(٤) في الأصل : بالكبر قدره . (٥) في الأصل : الشجاعة .

السلطانية ، فلم أزل أعالج الأمر ، مطمعا للسلطان في تكثير أموالها ، وتشمير أعمالها ، إلى أن فوَّض إلى وزارتها مشروطة بأن لا أفارق الباب ، بل أستنيب فيها من أثق به ، ففعلت ، وعاد ضياء الملك إلى الباب معزولا عن المنصب ، مغبونا في الصفتين . ولما وصل ، اتفق معه شرف الملك على الرفيعة^(١) على ، والوقية بي . فبذر ضياء الملك ما جمعه^(٢) بالخدم والبراطيل ، وواطأة شرذمة من الخواص ، وحلف له شرف الملك على المساعدة ، فخلوت بالسلطان وعرفته أن الحاكم نوى أن يعدل ، لكن عن الحق . والامر عزم على أن يثبت ، لكن ما حسدت عليه من الرزق . وأييت أن أحاكمه إلا إلى السلطان ، فوعد بأن يسمع مقالتنا . ولما أراد شرف الملك أن يحاكم إليه استحضرننا السلطان ، وتحاكمنا إليه ، فكان العاقبة أن أخرج ضياء الملك مدحورا^(٣) مطرودا ، فخرج وحما للوقت^(٤) ، وانتقل إلى جوار ربه ، ودار كرامته ، بعد أيام . اللهم أرض عنه وأرض عنا ، وتجاوز عنا فيما أخطأنا برحمتك .

(٢) في الأصل : جامع .

(٤) في الأصل : هم الوقتية .

(١) في الأصل : الدقية .

(٣) في الأصل : مدحورا .

ذكر بعث السلطان القاضي مجير الدين إلى بغداد في استخراج ما دفن بها من السحر

لما كان السلطان بالعراق ، وصل شخص خوارزمي هرب من التاتار ، وذكر له عن الصدر العلامة سراج الدين أبي يوسف يعقوب السكاكي — وهو من أفاضل خوارزم صاحب فنون بارة ، وقدم لأعلام العلوم قارة — وكانوا يعتقدون المذكور سحر بعض السكوك فردها عن مسراها ، ويسد المياه بنفثاته في مجراها ، لما كان عندهم من كمال فضله ، وله في سائر الفنون تصانيف يراها آيات البراعة ، ومعجزات الصناعة . وقد تمكن عند السلطان الكبير^(١) لما قصد بغداد^(٢) كان قد عمل له تمثالا من السحر يدفونه ببغداد فينال مراده منها . وكان السلطان الكبير قد سلبها إلى مجير الدين القاضي حين أرسله إلى بغداد فدفن التمثال في الدار التي أنزل فيها ، وهو الآن يعتقد أن المقصود الذي قصد بذلك السحر وقع بالعكس ، فعادت مضرته إلى السلطان ومنفعته إلى الخليفة ، فإن كان المجير باقيا يسيره^(٣) إلى بغداد ليحتال في استخراج ذلك التمثال ، ثم في إحراقه . وصدقه المجير فيما قال ، فوجه السلطان المجير إلى بغداد رسولا في بعض

(١) علاء الدين محمد خوارزم شاه : ٥٩٦/٦١٧ هـ = ١١٩٩/١٢١٩ م .

(٢) كان علاء الدين محمد خوارزم شاه ، عندما اعتلى عرش الخوارزميين ، قد عول على أن يسير في سياسته الخارجية وفق سياسة أبيه من قبل ، أي أن يحتل ما كان للسلاجقة من سلطان على الخلفاء الباسيين في بغداد . فلما فشل في الوصول إلى هدفه بالطرق السامية ، عزم على غزو بغداد ، واتجه إليها بجيوشه سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) . انظر كتابنا : الدولة الخوارزمية والغول ، ص ٣٥ — ٤٦ .

(٣) في الأصل : يسيره .

الاشغال وأمره باستخراج التمثال . فلم يمكن من الوصول إلى تلك الدار
التي نزل بها المرة الأولى ، واحتال بكل طريق فلم يقدر عليه . فلا أدري
من أيهم أتعجب ، من اعتقاد ذلك الفاضل ، أو في اغترار هؤلاء بما ينقش
عليهم ؟ فهل أمنت دولة من زوال ، أو دامت الدنيا على حال ؟ فكم من أمة
تقطعت بهم الأسباب ، يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

ذكر الحوادث بأران وأذربيجان

لما رحل السلطان إلى العراق ، استصحب شرف الملك إلى أن وصل إلى تخوم همدان . ثم تردفت الأخبار من صوب أذربيجان بأن المالك الأتابكية — مثل ناصر الدين أقش المعروف بكوجك ، وسيف الدين بن سنقرجاه^(١) الدويدار ، وسيف الدين بكلك السديدي ، وأمة أخرى منهم — اجتمعوا على التظاهر ، واتفقوا على التساعد والتوازر ، وخيموا بظاهر تبريز ، يريدون تحريف الكلمة وتبديل الأمور المنتظمة ، ناوين^(٢) إحياء دولة نبذتها نواحيها ، ومحت آثارها روايحتها^(٣) وغوايها . وكانوا قد عزموا على أن يخرجوا ولد الملك خاموش بن الأتابك أذربك بقلعة قوطور معوقاً فيجعلوه ملوآحاً لهم يدعون إليه ويحتمعون للفتنة عليه ، انتهزاً الحاضر الفرصة واغتناماً لخلو العرصة . فأعاد السلطان شرف الملك إلى أذربيجان ذاباً ومحامياً ومناضلاً دونها ومرامياً ، فاستعفى من ذلك إلى أن أذن له أن يتصرف في أران وأذربيجان خاصها ومقطعها تصرف الملاك ، يعطى من يشاء ويحرم من يشاء إن كانت الحاجة تدعو إلى ذلك ، وإلا فتبقى الأموال مضبوطة بمجموعة برسم الخزانة .

فلما وصل إلى مراغة ، بلغه أن الأتابكية^(٤) بظاهر تبريز نازلون ، وقد

(١) قرأ هوداس Hondas هذا الاسم في موضع آخر « سنقرجا » انظر صفحة ٢١٨ . ولعل هذا خطأ في النسخة الخطية لم يتنبه إليه هوداس ، ولكن الغريب أنه لم يتنبه إلى هذا الخطأ في الترجمة الفرنسية أيضاً ، إذ كتب هذا الاسم مرة Sonqord a ، ومرة أخرى Sonqordjâh . انظر الصفحتين ١٢٦ ، ١٥١ من الأصل العربي لطبعة هوداس ، وانظر أيضاً الصفحتين ٢١٠ ، ٢٥١ من الترجمة الفرنسية . ويبدو أن صحة الاسم هو « سنقرجاه » إذ ورد على هذا النحو في الصفحات التالية .

(٢) في الأصل : ناوين .

(٣) في الأصل : وروايها .

(٤) في الأصل : الأتابكية .

انصوى^(١) إليهم من طلاب الفتنة حشد كثير ، فانتشر جرادهم ، وكثر عيبتهم وفسادهم ، وأن غوارتهم تضرب يمينا وشمالا . فجرد شرف الملك عسكره للقائهم ، وقدم على العسكر حاجبه الكبير مملوكه ناصر الدين قشتمر فالتقوا بين دهنخوارقان ،^(٢) وتبريز على حرب تحطمت فيها الصفاح ، وتقصدت^(٣) الرماح . ثم شاعت الهزيمة في الأتابكية ، فولوا على أدبارهم نفورا ، وكان أمر الله قدرا مقدورا . وأسر أقش وبكلك وسنقرجاء ، وسائر رؤوس الغوغاء^(٤) ، فسيقوا على الاقناب إلى الباب . فلما أقيموا بين يدي شرف الملك وبخهم ، وذكر إحسانه إليهم .

ومن جلته أنه خلع على بكلك بكسجة من خزانته ، خلعة قوّمت حياتها المرصعة بأربعة آلاف دينار . ثم رحل إلى تبريز وجلس ثاني يوم وصوله إليها في الإيوان الذي بناه السلطان بميدان تبريز ، وبني^(٥) خلفه دورا وقصورا ، إذ كان لا يختار أن يسكن داخل المدينة ، واستحضر القاضي والمشايخ والأعيان ، ثم أمر بإحضار أقش وبكلك ، فأحضرا يحجلان^(٦) في قيدهما ، فأقيا بين يديه . ثم قال مخاطبا القاضي : ما قولكم فيمن يخرج على مثل هذا السلطان في مثل هذا الوقت ، وهو الجنة الواقعة^(٧) ، والسد الحائل بين المسلمين وبين التاتار ؟ فقرأ القاضي : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا » ، الآية^(٨) . فأمر بنصب جذعين في الميدان فصليا أحسن ما كانا من عُصْنِي بَان ، ورضيحي لِبَان ، وقرين طلعا من الجنوب ، وخسفا بالذنوب .

(١) في الأصل : انصوى .

(٢) ناحية من نواحي مدينة مراغة . (٣) تقصدت : صارت رقصدا ، أى تكسرت .

(٤) في الأصل : الغوغا . (٥) في الأصل : وبنا .

(٦) في الأصل : يحجلان . (٧) في الأصل : الواقعة .

(٨) « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . سورة المائدة ، آية ٣٣ .

وصفت أران وأذريجان بمن يمد إلى الفتنة تليلاً^(١) ، ويضل في الطاعة
 سيلاً ، وقبض شرف الملك على القاضي المعزول قوام الدين الحدادي ابن
 أخت الطغرائي . فصادره على عشرة آلاف دينار . وكان المتولى للقضاء
 يومئذ اتهمه بالماليك الأتابكية إفكاً يئساً ، وكذباً صراحاً . وأما سنقرجاه
 الدويدار ، فبعفا عنه وقربه وقدمه ، وحقنت شفاعته حسنه دمه .

(١) التليل : العنق .

ذكر حال الملكة بنت طغرل

وعاقبة أمرها

كان السلطان لما ملكها مدينتي سلباس وأرمية بأعمالها^(١) مضافين إلى خوى ، ندب^(٢) شرف الملك الباخريزي^(٣) لوزارته نيابة عنه ، وتقدم باستخراج عشر بلادها محمولا إلى خزانته شهر أ بشهر أسوة بكافة^(٤) نوابه بسائر الإقطاعات ، وأراد المذكور التحكم عليها والتسكن منها بحيث لا تتصرف إلا بتصرفه ، وأن تطيعه في جملة تكاليفه ، فكان إذا منمته بعض ذلك يكتب شرف الملك بما يوغر صدره عليها ، إلى أن انطوى لها على داء دفين وغيظ في القلب كين .

فلما رحل السلطان صوب العراق ، وجد ما كان يرتقبه من الفرصة في استئصالها ، فأخذ يكتب السلطان بأن بنت طغرل كانت محرصة^(٥) للأتابكية ، مظمة لهم في الملك . ثم راسلها من تبريز رسالة من يريد التنفير لا النجاح ، ويقصد التحذير لا الإصلاح ، ليصدر منها عند نفرتها ما يفضي إلى استئصال شأفتها ، ويزيد في توحشها وخافتها . وعقيب هذه الرسالة ، رحل صوب خوى ، وقد فارقتها إلى قلعة « طلا » ، ومن صفتها أنها قلعة على شاطئ بحيرة أذريجان ، بنيت على أعلى سقيف ، يحيط الماء بها إلا من صوب

(١) في الأصل : بأعمالها . راجع صفحة ٢٠٧ الحاشيتين ٤ ، ٥ .

(٢) في الأصل : وندب .

(٣) نسبة إلى باخرز . راجع ص ١٨٠ حاشية ٦ .

(٤) في الأصل : كافة . (٥) في الأصل : محرصة .

واحد . وحين وصل شرف الملك إلى خوى نزل بدارها ، واستخرج من دقائنها وخزائنها أموالاً ينوء بها الظهور ، وقد نفذتها السنون والشهور . فحوت^(١) من نفائس الجواهر ، وعتيق الثياب الفاخرة^(٢) ، ما لم ير مثله ، ونقل^(٣) أقمار جواربها وتصرفت فيهن تصرف مالكي الرقاب ، وأخذ يستعد أسباب الحصار زيادة في تنفيرها . ثم ورد عليه السيد الشريف صدر الدين العلوي برسالة عنها تتضمن الاستعطاف والعود إلى ما هو أقرب إلى التقوى ، وأحمد في البدء^(٤) والعقبى ، فلم تزد رسالته إلا إصراراً وعتواً ، واستكباراً . وعلواً . غير أنه أكرم صدر الدين إكراماً يقتضيه فضله ، ويستدعيه نسبه وأصله . وتكررت مراجعتها بعد يأسها من عاطفته وانقطاع رجائها من رأفته أن يخلى لها الطريق لتتوجه إلى السلطان ليرى فيها رأيه ، فأبى^(٥) . شرف الملك جميع ذلك وقال : لا بد لها من النزول على حكى . ثم أردف ذلك بأنه سيّر تاج الدين صاحب ابن الحسن - وكان المذكور من أشرار دركجین^(٦) ، وحالهم في الشر ما سارت به الركبان - رسولاً إليها منفراً ، فحين فارقتها ونزل من القلعة ساق جسر خيلها^(٧) إلى شرف الملك ، علاوة على جذب^(٨) ، وسبباً جمع إلى سبب . فعلبت إذ ذاك أن الضراعة غير ناجعة ، والشفاعة ليست بنافعة ، فكانت^(٩) الحاجب علياً نائب الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بخلاط تستدعيه ، لتنفس من خناقها ، ويسعدها على استطلاقها ، على أن تسلم إليه ما تملكه من القلاع والبقاع .

(١) في الأصل : فحوى . (٢) في الأصل : وعتيق الثياب النخر .

(٣) في الأصل : ونقلت . (٤) في الأصل : في البدو .

(٥) في الأصل : فأبى .

(٦) دركجین : إحدى القرى بجوار مدينة همدان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٤ .

(٧) خيل مجسرة : أى مرعشة . والجار : الشجاع ، وجهه جسر . وفي الأصل : جسر .

(٨) الجذب : انشحة تكون في رأس النخلة بكشط عنها الليف فتؤكل .

(٩) في الأصل : كانت .

وكان شرف الملك مقبلاً بمرج سلباس يستعد لحصارها ، غير مفكر في معاداة معاند ، ولا يبالي بمضادة^(١) معاد ، معتقداً خلو الجو من كل وازع ، وصفاء الملك من كل منازع . فورد عليه الخبر بقرب الحاجب على^٢ ووصوله إلى سكتاباذ فيمن اضطربت عليه خلاط ونواحيها من العساكر الشامية ، والاحتفال لشرف الملك بما تدعو إليه الحاجة في ملاقاته العدو . وقد كان أذن لجماعة من المقاطع في التفرق إلى إقطاعاتهم ، فرحل للوقت صوب تبريز وولى ، وأهمل أذربيجان وأخلى ، ووصل الحاجب على^٢ إلى قلعة «طلا» فاستصبحها^(٢) ، وتسلم طلا ورجع .

(١) في الأصل : مضادة .
(٢) أى وصلها في الصباح .

ذكر عماد الدين الرسول الواصل من الروم

لما كان شرف الملك مقبلاً بظاهر خوى ، ورد عليه شخص يلقب بعماد الدين رسولا بكتاب من وزير علاء الدين كيغباذ بن كيخسرو^(١). وكانت رسالته تقتصر على إظهار الموالاتة ، وتمهيد قواعد المصافاة . وقد ذكر أن السلطان إن كان شرقي للغزاة ، فإن صاحبه أيضاً قد غرب للغزاة . وقد فتح عدة قلاع كانت لكباش الكفر في هذه السنة ، وأن طوائف^(٢) حولك بمرصاد للفتنة ، تحذرون أنفسهم في هذا الوقت بكواذب الظنون ، وجواب المنون . وأراد بذلك ما عزم عليه الحاجب علي من قصد أذربيجان بإغرام الملكة إياه ، وهانحن بالقرب منك ، فإن ناديت ناديت مجيئاً ، وإن دعوت دعوت قريباً ، ولا فرق بين الدولتين ، فإن نبض [إلى] الزحام نابض ، ونهض إلى الحسام ناهض ، أنجدناك بمن يُغمد^(٣) سيفه ، بل يرغم أنفه ، ونعجل عليه حتفه . فأكرمه شرف الملك أتم الإكرام ، وقابل مقدمه بالإعظام . ثم شاور فيما يعتمد عليه من جوابه ، فأجمع من حوله ، والدركيثي يومئذ مالك عناته ، على أن يلتمس صدراً من المال ، إذ عنده من الرجال من لو ارتجى عونهم^(٤) ، حصل الغناء بهم عن غيرهم .

حين زينوا له هذا الرأي ، وتحققت أن ليس له عما نواه محيد ، وأن رده عما زين له بعيد ، قلت له : إن كان لابد من هذا الاقتراح فأقرته بتواضع وخضوع ، ولطفه باستكانة وخشوع ، وإن لترقيق اللفظ وتلطيف العبارة لتأثيراً في تنجيز الحاجة . ومثل الملوك مثل الجبال إن لا ينتها

(١) أحد سلاطين السلاجقة الروم : ٦١٦ / ٦٣٤ هـ (١٢١٩ / ١٢٣٦ م) .

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٦٣ ، Lane-Poole : Op. cit. , p. 155 .

(٢) في الأصل : طوائف . (٣) في الأصل : يتمشد .

(٤) في الأصل : من لو ارتجى عظيمهم .

بالخطاب لا ينك^(١) صداها بالجواب . فقبل ذلك وفعل ، وبالغ في التواضع حرصاً على المال . وقال في جملة ما قال : ليس يخفى عليكم أن مفرق الجموع ، ومستجلب الدموع ، من خادثة التاتار كيف فرقت ما جمعتها القرون من خزائن السلاطين ، وإن هذا السلطان قد خرج بعد موت والده لا يملك غير سيفه ، فإن عاملتموه في هذا الوقت بما يقتضيه علم المروءة لا يخفى عنده أثره . ويخلد على وجه الدهر خبره ، وطول وتذل حتى ندمت على ما لقنته من التواضع . ثم خلع على الرسول خلعة على قدر همته التي كانت تجارى^(٢) السماء سموا ، والسماء رفعة وعلواً بالطوق والسخت^(٣) والسرفسار^(٤) ، وأعطاه ألف دينار ، فوقعت هذه الرسالة عند السلطان علام الدين موقعاً حسناً ، فوجه إليه تحفاً وألطافاً أصنافاً ، للسلطان أولاً وله ثانياً ، فلم تصل للبوانع التي يأتي شرحها في موضعها إلا بعد حصار خلاط .

(١) في الأصل : لا ينك .
 (٢) في الأصل : تجارى .
 (٣) في الأصل : السخت .
 (٤) راجع صفحة ٧٧ حاشية ٦ .

ذكر فتح شرف الملك أذربيجان وأران

والسلطان بالعراق

كان شرف الملك لما تخلف عن السلطان وأقام بأذربيجان ، صرف
 همته إلى افتتاح القلاع العاصية ، فاستمال قلوب من بدزمار^(١) من المقدمين
 والأجناد ، بالوعد بما استعجل إنفاذه إليهم من النقد ، إلى أن أجابوه إلى
 تسليمها ، فسار إليها وأفاض عليهم يوم تسليمها من الخلع والذهب
 والمواهب ما لم يف به ملك للملك ، ولا أمير للأمير^(٢) . وقبض على ناصر الدين
 محمد — وكان موسوماً في الدولة الآتابكية بالحجبة الكبيرة ، وقد اعتزل
 إذ ذاك ببعض بلاد نصرة الدين محمد بن يشتكين مظهر آ نسكا ، ومسرأ
 ملكا — وصادره على مال جليل . وألزمه تسليم قلعة كهرام وكان^(٣) الوالي
 بها من قبله فتسلمها . ثم نعى إليه سيف الدين قشقرا الآتابكي ، وكان والياً
 بكنجة من قبل السلطان ، فنهض إليها وتسلم من نائبه شمس الدين كرشاف
 قلعتي هزل وجاريزد^(٤) من أعمال أران ، وكان المذكور يدل عليه بخدمته
 أيام صاحبه فيعدّها أيام شدته ذخراً ، وبين أكفائه وقرنائه^(٥) نفراً ، فوضع
 عليه المعاصير حتى هُربت من ذى^(٦) يديه . واستخرج صليب العظام
 من بين جنبيه ثم لاطف مستحفظ قلعة درادز^(٧) حتى سلمها إليه . ورتب

(١) دزمار : قلعة بالقرب من تبريز . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٥٨ .

(٢) في الأصل : ولا ضمير أمير . (٣) في الأصل : كان .

(٤) لم يرد اسم كل من هاتين القلعتين في النسخة الخطية منقولة ، لذا تحتمل قراءتهما

هرل ، جازيرد .

(٥) في الأصل : وقرنائه .

(٦) في الأصل : هرب من ذى يديه . وهرته بالرمح أى طعنه .

(٧) يحتمل قراءتها دزادز ، إذ لم ترد منقولة في النسخة الخطية .

طائفة من الخيالة والرجالة على روين دز^(١) فطال حصارها . ثم رغب صاحبها زوجة الملك خاموش في مناكحته ، لتسلبها إليه بعد الزفاف ، وحصول الائتلاف ، فأجابها إلى ذلك . وكان الخاطبون يترددون بينهما ، إذ عاد السلطان من العراق قبل إتمام ما همّ به ، وعزما عليه . فرغب السلطان في خطبتها لنفسه ، فانتقض عليه ذلك التدبير وبطل الحصار .

وسير السلطان بعد زواجها خادمة الخاص سعد الدين الدويدار إلى القلعة والياً عليها ، بعد أن زفت عليه باستدعاء من قدمائها ، وكانت القلعة تشتمل على ألوف من الدور سكناها القدماء ورثوها عن آبائهم^(٢) ، فهم الخادم ياخلاتها وتنظيفها ، إذ لا يملك بها حلاً ولا عقداً . واستعجل فيها دعوته همتة إليه ، وأساء التدبير فيها عزم عليه ، وعادت إلى ما كانت من رتاجها^(٣) ، وعسر علاجها .

وقد كان شرف الملك حاصر قلعة شاهق ، بطائفة من عسكره ، ومن صفتها أنها في جزيرة وسط بحيرة أذربيجان بنيت على قبة كأنها قبة معمولة ، فوقها شقيف دائر ، والماء محيط بها من جميع جوانبها ، وحولها قرى قليلة يحصل منها ما يحتاج إليه من الذخيرة . فلما عاد السلطان وخطب على خطبة شرف الملك ، استعاد أصحابها المحاصرين^(٤) لها حر دأ^(٥) ، وبقيت على عصيانها .

(١) روين دز : مكان حصين بالقرب من تبريز .

(٢) يبدو من هذا النص أن الحروب المستمرة التي سادت عصر الخوارزميين كان لها أثرها في تشييدهم للقلع داخل المدن ليلاً إليها السكان المدنيون والعسكريون إذا ما هددت المدينة خطر خارجي ، ولذلك لم يقتصر الأهالي على تشييد الشكنات العسكرية فيها ، بل امتلأت هذه القلاع بالمنازل التي أعدت خصيصاً لإيواء الأهالي إذا ما دعا الداعي ، وكان غالبية السكان من أرباء المدينة وقرائهم يملكون المنازل في هذه القلاع .

(٣) الرتاج : الباب العظيم للقلع ، ولراد أنها ممتنة محصنة .

(٤) في الأصل : لمحاصرين .

(٥) قلها هوداس عن النسخة الخطية حرماً ، ثم عدلها في الطبعة الفرنسية جرداً ، والقراءة الأولى هي الصحيحة . أما الحرمد فهو الضب .

ذكر قتل شرف الملك تجار الإسماعيلية بأذربيجان والسلطان بالعراق

كان السلطان كاتب شرف الملك من أصفهان يعلمه أن رسولا من التاتار توجه إلى الشام صحبة تجار للإسماعيلية وقد عبروا على بغداد ، فعليك أن توصل عن كل قافلة قافلة (١) من صوب الشام ، أو عائدة من جهة الروم للإسماعيلية . فإذا ظفرت برسول التاتار ، احبسه عندك وأعلننا به لنرى فيه رأينا . فكان غرض السلطان من ذلك تركيب الحجة على الملوك ومعاقبة الديوان العزيز في مراسلتهم (٢) .

وقد ورد في هذا المثال تاج الدين علي بن القاضي جاندار (٣) ، وكان من جملة الخواص (٤) ، فأخذ شرف الملك يفتش عن القوافل ، ووكّل بالطرق من يحفظها إلى أن وصلت قافلة للإسماعيلية من صوب الشام فيها

(١) المقصود بكلمة « قافلة » الأولى جماعة المسافرين ، وأما الثانية فالمقصود بها عائدة .
(٢) نستطيع أن ندرك مما ذكره النسوي في هذا المقام كيف أن سياسة جلال الدين منكبرتي في الفترة التي عاد فيها إلى أقاليم الدولة الخوارزمية ، لم تؤد إلى أكثر من اكتساب عداء جيرانه أجمين ، إذ خشيته الخلافة على هيبتها وكيانها فعادت إلى سياستها القديمة ، وبدأت تتكاثف المنفول وتمنهم على إعادة غزو الدولة الخوارزمية ، كما نستطيع أن ندرك أيضا كيف أن طائفة الاسماعيلية ، وقد حل بها الضعف من كل جانب ، أخذت تعاون المنفول في تحقيق مآربهم في البلاد الاسلامية . ومن المحتمل أيضا أن يكون هدف رسول المنفول في البلاد الشامية هو الانصال بالصليبيين هناك لتأليف حلف ضد المسلمين .

(٣) جاندار : نسبة إلى الجاندارية ، وهي فئة من ممالك السلطان والأمير . والكلمة مكونة من مقطعين فارسيين أحدهما جان ومعناه سلاح والثاني دار ومعناه ممسك . أما الجاندار فوظف آخر مهمته إلباس السلطان أو الأمير ثيابه وأصله «جاما دار» ، ويتكون من مقطعين فارسيين «جاما» ومعناه الثوب ، ودار ومعناه ممسك . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ من ١٣٣ حاشية ١ .

(٤) الخاصية : فئة من ممالك السلطان .

نيف وسبعون رجلا ، جهّز إليهم شرف الملك من قتلهم صبراً ، غير مبال بما وراء ذلك من توجّه اللوم ، وثوران القوم ، طالما (١) ساعهم بالمال والجاه ، حتى أمن عاديّتهم ، وسلم من شرهم . وسيقت الاحمال على الجمال بالذي وقرت إلى خزانته ، فسلب عليها جوده العزيزي ، وسخاه الطبيعي ، فألفها تبذيراً ، ولم يذخر من الكثير إلا يسيراً .

فلما عاد السلطان إلى أذربيجان ، ورد أسدالدين مودود من علاء الدين ملك الإسماعيلية رسولا على ما صدر من شرف الملك معاتباً ، وبما احتجن من الأموال مطالباً . فأمر السلطان برد ما أخذ من القتل ، وأنكر عليه فعله ، ونعى إليه عقله . ونص بالتماس الرسول على طوطق بن آيتايج خان ، وهو الحاجب الخاص وإليه شحنة الديوان (٢) ، أن يكون ملازماً له متقاضياً ، إلى أن يردّ ما أخذ من الأموال . وأما ماسفك من الدماء فاعذر فيها عذر العجاء ، فصار المذكور كالموكل به يحسن العبارة إلى أن أدى منها ثلاثين ألف دينار ، وأعاد عشرة أفراس عربية ، وهدرت بقية الأموال كالدماء حين ورد الخبر بأن غياث الدين انفصل عن الموت ، على ما شرحناه . فانظر إلى بعد حالتي هذا الوزير ، تذلل للفدائية بعد حادثة أورخان ، وقعوده بين أيديهم مهيناً ، وتسليمه نفسه مستكيناً (٣) ، وإسقاطه لهم عشرة آلاف دينار عن الاتاة المقررة في كل سنة فداء عن نفسه ، ثم إقدامه على قتل خمسة وسبعين نفساً منهم حرصاً على المال . فسبحان من يجعل الفكر هادياً ومضلاً ، وقسم العقل مكثراً ومقللاً .

(١) في الأصل : ظالماً .

(٢) أي رئيس الفرطة .

(٣) في الأصل : مستكناً .

ذكر كبسة الحاجب على الأشرفي ، شرف الملك بحورش^(١)
 في سنة أربع وعشرين وستائة ، وامتداد شرف الملك إلى أران
 بعد انتقاضه من أنقاله وتشنت رجاله ، وما جرى له
 بأران إلى أن عاد فاستوفى عليه الثأر وزاد

ولما رجع الحاجب إلى خلاط واستصحب الملكة بنت طغرل ، على
 ماسبق شرحه ، انزعج لذلك شرف الملك ، فسار نحو أران ، إذ هي مثار
 الأموال ومحتشد التركان . فأقام بموقان وفرق عماله في قبائلهم لجباية
 الحقوق ، فكان الذي سار إلى خيل قجب أرسلان شخص يعرف بالسراج
 الخوارزمي ، فاستصحب أوباشاً وأخذ يكلّفهم أن يذبجوا للضيافة ما يقارب
 كل يوم ثلاثين رأساً . وانضافت إليها تكاليف أخرى لم يطبقوها ، فضجوا
 لها وضجروا ، وقالوا له : ارجع أنت إلى صاحبك ونحن نحمل ما يجب
 علينا من الحقوق إلى الخزانة ولا حاجة إلى جبايتك . فرجع المذكور
 وبالغ في الشكوى حتى هاجه عليهم ، فركب من موقان وعبر نهر أرس في
 المراكب . وكانت أيام زيادته وكبس حلة التركان ، وساق مواشيهم إلى
 ييلقان ، وكانت زهاء ثلاثين ألف رأس ، وأتبعهم نساء التركان . وكنت
 أعتقد أنه إذا وصل إلى ييلقان يردها عليهم على مال معلوم غرامة عن
 خيانتهم . فلما وصل إليها ، فرّسها على أصحابه واستبقى لخاصته منها أربعة
 آلاف رأس ضانية يتبعها خرفانها . وكلما كان السلطان نزل بظاهر ييلقان
 في عبوره مشرقاً أو مغرباً يكتب على يدي رقعة إلى السلطان بفلات
 وأغنام برسم الضيافة ، فيذكر فيها من الغنم الحلال كذا رأساً ، وهو يدرى
 معرفتي بأصل ذلك الغنم .

(١) حورش : قرية من قرى أرمينية .

ثم إنه عاد إلى موقان وقد تواصلت حول الجهات ، فأزاح علل العسكر وجمع التركان ، وراسل شروانشاه يطالبه بحمل الآتاوة ^(١) المقررة عليه للسلطان ليحملها إليه ، وهي خمسون ألف دينار . فتوقف في قضاء أربه ، ولم يسعف بمطلبه ، ظناً منه بأنه إذا قبضها وسلط عليها يد الإملاق ، على جرى عادته في التبذير والإسراف ، لم يحسب له . وقد أخطأ في ذلك ، إذ كان الذي ألتفته أيدي إنفاقه ، وفرقه ^(٢) خطرات بذله وإطلاقه ، أعظم من ذلك فدرأ . فغضب شرف الملك لتوقفه في ذلك ، ورحل إلى حافة نهر كبير ^(٣) ، وجرّد زهاء أربعة آلاف فارس ليخبروا على بلاده ، فلم يظفروا بطائل ، وعادوا من غير حاصل ، إذ كان شروانشاه قد جفل ^(٤) بلده ، ورحل شرف الملك صوب أذربيجان .

وكانت الملكة بنت الأتابك بهلوان صاحبة نخجوان قد ربّت مملوكاً له اسمه ايطغمش حتى نشأ وكبر واتخذته ولداً ، ففارقها إذ ذاك إلى شرف الملك وطفق يعادياها بعد انسلاله عن قاط يثمه ، كالفحل السوء ينزو على أمه . ولم يزل يطمع شرف الملك في نخجوان وأعمالها ، ويزيّن له انتزاعها من يدها وتسليمها إليه على مال معجّل ، وآخر في كل سنة مؤجّل ، إلى أن انجرّ في جريرة ^(٥) . فلما رحل صوب أذربيجان ، أصبح به جماعة من خواصه ليدخلوها على ركوب منها إليه ، فيقبضوا عليها ، وقيموا ايطغمش في مقام من ربّته في حجرها ، وأنشّته في كفّ رأفتها وبرها . ولم يعلموا أن لها على ايطغمش عيناً يعدّ طارى أنفاسه ، ويعلمها بما باض الشيطان في راسه .

(١) في الأصل : الآتاوة . (٢) في الأصل : فرقه .

(٣) هونهر الكور Kur الذي يصب في بحر قزوين . وقد ورد ذكره في صبح الأعشى باسم الكر . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٤٠٢ ، وانظر خريطة «وسط آسيا» في كتاب . Bretschneider : Op. cit., vol. i.

(٤) جفل : هجر .

(٥) في الأصل : جريره .

فلما قاربوا نخجوان ، خرجوا إليهم ممانعين ، وناوشوا القتال ، وكبروا
في وجوههم فعادوا بخيبتهم ، خجلين في أوبتهم .

ووصل شرف الملك عقيهم فنزل بالمرج بظاهرها ، وبوجهه عثير^(١)
المكر ، وميسم الخديعة والغدر ، نادماً ولا ندامة الفرزدق على نوار^(٢) ،
كليل اللسان عن كل اعتذار . واعتقد أنها تغل بالمعهود من ضيافتها ، فأتته
حاجبتها بالإيزال والإقامات ، زيادة في التخجيل ، وعلاوة على التشوير .
ثم أتته ثانية معاتبة على ما دبّر عليها ، وقالت في جملة رسالتها : ألم يقنعك
صر في ماتغله نخجوان وأعمالها كل سنة إلى تقاديمك وإقامتك ، مضافاً إلى
ذلك ضعفه^(٣) مما ورثته عن أسلافه ، حتى هممت بهتك^(٤) سترى ، وخذلى
من وراء حجابه بشعرى . فإن كان الحامل على ذلك رغبتك في نخجوان ،
فابعث إليها من يجي أموالها سنة بعد سنة ، لتعلم أن الذى يصل إليك منى
برسم الخزائن وعلى سبيل التقدم ضعف حاصلها . فما زاد على عذر عن
الصدق بعيد ، ولسان في إقامة العذر نكيد . ثم رحل صوب قلعة شميران^(٥) ،
فنزل من عملها بقرية تسمى حورش .

وكانت القلعة للملك الأشرف ، تسلبها نوابه من كان مستحفظاً من قبل
الأتابك ، قبل أن تملك السلطان أذويجان ، وتحصن أهلها بقلعة لهم بنيت
على تل لدفع الغوارة ، وغلبان العسكر قد انتشرت في البيوت ، فجز^(٦) أهل
الضيعة رأس غلام من الحاشية ، وبلغ شرف الملك ذلك فاستشاط غضباً ،

(١) عثير : غبار .

(٢) في الأصل : ندار . وما هو جدير بالذكر أن نوار هي امرأة الفرزدق الشاعر العربي
وقد طلقها ثم ندم ، وقال فيها :

ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى . طلقه نوار
وكانت جنى فخرجت منها كآدم حين أخرجها الضرار
(٣) في الأصل : ضعفه . (٤) في الأصل : تهتك .

(٥) شميران : إحدى قلاع أرمينية . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٩٧ .

(٦) في الأصل : فجر .

وقضى من تجاسرهم عليه عجباً ، وألا يرحل (١) حتى يخرجهم فيذيقهم حرّ الإنكار . ولما أصبح وأحاط العسكر بالتل ، وأخذت الثقوب من كل جانب ، وضجّت الرعية يستغيثون فلا يغيث ، ويستغيثون فلا يعتب ، وهو يسمع صياحهم بالأمان الأمان ، بأذن صمّاء عن ندائهم ، متغافلة عن دعائهم فإذا بأصوات الكوسات (٢) والنقارات (٣) ، وإذا بأعلام صفر وراءها أعلام حمر ، وإذا بالخيول أثرن نقعاً (٤) ، فوسطن جمعاً فعجلوه عن إنذار أصحابه ، وترتيب أطلابه ، بل عجلوا المرم (٥) عن عوده إلى غلبانه ، ووصوله إلى دوابه ، فلجأ كل منهم إلى الوحى ورأى النجاة فى النجا ، وشرف الملك واقف فى شزيمة يسيرة من صفار مماليكه بوجه وقاح ، وناصية كأه انحنت من صفاح (٦) ، إلى أن أخذت عنانه وجذبتة ، وقلت : قد جاوز الخرق عن الرفو ، والفتق عن الرتق ، فأنج بنفسك . فولى منهزماً ، وترك معسكره بالأموال يفيض والدواب يموج .

وكان أول من وصل إلينا من عسكر الشام نحر الدين شام (٧) حلب ، وحسام الدين خضر صاحب سمرارى . وكان قد نزع يده عن الطاعة حين امتدت رايات السلطان صوب العراق محتجا بعجزه عن القيام بتكاليف شرف الملك . وقد ظفر المذكور فى هذه الكبسة بآلات مجلس شرف الملك ومصاغه الذهبية والفضية .

(١) فى الأصل : وألا أن لا يرحل .

(٢) الكوسات : صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ويسمى الذى يضربها « كوسى » . انظر الفلشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٣٤٩ .
(٣) النقارات : جمع قنارة ، وهى من الآلات الملكية المختصة بالمواكب العظيمة . وكانت تحمل على عشرين بغلا ، على كل بغل ثلاث ، وتسير فى الموكب اثنتين اثنتين . وكانت النقارات تحمل فى ركاب السلاطين إلى الحرب ، فتستخدم فى إصدار الأوامر وفى الإيذان ببدء القتال . انظر الفلشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ص ٤٧٥ ، المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٨١٩ حاشية ٢ .

(٤) أثرن نقعاً : هيجن غباراً . (٥) فى الأصل : لرم .

(٦) صفاح : حجارة وصخور . (٧) كذا فى الأصل ، ولعلها نائب حلب .

ذكر ملك الحاجب على الأشر في لبعض بلاد أذربيجان

وما جرى بينه وبين شرف الملك بعد الكبسة

وامتد الوجيف بشرف الملك والطلب وراه إلى مرند^(١) فبات بها ، ثم رحل عنها صوب تبريز ، وساق الحاجب إلى خوى وشحتها^(٢) يومئذ ناصر الدين برقا مملوك شرف الملك ، فأخلاها حين سمع بالوقعة ، وفتحت أبوابها للحاجب ، ونهب أصحاب الحاجب بعض محالها نهباً شنيعاً أفضى إلى هتك الحريم ، إلى أن نودى بالكف عنها . ثم سار الحاجب إلى نخجوان فسلمت إليه ، ثم إلى مرند فدخلها ، إذ سورها غير مانع ، ورتب بها يزكه^(٣) صوب تبريز وشرف الملك مقيم بها في قل من العدد ، فكان يزكه يصل إلى قرية صوفيان من أعمال تبريز .

وضجر شرف الملك من طول المقام بحيث لا يرجى بها ارتياش ، ولا يمكن اتعاش ، ومهما هم بالرحيل صوب أران لم الشعث وجبر الكسر وإصلاح ما فشا في عسكره من كلوم الكبسة . رده أهل تبريز عما هم به ونواه ، مستشفعين بالصدر ربيب الدين وزير الأتابك أذربك وكان مقياً بها متنسكاً ، وبالله وعبادته متمسكاً ، وما كان يحمل أهل تبريز على رده عن الرحيل عنهم إلا النظر في العواقب ، والاحتراز من استيلاء الحاجب . ثم تركب حجة السلطان عليهم وضيق مجال العدو يومئذ ، فلم يأمنوا سخطه إذأ ، ولم يخل عاقبته من أذى . فكان كلما احتج شرف الملك بالضائقة والعجز عن

(١) مرند : مدينة من مدن أذربيجان على مسيرة يومين من تبريز . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٩ . وقبل إنها قرية في الشال الشرق من تبريز . انظر القلقمندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٠ .
(٢) راجع ص ٢٣٩ حاشية هـ . (٣) راجع ص ١٦٢ حاشية .

الإقامة ، حمل^(١) أهل تبريز إليه ما يعينه على المقام عدة أيام ، إلى أن تكاثفت خيل الربيع على الثلوج ، فطردتها عن المروج ، وخضب^(٢) الجبال مشتل مشيها ، وفتحت أيدي الصبا جوز طيها ، مضى صوب أران فجى الأموال ، وجمع الرجال . وحط على قلعة مردانقيم^(٣) في مسيرة يومين ، وكانت لختن الوزير ربيب الدين المذكور ، وهدده بالحصار ثم دخلتها ورحلته عنها على أربعة آلاف دينار حملها إليه . ثم ساق فنزل بقرب قلعة حاجين ، وبها جلال الدين ابن أخت إيوان الكرجي ، وأخذ يوعده ويهدده ، إلى أن صالحه على عشرة آلاف دينار بربرة^(٤) ، وإطلاق سبعمائة أسير من المسلمين استوسرا قديماً وحديثاً ، فكان فيهم من أسر وهو طفل وأطلق وهو شيخ . ولما استنزل الأسرى ، واستوفى بعض المال ، ورد عليه الخبر بأن بغدى ملوك الأتابك أذربك وصل إلى أذربيجان هارباً من الشام . وكان المذكور مستوحشاً من السلطان لإسمات^(٥) سبقت له ، وهى أن كل من طوخته الطوائف ، ونبذته الخطوب السكواخ من العساكر الخوارزمية مبدأ خروج الملاعين إلى أذربيجان قتلهم صبراً ، وأهلكهم^(٦) غيلة وغدراً ، بغضاً في السلطان ، وانجراراً في شطر الشيطان ، حتى قيل إنه قتل في نهار واحد منهم بيده أربعمائة نفس .

فلما ملك السلطان أذربيجان ، استوبل^(٧) جانب المقام ، وعلم أن في ذلك خطراً ، وأن في قربه منه غرراً^(٨) . ففر^(٩) لا يلقى على أحد إلى أن

(١) في الأصل : حمل . (٢) في الأصل : وخضب .

(٣) مردانقيم : قلعة في أذربيجان ، عبر نهر أراس .

(٤) بربرة : لفظ لعله مشتق من كلمة hyperperum ، وتطلق على العملة الذهبية الينظية .

(٥) في الأصل : لاسآت . (٦) في الأصل : هلكهم .

(٧) في الأصل : استومل . (٨) الغرر : التعرض للهلاك . يقال : إنه منه على غرر .

(٩) في الأصل : قفز .

اتصل بالملك الأشرف ، ثم انفصل عنه في هذا الوقت من غير استئجار ، وتوجه إلى أذربيجان لما بلغه من تعرضها للبختطفة ، وما بها يومئذ من الآراء المختلفة . وظن أنه يتوسطها فيشد من الدولة الأتابكية ما انبثق به السكر ، ويلتم من اندراسها وهي أساسها ماتم به الجهر ، وإن يصلح العطار ما أفسد الدهر . فلما قارب تخوم خوى ، وبلغ الحاجب خبره ركب إثره طالبا ، وفاته بغدى فقطع نهر أرس ناجيا وهاربا . ثم وقف له على حافة النهر فكلمه ، وقال : أنا ملوك الملك الأشرف وعبد إحسانه . وغدّي^(١) نعمته ، فحيث كنتُ فعلى ولائه وطاعته ، وما جئتُ إلا لنصرة دعوته .

ورجع الحاجب ، ودخل بغدى بلد قبان^(٢) — وهي ذات قلاع بأيدي أمراء^(٣) عصاة ما داسوا بعد بساط السلطان ، ولا شوه من علامات طاعتهم إلى ذلك الوقت إلا التقاديم والخدم — وطفق بغدى يستحلفهم على إظهار الدولة الأتابكية ، ويدعوهم إلى ابن الملك خاموش ، على أن يخرجوه من قلعة قوطور^(٤) فيجلسوه على سرير الملك ، نفخا فيما ظهر خموده وتعويلا على ما غابت سعوده . فأقلق شرف الملك ذلك ، وحبس عليه نجم ما دبّر ، وأنحل عليه نظر ما فكر فيه وقدر . وردف ذلك وصول طائفة من المنهزمين بظاهر أصفهان ، مخبرة بانهمزام السلطان واختفاء خبره ، ففت في عضده ، وزاد في كده ، وارتكب حزنا على حزن ، ووهنا بعد وهن . وهو مع ذلك كله يضرب البشائر ، بأن السلطان ظافر ، وأن الإسلام على الكفر ظاهر

ولما فرغ بغدى من استحلاف أمراء قبان ، سار إلى الملك نصره الدين محمد بن بيشتكين يدعوه إلى مساعدته ، واتباع إرادته ، فلاطفه وأحسن ضيافته ، وكتب إلى شرف الملك بحاله ينهى إليه ما اتفقت عليه الكلم ،

(١) في الأصل : وعدى .

(٢) قبان : مدينة من مدن أذربيجان ، بالقرب من تبريز . ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٢٣ .

(٣) في الأصل : أمراء .

(٤) قوطور : قلعة بالقرب من تبريز .

واجتمعت عليه الهمم . فسيّر إليه شرف الملك سرّاً يأمره أن يدعو بغدياً إلى طاعته ، ويضمن له عنه ما يرضيه من الرغائب ، التي تملأ فارغة الحقائق ، والاقطاعات الخالصة من الشوائب .

وترددت الرسل في ذلك بينهما أياماً ، حتى لانت عريكته ، وتمت بيعته . ووافى الملك نصرة الدين ببغدى حضرة شرف الملك وهو بحفافة نهر أرس فتلقيه ، وأكرم مشواه ، ووعد له بما يهواه ، وخاع عليه وعلى أصحابه مائة وخمسين خلعة ، في جعلتها عشرة مكملات بالساخت والسرفسار والطوق^(١) ، وأقطع له باقتراحه أرميه بأعمالها ، وحلف له أن لا يمكن أحداً من الخوارجية من مطالبته بدماء قتلاهم . ولما أمن غائلة بغدى واستظهر به ، ووردت^(٢) الأخبار من ناحية العراق بعود السلطان إلى أصفهان سالماً ، ورجوع التاتار عنها خائباً ، وركوب السلطان أكتافهم طالباً ، رحل صوب أذربيجان واستصحب بغدى وابن بيشتكين شاحداً عزيمته ، ومصمماً سريره^(٣) لطلب الثأر من الحاجب . فلما وصل إلى مرند ، اتصل به ثلاثة من أمراء الميسرة السلطانية ، وهم كوج يكنى بهلوان ، والحاجب الخاص خان بردى ، وأوداك أمير آخور ، نجدة سيرها السلطان إليه .

وكان من عادة السلطان أنه إذا ظهر من بعض أصحابه في بعض الحروب هروب ، وفي بعض الوقائع تقصير ، يكلفه الأخطار ، ويحشمه المشاق ، إلى أن يبدو منه من الخدمة المرضية ما يرخص دنس تقصيره فيرضى عليه . وكانت هذه سنة التاتار وحدها تسدّ للتقصير باباً ، فاتخذها دأباً . ولما كانت هذه الثلاثة لم ينج من أمراء الميسرة في الحرب بظاهر أصفهان سواهم ، كلفهم إنجاد شرف الملك ، فوصلوا وقوى بهم . وساق إلى خوى ، وبها نائب

(١) راجع ص ٧٧ حاشية ٦ .

(٢) في الأصل : وردت .

(٣) في الأصل : سريره .

الحاجب بدر الدين ابن سرهنك^(١)، فلم يقربها، وسلك طريقاً لم يقرضها ذات العين، لم يطلب غير الحاجب، وهو إذ ذاك بنو شهر^(٢)، فحين سمع الحاجب بحفوفه نحوه في ألوفه، تأخر إلى بركرى^(٣)، وأقام بظاهرها إلى أن وصل شرف الملك فالتقيا ثاني يوم وصوله، فلم يكن إلا حملة واحدة حتى انجملت المعركة عن هزيمة الحاجب ودخوله بركرى وتحصنه بها، وكثر القتل في أصحابه. وأصاب تاج الملوك بن الملك العادل نشابة فمات بها بعد حين.

وجمع شرف الملك كوساتهم ونقاراتهم وأعلامهم ويارقهم وسيرها إلى أصفهان حجة ميسرة السلطان^(٤). وتفرقت عساكره للغارات، وأقام هناك في أقل من مائة فارس ثلاثة أيام، والحاجب ببركرى لم يفارقه من عسكره إلا من قضى نحبه في حومة الحرب، أو ضمته حباله الأسر. ولم يجسروا أن يخرجوا فيأخذوه برقبته، فلما مكسور طائش القلب، مسلوب اللب، إن صادف أعزل^(٥) لا يطمع فيه، وإن لاقى^(٦) بطلا لا يكفيه.

ثم كتب الحاجب إلى أوداك أمير آخور كتاباً يلتمس فيه إصلاح ذات البين، ورفع أسباب الخلف. وكان حاجب أوداك أمير آخور قد قارب السور فكلمه، فدفع الحاجب الكتاب إليه فأوصله إلى صاحبه، فحضر إذ ذات بكتاب الحاجب، فغضب شرف الملك لذلك، وغالظه في الكلام، وحذر حاجبه أن يقرب السور ثانياً، وقال: لم أرض من الاشتغال بالحاجب إلا بقتله، وهأنذا عن قريب^(٧) عائد إليه بما يخرب دياره، ويمحو آثاره. وعادت العساكر بغاراتها متفرقة إلى أذربيجان، ورحل شرف الملك

(١) سرهنك: إحدى الرتب العسكرية.

(٢) نوشهر: اسم معناه المدينة الجديدة، ويطلق على مدينة نيسابور.

(٣) بركرى: مدينة قريبة من خلط.

(٤) في الأصل: مبشره للسلطان.

(٥) في الأصل: أعزلاً.

(٦) في الأصل: لاقاً.

(٧) في الأصل: ها أنا عن قريب.

عقيهم ، فلما قارب خوى أخلاها نائب الحاجب إلى قلعة قو طور ، إلى أن أنزل بعد عود السلطان، وخلت أذربيجان عن الحاجبية وأنصارهم والمتسمين بشعارهم . ولما دخل شرف الملك مدينة خوى ، بسط يده في المصادرات ، فلم يترك بها ذا دار^(١) إلا أدى حلقه ، وألصق بظهره بطنه . وولاهاملوكة ناصر الدين بوقا ورحل صوب مرند ، ففعل بها ما فعل بجارتها ، وهكذا بنخجوان وعامة بلاد أذربيجان ، حتى كبسها عن يسارها وظهرت آثار إفسارها . ثم ورد الخبر بخفوق الرايات السلطانية صوب أذربيجان ، فاستقبلها إلى أوجان^(٢) ، فلقى بها شاه خاتون بنت السلطان تكش عمة السلطان وسنجقان خان وقد سبقا السلطان إليها ببعض العساكر ، وسائرها قد أحاطوا بتخوم الموت مترصدين خروج غياث الدين عنها ، على ما سبق ذكره .

ومن عجيب ما اتفق من الموت المفاجيء أن سنجقان خان ، وكان حاكم يولق السلطان ، وهو ديوان المظالم باصطلاح الترك ، جلس ذات يوم على العادة في خيمة اليولق بأوجان مستندا إلى العمود ، فأطرق أثناء الحديث ، وظن الحاضرون أنه نعس ، فحمل ميتا . ووصل السلطان بعدهما ، ثم وصلت حفنة ملكة فارس بنت الآتابك سعد ، وقد زفت إلى السلطان أيام مقامه بأصفهان ، إذ كانت أختها المزوجة بالسلطان قد ماتت بكنجة يوم قتل أورهان .

(١) في الأصل : ذا در .

(٢) أوجان : إحدى مدن أذربيجان .

ذكر عز الدين بلبان الخلخالى^(١)

وما ختم به أجله

كان المذكور من جملة المالك الأتابكية ، وقد استولى على خلخال وقلاعها ، وجل همه إخافة الطرق وقطع السابلة بين العراق وأذربيجان . فتواترت الشكاية ، وكثرت النكاية ، والشواغل كانت ترد السلطان عن إصفاء تلك الناحية ، وإطفاء تلك النائرة . وقد ازداد عيئه وفساده عند اشتغال السلطان بالتاتار ، واشتغال جذوة الحاجب بأذربيجان . فخط عليه السلطان منصرفه من العراق ، وحاصره بقلعة فيروز أباد^(٢) أياما ، إلى أن استأمن فخرج إلى السلطان بسيف وكفن ، فسكن بالعقور روعه^(٣) ، وأزال بالتجاوز روعه^(٤) . وتسلم منه قلعتي بلك^(٥) وفيروز أباد ، فلك فيروز أباد حسام الدين تكين تاش مملوك الأتابك سعد ، وسلم بلك إلى بعض مشايخ الترك . ثم خلف خزائنه وحرمة وأثقاله بموقان ، وسار بعسكره المجرّد صوب خلخال ، لما

(١) نسبة إلى خَلْخَال ، إحدى مدن أذربيجان وتقع على مسيرة يومين من مدينة أردبيل .

انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٥٤ .

(٢) فيروز أباد : قلعة حصينة من أعمال أذربيجان ، على مسيرة فرسخ واحد من مدينة

خلخال . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٦ ص ٤٠٩ — ٤١٠ . وهناك بلدة أخرى تسمى بهذا

الاسم بالقرب من شيراز . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٤٥ .

(٣) روعه : قلبه . (٤) روعه : خوفه .

(٥) بلك : قلعة بالقرب من مدينتي خلخال وزنجان . ويذكر هوداس Houdas

في الترجمة الفرنسية أنه من المحتمل أن يكون اسمها بلك إذ لم ترد منقولة في النسخة الخطية .

غير أننا لا نميل إلى الأخذ بهذا الرأي إذ قد وردت « بلك » في مواضع أخرى . راجع

الصفحات ٢٢١ ، من طبعة هوداس العربية ، ٢٧٩ ، ٣٦٧ من الترجمة الفرنسية ، وانظر

أيضا الكشاف في هذه الطبعة .

في نفسه من الحاجب . فلما وصل إلى أرجيش^(١) ، توالت الثلوج واشتد البرد فساق إلى طوغطاب وقد أخلاها أهلها من ريد الأحقاب ، فتقاسمتها أيدي النهاب . وأقام بها عشرة أيام ، والغوارة تضرب يمينا وشمالا ، وتطأ سهولا وجبالا . ووصلت طائفة منهم إلى أرزن الروم ، فساقوا الغارات من بابها وورد على السلطان أيام مقامه بطوغطاب كتاب من علاء الدين صاحب الروم يغريه بمعاودة بني أيوب ، وبعده المساعدة عليهم ويقول : إنه كان اشتغل في سنته تلك بمن يتاخمه من الكفرة ، ففتح عدة حصون لهم ، كما أن السلطان اشتغل بالتنازع فردهم على أعقابهم ، ولم يبق الآن إلا صرف الهمم إلى هؤلاء الفئة الباغية ، والشرذمة الطاغية . وبالعالم حتى إنه ذكر : رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . وكان قد طوى كتابه على كتاب ورد عليه من سراج الدين المظفر بن الحسين نائب علاء الدين صاحب الموت بناحية الشامية ، إذ كان السلطان بالعراق يذكر فيه أن جلال الدين المخدول قد قتل في المصاف بظاهر أصفهان ، وتفرقت عساكره أيدي سبأ^(٢) ، وأن أخاه غياث الدين لجأ إلى الأبواب العلائية منخرطا في سلك الطاعة ، وكذلك الأتابك قزل أرسلان ، يعني الملك خاموشا ، صار من المنيخين بعتباتها ، والمتنظرين جذباتها ، وأن ملك العراق قد صفا لعلاء الدين عن كل مزاحم ، هذا ومثاله .

فناولني السلطان الكتاب لأقرأه عليه ، فلما وقفت عليه وجدته حديث خرافة ، ينطوى على كل آفة وعاهة . وكان المجلس غاصا^(٣) بالخانات والأمراء ، قلت : هذا عما ليس يصلح أن يقرأ بين يدي السلطان ، فألح في قراءته^(٤) ، وقال : ما عليك منه ؟ قلت : إن كان لابد من قراءته^(٥) ففي الخلوة . فخرج

(١) أرجيش : إحدى مدن أرمينية الكبرى ، وهي قرية من خلاط . ياقوب : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٨١ .

(٢) أيدي سبأ : في طرق مختلفة .

(٣) في الأصل : غاصا .

(٤) و (٥) في الأصل : قراءته .

الناس وخلا المجلس . ثم قرأته عليه فأخذه مني وختمه ووضعه في كيسه .
نعم ، وهرب بلبان الخللخالي من طوغطاب إلى خلاط ليلا . ولم يدر به
إلا بعد الفوات . فحجزه الحاجب إلى أذربيجان معتقداً أنه إذا توسط البلاد
السلطانية يثير من الفتن ما يشغل السلطان عن قصده خلاط ، فلا ينقص ذلك
من عزمه ، إذ كان بلبان أصبح بعد تسليم القلاع منه كالطير قص جناحه ،
والمقاتل قصم سلاحه . ففضى إلى جبال زنجان ، فأخاف الطرق مستأنفاً ، وشق
العصا مخالفاً ، إلى أن قتل بأصفهان ، وسير رأسه إلى السلطان ، على ما سنذكره
في موضعه إن شاء الله تعالى . ثم رجع السلطان من طوغطاب إلى خرتبرت^(١)
وفعل بها ما فعل بطوغطاب من النهب والتخريب وسوق الأبقار ، فكان خمس
ماسيق منها سبعة آلاف رأس ، ما خلا سائر الأجناس . وخربت أعمال
خلاط بهذه الغارة ، والفتنة نائمة^(٢) لعن الله من أيقظها .

(١) خربت : إحدى قلاع أرمينية الكبرى ، على مسيرة يومين من ملطية . ياقوت
معجم البلدان ، ج ٣ ص ٤١٥ . وقد جاءت في القلقشندي ، خرت برت ، وذكر أنها
تعرف بمحسن زياد . انظر صبح الأعشى : ج ٤ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .
(٢) في الأصل : بآتمه .

ذكر ورود نجم الرازي^(١) وركن الدين بن عطف رسولين عن الإمام الظاهر بأمر الله

قد وردا والسلطان بتبريز ، مبشرين بانتصاب الإمام الظاهر بأمر الله منصب آباءه الخلفاء ، مشفوعة رسالتهما بمواعيد جميلة ، ووعود لأصناف الأمان كفيلة^(٢) . وقد أمر ابن عطف أن يقيم بحضرة السلطان ، ويعود الرازي بمن يصحب من الرسل ليستصحب^(٣) الخلع والتشريفات التي كانت الدواعي تمد إليها أعناق الانتظار ، وتعد^(٤) لها ساعات الليل والنهار ، فتعوقها سوابق^(٥) المقادير ، وتركها وراء حجاب التأخير ، فأصبحه السلطان بالقاضي مجير الدين . فعاد بالخلع ، ولحقهم نعي الظاهر بأمر الله ، رضوان الله عليه وعلى آباءه الراشدين ، قبل الوصول ، فأعيدت الخلع إلى بغداد ، وحمل السلطان الأمر في ردها إلى بغداد لتغير النية في حقه إلى أن تحقق السبب .

(١) نجم الدين الرازي هو أحد رجال الصوفية في عصره ، وقد رحل بعد الغزو المغولي إلى بلاد الروم ، وهناك ألف كتابه المعروف باسم « مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد » ، وهو كتاب بالفارسية ويبحث في عقائد التصوف ، وقد توفي الرازي سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) . انظر كتاب الدكتور رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسي ، ص ١٩٧ .

(٢) كان جلال الدين منكبرتي ، منذ عاد من بلاد الهند ، قد ناصب الخلافة العباسية العداء ، ولا أخفق في محاولته غزو بغداد في عهد الخليفة الناصر ، بل لما أخفق في سياسته التي كانت ترى إلى تأليب القوى الإسلامية ضد الخليفة العباسي ، اضطر إلى مهادنة الخلافة . ومن جهة أخرى ترى أن الخلافة العباسية أخذت تميل بدورها إلى مصالح الخوارجيين وخاصة منذ تولى الخليفة العباسي الظاهر بأمر الله سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) .

(٣) في الأصل : ليستصحب . (٤) في الأصل : وبعد .

(٥) في الأصل : سوابق .

ذكر إقامة السلطان بأذربيجان مشتياً

وعثوره على عثرات لشرف الملك غيرت رأيه عليه

ثم إن العساكر رجعت بما أثقلها من الغارات إلى موقان ، وأقام السلطان
بجوى شهرا ، فأفاده مقامه بها عثوره على ماتم على أهلها من المصادرات
القالعة ، والمعاملات القارعة ، وشعوره بأسباب نُفرة ^(١) الملائكة بنت
طغرل بن أرسلان السلجوقي ، وبرامتها ^(٢) من ذنوب نسبها إليها ، وما
قد اقتنى شرف الملك من أبقار دارها وشموس أبقارها . ثم انتقل أثناء الشتاء
إلى تبريز فوجدها كأختها بأشر حال . وانضاف إلى ذلك أنه نزل بقرية
كوزكنان ^(٣) من أعمال تبريز ، وكانت تحصل للديوان منها مال طائل ، وكلما
نزل السلطان بها يقوم الرئيس بضيافته من كل ما يحتاج ^(٤) إليه المطابخ والمخابز
والاصطبلات ؛ وهكذا كان يحسن ضيافة الخواص وأرباب المناصب ، فلم
يجد الرئيس حاضرا في هذه المرة ، وأنهى إليه أنه مسك على دم ، وها هو
بتبريز مطالبا بألف دينار ، وقد أطلقها شرف الملك لمملوكه ناصر الدين بوقا ،
وسيف الدين طغرل الجاشنكير ^(٥) .

- (١) في الأصل : نفقة .
(٢) قرأها هوداس في النسخة الخطية « كوزة كنان » . وكوزكنان قرية كبيرة من
نواحي تبريز ، بينها وبين تبريز مرحلتان ، ومعناها صناع الكيزان . انظر ياقوت : معجم
البلدان ، ج ٧ ص ٢٩٤ .
(٣) في الأصل : محتاج .
(٤) الجاشنكير : هو الذى يقوم بذوق أصناف الطعام والشراب المختلفة قبل أن يأكل منها
السلطان خوفا من أن يكون هذا الطعام أو الشراب مسموما . وترك هذه الكلمة من لفظين
فارسيين ، « حاشنا » ومعناه الذوق ، والثاني « كبر » ومعناه المتعاطى . انظر القلشندي :
صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٦٠ ، وراجع ص ١٦٠ حاشية ٤ .

ووصل السلطان إلى تبريز ، وأمر بالقبض على من تسلبها من غلبائهما ، فقبضا وتسلم^١ منهما ما أخذاه^(١) من الدية ، وأخذ دوابهما^(٢) ، وطردهما^(٣) إلى موقان رجالة ، وحين رأى السلطان ضعف حال تبريز وزراعتها ، عزم على إراحتها ، وإمالة الأذى عن ساحتها . فأسقط عنها خراج ثلاث سنين ، وكتب لهم توقيعا بذلك . وتواترت الظلامات ، وكثرت الشناعات ، سرأ بما جرى عليهم من العسف مدة غيبته ، إلى أن من الله عليهم بأوبته ، وهو يسمع ذلك وينطوى لشرف الملك على غيظ مكثوم . وكانت كتب شرف الملك ترد عليه بالمهام فلم يكتب لها جوابا . وحين رأى أن تبريز تعجز عن عليق اصطبلاته ، وأن ليس للخاص بها غلة ، فتح هرى^(٤) شرف الملك ، وأمر بصرفها إلى المخازن والاصطبلات .

ورجم الناس إذا ذاك بالظنون^(٥) ، وقدروا المقادير ، وقالوا : قد انقضت أيام شرف الملك ومضت . فلما عاد السلطان إلى موقان ، واجتمعا بها ، لم يغير عليه شيئا كان لم يودع غيظ^٦ درعة^(٦) ، ولا قرع موحش سمعه . وقد كان شرف الملك يأخذ عشر البلاد في السنين الماضية من المقطع والخاص أسوة بمن^(٧) تقدمه من الوزراء ، لكن على سبيل الخفية ، بل كان يأخذها بجاهة من غير أمر سلطاني ، ومن منع ذلك لم يحاققه ، إذ كان السلطان لم يطلق له ذلك . فعند ذلك برز الأمر السلطاني بأن يتناول عشر الخاص والمقطع بجميع المالكة ، وكتبت له بذلك توقيعا . وكانت الرسالة وردت على لسان داعي خان وأطلس ملك أميري^(٨) اليولق^(٩) ، فأعطاها شرف الملك خمسة آلاف

-
- | | |
|--|-------------------------------------|
| (١) في الأصل : أخذوه . | (٢) في الأصل : دوابهم . |
| (٣) في الأصل : طردهم . | (٤) هرى وجهه أمراء : مخازن الغلال . |
| (٥) في الأصل : الظنون . | |
| (٦) غيظ : اسم رجل كان قد استودع آخر درعة . | |
| (٧) في الأصل : أسوة من . | (٨) في الأصل : أمراء . |
| (٩) اليولق : ديوان الظالم باصطلاح الترك . راجع ص ٢٧٦ . | |

دينار حق الرسالة ، فكان بعد ذلك يحصل لشرف الملك من عشر العراق
وحدها على ممانعة شرف الملك على ، وقلة احتفاله به كل سنة ما ينيف على
سبعين ألف دينار . وأما الإقطاعات فكان^(١) أصحابها يرون مداراته حتما ،
فيقاسمهم حواصلها ، ولم يجسر أحد منهم أن يثب بالشكوى^(٢) ، فرقب مع
كل ديوان ديوانا من قبلة لجباية العشر بعامة الممالك .

(١) في الأصل : فكانوا . (٢) في الأصل : بالسوى .

ذكر وصول كوركاء إلى خدمة السلطان

كانت قبائل قفجاق تميل إلى ذلك البيت ولاء ومحبة^(١)، إذ لم يولد لهم ولد في قديم الزمان وحديثه إلا وأمه من بنات ملوك قفجاق، زفت إليه بالخطبة والنكاح. فلهذا بالغ جنكزخان وأولاده في استئصال قفجاق، إذ كانوا مادة قوتهم، وأصل شوكتهم، والسبب لكثرتهم.

ولما عاد السلطان من العراق بعد المصاف بظاهر أصفهان، وقد هال عسكره ما رآوه من أمر التاتار وشدة بأسهم، رأى أن يستظهر بقفجاق وقبائلها، فسير سرجنكشي، وله في قفجاق أصل وبيت، يرغبهم في الامتداد إليه، ويريه أن صلاح أنفسهم في اتفاقهم على الأعادي، وأنهم لا يأمنون على التفرق استئصال الطائفتين، وانقلاع الفشتين^(٢) فوجدهم المذكور مسرورين^(٣) برسالته، راغبين في مشايعته. وبادرت إلى در بند قبائل منهم في زهاء خمسين ألف خركاه^(٤)، فلم يمكن العبور، فأناخوا بقرىها، وركب البحر كوركاء، وهو ملك من ملوكهم، في ثلاثمائة من قريبيه وقريباته^(٥)، واتصل بشرف^(٦) الملك وهو بموقان، إلى أن خلت الطرق عن قطاع الثلج، وقارب خيل الربيع بالفلج، رجع السلطان إلى موقان

(١) امتلأت الدولة الخوارزمية بعدد كبير من الأتراك الذين يلتمون إلى قبائل القفجاق في شمال البحر الأسود، فقد تزح عدد كبير من أفراد هذه القبائل إلى أراضي الدولة الخوارزمية بل وصامروا الخوارزميين. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هذه العناصر مصدرا من مصادر الاضطراب السياسي والاجتماعي في قلب الدولة. وبما هو جدير بالذكر أن اسم قفجاق يكتب في المصادر التركية « قيجاق ». انظر كتاب عثمانلي تاريخي لأحمد راسم، ص ١٢٩ وغيرها. وانظر أيضا كتاب لغات تاريخية وجغرافية لأحمد رفعت ج ٦ ص ٦ وغيرها من الصفحات.

(٢) في الأصل: الفيتتين. (٣) في الأصل: سارين.

(٤) خركاه: كلمة فارسية معناها خيمة. انظر القرزى: السلوك، ج ١ قسم ١

ص ٣٢، حاشية هـ.

(٥) في الأصل: قراية وقرايته. (٦) في الأصل: اتصل بشرف.

فاستقبله شرف الملك ومعه كوركاً ، واستعفى المذكور عن منزل الخدمة ،
اكتفاء منه بوروده ، وبذله في الخدمة غاية مجهوده ، فلم يعف عن ذلك
حتى نزل وقبل يد السلطان ثم خلع السلطان عليه وعلى من صحبه بعد أيام ،
ورده عن وعد^(١) بفتح طريق دربند^(٢) .

وكادت دربند تحصل ، لولا سوء التدبير ، وذلك أن كوركاً لما
انفصل عائداً على ميعاد الاجتماع عند افتتاح دربند المشهور بباب الأبواب ،
راسل السلطان صاحب دربند ، ولما كان طفلاً يدبر أمره أتاك له يلقب
بالأسد ، فرغب في إغتنام مرضاة السلطان ، واكتساب عناياته ، وبادر
بنفسه إلى بابه ، فأكرمه السلطان ، وخلع عليه ، وعيّن باسمه واسم الطفل
صاحبه إقطاعاً تتضاءل^(٣) دربند في جنبه ارتفاعاً على أن يستصحب من
قبل السلطان من يتسلبها منه . فجهّز معه ستة آلاف فارس ، منهم إينام خان ،
وسكر خان ، وخاص خان . فلما انفصلوا عن الخدمة ، قبضوا على الأسد وقيده
بعد أيام ، وشنعوا^(٤) عليه أنه هم أن يفارقهم من غير إذن ، ثم شنّوا على
بلدة^(٥) دربند خارج السور غارات ظهرت فيها آثار الخراب والدرس ،
فصارت كأن لم تغتن بالأسد .

واستعمل الأسد من الخيلة ، ما أسلمه من الغيلة ، فعاد إليها كالظبي .
مذعوراً ، والأسد مجروحاً ومضروباً ، وصار أمر دربند — بما أساؤوا

(١) في الأصل : عن موعوداً .

(٢) دربند أو باب الأبواب : مدينة على الشاطئ الغربي لبحر قزوين بقالة تغليس . وتسمى
أحياناً بباب الحديد . انظر ياقوت : ج ٢ ص ٥٦٤ ، والقلقشندي : ج ٤ ص ٣٦٤ . ولكلمة
دربند معان أخرى سبق شرحها . راجع ص ٣٦ حاشية ٧ .

(٣) في الأصل : ينضال .

(٤) قرأها هوداس Houdas في النسخة الخطية شنّوا ، ثم عدلها في الترجمة الفرنسية إلى
شيعوا ، والواقع أن القراءة الأولى هي الصحيحة .

(٥) في الأصل : بلد .

من التدبير مرتجياً^(١) ، فلم يبق في افتتاحها مرتجياً^(٢) . ولو أراد الله افتتاحها كان شرف الملك متعيناً لذلك ، إذ مثل هذه^(٣) الصعاب لا تبال إلا يذل الأموال . ثم بلين مصون عن خُرق^(٤) وبذل مقرون برفق . والمذكور ما جرّد الخطب إلا نفذ وحدى وبرى وقدّ ، ولا أفرد في أمر إلا أوفى على الذروة والغارب ، وحاز منية الطالب ، ورغبة الراغب .

(٢) مرتجى : أمل .
(٤) الحرق : الخفاقة .

(١) مرتجياً : منلقاً .
(٣) في الأصل : هنا .

ذكر ما صدر من شرف الملك بموقان

حين بلغه تغير رأى السلطان عليه وعثوره على عثراته

كانت الاخبار تأتيه بتغير رأى السلطان عليه ، فتسوده . ثم رأى إرضاءه
بخدمة في غيبته ، تقوم مقام الأرش^(١) عن جنايته ، ويستجد ما كانت تخصه
من عنايته . فركب في عسكره وبعض عسكر السلطان فعب نهر أرس في
المراكب ، واستولى على ناحية كشتاسنى^(٢) ، وطرد عنها عمال شروانشاه ،
وضمتها في سنته تلك بمائتي ألف دينار بربرة^(٣) ، ومن صفقتها أنها ناحية بين
نهرى أرس وكُر^(٤) ، لا يعبر إليها إلا في المراكب ، ذات غدران كثيرة ،
وأموال تحصل من طير الماء والسمك غزيرة ، وربما تباع مائة إوزة^(٥)
بها بدینار .

وحين عاد السلطان إلى موقان أقطعها لجلال الدين سلطان شاه بن
شروانشاه ، وكان أبوه قد سلمه إلى الكرج فنصروه على أن يزوجه بنت
الملكة رسودان ابنة تامار^(٦) . وحين فتح السلطان بلاد الكرج خلّص اليتيم
من غمد الاعتقال ، وخلّص معه ابن صاحب أرزن الروم ، فارتد في
خاوة^(٧) الكفر ، وهرب عائدًا إلى الكرج ، على انحطاط قدره عندهم ،
وعلى أن الملكة قد تزوجت عليه وطلقته .

(١) الأرش : الدية .

(٢) كشتاسنى : ناحية من نواحي شروان على الشاطئ الغربي لبحر قزوين .

(٣) راجع ص ٢٧٢ حاشية ٤ . (٤) راجع ص ١٩٧ حاشية ٨ .

(٥) في الأصل : وزّة .

(٦) في الأصل : بامار . راجع كتاب :

Brosset : Histoire de la Géorgie, tom. I, p. 431 et suiv.

(٧) كذا في الأصل ، ولها ماوية .

وأما ابن شروانشاه فكان كدر يقيم خلق في أحسن تقويم ، وربّاه
السلطان فأحسن تربيته ، وطهر بتطهير الملوك أولادهم ، ثم ملكه كشتاسني
قسطاً لما خلفه أبوه . فقد وجدته يتيماً فأواه ، ضالا فهداه ، عائلاً فأغناه ،
سنّة الله قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً . فكان شرف الملك
قد أفرد لنفسه من نهر أرس سواق^(١) وسمّاها الشرفي ، والفخري ،
والنظامي . وعمر عليها ثلاث نواح^(٢) تغل أحمالاً كثيرة^(٣) . فلما أحس بتغيّر
رأى السلطان عليه ، جاء إلى نهر أرس بعد العود من كشتاسني ، والزمان
شتاء ، والأرض جامدة ، فكان يأمر بالآخشاب ، والفياض قريبة ، فتقطع
ثم ترمي على خط الساقية ، فتضرب النار فيها فتلين الأرض تحتها ، فتحفر .
إلى أن أفرد من النهر ساقية لاتخاض وسمّاها سلطان خوي ، وضمّنها تلك
السنة بثمانين ألف دينار ، ولم يزرع بعد شيء ، بل هذه الجملة حصلت من
ضمان غدرانها .

(٢) في الأصل : نواحي .

(١) في الأصل : سواقياً .

(٣) في الأصل : حملا كثيرة .

ذكر قدوم شروانشاه أفريدون بن فريبرز

كان السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان^(١)، لما ملك أران مضافة إلى سائر ممالك الفسيحة^(٢)، ضربابه شروانشاه زمانه، بعد غارات تابعت على بلاده، ووقعات أفنت معظم أجناده. وتقرر أن يحمل كل سنة إلى الخزانة السلطانية مائة ألف دينار. فلما ملك السلطان أران سنة اثنتين وعشرين وستمئة، راسل شروانشاه أفريدون بن فريبرز مطالباً بالأتاوة المقدرة لخزانة ملكشاه، فاعتلّ بضعف بلاده، وخروج أكثرها من يده، مثل شكي^(٣) وقبلة^(٤)، وتغلب الكرج على الأطراف، وامتدت مراجعات الرسل في ذلك حتى تقرر على خمسين ألف دينار يحملها كل سنة إلى الخزانة الجلالية.

فلما عاد السلطان في هذه المرة إلى أران قدم عليه شروانشاه أفريدون ابن فريبرز من غير استدعاء، بل رأى أن يجعل تقبيل باسطه، ودوس

(١) في الأصل : رسلان .

(٢) تميز الفترة الواقعة بين دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) وبين وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) من أزمى عصور الشرق الاسلامي، إذ استطاع السلاجقة أن يوحدوا بلاداً لم تكن بالأمس غير أجزاء متناثرة متعادية، ثم أخذوا يوسعون أملاكهم شيئاً فشيئاً، فاستطاع طغرل بك أن يمد نفوذه على بلاد الجزيرة وأرمينية، كما استطاع خلفه ألب أرسلان أن يوسع أملاكه على حساب الدولة البيزنطية حتى وسع نفوذه الأقاليم الممتدة حتى بحر مرمرة بعد هزيمة الإمبراطور البيزنطي رومانوس Romanus في موقعة ملازكرد. ثم تمكن ملكشاه من أن يتوج هذا كله بإخضاع سوريا وجورجيا في الغرب وبخارى وسمرقند وخوارزم في الشرق. انظر :

Defremery : Histoire des Seldjoudes. Extraits du Tarikhi Guzideh, ou Histoire Choisie d'Hamdullah Mustaufi, p. 437. (J. Asiat., Avril—Mai, 1848).

(٣) شكي : ناحية من نواحي أرمينية الكبرى. انظر ياقوت : معجم البلدان، ج ٥ ص ٢٨٦.

(٤) قبلة : ناحية من نواحي أرمينية الكبرى، أسسها قباز الملك أبو أنوشروان.

انظر ياقوت : معجم البلدان، ج ٧ ص ٢٩.

بساطه ، للوقت افتخاراً ، وعلى حوادث الزمان استظهاراً ، ولأيام النوائب ادخاراً . وقدّم للسلطان خمسمائة رأس خيل تركية^(١) وأشرف الملك خمسين رأساً . فاستحقرها شرف الملك لنفسه واستقلها ، وأخذ يشير على السلطان بالقبض على شروانشاه واستضافة بلاده إلى ما يليه^(٢) من الملك ، فأبى السلطان ذلك ، وردّه بالخلع والتشريفات ، وأمر فكتبت توقيعا له بتقرير ماتحت يده ، وإسقاط عشرين ألف دينار من الإتاوة المقررة ، وأعطاني شروانشاه عن حق الكتابة ألف دينار .

(١) في الأصل : رأس خيل تركية .

(٢) في الأصل : يليها .

ذكر مسير السلطان صوب مدينة لورى

من بلاد الكرج

لما كان السلطان مقبلاً بموقان عند انصرافه من أذربيجان ، نهض كرج
أبه ككخان فى عسكره وطوائف من الوثائق المتفرقة وافقته فى نهضته
بغير إذن من أربابها ولا مشورة ، فساق إلى بلد لورى فأغار عليها ونهب ،
وجمع الغارات وكسب . فلما وصل بها إلى بحيرة بتاخ ، بات بعضهم غربى
البحيرة ، وامتد البعض إلى شرقها ، فكبس الكرج من بغريتها ليلاً فقتل
وأسر . وكان فيهم إزبه طين فلم يعرف له خبر ، ولم يوجد فى القتلى ، وسلم
من بشرقها فرجع بالغارات ، وغازى السلطان ما تم على عسكره من الكرج ،
بعد أن رضوا بأن يسلموا فى دورهم ، بمنابت شعورهم .

وورد الخبر عقيب ذلك بأن الملكة والإيوانى قد جمعا ، ووافاهم نجد الكز
والآلان^(١) والسون^(٢) ، فصاروا فى أربعين ألفاً أو يزيدون ، وقد ملئوا
بما حولهم من أحطاب السعير وأوشاب^(٣) النفير سروراً ، وما كان يعدهم
الشیطان إلا غروراً . فركب السلطان للوقت ، وخرج من محط الأتقال
والرحال ، وطارى إليه الخيول زرافات ووحدانا ، إلى أن كثر سواده
أنصاراً وأعواناً . فساق إليهم ، فلما قارب البحيرة المذكورة تلاقى^(٤)
اليزكان^(٥) ، وانهزم يرك الكرج ، وأتى نصر الله بالفتح^(٦) ، وحضر منهم جماعة
فأمر بضرب رقابهم ، وركب طالبا للعسكر وطاروا بأجنحة الفرار كالبعثات

(١) تكتب أيضاً « اللان » . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٠٧ .

(٢) الكز والآن والسون قبائل كانت تسكن بالقرب من مدينة دربند .

(٣) أوشاب : أخلاط . (٤) فى الأصل : تلاقا .

(٥) راجع صفحة ١٦٢ حاشية ٢ . (٦) فى الأصل : بالغالج .

أحسّت باللبّاة تحوم، أو العقبان عن مراقبتها تقوم . فتبددوا بدداً، وتشعبوا^(١) طرائق قددا^(٢) . وركب الطلب أكتافهم يؤزّونهم^(٣) إلى أن يشقّفهم^(٤) ، ولحق بعضهم أثقال إيوانى فأخذها غنيمة .

ودلف السلطان صوب لورى، فنزل بظاها، وراسل من بها من الكرج مهدداً، وبحصارها موعداً . فطالبهم بإطلاق من أسر ليلة البحيرة من الأتراك، فأطلق ما خلا إزبه طابن - وكان السلطان يعتقد أنه أيضاً في جملة المأسورين لما بلغه من إحاطة الكرج بهم حيث لا خلاص - فألح في مطالبتهم به ، إذ كان المذكور لم يوجد في القتلى، وتكررت المطالبات في ذلك إلى أن حلفوا له إيماناً تغلظ عندهم أن ليس عندهم من الخوارزمية أسير. وذكروا أن الخوارزمية لما أحيط بهم قتل من قتل^(٥) ، وأسر من أسر، ولم يبق منهم إلا شخص واحد نثل كنانته^(٦) ، وأسند ظهره إلى حجر ، فمن قصده من الكرج رماه فأصماه حتى قتل منهم ثلاثة فرجعوا إذ ذاك عنه وتركوه ، فكان الأمر كما ذكر . والمذكور الموصوف إزبه طابن ، لما أحاطوا به ولم يقدرُوا عليه ، مشى مترجلاً صوب أذربيجان في غير جادة^(٧) ، حتى وصل إلى حدود بجنى ، وهى قلعة من قلاع أولك بن إيوانى الكرجى ، وجد هناك غنماً راغية ، فقتل الراعى وساق الغنم إلى واد ، فذبح منها رأساً وشوى وتزوّد ، ووصل إلى نخبجوان سالماً ، وأقام بها إلى أن توجه إليها عند قصده حصار خللاط ، والتقى مواكبه ، وشرح صورة الحال في خلاصه حسب ما ذكره الكرج من غير تفاوت .

(١) فى الأصل : تشعبوا . وتشعبوا ، أى صاروا شعباً .

(٢) قددا ، جمع قدة : الفرقة من الناس . وطرائق قددا : فرقا غنظقة الأهواء .

(٣) يؤزّونهم : يغرّونهم . (٤) ثقّفه : طمنه .

(٥) فى الأصل : أحيطوا بهم فقتل من قتل .

(٦) نثل كنانته : استخرج نبأها فنثرها .

(٧) الجادة : الطريق .

ذكر حصار السلطان قلاع بهرام الكرجي

لما كان السلطان بالعراق، أصاب نواحي كنجة من تعدى بهرام الكرجي ضرر عظيم، وكثرت منه الشكاوى عند عود السلطان إليها، فركب إليه في الطم والرم^(١)، والليل المدلم. وتفرقت العساكر بيوتها وأثقالها في نواحي ولاياته، تنهب وتحرق، وتقتل وتفرق، واستخرجت خباياهم ودقاتهم، واستنزلهم عن عصم الجبال، وقن الرواسي والقلال^(٢).

وزحف السلطان على قلعة «شكان» ففتحها عنوة واقتداراً، وأضرم بها على الكفر نارا، ورحل عنها إلى قلعة «عليا باذ» وكانت للملكة تمسهاها^(٣) بليكور^(٤). فعجل افتتاحها، وأذل جماعها، فقتل أهلها واستباحها. ثم أتى قلعتي كاك وكوارين، فحاصرها ثلاثة أشهر، وضاق الحال بالكرج وطلبوا المودعة على مال يحملونه عاجلا، وترددت الرسل في ذلك فتسلم المال ورحل، حرصا على خلاط.

(١) الطم : البحر . ويقال جاء بالطم والرم أى بالمال الكثير .

(٢) القلة : أعلى الجبل . والفنة : أعلى الجبل، مثل القلة .

(٣) أوتما Thamtha ، ومى ابنة ليوانى . انظر Brosset : Op. cit., t. I, p. 250

(٤) لا شك أن هذا الاسم محرف عن بكتمر . انظر ابن الأثير ، ج ١١ ص ٢٣٢ .

ذكر قبض السلطان على اختيار الدين أستاذ الدار^(١)

قد سبق ذكر الجلال الزرّاد ، وانفصاله من الزردخانا^(٢) السلطانية ببلاد الهند ، ثم عودته إلى الخدمة بعد عبور السلطان نهر السند خاسراً ، وعما يستر به ظاهر حاله حاسراً ، بما ذكرناه من الملبوس والمأكل عند مساس الحاجة وشدة الافتقار ، وأن السلطان ولأه أستاذية الدار ، وتلقب باختيار الدين ، فخطى بالقبول ، وارتفع عن الخول . ومن وظيفة أستاذ الدار عندهم أن يحولوا إليه من وجوه الأموال من الخزائن والثروات من البلاد قدر ما معلوما ، ثم يصرف عنه ويطلق في رواتب الخسائر والمطابخ والاصطبلات وجرايات الحاشية وجامكياتهم^(٣) وغيرها ، بوصولات مكمله العلام ، فيأخذ علامة الوزير والمستوفي^(٤) . والمشرف^(٥) . والنظر^(٦) وعلامة العارض أيضاً فيما يتعلق بالحاشية دون البيوت وعلامتهم نوابهم جميعاً . فتصير اثنتي عشرة علامة من علامات أصحاب المناصب ونوابهم . فكانت الأموال تحول إلى المذكور من حيث ملك السلطان العراق منضمها إليها^(٧) سائر المال على أخيه^(٨) في سنة إحدى وعشرين وستمائة إلى سنة أربع وعشرين

(١) راجع صفحة ١٦١ حاشية ٤ (٢) راجع صفحة ١٦١ حاشية ١ .

(٣) الجامكيات : الرواتب بصفة عامة . انظر المقرئى : السلوك ج ١ قسم ١ ص ٥٢ ، حاشية ٢ .

(٤) راجع صفحة ١٨٣ حاشية ٥ .

(٤) للمشرف هو الذى يتولى مراقبة الأمور المالية عامة في جهة معينة من قبل السلطان أو

الأمير . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ١٢٧ ، حاشية ١ .

(٦) كان النظر في الدولة الاسلامية بصفة عامة ، يعاونون الوزراء في أعمالهم ، وقد تنوعت ألقابهم بحسب الأعمال التى وكلت اليهم . فنظر الجيش هو الذى يتحدث في أموال الجيوش وينظر في حسابها ، ونظر الخاس هو الذى ينظر في خاس أموال السلطان ، ونظر الدولة يشارك الوزير في التصرف عامة والنظر في المالية وأرزاق أصحاب القلم من الموظفين خاصة . انظر المقرئى :

السلوك ج ١ قسم ١ ص ٥٣ ، حاشية ٤ .

(٧) في الأصل : متضمنة لها .

(٨) في الأصل : اجبه . والمقصود هنا غياث الدين بن علاء الدين محمد خوارزم شاه .

وستاته، ولم يسترفع له حساب . ومهما ^(١) حضر إلى الديوان وذكر أن لم يبق عنده شيء حوّل إليه جملة أخرى، إلى أن حاصر السلطان نالاع بهرام الكرّجى أمر باسترفاع حسابه ، فجاءت البواق عليه مائة وخمسين ^(٢) ألف دينار . وحين طولب بها وعلم أن الأمر أمر ، وأن لا يقبل له دون الأداء عذر ، زعم أنه برطل إلى الوزير وسائر أرباب المناصب منها ستين ألف دينار تنجزاً لقضاء شغله في تحويل المال إليه ، وعين باسم كل واحد منهم قدراً معلوماً . وما كان فيهم من لم يتلوّث بذلك إلا صاحب الديوان شمس الدين محمد المعروف بموى دراز ^(٣) ، إذ كان المذكور مهذباً بالتجارب ، ناظر في العواقب ، سليم اللسان والقلم ، بعيد القدم عن مخاضات التهم . وقد خدم ديوان السلطان الكبير ^(٤) محرراً ثم نائباً للمستوفي ، ثم مستوفياً ، وسائر الجماعة كانوا أحياناً مجددين فسادوا بخلو الديار غير مسودين . فلما سمعوا بالرفعة عليهم خوّفوا أستاذ الدار وهددوا ، وأبرقوا وأرعدوا ، فلم يزد ^(٥) على إصراره ، ليحرقهم بناره . فحين آيسهم رجوعه عن ذلك ، انفقوا على إسقاط ستين ألف دينار من الجملة الباقية ، فأسقطوها ، وأنهوا إلى السلطان أن الذى يبق عليه مبلغ تسعين ألفاً ^(٦) . وأمر بالقبض عليه والمطالبة بالمال . واعتصم المذكور بالإفلاس ، ولجأ إلى خلو الأكياس ، وأحضر من موجوده سبعة وعشرين مملوكاً، واثنين وعشرين جارية، وخيلاً وجنّالاً . ولم يوجد له غير ذلك ، إذ كان مسرفاً في الإنفاق ، مبذراً في البذل والإطلاق .

وكنت بسرمارى ، وقد عبر عليها في مضيه إلى أبخاز ، فأنزل بدار في محلّتها حمّام ، وانفق أن شرف الدين أزرده صاحبها نزل الحمام بقربه ، ففسّير

(١) قرأها هوداس في النسخة الخطية «مما» ثم عدلها خطأ في الطبعة الفرنسية إلى «مهمى» .

(٢) في الأصل : خمسون .

(٣) في الأصل : موى دراي . أما «موى دراز» فعبارة تركية معناها ذو الشعر الطويل .

(٤) موى : شعر ، دراز : طويل .

(٥) أى علاء الدين محمد خوارزم شاه . والد جلال الدين منكبرتي .

(٦) في الأصل : فلم يرد . (٦) في الأصل : تسعون ألفاً .

إليه أستاذ الدار قيصا وسراويل^(١)، وقباء^(٢)، وككة، وفرجية زركش.
وحياصة ذهب، وفرسابالساخت والسرفسار والطوق^(٣). فلبسها أزره
ونظائرها له كثيرة، وفي باب المهرج معدود^(٤)، إذ كان بماله يهود فلما
طولب بالباقي وهدد بالعصر، عمد إلى حلقة بسكينة كادت تهلكه، لولا أن
المتوكل به مسك يده فرده، وأنهى إلى السلطان ذلك فأطلقه وأطلق له ذلك
وقال: هذا مجنون لا يصلح للشغل. وهدرت الأموال، وولى السلطان مكانه
في أستاذية الدار شهاب الدين مسعود بن نظام الملك محمد بن صالح، وكان
أهلاً له فعارض أولئك بزناد شجاع لا تقضى على اقتداح^(٥)، ولا يورى بسباح
ولانجاح، فتولاها في السنة المذكورة إلى منقرض الدولة.

(١) في الأصل: سراويل.
(٢) في الأصل: قباء.
(٣) راجع صفحة ٧٧ حاشية ٦.
(٤) في الأصل: معدوداً.
(٥) في الأصل: بزناد شجاع يقضى على اقتداح.

ذكر مسير السلطان إلى نخجوان

وتسيير الأتقال بمعظم العسكر صوب خلاط
على طريق قاقزوان^(١)

لما قضى السلطان وطره من تفريق الكرج وبث سوادهم ، وإلجائهم^(٢)
إلى أقاصى بلادهم ، واستخلاص من بلورى من الأسمى ، وجه الأتقال صوب
خلاط على طريق قاقزوان ، وتقدم إلى الخانات والأمراء بالمسير معها ،
على طمأنينة ، ونشرها صوب خلاط على هيئة ، وتوجه بنفسه صوب نخجوان
وحدث السير حتى سبق خبره إلى ناحيه بجنى ، وكمن بها ليلا في بعض الشعاب^(٣)
ومعه زهاء ألف فارس من خواص مماليكه وحجابه ، وشرف الملك في الصحبة ،
حتى إذا أصبحت الرعية فأخرجت مواشيهم ، ضرب عليها وساقها إلى نخجوان ،
فكان الثور الجيد يباع بدينار .

وكان سبب مسيره [جلال الدين] إلى نخجوان رغبة صاحبها في مناكحته ،
فتزوجها وأقام بها أياما إلى أن قضى أشغال خراسان والعراق ومازندران .
فإن أصحاب دواوين هذه الأطراف المذكورة ، وأرباب مناصبها المشهورة ،
وذوى ظلاماتها كانوا يجتمعون بالباب . وعلم السلطان أنه إذا حاصر خلاط ،
تنقطع الطرق فلم يقدر على العود ، فأمر بقضاء أشغالهم ، وردم إلى ديارهم
وأعمالهم ، وبرز المرسوم بالتواقيع فسكرتبتهم . وقد حصل لى في ذلك
النهار من منافع الكتابة ألف دينار وكمر ، وأما مادون ذلك في سائر
الأيام فمادة لا تنقطع .

(١) كذا في الأصل ولعلها « الفآقزان » ، ومى ثمر من نواحي قزوين . انظر ياقوت :

معجم البلدان ، ج ٧ ص ١٦ .

(٢) في الأصل : إلجام . (٣) الشعاب : الطرق في الجبال .

نعم ، وكنا بنخرجوان إذ ورد على^١ من أخبرني بوصول حسام الدين صاحب سرمارى إلى مرج نخجوان، وكانت الصداقة بيننا قد تأكدت على تضاير الزمان ، واختلاف الحدثان ، فتحيرت حين سمعت بقدومه ، ومخاطرته نفسه في هجومه ، لعلى بغیظ شرف الملك عليه ، لما سبق له من الاتفاق مع الخاجب على كبسه وإزالة الحشمة ، وإضاعة الحق والحرمة ، وظفرفه دون أصحاب الخاجب بآلات مجلسه وهى جملة طائلة . وما كنت أخشى عليه من جهة السلطان خشيتى عليه من شرف الملك ، إذ كان السلطان أطوع شكيمة ، وألين عريكة منه . فأشرت على المذكور بالتوقف ببيع تلك القرى ريثما أصلح حاله مع شرف الملك فأزيل شماسه، وأدبر بالتزام بعض ما أخذ منه راسه . فدخلت عليه ولم أخبره بوضوله ، بل أريته أنه كاتبنى ملتصا لإصلاح الحال ، يصدر من المال ، إلى أن رضى أن يغرم خمسة آلاف دينار عن المجلس المنهوب ، ثم يرد الباب آمنا . واستحلفت شرف الملك على تجريد العناية فى حقه إذا حضر ، والتناسى عما جرى له من الزلة ، وإزالة مائت فى قلب السلطان منه من الوحشة . فحلف بجميع ذلك ، ثم أعلسته بوضوله وقربه فضحك ، وقال : خدعتنى . ثم أمر خواصه وحجابه بإسقباله فاستقبلوه صحبتي ، وصلحت حال حسام الدين^(١) وتجردت عنايته فى حقه ، ووفى^(٢) له بجميع ما ضمن عني .

(١) فى الأصل : وصلحت حسام الدين . (٢) فى الأصل : ووفى .

ذكر مسير السلطان إلى خلاط وحصارها

واستيلائه عليها^(١).

كانت العساكر مبيتة السلطان إلى تخومها ، وأقامت على مسيرة يوم منها ، إلى أن عاد السلطان من نخجوان واتصل بهم . ثم ورد عليه رسول من عز الدين أيبك — وكان نائب الملك الأشرف موسى بها ، وقبض على الحاجب علي* — وكان الرسول شيخا تركيا عاقلا غاب عن اسمه . وكانت زبدة الرسالة الخضوع والطاعة ، وبذل النفس بلسان الضراعة ، وأن الملك الأشرف ما أمره بالقبض على الحاجب إلا لإساءته الأدب مع السلطان والتخطي إلى بلاده ، من غير أمر صدر إليه . وهاهو الآن قدولاني خلاط مأمورا بطاعة السلطان واتباع مراده ، معدودا في جملة أعوانه وأنجاده ، أسوة بسائر^(٢) أجناده بعامة بلاده . وبالحق في ملاطفته واستعطافه ليرده عن إلحاحه وإلحافه ، فلم يزد على جواب^(٣) مغالط مدافع ، وعما عزم عليه غير راجع . وقال في جملة ما قال : إنك إن أردت مرضاتي فابعث إلى* الحاجب عليا . فلما وصل الرسول بهذا الجواب قتل الحاجب علي ، ورحل السلطان فنزل على خلاط وحاصرهما ، ونصب عليها اثني عشر من جنده ، كانت العمالة منها ثمانية .

(١) كان جلال الدين منكبرتي قد عمد إلى الاستيلاء على مدينة خلاط من صاحبها الملك الأشرف بن الملك العادل أيوب ، منتهزا فرصة ذلك الشقاق الذي ساد البيت الأيوبي في ذلك الوقت . فقد وقع خلاف بين ثلاثة من أمراء الدولة الأيوبية من أبناء الملك العادل أيوب ، وهم الكامل محمد صاحب مصر ، والأشرف موسى صاحب بلاد الجزيرة وخلاط وميفارقين ، والمظفر عيسى صاحب دمشق وبيت المقدس وطبرية وما جاورها . فقد سار الأشرف لزيارة أخيه الكامل في مصر دون أن يصحب أخاه المظفر معه ، فظن المظفر أن أخاه يرى من وراء هذه الزيارة إلى تكوين حلف ضده . لذلك لم يأل جهدا في الكيد لأخويه بمهاجمة أملاكهما تارة وبثأليب بعض الحكام عليهما تارة أخرى . فأرسل إلى جلال الدين يعرض عليه تكوين حلف منهما يكون هدفه الأول الاستيلاء على مدينة خلاط ، وهي من أملاك الأشرف موسى . وقد صادف ذلك قبولا حسنا لدى جلال الدين وأرسل الهدايا إلى المظفر في دمشق ، كما اعتر المظفر بذلك الحلف إلى درجة أنه أصبح لا يقسم إلا برأس جلال الدين . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٣ — ٢١٤ .

وانظر أيضاً D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 18.,

(٢) في الأصل : أسوة ساير . (٣) في الأصل : فلم يزد إلا على جواب .

ذكر الحوادث مدة حصار خلاط

منها أن الاصفهيد^(١) نصره الدين صاحب الجبل كان قد زوج أوترخان بأخت له لأب . فكان المذكور أعم الخانات منزلة عند السلطان في هذا الوقت ، فركن الاصفهيد إلى هذه المصاهرة ، ووثق بأوترخان ، وقصد الخدمة اقتداء بشروانشاه وحذوا على منواله ، راجيا أن تشمله من العناية السلطانية ماشمل ذلك . فلما حضر وقدم التقايم ، وأكثرها الجواهر الثمينة ، مال عنه أوترخان إلى شقيق خليلته^(٢) ، وحمل السلطان على قبضه وإقامة شقيقها مقامه ففعل . وقيد الاصفهيد وهتك حرمة ، وانتهت نعمته ، وبقي زمانا محبوسا إلى أن من الله عليه بالإطلاق عند عود السلطان من الروم منهزما ، ووجدت^(٣) مواد خدمة أخيه ناقصة عن المعهود ، بل منقطعة ، فاطلق ، فعاد إلى بلاده وملكها على أخيه في أسرع وقت .

وقد بعث السلطان إليه وهو محبوس بظاهر خلاط ، إذ كان قد استدعى على لسان المتوكل به ثقة من أصحاب السلطان يث إليه سرا ، فلما حضرته أخذ يشكو ما يقاسيه من شدة الحبس وثقل القيد ، وينتجز ما بينه وبين السلطان من جميل الوعد . ثم عد على ما أخذه أوترخان منه من الأموال والجواهر ، على أنه يحملها إلى السلطان ساعيا في خلاصه ولم يحمل . فأعدت حديثه على السلطان ، ورقت عليه قلبه ، ووجدته نادما على ما صدر منه من إخفار^(٤) ذمته ، وهتك حرمة ، لأنما لمن أشار عليه بذلك . وعلمت حينئذ أن خلاصه قريب ، وعرفته ذلك .

ومنها أن خان سلطان ، أكبر بنات السلطان محمد ، كانت أسرت حين

(١) أي مقدم الحياة .

(٢) في الأصل : خليلته . وحيثه أي زوجته .

(٣) في الأصل : وجدت .

(٤) في الأصل : اختار . وأخفاه : قطن عهده وغدر .

أمرت تركان خانون ، واستنصها دوشي خان^(١) لنفسه واستولدها ، ثم مات دوشي خان فكانت تنهى إلى أخيها السلطان أخبر التاتار ومتجدداتهم وأحوالهم . فسيرت والسلطان محاصر خلاط خاتما من خواتيم والدهما فيه فص فيروزج منقوش عليه اسم السلطان محمد ، علامة مع القاصد الوارد من جهتها ، تعرف أخاها أن الخاقان قد أمر بتعليم أولادها القرآن ، وقد بلغه أخبار شوكتك وسكتك ، واتساع باعك ، وبسطة رباعك^(٢) ، فعزم على مصاهرتك والمهادنة معك ، على أن يشاطر الملك على نهر جيحون ، فيكون لك مادونه وله ماوراءه . فإن كنت تجد من قوتك ما يقاومهم فتنتقم ، وقالهم تحظفر ، فشأنك وما أردت ، وإلا فاعتم المسألة حال رغبتهم فيها . فتشغل عنها بخلاط وتغافل ، فلم يعود لها جوابا يتضمن صوابا ، ويفتح للصالح بابا ولا كلاما يقضى صلاحا ، ويشمر نجاحا .

مكتازكة يبيضها بالعراء وملبسة يبيض أخرى بجنناح^(٣)

ومنها قدوم ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب أرزن الروم الحضرة السلطانية . ومن قبل كان يخطب للملك الأشرف معلنا بطاعته وولائه ، موافقا للحاجب على عداوته للدولة وبغضائه^(٤) ، كل ذلك عنادا لابن عمه علاء الدين كيقباز بن كيتخرو صاحب الروم . وكانت قد سبقته في الدولة الجلالية ذنوب كان يحذر عواقبها من إنجاده الحاجب علما على شرف الملك ومنعه التجار أن يصلوا إلى المعسكر السلطاني وقتله السيد المرشد رسول السلطان عائدا من الروم . فلما رأى أن الدولة قد انتشر شعاعها ، واتسع باعها ، وأن خلاط قد أشرفت على الأخذ ، راسل السلطان في طلب الأمان ، فأعاد رسوله وحقق بالنجح مأموله .

(١) هو جوجي بن جنكيزخان . (٢) الرباع : الديار ، كناية عن سعة الملك .

(٣) البيت لابن هرمة .

(٤) في الأصل : موافقا للحاجب على عداوته للدولة وبغضا به .

وكان الوارد شمس الدين الحكيم البغدادى ذا ظرف وفكاهة ، وأدب
وبداهة ، وقد أنشدنى أبياتا ذكر أنها من شعره وهى :

ولائمة لى فى الغلام عسوفة يزيد على مر الزمان ملامها
تفندنى فى عشق من كلما رنا ^(١) بغنج لحاظ لم يفتنى سهامها
إذا لسبت ^(٢) قلبى عقارب صدغه وبل بنفسى فى هواه غرامها
فترياقها من ريقه البارد الذى يزول به تعذيبها وحامها
تقول وقد أبدت قطوبا وغيره وقام على ساق العناد خصامها
إليك فقد أغضبت كل خريدة منهمة الأطراف حلو لثامها
فأنشدتها والقلب عنها مشرد ونفسى فى كف الحبيب زمامها
إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا ^(٣) على لثامها

وقدم ركن الدين فأمر السلطان شرف الملك بالتقائه مسيرة يوم فى
أصحاب الديوان ، فالتقاه وبات عنده بالمنزلة حافة بحيرة نازوك ، وهى بين
خلاط ومنازجرد ^(٤) ، وجمعهما مجلس الشراب تلك الليلة بخيمة ركن الدين ،
فقدم لشرف الملك حين طابا ، من التقاديم ما يذيق على عشرة آلاف دينار .
والتقاه الخانات يوم وصوله إلى خلاط على مراتبهم ، ووقف السلطان له
فى الميدان تحت الجتر ^(٥) ، فلما دخل جهانشاه الميدان نزل وقبّل الأرض ،
وتخطى عدة خطوات راجلا ، ثم التقاه الحاجب الخاص بدر الدين طوطق
ابن أيناى خان يأمره عن السلطان بالركوب . فركب وأخذ يخدم إلى أن
وصل ، فعانقه السلطان وقبّل جهانشاه يده ، وأشار السلطان إليه بالوقوف
تحت الجتر فوقف عن يمينه ، وتداعت إذ ذاك دعائم الجتر وقضبانها التى تنشر

(١) فى الأصل: رنى . (٢) لسبت : لدغت .

(٣) فى الأصل : غضبان .

(٤) ويقال لها أيضا مناز كرد وملازجرد ومنزىكرت ، ونقع بين خلاط وبلاد الروم وتمتد فى
أرمينية وأهلها أرمن وروم . انظر ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ١٦٤ .

(٥) الجتر : المظلة ، راجع ص ٥٤ حاشية . ويتعدى استعمال هذا اللفظ أيضا إلى
ما يعرف بالسرادق .

عليها وتساقطت، وتطير الناس لذلك فكان طائرهم عليهما، وصار اجتماعهما سبب هلاكهما ، على مايجيء شرحه .

ثم إن جهانشاه أقام في الخدمة أياما ، واستأنس السلطان به ، وخلع على أصحابه الخواص مائتي خلة، ثمانية عشرة^(١) خلة منها بالساخت والسرفسار والطوق^(٢) . وأذن له في العود إلى بلاده ، وأمر أن يسير إلى خلاط ما يقدر عليه من آلات الحصار، فسير منجنيقا كبيرا سموه «قرا بغرا» وسير تروسا^(٣) وجنويات^(٤) ونشأبا كثيرا .

ومنها موت ابن السلطان قيمقار شاه ، وكانت التي قد قامت عنه أخت شهاب الدين سليمان شاه ملك الأيوية . وسبب زواج السلطان بها أنه لما رجع من بغداد سنة إحدى وعشرين وستائة ، بعد شن الغارات على نواحيها على ما سبق ذكره ، وصل إلى قلعة المذكور متجردا عن حرمة ، فنزل بظاهرها ، وسير إليه يطلب منه جارية تصلح لفراشه ، وكانت الرسالة على لسان خادم يعرف بسراج الدين محفوظ ، فعاد بالجواب أنه يقول : ليس عندي من تصلح لفراش السلطان إلا كريمة . وكان رحمه الله نكوحا لا يقف عند ذلك في قيد الكفاة ، فأجاب إلى المناكحة وسلمت إليه تلك الليلة . ورحل السلطان وخلفها هناك ، ووصل خادمها بعد مدة مخبرا بأنها

(١) في الأصل : ثمانية عشر . (٢) راجع صفحة ٧٧ حاشية ٦ .

(٣) الترس : صفحة من القولاذ مستديرة تحمل في اليد ، يتلقى بها ضربة السيف ونحوه . وقد افطن المسلمون في صنع الأتراس ، ونقشوا عليها الآيات والحكم والأشعار ؛ وقد تميزت أتراس كل بلد بشكلا خاص ، فمنها الترس الدمشقي والعراقي والفرنطلي وغيرها . انظر كتاب السلاح في الاسلام للقاء مقام عبد الرحمن زكي ، ص ١٦ .

(٤) قرأها هوداس خطأ عن النسخة الخطية « حنويات » . أما الجنويات فجمع جنوية وتطلق على نوع من الحسك ، وهو عبارة عن قطعة من الحديد ذات شعب تطرح حول المسكرات أو أمام الخيل لمرقلتها . انظر كتاب السلاح في الاسلام للقاء مقام عبد الرحمن زكي ، ص ٢١ ، ٢٢ . وقد ترجم كترمير Quatremère هذه الكلمة إلى civière أى القالة التي تستخدم لنقل الجرحى والموتى ، كما ترجمها دوزي Dozy إلى palissade أى السياج الذي يعمل من مخارق الحشب . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٧٥٧ حاشية ٢ .

خجلت تلك الليلة ، فاستحضرها السلطان وولدت قيمقارشاه ، وعاش ثلاث سنين . وكان ذكيا ظريفا محبوبا ، ومات بظاهر خلط ، واتهمت داية بنت السلطان التي قامت عنها بنت صاحب فارس أنها سقته فأوبقته ^(١) ، والله أعلم بذلك .

ومنها موت دوش خان بن أخش ملك . وكان أخش ملك ابن خال السلطان ثبت في المصاف بظاهر أصفهان حتى استشهد ، ورث السلطان دوش خان تربية الوالد لولده ، والناس كانوا يعتقدون أنه ولد السلطان زغما منهم بأن السلطان وهب أمه لأخش المذكور ، فولدت دوش ، لدون تسعة أشهر . وبالجملة كان السلطان يفضله ^(٢) على أولاده ، ويقدمه ^(٣) عليهم في كل ما يدل على العناية والشفقة ، فرض بظاهر خلط ومات ، ورفض السلطان في مصيئته الناموس ، ورأيت أنه قد خرج من مزادقه ودخل الخيمة التي فيها التابوت . ومنها ورود سعد الدين الحاجب رسولا من الديوان العزيز ^(٤) في عدة ملتمسات إذا قفنت وفق مراده يستصحب من أجلاء أصحاب السلطان وخوخاص حضرته من له خبرة بمراتب أرباب المناصب ليعاد بالخلع . فكان من جملة التماساتهم ^(٥) أن السلطان لا يحكم على بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ومظفر الدين ككبرى ^(٦) صاحب إربل ، وشهاب الدين سليمان شاه ملك الأتوية ، وعامد الدين بهلوان بن هزارسف ملك الجبال ، بل يعدهم في أولياء الديوان وأتباعه وأشياعه .

ومن جعلتها أن السلطان الكبير ^(٧) لما رجع من جبال همذان ولم يتم له ملأواه من قصص بغداد ، أسقط خطبة الخليفة بعامة بمالكه واستمر الحال على ذلك ، فكان الخطباء بأران وأذربيجان والممالك

(١) أوبقته : أهلكته . (٢) في الأصل : تفضله .

(٣) في الأصل : تقدمه . (٤) أي ديوان الخلافة .

(٥) في الأصل : التماساتهم .

(٦) يكتب هنا الاسم أيضا كوكبرى . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٩٤ .

(٧) علاء الدين محمد خوارزم شاه ، والد جلال الدين منكبرتي .

لمستجدة في هذا الوقت لا يذكرون^(١) الخليفة داعين لآيامه جرياً على العادة، إذ كانت مما تملكها السلطان بعد والده . وأهل سائر الممالك القديمة استمروا على تركها كما أمروا ، والسلطان قد شغلته الشواغل عن ذلك ، فلما خاطبه رسول الديوان فيه ، أصدر تواقيعه إلى عامة بلاد الممالك بالدعاء للإمام أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين رضوان الله عليه وعلى آبائه الراشدين .

فلما انقضت الأشغال وفق مراده ، وأجابه السلطان إلى إعادة الخطبة إلى معهود العادة في الأزمنة المتقدمة ، وعدّ أولئك المذكورين في جملة الأولياء ، أحسبه الحاجب بدر الدين طوطق بن أينانج خان ، وكان عديم المثل في الترك ذا دهاء وظرف ، وكياسة ولطف ، وجودة خط ، ومعرفة بالشعر العجمي ، والتميز بين الجيد والردى ، وخبرة بقوانين الحجوية وآدابها ، على صغره وحداثة سنه وربعمان^(٢) عمره . وأمرني السلطان بتذكرة أكتبها بين يديه إلى المواقف الشريفة مشتملة على عدة فصول . فكان آخر فصل منها التماس إحضار الحاجب الخاص لدى المواقف الشريفة تمييزاً له عن سائر الملوك بمزيد الإكرام ، ومزية الاحترام ، فأجيب إلى ذلك .

وحدثني الحاجب الخاص [قال] : وكان السلطان وصاني إذا حضرت الديوان لأقبل^(٣) يد الوزير مؤيد الدين القمي^(٤) ولا أوفه^(٥) حق التعظيم ، لأمور كان ينقمها عليه^(٦) ، ففعلت ذلك أمثالاً لما أمر . فلما مضت أيام ،

(١) في الأصل : في هذا الوقت يذكرون .

(٢) في الأصل : ربعمان . (٣) في الأصل : لم أقبل .

(٤) ولد مؤيد الدين القمي في مدينة قم إحدى مدن العراق العجمي ، ونشأ في بغداد وتوفي بها . وقد تولى الوزارة في عهد الخلفاء العباسيين الناصر والظاهر والمستنصر ، وتوفي سنة ٦٢٩هـ (١٢٣١م) في عهد الأخير . انظر ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية ، ٢٨٥ — ٢٨٧ .

(٥) في الأصل : ولم أوفه . (٦) في الأصل : تنقمها .

إذا^(١) بحراقة^(٢) في بعض العشيات وصلت إلى منزلي بحافة دجلة ، وإذا بسعد الدين بن الحاجب قد دخل وقال : استعد بخدمة أمير المؤمنين ، فركبت الحراقة وركبها سعد الدين معي . ثم إنه كلم^(٣) الملاح بكلمات غريبة لم أفهمها ، وقفز من الحراقة إلى حراقة أخرى غيرها وتركني متفرداً فيها ، فسألته عن ذلك ، فقال : ما كنت أعرف أن تلك من المراكب الخاصة وقد سيروها لك تشريفاً . فقممت ، وخدمت ، وشكرت ، ودعوت . وسقنا إلى أن وصلنا إلى باب كبير فدخلت ، وتأخر سعد الدين ولم يتعد من هناك ، فقلت له : هلا تدخّل معي ؟ فقال : وما منا إلا له مقام معلوم ، ليس لي أن أتعدى هذا المقام . وكان خلف الباب خادم فأوصلني إلى باب آخر ، ودق الباب ففتح ودخلت ، وإذا أنا بخادم شيخ جالس على دكة فصالحني ، وكان بين يديه مصحف وشمعة ، فأجلسني ورحب بي^(٤) إلى أن جاء خادم آخر أبيض لطيف حسن الصورة ، فصالحني ولاطفني بالعجمي ، ثم أخذ بيدي يمشي ويقول : ليس يخفى عليك أن الذي يريد تحضر بين يديه ، من هو ، وجلالة المقام وعظمته ، مستغنية عن الوصف . فانظر ماذا تعمل من حسن أدبك في خدمة المواقف الشريفة ، وتقبل الأرض حيث أشرت إليك . وما كان يحمله على هذه المبالغة في الوصية إلا ما بلغهم من إخلالي بشرايط الخدمة في الديوان . فقلت : لا تستجهلني ، فإنني وإن كنت رجلاً تركياً أعرف مواضع الخدمة ومحالها ، وأميّز مكان التواضع عن محل الترفع ، فلو عفرت وجهي في التراب على العتبات الشريفة ألف مرة لم أعد روجي

(١) في الأصل : فاذا .

(٢) الحراقة : مركب حربي قديم كان يستعمل في حمل الأسلحة النارية كالنار الاغريقية ، وبها مدافع خاصة تغذّب النيران ، وقد حلت محله اليوم المدمة ، وجمعها حراريق . وكانت تستخدم في مصر لحمل الأمراء ورجال الدولة في التنقلات النهرية ، كما حرفت في نهر دجلة . انظر كتاب السلاح في الاسلام للقائم مقام عبد الرحمن زكي ص ٢١ ، وانظر أيضاً المقرري : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٣٠٦ حاشية ٣ .

(٣) في الأصل : تكلم . (٤) في الأصل : ترحب بي .

إلا من المقصرين في الخدمة ، إذ عاجل فوائدها الدرجات الفاخرة ، وآجلها الفوز في الآخرة . قال فاستحسن كلامي وأثنى علي .

فلما طلعنا الدرجة وصاغت عيني الستر الأسود^(١) ، قبلت الأرض قبل أن ينبني عليه ، فآثني الخادم علي ، ورأيت بستاناً من كثرة الشموع ، كأنه في الليلة الظلماء عكس الفلك في الماء ، ورأيت الوزير واقفاً حذاء الستر ، والستر مرخي ، وجاء خادم فرقع الستر فكنت أمشي وأقبل الأرض إلى أن قاربت الوزير ووقفت^(٢) ، فإذا أمير المؤمنين جالس على سرير ، فكلّم الوزير بكلمة عربية ، فتقدم خطوات وأشار إليّ بالوقوف حيث كان هو واقفاً^(٣) أولاً ، فتقدمت وقبلت الأرض ووقفت موقفه . ثم قال أمير المؤمنين : كيف الجناب العالي الشاهنشاهي ؟ يعني السلطان . وهكذا كان خطابه للسلطان في السكتب إذ ذاك . فقبلت الأرض ، وأردف ذلك بكلمات تنبي عن المواعيد الجميلة ، وشمول العنايةات أحوال السلطان ، وأنه يريد تقديمه على سائر ملوك زمانه ، وسلاطين أوانه . فلم أزد في جواب ذلك على تقبيل الأرض . ثم علم علي كتاب العهد الذي كتب للسلطان وناولني الوزير ، فوضعت على رأسي وقبلت الأرض ورجعت .

نعم وخلع علي المذكور خلعة سنّية ، ووصل علي ما قبل بعشرة آلاف دينار ، ولمكني لم أسمعها منه . وأصحب بالأمير ملك الدين بن سنقر الطويل ، وسعد الدين بن الحاجب ، ومعهما خلعة السلطنة . فوصلوا إلى خلّاط في الشتاء ، والسلطان محاصرها ، وكان يضرب لفلك الدين الدهليز ، وتضرب له البوقات عند ركوبه ونزوله . وكان سعد الدين بن الحاجب ، مع رفيع منزلته ومعمور محله في الديوان العزيز ، يتحجب بين يديه إقامة للناموس . وهأنذا^(٤) أذكر ما استصحبوه من الإناعام والخلع مفصلة ، وهي : ١ - خلعتان للسلطان

(١) شعار العباسيين . (٢) في الأصل : وقت .

(٣) في الأصل : كان مؤ واقف . (٤) في الأصل : وهأنذا .

الواحدة منهما جبة وعمامة وسيف هندي وقد رصع نجاده ، والأخرى قباء
وكمة وفرجية وسيف قراجولي بحلى بالذهب مغرق الحياصة بالدنانير، وقلادة
مرصعة ثمينة. ٢ - وفرسان بالساخت والسرفسار والطوق ، أثقل ما يكون
وأنهى ، وثمان تطبيقات طبقت على حوافرها عند التسليم وزن كل تطبيق
منهما مائة دينار. ٣ - وترس ذهب مرصع بنفائس الجوهر فيه واحد^(١)
وأربعون فصا من ياقوت وبذخشان^(٢) في وسطه فيروزج كبير .
٤ - وثلاثون فرسا من الخيل العربية مجللة بالأطلس الرومي مبطنة الجلال
بالأطلس البغدادي ، وعلى رأس كل جنيب مقود حرير وقد ضربت عليه
ستون ديناراً^(٣) خليفية^(٤) وثلاثون أو عشرون مملوكا بالعدة والمركوب.
٥ - وعشرة فهود بجلال الأطلس وقلائد الذهب . ٦ - وعشرة صقور
مكللة الكمام بصغار الحب . ٧ - ومائة وخمسون بقجة^(٥) في كل واحدة
منها عشرة ثياب . ٨ - وخمسة أكر من العنبر الأشهب مضلعة بالذهب .
٩ - وشجرة عود طولها خمسة أذرع أو ستة تحمل بين رجلين .
١٠ - وأربع عشرة^(٦) خلعة برسم الخانات كلها بالخيول والساخت والسرفسار
والطوق ، وحوايص الذهب والسكبايش التفليسية . وأراد تمييز بعضهم
فشجبت^(٧) السكبايش لإلّا من أربعة رموس، وهي لداعي خان، وألغ خان،
وأوترخان، وطفانخان . ١١ - وثلاثمائة خلعة برسم الأمراء كل خلعة قباء
وكمة فحسب . وكانت خلعة شرف الملك عمامة سوداء وقباء وفرجية وسيفا

(١) في الأصل : أحد .

(٢) في الأصل : بدخشان . راجع ص ٢٥٠ ، حاشية ١ .

(٣) في الأصل : دينار . (٤) في الأصل : خليفية .

(٥) البقجة : العدة من القماش ، يوضع بها الثياب أو القود أو الأوراق الحامسة ، وهي

فارسية الأصل وتجمع على بقج . انظر المفريزي : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٢٧١ ، حاشية ١ .

(٦) في الأصل : أربعة عشر .

(٧) شجبت : فصل بعضها عن بعض . وفي الأصل : فنجت .

هندياً^(١) وأكرتي^(٢) عنبر وخمسين^(٣) ثوبا وبغلة . ١٢ - وعشرون خلعة برسم أصحاب الديوان كل خلعة منها جبة وعمامة ، وقد خصصت من سائر أرباب الديوان ببغلة شهباء جيدة وعشرين ثوبا أكثرها من الأطلس الرومي والبغدادي .

ولما قرئت النسخة الواردة بها من الديوان على السلطان ، وكان قد ذكر في أولها ، الجناح العالي الشاهنشاهي ، ، وبعده ، الأجل شرف الملك ، ، ثم ذكرت بعدهما ولم يذكر أحد من سائر أصحاب الديوان تلقيبا ولا تسمية ، بل أطلقوا لفظ المستوفي ، والمشرف ، والعارض ، والناظر ، وأمثال ذلك وما سائر لهم إلا الجبة والعمامة . وقد كان شرف الملك حينئذ قليل العناية في متغير الرأي في حق ، لسرعة استحالاته وإعارته السمع ، لما يبلغه من تضريب وسعاية ، فوجد بذلك التخصيص مطعنا ، ولما قرئت النسخة على السلطان ، قال^(٤) : ما سبب تقديم فلان على صاحب الديوان^(٥) ؟ وهلا سوا بينهما في الخلعة والإنعام ؟ فقال السلطان : السبب في ذلك بئس ، وذلك أنه يحسن التأديب^(٦) معهم في المخاطبة ، ويحفظ ما يتعلق بأمورهم في المكاتب . ثم إن رسلهم شاهدوه عندنا بالحضور المشورة ، وليس صاحب الديوان بهذه المثابة ولا مدخل له فيما يتعلق بالتدبير إنما وظيفته استيفاء الأموال الديوانية وإثبات الحاصل والمصروف ولا مساس بينهم وبين ذلك ، فلم يصب للغرض ما رماه شرف الملك من قصده .

وقد كان رسولا دار الخلافة ينتظران السلطان يحضر خيمتهم التي ضربت للخزانة فيلبس الخلعتين فلم يفعل ذلك ، بل ضرب خيمة بقرب الخزانة

(١) في الأصل : سيف هندي . (٢) في الأصل : وأكرتا .

(٣) في الأصل : وخمسون . (٤) أي شرف الملك .

(٥) كان يسمى صاحب هذا المنصب أيضا بمتولي الديوان .

(٦) في الأصل : التأديب .

السلطانية ، ونقلت إليها الخلع ، وركب السلطان مرتين فدخلها ولبس الخلعين في نهار واحد ، ولبس الناس بعده . ثم خاطبها السلطان متشفعين في أمر خلاط وإزالة الحصار عنها ، وبتقلص^(١) الخناق . فلم يرد عليهما^(٢) جوابا شفاها ، بل سيرني إليهما^(٣) بعد عودهما إلى منزلها معاتباً ، وقال : قد ذكرتما فيما بلغتماني عن أمير المؤمنين أننا نريد إعلاء أمرك ، وإجلال قدرك وتعظيم شأنك ، وتحكيمك على ملوك زمانك . ثم تشيران علىّ بإزالة الحصار عن خلاط ، بعد أن الفتح قد ورد بشيره ، والنجاح قد أسفر تباشيره ، وهذا مما ينافي ما ذكرتماه من عنايات أمير المؤمنين . فقالا : صدق السلطان والامر كما ذكر ، غير أننا نحذر أن يتعذر افتتاحها ، ويستمر جماعها فيرحل السلطان عنها من غير إشارة تصدر إليه من الديوان ووساطته فإن كان ولا بد من الرحيل فبوساطة الديوان أسلم من مطاعن المستعجزين وأشبه بحال الفائزين فقبل عذرهما واستمر الحصار . وكان أهل خلاط كفوا عن الشتيمة أيام حضور الرسل ، حتى إذا تحققوا أنهم ما شفّعوا ، وحان للرسل أن يرجعوا استأنفوا فيها بكل معنى غريب ، ولفظ عجيب .

ومنها ورود رسول الملك المسعود صاحب آمد ، وكان شخصا تركيا يعرف بعلم الدين قصب السكر ، ورسول الملك المنصور صاحب ماردين صبيته ، وكان خادما أسود ، والرسالتان تشتملان على عرض الخدمة والطاعة . وأصحهما السلطان رسولا من جهته يأمرهما بالخطبة له في بلادهما اختبأرا على حك الأصدقاء ، ما كانا يزعمانه من الوفاق والاتفاق وأصح الرسولين بالفقيه نجم الدين الخوارزمي ، فأبطأ المذكور عندهما إلى أن عاد السلطان من الروم على الوجه الذي لا يروم .

ومنها أن خلاط لما عظم بها البلاء واشتد الغلاء ، وكسدت الدنانير ،

(١) تقلص الشيء : انضم واتروى . وفي الأصل : وبتنقّس .

(٢) في الأصل : عليهما . (٣) في الأصل : إليهما .

وأكلت الكلاب والسنانير ، خرج منهم في يوم واحد قرابة عشرين ألف إنسان ، وقد تغيرت صورهم بالجوع حتى أن الأخ لا كان يعرف أخاه ولا الوالد ولده ، فكان شرف الملك يطعمهم فيذبح كل يوم عدة أبقار لهم فاسرت النفوس الناحفة ، والأرماق التالفة ، ومات أكثرهم وتفرق الباقيون أيدي سباً .

ومنها أن السلطان الكبير^(١) كان مدفونا بالجزيرة على ما سبق من ذكر وفاته وورده وديعة حياته ، فسنح للسلطان وهو محاصر خلاط أن يبنى له مدرسة بأصفهان فينقل إليها تابوته من الجزيرة فستبر مقرب الدين مهتر مهتران - وكان مقدم الفراشية^(٢) - إلى أصفهان ، وهو الذي تولى غسل السلطان الكبير لينى بها مدرسة فيها قبة للتابوت يحتوى على سائر بيوت المرافق مثل بيت الثياب ، وبيت الفرش^(٣) ، وبيت الطشت^(٤) ، وبيت الركاب^(٥) وغيرها وأصبح ثلاثين ألف دينار للشروع في عمارتها . وتقدم إلى الوزير بالعراق بإطلاق ما يحتاج إليه تمام العادة من وجوه الديوان ، وأن يستعمل لها آلات

(١) علاء الدين محمد خوارزم شاه والد جلال الدين منكبرتي .

(٢) راجع ص ١٠٨ حاشية ٣ .

(٣) بيت الفرش : ويسمى أيضا الفراش خاناه ، وخاناه لفظ فارسي معناه البيت . ويؤخر المضاف على المضاف إليه على عادة المجمع في ذلك . ويشتمل هذا المكان على أنواع الفرش المختلفة من بسط وخيام وغير ذلك . ويسمى فيه عدد من الفلمان يسمون بالفراشين ، وهم من أمهر الفلمان وأنهمضهم ، ولهم حراية فائقة في نصب الخيام . انظر الفلشندي : صبح الأعشى : ج ٤ ص ١٠ - ١١ .

(٤) بيت الطشت : ويسمى أيضا بالطشت خاناه ، وقد سمي بهذا الاسم لاحتوائه على الطشت الذي تفسل فيه الأيدي والطشت الذي يغسل فيه القماش . وهو يحتوى على ما يلبسه السلطان من الكلوثة والأقية وسائر الثياب والسيف والخلف وغير ذلك ، كما أنه يحوى ما يجلبن عليه السلطان من المفاعد والنجاد والسجاد الذي يصل عليه وما شا كل ذلك . انظر الفلشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٠ - ١١ .

(٥) بيت الركاب : ويعرف أيضا بالركاب خاناه ، ويشتمل على عدد الخيل من السروج والالجم الخ . انظر الفلشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ١٢ .

الذهب من الشمعدان والطشت والإبريق ، وأن تقام بالباب فرس النوبة بالطوق والساخت والسرفسار . فسار المقرب إلى أصفهان وشرع في العمارة ، ووصلت إليها بعد أربعة أشهر ، فوجدتها قد طلع بنيانها قدر قامة .

وكاتب السلطان عمته شاه خاتون صاحبة سارية من أعمال مازندران^(١) - وكان أبوها تكشف قد زوجها بملك مازندران أردشير بن الحسن وتوفي عنها - بأن تركب بنفسها ومن بمازندران من الملوك والأمراء والصدور ، فتنقل التابوت من الجزيرة إلى قلعة أردهن ، وهي أعصى قلاع الأرض ، إلى أن تم عمارة المدرسة بأصفهان فينقل إليها . ولعمري كنت أكتب هذا التوقيع كارها ، ولآرائهم مسفها . ونفثت إلى المقرب بنبذ من أفكارى ، وأظهرت له بعض إضمارى ، إذ كنت أعرف أن جشته ، بردها الله بالنسيم ماسلمت من إحراق التاتار إلا لتعذر الوصول إليها . ولقد أحرقوا عظام كل سلطان مدفون بأى أرض كان ، معتقدين أنهم بنو أب يجمعهم أصل واحد ، حتى أن عظام يمين الدولة محمود بن سبكتكين^(٢) ، رحمة الله عليه ، قد أخرجت من قبره بغزاة وأحرقت . فلم يعجب مقرب الدين ما كلمته من هذا القبيل ، فاستقلته من هذا القيل . وكان الأمر كما تخمته ، فإن التاتار لما فرغوا^(٣) من السلطان محمود آمد ، على ما يبيح شرحه ، حاصروا^(٤)

(١) جاء في ياقوت ، ج ٥ ، ص ٨ ، أنها من أعمال طبرستان .

(٢) النطق الصحيح لهذا الاسم هو ما يتفق مع الكتابة الفارسية : سبكتكين . ومحمود ابن سبكتكين هو سابع حكام الدولة الغزنوية وأهمهم جميعا . وقد حكم من سنة ٣٨٨ / ٥٤٢١ = ١٩٨ / ١٠٣٠ . وترجع أهميته في تاريخ الشرق الاسلامى بوجه عام وفي تاريخ الدولة الغزنوية بوجه خاص إلى أنه استطاع أن يوسع أملاكه في بلاد الهند حتى شملت إقليم البنجاب بما في ذلك لاهور ومولتان وغيرها كما وسع أملاكه في فارس حتى شملت العراق العجمي بما في ذلك الري وأصفهان . وقد بلغ من عظم شأنه أن الخليفة العباسي القادر سماه يمين الدولة وأمر بنقش اسمه على السكة . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٦٠ ، ٧٧ ، ٥٤ . وغيرها . وانظر أيضا كتابنا : الشرق الاسلامى قبيل الغزو المغولى ص ٣٠ - ٣١ وراجع كتابنا

St. Lane-Poole : Op. cit., pp. 285 — 290 Zambaur : Op. cit., p. 282.

(٣) في الأصل : فرغ . (٤) في الأصل : حاصر .

القلعة المذكورة ، فأخرجت الجثة ، وسيروها ^(١) إلى الخاقان فأحرقها .

ومنها أن مجير الدين يعقوب بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب قرع سور خلاط يوما ، واتمس حضور السلطان ليكلمه ، فأجابه إلى ذلك ، ظناً منه أنه ربما يتكلم فيما يعود إلى حصول الغرض . فلما حضر ، قال مجير الدين : إن البلاء قد نزع ، والضرر قد اتضح ، الطائفتان قد هلكتا . فهل لك أن تبارزني ^(٢) فيعود الأمر إلى فيصل ؟ فقال له السلطان : ومتى يكون ذلك ؟ فقال : الميعاد بكرة غد . فلبس السلطان لامة حربه صياح غد . وبلغ شرف الملك ذلك ، فسارع إليه وقال : ليس مجير الدين من أقران السلطان وأكفائه ^(٣) وليس يليق بالسلطان أن يبارزه ، ولو علمت أن السلطان إذا أهلكه حصل مقصوده لرضيت به ، لكنني أتتحقق أن ليس يحصل بهلاكه مطلوب ، وأنه مع انتسابه في بيت الملك في جملة الأتباع محسوب . فقال السلطان : هو كما ذكرته ، لكن كيف لا نقاتل ^(٤) من يقاتل ؟ وما عذري إذا دعوا نزال فلم أكن أول نازل ؟ ثم ركب وحده وساق إلى باب بدليس ^(٥) على الميعاد ووقف وأعلم بحضوره ، فشتموه وأمطرت عليه السهام ، ولم يخرج مجير الدين فرجع .

ومنها أن السلطان استحضرنى ليلة من الليالي ، فوجدت عنده عجوزاً داهية خُدعة ^(٦) قد خرجت من خلاط برسالة مزورة عن الزكي العجمي ، وكان من ذوى الحظ عند الملك الأشرف ، والسلطان يعبر عن لسانها

(٢) في الأصل : تبارزني .

(١) في الأصل : سيرها .

(٤) في الأصل : لم .

(٣) الأكفاء : النظراء .

(٥) بدليس : بلدة من نواحي أرمينية قرب مدينة خلاط ، وقد سمى باسمها أحد أبواب

مدينة خلاط ، وكانت كما يقول ياقوت ، ج ٢ ص ٩٠ ، تشتهر ببساتينها الكثيرة . وهي

مدينة مسورة تحيط بها الجبال ، كما أنها شديدة البرد كثيرة الثلوج . انظر القلعة شندى : صبح

(٥) خدعه : كثيرة الخداع .

الأعشى ، ج ٤ ص ٣٥٥ .

بثلاث لغات : بالتركية والفارسية والآرمينية. وخفى^(١) الرسالة أن زكي الدين استدعى من السلطان خمسة آلاف دينار يفرقها في المندفاكية^(٢) والأجناد، فيجلب أهواءهم إلى السلطان فيرضيهم على تسليم خلاط، ثم يفتح باب الوادى صباح غد فيدخل السلطان. فلما شاورني في ذلك وجدني لم أهش له، فتعجب وقال: مالى أراك متوقفاً في هذا الأمر؟ وكان حريصاً على خلاط وأخذها، وقد عزم على تسليم المبلغ المطلوب إلى العجوز. قلت: إن المملوك قد اجتمع بزكي الدين وكلبه عن قضايا حين ورد عن صاحبه رسولاً على السلطان، فوجده من دهاء عصره، وكفاة دهره^(٣)، ومن لا يخفى عليه الخطأ والصواب، وبعيداً من مثل ذلك الرجل العاقل الدخول في مثل هذا المحذور المحذور. ثم إن كانت سعادة السلطان اقتضت تميله إلى الدولة، وترغيبه عن صاحبه في هذه الوهلة، فكيف يخاطر بنفسه في أمر يكون إتمامه موقفاً على إرضاء طائفة تختلف الأهواء، متباعدى الآراء، يستمال بمال، أو يفر بمنال؟ وماذا يؤمنه أن ييوس بالسر واحد منهم فيهلك هذا إن كان المال قد طلبه لغيره، وإن قالت إنه طلبه لنفسه، فليس يخفى عليه أن خلاط إذا سلمها للسلطان يحصل له من الإناعام والإقطاع ما يكون هذا المقدار في جنبه زراً. ففترت عزمته في ذلك حين^(٤) سمع كلامي. ثم إن حرصه على أخذها حمله على تسليم ألف دينار إليها إضاعة محضة، وقال لها: إن بان لنا صدقك بعلامة أخرى سلمنا إليك تتمة خمسة آلاف دينار. ورجعت ليلاً ودخلت خلاط، وما كان للحديث أصل. وشاع الخبر في العسكر، ودخل بعض الخلاطية فأخبر عز الدين أبيك بأن الزكي يكاتب السلطان فقتله من غير ذنب صدر منه. ولما ملك السلطان خلاط، ظفر بالعجوز بعض السرهنكية، فأخرجوها^(٥)

(١) في الأصل: نجوى .

(٢) المندفاكية : اسم لبعض فرق الجند ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى القبيلة التي تنتمي إليها

(٣) كفاة : جمع كاف ، وهو ذو السكفاية .

(٤) في الأصل : حتى .

(٥) في الأصل : فأخرجها .

من مدبغة ومعبها زوجها شيخ هرم ، وأحضرت الذهب ، وقد نقصت منها ثلاثمائة دينار . وقيل إنها خنقت ، وكانت فائدة التزوير هلاكها وهلاك زكي الدين .

ومنها أن مترجمة عز الدين أيبك كتبها إلى الملك الأشرف ، وأخرى كتبها إليه بجير الدين يعقوب مسكتاً في الطريق ، وناولى السلطان كليهما ، وساعدتني همته على حلها . وكان مضمونهما الشكوى ، مما ابتلوا به من الضائقة والبلوى . وقد ذكرا فيهما أن العدو قد سحر فلم يقع ثلج بحدود خلاط في هذه السنة . وأخذت مترجمة أخرى كتبها الملك الأشرف إلى عز الدين متولى خلاط ، وكانت تتضمن أن الذي ذكرتم من سحر العدو ، وإقشاع السماء ، دلّ على ماملككم من الرعب ، وإلا فن المعلوم أن هذا الأمر لا يقدر عليه إلا الله . غير أن الشتوات تختلف ^(٢) ، فتارة يتأخر الثلج فيها ، وتارة يتقدم . وهانحن عن قريب واصلون في العساكر لكشف البؤس ، وإزالة الضرر ، وسنطردم إلى ماوراء جيحون .

ومنها وفاة صاحب الديوان شمس الدين محمد المستوفى الجويني ، وكان من كبار الصدور ، إذا توصل في مراعى الكفاية وصل ، وإذا فوضل في سواى الكتابة بين أمائلها فضل ، عجم عود الدهر ، ولبس برود العمر ، وقد تقلد صحابة الديوان للسلطان الكبير ^(٣) في آخر عمره . ولما حضر الباب قلده السلطان صحابة الديوان فتقلدها سليم اللسان والقلم ، جيد القدم عن مخاضات التهم . وانتقل إلى جوار الله ودار كرامته والسلطان محاصر خلاط ، وكان قد جعلني وصيه ، وكفّلني مصالح أيتامه ، وأوصاني بأن ينقل تابوته إلى جوين من نواحي خراسان بمسقط رأسه ، ومحط أساسه ففعلت ، ولم يتعرض السلطان إلى شيء مما خلفه ، وسيرتها صحة ثقاتي وثقاته إلى ورثته ، وتولى بعده صحابة الديوان اجمالاً على العراق ، وكان قبل ينوب عن شرف الدين

(١) في الأصل : فأخرجها . (٢) في الأصل : تختلف .

(٣) علاء الدين محمد خوارزم شاه والد جلال الدين منكبرتي .

وزير العراق في بعض أشغال الديوان بها ، واتفق حضوره لمهمات صاحبه موت صاحب الديوان ، وكان السلطان إذ ذاك ينسب إلى الوزير ذنوباً من القصور والتقصير ، وتحقق أن المشرف^(١) يسرق ، والحاظن^(٢) خائن وأراد أن يبلّغهم بوقح لا يعرف المجاملة والمداراة ، فأقام الجلال مقام صاحب الديوان استبدالاً عن سيد حصور^(٣) ، بأسد هصور^(٤) ، وعن نجم لائح برجم رايح ، ففنى منه بخطط وشماس ، وتلون واعتراض ، حتى صار الواحد من أرباب الديوان يبذل جملة من المال خدمة ليعني عن المنصب . وطالما بذلوا الأموال في تحصيله ، وكان معظم آثار كفايته منع الحقوق ، واحتباس الإدارات ، وقطع التسويغات التي أجريت من قديم الزمان . وما كل نجيرة^(٥) لها كفاة في مناكحة الآداب ، ومتاجرة الكتاب . وما كل مسك يصلح للمسك وعاء ، ولا كل ذرور للعين كحلا^(٦) ، وأضيع الشيء عقد في جيد خنزير ، وخذ^(٧) بكف ضرير ، ونقش على بنان فاجر شرير .

لله در أنوشروان من رجل ما كان أعرفه بالدون والسفل نهام أن يمسا بعده قلباً وأن يذلوا بني الأحرار بالعمل^(٨)

فأول ماشوهد من وقاحته ، وظهر من علامات وتاحته^(٩) ، أن الحجاب لما أحضروه إلى الديوان ليجلسوه مقام صاحبه ، اتفق أن شمس الدين الطغرائي كان قد حضر الديوان ليسلم على شرف الملك ، وقعد بجانبه ، فلما دخل الجلال أخذ بيد شمس الدين ، فبعده عن الوزير وجلس بينهما ، فقال الطغرائي : أما تستحي ؟ فقال : هذا منصبى أقاتل من زاحنى عليه .

-
- | | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| (١) راجع صفحة ٢٩٤ حاشية ٤ . | (٢) راجع صفحة ٨٨ حاشية ١ . |
| (٣) حصور : عف عجب . | (٤) هصور : شديد البأس . |
| (٥) نجيرة : أصيلة الحسب . | (٦) في الأصل : حلا . |
| (٧) حد : سيف . | (٨) في الأصل : بنوا الأحرار . |
| (٩) الوتاحة : الحسة . | |

ومنها إحضار وزير علاء الدين صاحب آلموت^(١) أسيراً ، وسبب ذلك أنه قد جاء إلى الجبل المشرف على قزوين ، كعادته في كل سنة ، بالربة المسخرة لحصد الخشيش وإدخاره للشتاء ، وكان أمراء العراق قد تحققوا تغيير رأى السلطان عليهم من حين أخلفوا الوعد في إعادة غياث الدين أخيه إلى الخدمة^(٢) ، فساق إليها بهاء الدين سكر مقطع ساوة ، وكبسه بالجبل ، وأسر الوزير وسيره إلى خلط ، فحمل إلى قلعة دزمار^(٣) وحبس إلى أن نفذ فيه محتوم القضاء ، وأذنت مدته بالانقضاء ، فقتل بعد أربعة أشهر .

ومنها ورود رسل الروم وكان السلطان علاء الدين كيقباز بن كيخسرو^(٤) وجه إلى السلطان ، شمس الدين التون أبه الجاشنكير^(٥) ، وكال الدين كامباز ابن إسحق قاضي أرزنجان^(٦) ، بهدايا وألطف يرتن بها رضاه ، وفيها ثلاثون بغلا موقرة أحمالا من الأطلس والخطاي والقندس والسمور وغيرها ، وثلاثون أو عشرون مملوكا بالخيول والعدة ، ومائة فرس ، وخمسون بغلة بالجلال . فلما وصلوا بها إلى أرزنجان تعذر وصولها إلى السلطان ، إذ كان ركن الدين جهانشاه بن طغرل صاحب أرزن الروم بمعاودة الدولتين مجاهراً ،

(١) هو علاء الدين محمد الثالث بن جلال الدين حسن الثالث ، ٦١٨ / ٦٥٣ هـ =

١٢٢١ / ١٢٢٥ م . انظر كتابنا : الفرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ١٦٥ .

(٢) راجع ما جاء عن الخلاف بين جلال الدين منكبرتي وبين أخيه غياث الدين في ص ٢٣٩ —

٢٤٥ . وانظر ص ٢٤٣ حاشية ٣ بوجه خاص .

(٣) دزمار : قلعة قريبة من تبريز . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ص ٥٨ .

(٤) هو علاء الدين قيقباز الأول بن كيخسرو الأول سلطان السلاجقة الروم . وقد حكم

من سنة ٦١٦ / ٦٣٤ هـ = ١٢٣٦ / ١٢١٩ م . انظر Lane-Poole : Op. cit., p. 155 .

(٥) راجع ما جاء عن وظيفة الجاشنكير في ص ٢٨١ ، حاشية ٥ .

(٦) أرزنجان : إحدى مدن أرمينية بين سيواس وأرزن الروم وبينها وبين كل من المدينتين أربسون فرسقا ، وكان غالب أهلها من الأرمن وفيها مسلمون ، وهم أعيان أهلها ، وتسمى أيضا أرزنكان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ص ١٩٠ ، والقلاشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٥٤ .

وبمؤالة الأشرف مظاهراً ، فأقام بأرزنجان إلى أن حوصرت خلاط ، وانتظم صاحب أرزن الروم في سلك الخدمة ، حضروا بما أصبحوا من التحف والآلطف ، فألزموا بأن يقدموها كما تقدم تقادير الرعية من الأمرام وغيرهم ، فيقف شمس الدين ألتون أبه مع الحاجب الخاص في موقف العرض ويبرك على ركبتيه ، ثم يعد الحاجب ما أحضره على ملا^(١) من الناس مفصلاً ، غير راضين بأن ينزلوا صاحبه منزلة الأكفاء ، ولا ناظرين إلى ما رغب فيه من خالص الود والولاء . فجاوزه بما يليق ، وكلفوا الرسول ما لا يطيق . وانضاف إلى ذلك أنهم كانوا خطبوا ابنة السلطان لابن صاحبهم ، تأكيداً للألفة ، وإزالة للفرقة ، فما أجابوهم إلى ذلك . ثم إنهم ذكروا ما جرى لصاحب أرزن الروم معهم من سوابق الوحشة ، والتمسوا أن يأذن السلطان لهم في أخذ أرزن الروم منه ، وأن يسلم صاحبها إليهم ليشفوا منه ما أوغر صدورهم من المضاعنة والخاشنة ، فغاض السلطان اقتراحهم ذلك ، وقال : هذا المذكور المطلوب ، وإن هتك معي ستر الأدب ، ورفع حجاب الخشمة فقد دخل على دخول العرب ، وقبيح بمثل إحقار حق مقدمه ، وتسليمه إلى من يعطش إلى دمه .

ودخلت على شرف الملك يوماً فوجدت رسل الروم عنده جلوساً ، وهو يخاشنهم في الكلام ويقول : لو أذن لي السلطان لدخلت بلادكم وحدى ، وفتحها بجمدي ، وكلمات أخرى تناسب هذا المعنى . فلما خرجوا قلت له : ما سبب هذه الخاشنة ، وقد بدا صاحبهم بالإحسان محبة وولاء ، ووردت^(٢) رسله تباعاً وولاء . قال : جميع ما جاء في معهم من التقادير لم يبلغ ألفي دينار . وعادت رسل السلطان علاء الدين بأجوبة غير مرضية ، وأشغال غير

(٢) الأصل : وردت .

(١) في الأصل : ملا .

مقضية. وأصحابهم السلطان بجمال الدين فرج الطشت دار الرومي^(١)، وسيف الدين طرث أبه أمير شكار^(٢) وفتيه خوارزمي يلقب بركن الدين. فلما توسطوا بلاد الروم ، سبقتهم الرسل العلائية إلى أصحابهم ، فأعلموه بأن الذي سعى فيه من إصفاء الموارد ، وتجديد المعاهد ، ومال إليه من التعاضد والتساعد ، ضرب في حديد بارد . فقال إلى الملك الأشرف^(٣) ، وأرسل إليه كمال الدين كامياز يعلمه بأن الذي رغب في مخالسته ، وهم بمعاضدته ، ليس يبقى على الرطب واليابس ، وأنه رجح عما كان ينتظره منه كالأيس ، وأن رده بغير السيف بعيد ، والسعي في إرضائه غير مفيد . وليس الآن إلا اتفاق الكلمتين . والذب عن الدولتين . فقال من الملك الأشرف نفساً مرتاحة لإجابته ، توافقة إلى موافقته ، فاتفقا^(٤) . ولم توصل رسل السلطان إلى علاء الدين صاحب الروم إلا بعد عود كمال الدين كامياز من جهة السلطان الأشرف ، والاستيثاق منه لصاحبه .

(١) راجع ما كتب عن وظيفة الطشت دار في ص ٦٨ حاشية ١ .

(٢) يتحدث صاحب هذه الوظيفة على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها ، وعلى سائر أمور الصيد . وشكار لفظ فارسي معناه الصيد ، وعلى ذلك قلعي المراد هو أمير الصيد . وهناك وظيفة أخرى متعلقة بالصيد وهي حراسة الطير ، وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثاً على حراسة الطيور في الأماكن والمزارع التي ينزل بها السلطان . انظر الفلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٢ . والمقرئزي : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٦٤٤ حاشية ٢ .

(٣) وهو صاحب خلاط التي يحاصرها جلال الدين منكبرتي .

(٤) كانت للمعاملة السيئة التي عومل بها رسل سلطان السلاجقة الروم وبالا على جلال الدين منكبرتي ، إذ حدث بعد ذلك أن استولى جلال الدين على مدينة خلاط من صاحبها الأشرف موسى الذي عمل على استعادتها بشق الوسائل ، فكون سنة ٦٢٧ هـ (١٢٣٠ م) حلفاً ضد الخوارزميين كان في طبيعته علاء الدين قيقاذ سلطان السلاجقة الروم ، وهو صاحب تلك الهدية التي رفضها الخوارزميون . وقد تمكنت الجيوش المتحالفة من إزلال الهزيمة بجمال الدين قرب مدينة خلاط ، كما تمكن الأشرف موسى على أثرها من دخول المدينة بعد أن فر جلال الدين وجيوشه إلى أذربيجان . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٣ ص ٢٢٧ . وانظر أيضاً كتابنا : الدولة الخوارزمية والغول ، ص ١٨٤ .

ذكر ملك السلطان خلاط

في أواخر سنة ست وعشرين وستمائة^(١)

ولما طالت مدة الحصار ، وتلفت الأنفس بالغلاء ، واقتسمت بأيدي البوار ، وأكلت بها الكلاب والسنانير ، وذلت الدراهم والدنانير ، فصارت خلاط كلا^(٢) لمن يأخذها ، ووبالا على من يملكها ، أدلى اسماعيل الإيواني بعض أصحابه ليلا من السور ، فحضر السلطان وأعلمه بأن اسماعيل الإيواني يلتبس من السلطان تعيين إقطاع له بأذربيجان ، ليسلم إليه المدينة ، فأقطعه السلطان سلباس^(٣) وعشرة ضياع بأذربيجان متفرقة ، وحلف له على تقريرها بيده .

وعاد الرسول وحقق السؤل ، ولبس الناس لامة حربهم^(٤) ، فأدلى اسماعيل الحبال ليلا ، فطلعت أعلام ورجال ، واستعد الناس للزحف . فلما أصبح الناس ، زحفوا على الثلبة حذاء المنجنيق ، فقاتل من بخلاط من بقايا الأجناد القيمرية^(٥) قتالا شديداً ، فكادوا يخرجونهم . على أنهم ينظرون إلى الأبراج فيرون أكثرها مملوءة^(٦) بالرجال والأعلام السلطانية . لولا أن الذين كانوا في الأبراج زحفوا من ورائهم فولوا منهزمين ، وأسر

(١) ذكر ابن الأثير أن استيلاء جلال الدين منكبرتي على مدينة خلاط كان في يوم الأحد الثامن والعشرين من جادى الأولى سنة ٦٢٧ هـ ، أى في الثانى من شهر أبريل سنة ١٢٣٠ م كما يقول ديفرمى . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ص ٢٢٦ . وانظر أيضاً

Détremercy : Fragments de Geographes et d'Historiens Arabes et persans inédits, pp. 499 — 500. (J. Asist. Nov. — Déc. 1849).

(٢) الكل : التقيل لا خير فيه . (٣) راجع ص ٢٠٧ حاشية ٤ .

(٤) لامة : درع .

(٥) نسبة إلى قير ، وهى قلعة بين الموصل وخلاط . انظر ياقوت : معجم البلدان ،

(٦) فى الأصل : مملوءة .

ج ٧ ص ١٩٩ .

الأمراء جميعاً كالقيصرية ، والأسد بن عبد الله وغيرهم ، إذ كانوا لم يفارقوا
مواقفهم من الأبراج . وتحصن عز الدين أيبك^(١) الأشرقي ، وبجير الدين
وتقي الدين ابنا الملك العادل أبي بكر بن أيوب بالقلعة .

ثم إن السلطان أراد أن تحمي^(٢) خلاط من النهب فغلبوه على رأيه فيها ،
وحضرت الخانات والأمراء ، وقالوا : إن تطاول مدة الحصار قد أضعف
عسكرك وأفنى خيلهم ودوابهم ، فإن منعتهم النهب ، قعد بهم الضعف عن
لقاء عدو يتحرك ، ولعل الضعف يفضي بهم إلى تشتت الشمل ، وانتشار
الجيل . فنفثوا عليه من هذا القيل لسمحت شرهوا إلى احتجاجه ، حتى أرخى
عنانهم في النهب ، فنهبوا ثلاثة أيام تباعا^(٣) فكان قرحاً^(٤) على قرح ، وملحاً
فوق الجرح . واستخرجوا دفائن أهلها وخباياهم بالمعاصير ، فمن وقع بيده
واحد من الخلاطية عذبه أنواع العذاب . والذي شاع عند الناس أنه أمر
بقتل من بها حتى استولى عليها فغير صحيح^(٥) . لكن جماعة كثيرة هلكوا
بالعقوبات ، وكان الغلاء قد أفنهم ، فنزل بجير الدين وتقي الدين ، وطلبوا
الآمان لعز الدين أيبك فأمنته ، ونزل ثاني يوم نزولها ، فأبى السلطان أن
يمكن عز الدين أيبك من تقبيل يده استخفافاً به ، وغيظاً عليه . وأجاب
بعد مراجعات إلى أن يمكنه من تقبيل رجله ، وقال للسلطان بعض من كان
يتعصب لعز الدين أيبك من الترك ، إن بجير الدين وتقي الدين كانا تحت
حكمه وفي خدمته وقد قبلا يد السلطان . فقال السلطان : إن هوى صاحبه

(١) في الأصل : الأييك . ومع أنه سبق ذكر هذا الاسم صحيحاً في مواضع متعددة ، فلم
يقبّه هوداس إلى كتابته صحيحاً في هذا الموضع . بل إن هذا الخطأ في الطبعة العربية قد انتقل
أيضاً إلى الترجمة الفرنسية . انظر ص ١٩٩ من طبعة هوداس العربية ، ص ٣٣١ من الترجمة الفرنسية .

(٢) في الأصل : أراد تحمي . (٣) في الأصل : تبا .

(٤) الفرخ : أثر السلاح في البدن .

(٥) لعل النسوي يشير إلى ما ذكره ابن الأثير في هذا المقام إذ قال : فلما ملك البلد سعد
من فيه من الأمراء إلى القلعة التي لها وامتتوا بها ، وهو منازلهم ، ووضع السيف في أهل البلد ،
وقتل من وجد به منهم ... انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٢٦ .

فيه حكمته على إخوته، وليس فيه هوى فنرد الأمور إلى أصولها، وترك الناس بأهويتهم. وكانوا يحضرون كل يوم السباط، فيجلس مجير الدين وتقي الدين، ويقف عز الدين^(١).

ثم إن علم الدين سنجر أمير جاندار^(٢) الملك الأشرف موسى، وكان محبوسا، راسل السلطان على لسان المتوكل به يقول: قد بلغني أن السلطان أخذ يفرق عساكره إلى كور خلاط ليحاصروها مثل بركري، ومنازجر، وبدليس، وولاشجر^(٣)، ووان^(٤)، وقسطانة^(٥) وغيرها، ولا حاجة إلى ذلك، وما يحوجه إلى تجشم الكلف والمونات وبين عز الدين أيك وبين كل واحد من الولاة المستخفيين بالمواضع المذكورة علامة؟ فإذا أعطاهما للسلطان ملكها من غير تعب ولا نصب، وهو إلى الآن يكاتبهم مشجعا، ويصغر عندهم أمر السلطان مثبتا، ويمنهم حركة العساكر الشامية فأصغى السلطان إلى كلامه، وطالب عز الدين أيك بالعلامات فأنكرها، فلم يقبل منه، وألزمه مكاتبته بالتسليم. فكاتب مأمورا، وأبي^(٦) أولئك التسليم. فحين أيس السلطان من حصول الغرض بمكاتبته، قبض عليه وقيده، ونقل

(١) يجدر بنا أن نشير هنا إلى أن زوجة الأشرف موسى صاحب خلاط كانت من بين النساء اللاتي وقفن في الأسر، فتزوج بها جلال الدين منكبرتي في نفس الليلة التي دخل فيها المدينة. انظر D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 42.

(٢) إن موضوع وظيفة أمير جاندار السلطان « أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة وينخل أمامهم إلى الديوان » وهو الذي « يقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر وإذا أراد السلطان تعزيز أحد أو قتله، كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة وصاحب هذه الوظيفة هو الذي يطوف بالزقة حول السلطان في شفره . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٠ .

(٣) كذا في الأصل، ولعلها ولاستجر، وهي مدينة من أعمال همذان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٤٣٢ .

(٤) وان : إحدى المدن القريبة من خلاط . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٨ ص ٣٩٠ .

(٥) قرأها هوداس Houdas في النسخة الخطية خطأ « ووسطان » . وقسطانة أو قسطانة . قرية قريبة من الري في طريق ساوة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٧ ص ٨٦ .

(٦) في الأصل : وأبوا .

إلى قلعة دزمار^(١) وبقي محبوساً إلى أن عاد السلطان من الروم بشمل مبدد النظام ، منحل العراق والأودام^(٢) ، وأخذت رسل الملك الأشرف تتردد في الصلح ، أمر بقتل أبيك في محبسه كيلا يتكلموا في إطلاقه ، وحل وثاقه ، وتنفيسه من ضيق خناقه ، فقتل تشفياً لما أوغر صدره بتصرّحه الشتام ، وضربه نوبة ذى القرنين محاكاة للسلطان وتشبهاً به ، إذ كان يضربها اقتداءً بوالده .

وأما حسام الدين القيمرى ، فقد حبس بداره بالمدينة من غير قيد ، فاستأذن المتوكلين به يوماً في دخوله دار الفناء ، فأذن له ، فدخل ، وقعدوا بالبواب . وكان^(٣) أصحابه نقبوا الجدار من وراء الدار وأحضروا له خيلاً ، فركب ونجا إلى الملك الأشرف . ولما هرب المذكور ، قتل الأسد بن عبد الله المهراني .

وأما حسام الدين طغرل صاحب أرزن ديار بكر ، فقد كان سأل السلطان على لسان المتوكل به أن يبعث ثقة من ثقائه إليه ليكلمه ، فأمرنى السلطان بالحضور إليه ، فضيت واجتمعت به ، فقال لى : قبّل الأرض عنى بين يدى السلطان وقل له : أنا رجل غريب من أهل الشرق ، وقد طوّح الزمان بأسلافي إلى هذه البلاد ، وداريت القوم ، يعنى ملوك بنى أيوب ، بكل طريق حتى سلبت منهم ، وكنت معهم فى ليل مظلم أنتظر طلوع صبح النجى من جهة الشرق ، فحين طلعت الشمس وأضاءت الأرض ، تركت موضع رحلى^(٤) مظلياً ، ولى ابن أخى بأرزن قليل العقل ، طائش اللب ،

(١) انظر ص ٢٦٣ حاشية ١ .

(٢) الوزم : رباط الدلو .

(٣) فى الأصل : وكانوا .

(٤) فى الأصل : رحلى . والرحل هو مسكن الرجل وما يستصحبه من الأثاث . ويشير النسوى هنا إلى قول الشاعر :

كبدر أضاء الأرض شرقاً وغرباً

وموضع رحلى منه أسود مظلم

ومن المهم أن تشير فى هذا المقام إلى أن هوداس إذا كان قد قرأ هذه العبارة فراءدة =

سفيه الرأي ، وأخشى أنه إذا سمع بقله اعتناء السلطان بي يبيع بيبى بأبخس الأثمان . فإن كان السلطان نوى انتزاع ما كانت تحويه يدي عنها ، فهو أولى بها من غيره ، فيسير إليها من يتسلها ، قبل تمكن العدو فيه ، ووقوع ما يعسر تلافيه ، وإلا فيصدر إليه توقيعا بتطيب قلبه . وإن أرزن وأعمالها مقررّة على صاحبها ، موعودا بما يتأخها بغيرها ، إذا أطلت عليها الرايات السلطانية فأجابه السلطان إلى ذلك حين أعدت رسالته ، وشرحت مقالته . وأمر بإزالة التوكيل عنه ، وأن يحضر كل يوم مجلس السلطان عند الإذن العام ، فيقف من صوب بحير الدين ، وتقى الدين من صوب . ثم إنه خلع عليه خلعة تامة ورده إلى أرزن ، وكتب له بها منشورا ، وسيجيء ذكر بحير الدين وتقى الدين وما آل أمرهما فيما بعد .

ولما ملك السلطان خلاط ، وبرزت الأوامر بإصدار توابع البشارة إلى كافة مدن الممالك ، استخرجت إذنه في أن أجعل طغراء التوابع مثل طغراء توابع السلطان الكبير والده ، وصيغتها : « السلطان ظل الله في الأرض أبو الفتح محمد بن السلطان الأعظم تكش برهان أمير المؤمنين » . فأنكر ذلك ولم يرض به ، وقال : متى صرت مثل واحد من كبار ممالك السلطان الكبير بالعسكر والخزائن ، أذنت لك أن تجعل طغراء توابعي مثل طغرائه (١) ، فحجبت وسكت . ولقد أنصف فيما قال فإنه لم يخط من عظم شأنه بمعشار ، ولم يسبق غباره عند الفخار بمضمار .

== خاتمة في الأصل الخطي نتيجة لعدم فهمه للمعنى الذي يقصده النسوي بهذا التشبيه ، فإن هذا الخطأ قد انعكس أيضا على الترجمة الفرنسية ، فجاءت مطابقة . للقراءة العربية الخاطئة ومخالفة لما يقصده النسوي ، إذ قال :

La place qu'occupaient mes pieds est restée néanmoins dans l'obscurité.
انظر ص ٢٠١ من طبعة هوداس العربية ، ص ٣٣٥ من الطبعة الفرنسية .
(١) راجع ما كتبناه من الطغراء في ص ٥٧ حاشية ٥ .

ذكر سيرة السلطان بخلاط

بعد أخذها ونهبها وإقطاعه نواحيها

فلما استولى السلطان عليها وجرى من النهب ما ذكرناه، شغف بعمارتها وحرص على رأب صدعها، ولم شعها، وندم على ما أطلق عليها من النهب والتخريب. وأين من الندامة نفوس مدروسة، وأجساد تحت أطباق الأثرى مطموسة؟ فأطلق من الخزانة أربعة آلاف دينار ليجدد ما خربتها المجانيق^(١) من السور، فعمر في أسرع وقت. وأقطع السكور من أعمالها الخانات والأمراء، واسترعى^(٢) أورخان إقطاع سرمارى فأجابه إليها لسنخ منه على شرف الدين أزدده، صاحبها، وسبب ذلك فتوره في وظائف الخدمة، وقصوره عما كان يلزمه من الملازمة مدة الحصار على خلاط. وقد حضر في مبدأ حصارها فلم تمض إلا أيام قلائل حتى طلب الإذن بالعود فأذن له، على إنكار مظهر، وسنخ مضر.

وأقام حسام الدين خضر ابن عمه مدة الحصار، وسار إلى مدينة أرجيش^(٣)، فحاصرها ودعا أهلها إلى الطاعة، فأجابوه إلى الانقياد قبل استيلاء السلطان على خلاط، وأمتار^(٤) العسكر منها أيام الضائقة، ووقعت خدمته تلك موقعا مرضيا. فحين برز الأمر إلى بإقطاع سرمارى لأورخان، ضاق صدرى لحسام الدين خضر، لما كان بينى وبينه من أكيد أسباب الاتحاد، ووثيق أساس الوداد. فدفعت^(٥) ذلك النهار بتوقيع^(٦) أورخان ولم أكتبه، وعبرت^(٧) على حسام الدين فى عودى من الديوان^(٨)، فشرحت له

(١) فى الأصل: المجانيق. (٢) فى الأصل: استدعى.

(٣) أرجيش: مدينة قديمة من نواحي أرمينية الكبرى قرب خلاط، أكثرها أرمن

نصارى. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ١٨١.

(٤) أمتار: جلب الميرة، وهى المؤنة. (٥) فى الأصل: فداقت.

(٦) فى الأصل: بتوقيع. (٧) عبرت: مرت به. (٨) فى الأصل: عن الديوان.

الحال، فقامت عليه القيامة، وحصل عنده من الاكتاب ما كاد ييكبه ، وقال :
هي مقابر آبائي ^(١) ، وموات أحياء أسلافي ، فما الرأي ؟ قلت : إنك قد
خدمت السلطان بقدر قدرتك وغاية جهدك ، ولم أشك في مرضاته عليك ،
واعتنائه بك . فإن شئت أن يسلم بيتك فاطلبه لنفسك لا يردك . فأتفق
طويلاً ثم قال : ليس يمنعني عما ذكرته إلا حقوق سلفت لشرف الدين
أزدره علي* ، وقدر باني تربية الوالد الرؤوف ، والآب العطوف ، ومع ذلك
أبيت ^(٢) الليلة التديير، وأخر* الرأي والتفكير، وغداً أخبرك بما تنتج الفكرة .
وفارقنا ، ثم أتاني بنفسه صباح غد راغباً وخاطباً ، وقد خدعته الدنيا فأنسته
الحقوق، وعلسته العقوق . وحين علمت أن المقصود لا يحصل إلا بإرضاء
شرف الملك ، أشرت عليه بذلك ، فدخل الأمر من بابه ، واتفق الحال على
أن كتب خطه بعشرة آلاف دينار بربرة ^(٣) يوصلها إلى خزائنه عند تملكها .

وانجر* شرف الملك في جرير المساعدة ودخل على السلطان ، ودخلت
معه ، وقضينا الشغل ، وبرز الأمر بإقطاعه سمراري ، وتمليكها إياها ^(٤)
بنواحيها وقلاعها ، على أن يحتال في قبض شرف الدين أزدره وابنه حسام
الدين عيسى . وفارق باب السلطان إلى غيق ^(٥) لإقطاعه القديم . واتفق أن
السلطان وجهني بعد انفصاله عن الخدمة بأيام قلائل إلى العراق في عدة مهام
يجيء شرحها فيما بعد ، فوجدته بغيق ، فضيقتني وأحسن ضيافتي ، وقدم لي خيلاً
وبغلاً وقاشاً وملوكاً وبازياً ^(٦) ، وذكر أنه استحضرهما بعلّة تطهير أولادى ،
فلا يحضرا ، وقال لي : ما بقي إلا عونك وإسعادك في إتمام الأمر . ورأيت

(١) في الأصل : إباءى .
(٢) بيت الأمر : دبره .
(٣) راجع ص ٢٧٢ حاشية ٤ .
(٤) في الأصل : تملكها إياه .
(٥) جاء هذا الاسم في قول البعث الجبى :
ونحن وقتنا في ممزينة وقعة غداة التقينا بين غيق وعيها
انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٦ ص ٣١٨ .
(٦) في الأصل : بازى .

أصحاب شرف الملك يأتونه بالوصلات يطلق لهم ما عليه مما ضمن له أن
يوصلها إليه بعد تملك سرمارى، قلعة إنصاف، وتجاهلا مشربا باستخفاف .
فأرسلت إليهما بعض أصحابي وقلت لهما: إن رأى السلطان قد تغير عليكما،
لنحاولكما في خدمته، وقعودكما عن نصرته، وقد شافيت الأمير حسام الدين
خضر بما يتلاني الخلل، ويمحو الزلل، فأحضرا لديه، وأسمعا ما أمليت عليه،
واتفقا معه على حكم ما تقتضيه^(١). المصلحة في إرضاء السلطان. ورحلت
صوب العراق، فحضرا حين بلغتهما رسالتى، وقبض عليهما، وملك سرمارى،
وورد الخبر بذلك وأنا بتبريز .

(١) في الأصل : يقتضيه .

ذكر ورود رسل الديوان العزيز بعد ملك خلاط

وكان السلطان لما لبس الخلعة الواصلة صحبة فلك الدين وسعد الدين رسول الديوان العزيز ^(١) أحصهما ^(٢) رسولين من عنده ، وهما نجم الدين أوداك أمير آخور ، وجمال الدين على العراقي ، في شكر ما أنعم به عليه ، وأحصهما خيلا تانارية برسم التقدمة . وكانت تلك الخيل أشرف أمواله وألطف هداياه في زعمه ، فأحصيا في عودهما بمحي الدين بن الجوزي وسعد الدين بن الحاجب ، وأمروا بأن يتفرقوا في طريقهم فرقتين ، فيعود رسل السلطان إلى بابيه سالكين طريق أذريجان ، ويتوجه رسل الديوان إلى الملك الأشرف صوب حران ، ففعلوا .

ووصل رسل الديوان بعد ملك السلطان خلاط ، وكانت حينئذ مكتوبة عن كل ما كول ، حتى عجزوا عن ضيافة الرسل . فشاورنا السلطان في ذلك متفقين ، وذكرنا له العجز عن واجب ضيافتهم ، فقال : نحن نقضى شغلهم ونودعهم في سبعة أيام ، فاحملوا إليهم عن ضيافتهم في هذه المدة ذهباً من الخزانة ، وابسطوا فسرهما بين يديه ، فجاءت ألني ^(٣) دينار تقريباً ، فأمر السلطان بأن يحملوا إليهم ألفين وخمسمائة دينار ، فحملت على يدي ويد مختص الدين ابن شرف الدين ^(٤) نائب السلطان بالعراق .

وقضى السلطان شغلها قبل سبعة أيام . وكانا قد تسكلا في مجير الدين وتقي الدين ابني الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وتشفعا ^(٥) في إصحابهما لإياهما إلى الديوان ، فما رأى السلطان ردهما في المطلوب كله ^(٦) وأحصهما ^(٧) تقي الدين وحده وودعهما . وركب إلى منازجرد ، فرتب على حصارها شرف الملك وعسكري العراق ومازندران .

(١) راجع ما ماجاء في الفصل السادس والثمانين ص ٣٠٧ — ٣٠٩ عن هدايا الخليفة العباسي لجلال الدين منكبرتي . (٢) في الأصل : وأحصهما . (٣) في الأصل : ألفا . (٤) في الأصل : مختص الدين ابن أشرف الدين . (٥) في الأصل : نشفعا . (٦) في الأصل : سكة . (٧) في الأصل : فأحصهما .

ذكر مسير السلطان إلى الروم

ومصافه بها ، وانهزامه من عسكرى الشام والروم

لما ملك السلطان خلاط ، وسار إلى منازل جرد لترتيب المحاصرة ، وصل ركن الدين جهانشاه بن طغرل صاحب أرزن الروم ثانياً ^(١) ، فأعلم السلطان باتفاق ملوك الشام والروم عليه ، وقال : إن رأى فى مبادرتهم قبل أن يجتمعوا فيصير الأمر خدعة ، وإن قصد كل واحد منهم قبل الاستعداد ، على حال التفرق والبعاد ، أولى من تخليتهم وإتمام ما عزموا عليه من الاجتماع . فصوب السلطان رأيه ، وعرف نصحه ، واتفقا على أن يرحل ركن الدين للوقت صوب أرزن الروم فيتجهز بها ، ويرحل السلطان بعده بخمسة أيام فى عساكره ، فيسوقا إلى نواحي خربتبرت ^(٢) ، فيقيمان بها منتظرين حركة العسكرين ^(٣) ، فأيهما تحرك أولاً ساقا إليه قبل اتصاله بصاحبه .

واستحضرنى السلطان عند تخمين هذا رأى ، وقال لى : اكتب لآخى ^(٤) ركن الدين توقيعاً بناحيتى كنعين وخريشين من أعمال خربتبرت ،

(١) كان صاحب أرزن الروم ابن عم لعلاء الدين قيباى سلطان السلاجقة الروم ، وكان بينه وبين ابن عمه عداوة مستحكمة . كما أنه كان أحد الدين أعانوا جلال الدين منكبرتى على حصار مدينة خلاط بعد أن دخل فى طاعته . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٢٧ .

(٢) راجع ص ٢٧٩ حاشية ١ .

(٣) أى عسكر كل من علاء الدين قيباى سلطان السلاجقة الروم وكان يتألف من عشرين ألف فارس ، والأشرف موسى وكان يتألف من خمسة آلاف من أحسن تدريبهم على أعمال الحرب . ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٢٧ .

(٤) كلمة «آخى» هنا بمعنى الصديق .

فكثبت وناولت السلطان فعلم عليه ، فقام ركن الدين وقبّل يده وودعه للوقت وركب .

ورمى السلطان أمراء العسكر على أيدي الجاوشية ^(١) والبهلوانية بسهام حمر هي عندهم علامة الاستنفار ، يأمرهم بالاجتماع . ورحل صوب خرتبرت وأقام بها ينتظر اجتماع العساكر ، فرض بها مرضاً شديداً سقط فيه على الفراش ، وأيس من الانتعاش . وكان الأمراء والخانات يحضرون الباب أيام مرضه على الرسم ، متحملين للتفرق في أطراف الممالك ، فلو نعى السلطان لهم تسوّق كل واحد منهم إلى جهة منها فيملكها . وتواترت كتب ركن الدين صاحب أرزن الروم محرضة على الحركة ، معلبة بتحريك العسكرين على نية الاجتماع ، والسلطان في شغل عن مطالعتها والوقوف عليها . وحين خف عنه المرض ، ركب بعد اجتماعهما استمراراً على سوء التدبير ، ولقد أحسن من قال :

إذا كان جد المرء في الأمر مقبلاً تأتت ^(٢) له الأشياء من كل جانب
وإن أدبرت دنياه عنه تعذرت عليه وأعيته وجوه المطالب

فترك شرف الملك بعسكره وعسكر العراق على منازل جرد ، وتكين مقطع خوى على بكرى . وقد كان بعض العساكر الآرانية والأذربيجانية والعراقية والمازندرانية أذن لهم في العود إلى أوطانهم فلم يستحضرهم ، قلة احتفال وعدم مبالاة ، وسار يطوى المنازل طيًّا ، ولم يلو على شيء لئسا . وجرد أمامه أوترخان في زهاء ألني فارس برسم اليك ، فصادم بياسجمان عسكر أرزنجان وخرتبرت ، فالتقاهم بكل أسمر كأن عاليته سقيت بالسموم ، بحال طعنته الحيزوم ^(٣) زاعف الخيشوم ^(٤) . فشاعت الهزيمة في الروم فقتلوا .

(١) في الأصل : الجاوشية .

(٢) في الأصل : بات .

(٣) الحيزوم : وسط الصدر وما يقوم عليه الحزام . وحيزوم أيضا اسم فرس من خيل الملائكة .

(٤) الخيشوم : أقصى الأنف .

وسمعت الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل ، قال : كان السلطان علاء الدين كيقباز يقول عند اجتماعنا به : ليس هذا العسكر الذي ^(١) ترونه من العساكر الذين ^(٢) أتكل عليهم في لقاء العدو ، إنما رجالي وأبطالى وعسكري الذين عليهم اتكالى عسكر الشرق ، وأنهم واصلون . فلما وافاه الخبر المزعج بما جرى عليهم ، زال عنه التمالك ، وخانه التماسك ، فرأينا عنده ما أقلقناه وأكده ، وأضعف عن كل شئ قلبه ويده ، وعزم على العود ، واقتصر تهمته على حفظ الدربندات ^(٣) التي وراءه . فقوينا جأشه مثبتين إلى أن جاشت نفسه إليه ، وتفرقتا على نية الاستعداد للبصاف ، ولم يعتقد أنه يصل عن قريب . فلم يرعنا ثاني يومنا ذلك إلا أطلا به متواصلة ، ونحن على غرة من ذلك ، فكانوا يصلون ويقفون ، فلو ساقوا على فورهم لأعضل الداء ، وعسر الثبات ، وعظم البلاد ، فركبنا ورتبنا العسكر .

نعم ، ولما تلاقى العسكران ، قويت ميمنة السلطان على ميستهم ، وملكت عليها تلا كانت قد صعدته ، فأردفت بطائفة من العسكر ، فأنزلت ميمنة السلطان عن التل وطرحت الوادى ، وتوالت الحملات عليهم فلم يثبتوا ، بل انهزموا كاليعافير ^(٤) الراعية راعتها الفوارس ، ووقعت فيها الذئاب النواهس ، وما كانوا يصدقون بانهمزامهم ، بل حسبوها حيلة معمولة إلى أن تحقق الكسر ، وتوالى الأسر ، وانكشفت الهزيمة ، وترادفت الغنيمة ، وركبوا أكتافهم . فلم يزل الرماح تقضى منهم أوطارها ، والسيوف تبرد أوارها في مجاهل لم يضرب عليها علم ، ولم يسلكها حافر ولا قدم . وهكذا إلى أن جنىحت الشمس للأصيل ، وأذن الطفل بالتطفيل ^(٥) ، ووقع خلق منهم في شقيف ^(٦) متهافتين من حر الطلب ، وركض الأتراك والعرب . وأسر الخ خان ،

(١) فى الأصل : الذين . (٢) فى الأصل : التى .

(٣) جمع دربند . راجع ص ٣٦ حاشية ٧ ، ص ١٠٢ حاشية ٦ ، ص ٢٨٥ حاشية ٢ .

(٤) اليعافير جمع يعفور ، وهو ظي بلون التراب .

(٥) الطفل : الشمس قرب الغروب . والتطفيل : دنوها للغيب .

(٦) كذا فى الأصل ، ولعلها شقيف أى مكان مسقوف بلبأوا إليه ليحبهم القارة .

وأطلس ملك ، وعدة من المغاردة ، فأمر علاء الدين صاحب الروم بضرب رقابهم . وأسر صاحب أرزن الروم بعد أن أحاطوا به ، فقاتل عن نفسه أشد قتال ، وأمر بتقييده وحمل على بغل ، إلى أن جرحه الزمان مر كاسه ، وقضى الأجل بانقطاع أنفاسه ، فقتل مظلوما ، ودفن مرحوما (١) .

هو الدهر لانعجب من طوارفه ، ولا تنكر هجوم بوائقه (٢) ، عطاؤه في ضمان الارتجاع ، وحباؤه في قران الانتزاع . بينا يمنح المرء حتى يسلب (٣) ويبني حتى يخرب . فالليب يستشعر الفجيعة ، حتى يؤدي (٤) الوديعة ، ويتمثل الفقدان ساعة تصافح الوجدان .

(١) ذكر ابن الأثير أن جلال الدين « مضى منهزما هو وعسكره ، لا يلبى الأخ على أخيه وتفرقت أصحابه ، وتمزقوا كل ممزق ، وعادوا إلى خلاط فاستصحبوا معهم من فيها من أصحابهم ، وعادوا إلى أذربيجان فزلوا عند مدينة خوى » . أما المقرئ فقد ذكر أن جلال الدين تقهر في عدة من أصحابه إلى تبريز .

انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٢٧ . والمقرئ : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٢٤٠ .

(٢) البائقة : الداهية . وفي الحديث الشريف : لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ، أي ظلمه وعشقه ، أو كما يقول الكسائي غوائله وشره .

(٣) في الأصل : يمنح المرحى يسلب . (٤) في الأصل : يؤدي .

ذكر مسير الملك الأشرف إلى خلاط

ومراسلته للسلطان في أمر الصلح

وملاطفته في ذلك كرمأ غذى بلبانه ، وعجن على مسكه وبانه

ثم ودع الملك الأشرف السلطان علاء الدين وفارقه ، واستصحب بعض عسكره إلى خلاط . وقد كان السلطان لما قذفته الجفلة إلى منازلهم ، وجد شرف الملك قد ضايقها بالتخنيق ، ونصب عليها عدة مجانيق ، فأقأ أهلها الفرج من حيث لم يحتسبوا . واستصحب السلطان شرف الملك بعسكره إلى خلاط ، فلما وافاها تحمّل ما أمكنه استصحابه ^(١) من الخزائن وأحرق الباقي ، لقلة الظهر ، وضيق الوقت ، وفارقها معزداً السير ^(٢) إلى أذربيجان . فلما وصل إلى سكراباذ ، خلف شرف الملك ومن كان معه من العراقيين هناك برسم البرك ، ليكون حجاباً دونه ومن يقصده ، وأقام بخوى . وأما وجوه الترك وذوو ^(٣) الوفاء والحفيظة من الخانات فلم ^(٤) يعرج واحد منهم على الآخر ولا على السلطان ، وكانوا يخفون كل مرحلة ما أثقلهم من الأحمال ، حتى امتد بهم الوجيف ^(٥) إلى موغان ، وتركوا سلطانهم خلسة لكل طامع ، وأكله لكل جائع .

ولما علم الملك الأشرف أن شرف الملك هو المقيم بسكراباذ ، فاتحه بالمراسلة والملاطفة وقال : إن سلطانك سلطان الإسلام والمسلمين وسندهم ^(٦) ،

(١) في الأصل : استصحبها .

(٢) أى مسرعاً . وقد نقلها هوداس خطأ عن النسخة الخطية « معزداً للسير » .

(٣) في الأصل : ذوو .

(٤) في الأصل : لم .

(٥) في الأصل : الوجيف . وأما الوجيف فهو ضرب من سير الأبل والخيول وقد قال تعالى : « فأوجفتم عليه من خيل ولا ركاب » أى ما أعلمتم . سورة الحشر ، آية ٦ .

(٦) لا يخفى ما تحتله هذه العبارة من معان تدل على مبلغ ما وصلت إليه الخلافة العباسية في ذلك الوقت من ضعف .

والحجاب دونهم ودون التاتار وسدم^(١). وغير خاف علينا ماتم على حوزة^(٢) الإسلام وبيضة الدين بموت والده^(٣)، ونحن نعلم أن ضعفه ضعف الإسلام، وضرره عائد^(٤) إلى كافة الأنام. وأنت قد حلبت الدهر أشطره، وعرفت نفعه من ضرره، وذقت حلوه ومره، فهلا ترغبه في^(٥) جمع الكلمة ما هو أهدي سيلا، وأقوم قيلا^(٦)؟ ولم لا تدعوه إلى الألفة التي هي أحمد في البدو والعقبى، وأقرب إلى ما يقربه إلى الله زلي؟ وها أنا ضامن السلطان من جهة علاء الدين كيقباز وأخي الملك الكامل ما يرضيه من الإنجاد والإسعاد، وإصفاء النيات على حالي القرب والبعاد، والقيام بما يزيل عارض الوحشة ويمحو سمة الفارقة.

ذلك وأمثاله، لطفاً منه غذاه الله بلبانه ودره، وأطربه بنشوة خمره، وأريحية جبلت عليها خُمرته^(٧)، وآيات في الكرم لا تتلها إلا سريره، ووقعت الرسالة كل موقع حسن، وركن السلطان إليها، وأخذت الرسل تترد إلى أن تم الصلح. وكان آخر رسول ورد من جهته في إتمام الصلح الشمس التكريتي^(٨). وكنت قد رجعت من خلّاط بعد قضاء أشغال بعثت فيها، وسأذكرها في موضعها، فوجدت التكريتي بتبريز وقد فرغ من استحلاف

(١) كانت الدولة الخوارزمية في الواقع بمثابة حاجز منيع بين المغول في الشرق وبين أملاك الخلافة العباسية بوجه خاص وأقاليم غرب آسيا بوجه عام. ولم تكن هذه الحقيقة بخافية على أمراء المسلمين في ذلك الوقت، وليس أدل على ذلك من أنه لما قتل جلال الدين منكبرتي فيا بعد، ذهب بعض خواص الأشراف موسى يهتثونه بمقتل عدوه، فقال لهم: تهنؤن به وتفرحون! سوف ترون غيبه، والله لتسكون هذه الكسرة سبباً لدخول التتار إلى بلاد الإسلام. ما كان الخوارزمي إلا مثل السد الذي بيننا وبين يأجوج ومأجوج. انظر أبوالمحسن: النجوم الزاهرة، ج ٦ ص ٢٧٧.

(٢) في الأصل: حوزة. (٣) علاء الدين محمد خوارزم شاه.

(٤) في الأصل: عابداً. (٥) في الأصل: من.

(٦) قرأها هوداس في النسخة الخطية « قيلا » ثم عدلها في الترجمة الفرنسية إلى « قبالا ». والواقع أن القراءة الأولى هي الصحيحة.

(٧) جبل فلان على كذا: طبعه. والخمرة: الرائحة الطيبة. وفي الأصل: خبلت.

(٨) نسبة إلى مدينة تكريت، إحدى المدن الواقعة على نهر دجلة.

السلطان للملك الأشرف بما أراد من إزالة التعرض عن خلاط ونواحها .
 ووقف السلطان في حلقه لعلاء الدين كيقيباذ ، وطال مقام التكريتي
 لذلك ، وعبر شهر من الزمان والسلطان مصر على إباته والتوائه ، يقول :
 قد حلفت لكم بجميع ما أردتم ، فخلوا السيل بيني وبين صاحب الروم .
 والتكريتي يراجع به بالمطالبة باليمين ، فلم يحلف ، إلى أن تواترت الأخبار
 بوصول التاتار إلى العراق^(١) ، فحلف لصاحب الروم أيضا بالكف عن بلاده .
 ولما كان السلطان حلف للملك الأشرف بإزالة التعرض عن خلاط
 ونواحها ، استثنى سرماري ، لكونها معدودة من أعمال أذربيجان قديما ،
 وألح التكريتي في السؤال بالنزول عنها ، إذ كان صاحبها انضوى إلى الملك
 الأشرف تفاديا من تكاليف شرف الملك ، تصوتا من تحكاته . فأجابه
 السلطان بالنزول عنها ، على أن يكتب بها توقيعاً باسم الملك الأشرف .
 ورضى التكريتي بذلك ، وحين سُلم التوقيع إليه ، حضر وقبل الأرض بين
 يدي السلطان .

(١) كان ذلك في عهد أجنای «اكتای» Ogotai بن جنكيزخان ٦٢٤/٦٣٩ هـ = ١٢٢٧
 /١٢٤١ م . فقد جهز أجنای جيشاً من ثلاثين ألف مقاتل وأسند قيادته إلى اثنين من أشهر
 قواده ما شيرماجون Churmagan وييدشو Baidshu وسار هذا الجيش إلى إقليم خراسان
 وعبره في سرعة فائقة إلى الأقاليم القريبة من اهدولة الخوارزمية ، واستطاع أن يستولى على الري
 وهمدان وغيرهما من مدن العراق العجمي . وما انبثق فجر سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣١ م) إلا وكان
 هذا الجيش المنغولي قد وصل إلى حدود أذربيجان . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص
 ٢٣٠ . وانظر أيضا : Howarth : Op. cit., part I, p. 130.

ذكر مهمات بعثت فيها إلى العراق

منها أن رسولا من علماء الدين صاحب الموت يلقب بفلك الدين ، ورد الأبواب السلطانية بعد ملكه خلاط ومعه عشرون ألف دينار مما يجب حمله من الأتاوة المقررة عليهم ، وكان في كل سنة ثلاثون ألف دينار . وكان الواجب عليهم حق سنتين ، فحمل هذا المقدار ودفع بالباقي بحجج . فأرسلت إليها بالمال مطالبا ، وفي عدة قضايا معاتبا (١) .

ومنها أن السلطان لما حلف للديوان العزيز بأن يعد ملك الجبال عماد الدين بهلوان بن هزارسف ، وملك الأبوية (٢) شهاب الدين سليمانشاه من جملة أولياء الديوان ، وأن لا يحكم عليهم ولا يستنجد بهم ، ندم على ما فعل لإنكار شرف الدين نائب العراق على ذلك ، وتخطيئه (٣) رأى من أشار به إلى السلطان في إجابة الديوان العزيز . وكان ذلك من جملة تدابير شرف الملك ، وأوهم السلطان أن ملك العراق لا يستقيم لصاحبها إلا بطاعتها ، وأراد السلطان إعادتهما إلى ما كانا (٤) من الخدمة والطاعة ، ولم يكتبهما إلى أن يختبر بواطنهما فيعلم رغبتهما في الدولة السلطانية أو ميلهما عنها . وحيث لم ير مكاتبتهما قبل اختبار ضمائرهما ، رأى أن يسيّر إلى أصفهان من إذا كاتبهما عن نفسه يصدقانه ، فوقع قرعة الاختيار في ذلك على اسمي ،

(١) كانت طائفة الاسماعيلية قد انتهزت فرصة تلك الفوضى التي حلت بأقاليم الشرق الاسلامي عامة ، والدولة الخوارزمية خاصة ، على أثر الغزو المغولي وأخذت تعيش في البلاد فاسانا . ولكنها بدأت تنكشف في قلاعها بعد عودة جلال الدين منكبرتي من الهند ، ثم أخذت تنقلب إليه بعد أن أحل بها المزعجة سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٧ م) ، وبعد أن عمل التخريب في حصون الاسماعيلية ونهب أموالهم وقتل وسبي واسترق عددا كبيرا منهم . انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٧ . وانظر أيضا كتابنا : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ١٨٨ — ١٩١ .

(٢) في الأصل : الايوه .

(٣) في الأصل : تخطيئه .

(٤) في الأصل : كانوا .

ووجهني إلى العراق ، وتقدم إلىّ بالمضى أولاً إلى أصفهان والاجتماع بها بنائب العراق ومكاتبه الملبكين من هناك ، فإن رغبا في الخدمة ورجعا إلى الطاعة ، استحضرنجدهما ، ونجدة^(١) صاحب يزد ، فأسير بهم وبنائب العراق إلى قزوين ، ثم أدخل بنفسى الموت وأطالب علام الدين بالخطبة ، وما قد يبقى عليه من الاتاوة ، فإن توقف في أداء ما عليه منها ، يدخل العسكر بلاده فيوسعها^(٢) نهياً وإحراقاً ، وسفكاً وإرهاقاً . فتوجهت نحوها ، على كره مني لتلك السفرة ، فلما جسطط رحلي^(٣) بقزوين ، التقاني حاجب من حجاب شرف الدين نائب العراق بكتاب منه إلى كافة النواب بيلاده على الجادة^(٤) يأمرهم بتضييئي وإكرامى ، ففعلوا ما أمر ، وبالغوا على ما اقتضاه مذهب المروءة ، وقد فاق صاحبهم فيها صدور زمانه ، وأكابر عصره وأوانه .

فلما نزلت بقرية سين^(٥) ، وهى على مرحلة من أصفهان ، أتاني بعض حجاجه يشيرون^(٦) علىّ بالتوقف ريثما يتجهز هو ومن بهامن الأكابر والعامّة لتحشم الاستقبال ، فلم أفعل . وركبت أسوق حائاً في السير إلى أن أتاني من أصحابه من مسك عنسائى وأنزلنى إلى أن وافانى شرف الدين والقاضى والرئيس والأمرام والصدور فى السواد الأعظم . فدخلتها فى الثامن والعشرين من رمضان سنة سبع وعشرين وستائة ، وأقمت بها إلى أن تراجعت الرسل

(١) أى فصائل من الجند .

(٢) أى يملؤها . وقد جاءت فى الأصل : فيوسعها .

(٣) فى الأصل : رحلى . راجع س ٣٢٣ حاشية ٤ .

(٤) أى على طريق سفره . وفى الأصل : بيلاده الجادة .

(٥) ذكر هوداس فى هذا الموضع من الترجمة الفرنسية أنها تحتمل أن تقرأ « شين » Chîn ، ولعل ذلك يرجع إلى أنها وردت غير منقوطة فى هذا الموضع من النسخة الخطية . وهذا قول مردود إذ قد سبق ذكرها « سين » فى مواضع أخرى سابقة ، كما يؤيد باقوت كتابتها على هذا النحو . راجع س ١٣٥ ، ٢١١ من طبعة هوداس العربية ، س ٢٢٤ ، ٣٥٢ من الطبعة الفرنسية ، وانظر س ٢٢٣ حاشية ١ من هذه الطبعة .

(٦) فى الأصل : يشير .

من ملكي الأبوية (١) والجبال ، وقد وجدوهما راغبين في الطاعة ، معانين على نحو اسمها من دفاتر الجماعة ، ووصلت بعد أيام نجدهما ، وحضر محمود شاه صاحب يزد بنفسه . ثم ورد كتاب من زوجته بنت براق المستولي على كرمان (٢) يذكر أن أباهما على قصد يزد اغتناما لنهزذ الخلو (٣) ، ووصلا (٤) في شطن (٥) التمو والعلو ، وأبا إلا على النفس الأمانة بالسوء (٦) واتفقت مع شرف الدين على الإذن له في العود إليها ، احترازاً من حدوث ما يعقب ملامة ، ويورث ندامة . ووصلني على يد وزيره صفى الملك ألف دينار وخيل وقاش . وسرت صحبة نائب العراق بهذه النجدة إلى قزوین ، وهي أقرب البلاد من آملوت ، وأقاموا بها ودخلت آملوت .

(١) في الأصل : الايوه .

(٢) هو براق حاجب ، أحد الفواد في دولة الخطا وقد دخل في خدمة علاء الدين محمد خوارزم شاه ، واتخذ من الفوضى التي أعقبت غزو جنكيزخان للشرق الاسلامي فرصة لتأسيس أتابكية له في كرمان سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) . وقد ظلت هذه الأتابكية خاضعة للخوارزميين خضوعاً اسمياً في عهد جلال الدين منكبرتي الذي كان براق يحاجب نائباً له .

انظر ما كتبناه عن أتابكية كرمان في كتابنا : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ١١١ . وانظر أيضاً الجلد ١٧ من ١٦٩ من نفس الكتاب .

(٣) في الأصل : الخلو . (٤) في الأصل : وجلا .

(٥) الشطن : الجبل الطويل ، وجمه أشطان .

(٦) كذا وردت هذه العبارة في الأصل . والمعنى لا يستقيم بهذا الوضع ، وبصح القول إما « وإقبالاً على النفس » أو « وأبى إلا تزولاً على حكم النفس الأمانة بالسوء » .

ذكر مسيرى إلى آلموت وكيفية الرسالة

كان السلطان مستشيطا غيظا من علاء الدين صاحب آلموت ، لأسباب معظمها إخلاف الوعد في رد غياث الدين أخيه^(١) ، وتجهيزه من آلموت فراد البلة^(٢) بقدر السكفاية من الخيل والعدة ، فكانت الرسالة رسالة متعنت . وقد شرط السلطان على " أن لا أدخلها إن لم يلزم علاء الدين التقافى بنفسه ، وإننى لا^(٣) أؤجل يده عند الاجتماع به ، بل أخالف جميع ما يقتضيه شرع الآداب من التعظيم والاحترام فى الجلوس وغيره .

فلما ذكرت لشرف الدين نائب العراق هذه الشروط قال : لك الخيار فى جميع ما أمر السلطان به . ولن^(٤) يقدرُوا أن يشكروا فى شيء منها ما خلا أمر الالتقاء ، فإهم ان^(٥) يجيبوا إليه ، وذلك أن لهم أمدا معلوما ، لا^(٦) تركب ملوكهم إلا بعد بلوغهم من العمر ذلك الأمد ، وصاحبهم هذا لم يبلغه بعد ، فلو شرطت عليهم هذه الشريطة وأبيت أن لا تدخل إلا بها لتعذرت الإجابة وتوقفت المصالح المتعلقة برسالتك غير أن أبعت إليهم من يذهبهم إلى^(٧) ما أمر السلطان به من الالتقاء ، وأنت تتبع مبعوثى فتدخل من غير استئذان للجواب ، فإن أجابوا — وذلك بعيد — فهو المراد ، وإلا فلا تتوقف للأشغال المتعلقة بالرسالة .

ففعلت ودخلت ، والتقافى كابر دولته وكان الأمر كما ذكر شرف الدين على ، وأتاني الوزير عماد الدين المحتشم أولا ، وأراد أن أذكر له الرسالة ليثبت جوابها ملقيا لصاحبه ، فلم أفعل ، واجتمعت بعلاء الدين بعد ثلاثة

(١) راجع ص ٢٤٣ حاشية ٣ .

(٢) يقول العرب : زاد الطين بلة ، أى أكثر مما يضر ويغضب . وفي الأصل : مزاج الملة .

(٣) فى الأصل : لم .

(٤) فى الأصل : لم .

(٥) فى الأصل : لم .

(٦) فى الأصل : لم .

(٧) فى الأصل : لم .

أيام ليلا في شاهق جبل ، وأوردت له الرسالة بما فيها من المخاشنة ، وهي عدة فصول : منها التماس الخطبة على ما كان في زمان السلطان الكبير^(١) ، وكنت أعرف أنهم ينكرون خطبتهم ، وكان القاضي مجير الدين باقيا ، وهو الذي أرسله السلطان الكبير إلى جلال الدين الحسن والد علاء الدين محمد يأمره بالخطبة له فخطبت^(٢) . فكنت أخذت خط المجير بذلك ، فلما عرضته عليهم كذبوه ونجسوه^(٣) . وكان الوزير عماد الدين المحتشم جالسا على يمين علاء الدين ، فأجلسوني عن يساره ، والوزير يجيب عن كل فصل ، وعلاء الدين يتلقف ويعيد ما نذكره من غير زيادة ولا نقصان . وطال الكلام في أمر الخطبة فما زادوا إلا على الإنكار . وكان الأمر أظهر من أن يكتم ، وما بالعهد من قدم ، وقد عرف المقيم والمسافر ، والمنجد والغاير ، بمائة ألف دينار بتر ، كانوا يحملونها إلى الخزانة السلطانية العلانية كل سنة أتاة مقرر .

ومنها أن بدر الدين أحمد ، بعض^(٤) أصحاب علاء الدين كان قصد التاتار بما وراء النهر رسولا منه ، فقال السلطان في جملة الرسالة : إن علاء الدين يبعث المذكور لاستخبره عن كيفية الرسالة ، ثم أرى فيه رأي فكان جوابهم عن هذا الفصل أن السلطان يعلم أن لنا بلاداً متاخمة للتاتار ولا بد لنا من مداراتهم دفعا للأذى عنها ، فإن ثبت عند السلطان أن رسالته كانت في فساد

(١) علاء الدين محمد خوارزم شاه ، والد جلال الدين منكبرتي .

(٢) تولى جلال الدين حسن زعامة الاسماعيلية في فارس من سنة ٦٠٧ / ١٢١٨ هـ = ١٢١٠ / ١٢٢١ م . وبما يذكر عنه أنه لما شعر بما أصاب طائفته من ضعف بحيث أصبحت لا تستطيع مقاومة دول الأتراك عامة والدولة الخوارزمية خاصة ، عول على إرضاء المسلمين عامة بأن ترك تعاليم أسلافه وأمر بإقامة الشعائر الإسلامية في جميع القلاع التابعة له في كل من قوهستان وسوريا ، بل أرسل سفراءه إلى الخليفة العباسي الناصر وإلى علاء الدين محمد خوارزم شاه ، وإلى الحكام من الأتراك يطلب رجوعه إلى الدين الحق . وأتبع ذلك بإحراق ما خلفه له آباؤه من كتب تحوى تعاليم الدعوة السرية .

انظر . Von Hammer : Histoire de l'Ordre des Assassins , p. 219 .

(٣) نجسوه : رموه بالفجور .

(٤) كذا في الأصل ، ويحسن كتابتها « أحد أصحاب » أو « من أصحاب » .

يعود إلى الدولة ، فنحن المذنبون في ذلك لا هو ، فيبين السلطان لنا ذلك ويخجلنا ، ثم يقابل ذلك بما يرى .

ومنها مطالبهم بما قد بقى من الأتاوة المقررة ، وحملها^(١) إلى الخزانة من غير بحس ، فقد زعموا في ذلك أن أمين الدين رفيق الخادم — وكان والياً بقلعة فيروزكوه^(٢) — قد أخذ حملاً لهم قد حمل من قهستان إلى آلموت مبلغ خمسة عشر ألف دينار ، فقلت إن الذى أخذ أمين الدين كان قبل انعقاد الصلح وتأكد العهد . قالوا : فى أى زمان كنا مخالفين ، ولهذه الدولة غير موالين ولا مضافين ، وقد جربنا السلطان على حالتي السراء والضراء ، وتارقى الشدة والرخاء . ألم يخدم السلطان أصحابنا بالهند وهو على أضعف أحواله بعد عبوره ماء السند ، ولما سمع السلطان ذلك ، اعترف بخدمتهم له فى ذلك الوقت ؟ أولسنا^(٣) قتلنا شهاب الدين الغورى على ولاء السلطان الكبير ومحبة^(٤) ؟ قلت : إن شهاب الدين الغورى قد خرب لكم بلاداً ، وسفك منكم دماً ، ومع ذلك كله لا تسقط الأتاوة بهذه الأسباب . ثم زعموا أن شرف الملك قد أسقط لهم من الأتاوة المقررة عليهم عشرة آلاف دينار مستمرة . وأحضروا الحجة مكتوبة بخطى معربة بعلامة شرف الملك . قالت : إن المال مال السلطان ، وليس يستقطه إلا خط السلطان . قالوا : إن جميع أموال السلطان مطلوبة بخط شرف الملك ، وإطلاقاته فى أى جهة

(١) فى الأصل : حملها .

(٢) فيروزكوه : قلعة فى إقليم طبرستان ومنها الجبل الأزرق . وهناك قلعة أخرى تسمى بهذا الاسم بين هراة وغزنة . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٦ ص ٤١١ .

(٣) فى الأصل : والسنا .

(٤) قتل شهاب الدين ملك الدولة الغورية سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٥ م) . وقد ذكر ابن الأثير روايتين عن مقتله ، الأولى أنه قتل على يد الخطا بينما كان يتأهب لقتالهم . أما الرواية الثانية فهى القائلة بمقتله على أيدي الاسماعيلية الذين خافوا خروجه إلى خراسان وحصار قلاعهم فيها . ولنا لنميل إلى الأخذ بالرواية الثانية وخاصة بعد أن أيدها النسوى فى النص الذى نحن بصدده . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٩٨ — ٩٩ .

شاه من غير تضيق عليه فيها ولا اعتراض. وإن حكمه نافذ حتى فيما يصرفه إلى شهوات نفسه، ولذات يديه، فلما ينفذ فيما يتعلق بنا ؟
وتقرر الأمر على أنهم يزنون منها عشرين ألف دينار، ويمهلهم في العشرة الباقية ريثما يشاورون^(١) فيها السلطان. فوزنوها ذهباً غياثية غورية^(٢) أجد ما يكون من صنوف الركني، وقد جرى في هذا المجلس فصول أخرى فيها زيادة محاكمة ومخاشنة، ولا حاجة إلى إعادتها.

وكان شرف الدين نائب العراق قد أصبحني شخصاً من جهته يعرف بكال الدين المستوفي، وقد تولى وزارة سليمان شاه في مهمات تتعلق بالعراق فلما استؤذن عليه وأذن له أن يتكلم حصر وعي^(٣)، وكان مشهوراً بذلاقة اللسان، وفصاحة البيان، فلما خرجنا قلت له : ما أصابك حتى حصرت^(٤)، وأنت أنت ؟ قال : خامشتك علاء الدين في الكلام - وهو الذي شق بطون الأفاصرة، وقطع أوداج الجبابة - تركني^(٥) باهتا مدهوشاً، وأيم الله ما اعتقدت أننا نخرج من مجلسه سالمين.

وكان الأمر بخلاف ما توهم المذكور، فإن علاء الدين قد خصني من سائر الرسل السلطانية بمزيد الاحترام والبر، فأجزل العطاء، وضاعف على المعبود في الصلات والخلع، وقال : هذا رجل صحيح، والإحسان إلى مثله لا يضيع. وكان مبلغ ما أنعم عليّ به من الجنس والنقد قرابة ثلاثة آلاف دينار، منها خلعتان كل واحدة منهما قباء أطلس، وككة، وفروة، وفرجية، غشاء الواحد منها أطلس والآخرى خطائي. وحياصتان^(٦) وزنهما مائتا دينار، وسبعون قطعة ثياباً مختلفة، وفرسان بالسرج والساخت والسرفسار

(١) في الأصل : يشاوروا .

(٢) نسبة إلى غياث الدين ملك الدولة النورية .

(٣) أي توقف عن الكلام من خوف أو ضيق أو خجل . وفي الأصل : حضر وعي .

(٤) في الأصل : حضرت . (٥) في الأصل : وتركني .

(٦) اغياصة : سير يشد به حزام السرج . قاموس المحيط للفيروز آبادي، ج ٢ ص ٢٩٩ .

والطوق ، والف دينار ذهباً وأربعة^(١) رموس خيل^(٢) ، بالجلال ، وقطار
جمال بخيتات^(٣) ، وثلاثون خلعة برسم أصحابي .

وكنيت قد بنيت بقلعتي بخراسان خانقاه^(٤) ، وهممت أن أشتري من
آلموت أغناماً أسبّلها وفقاً على الخانقاه ، إذ كانت الأغنام بخراسان أفتها
غارات التاتار . فلما علم علام الدين بذلك بعث إلىّ يقول : قد بلغني أنك
تشتري الأغنام برسم الخانقاه ، ونحن نريد أن نشاركك في الثواب فنسيّر
إليك منها ما يكفيك . فكففت عن شرائها غير واثق بإنجاز الوعد ، ظاناً
بأنه أراد بذلك أن يمنعني عن شرائها بآلموت . فوصل بعض الجوانية^(٥)
بعد انفصاله عنه ومقامي بقزوين أياماً بأربعمائة ضائية عشرأ ، فسيرتها إلى
القلعة ، ولم أدر ما حالها بعد الهرج والمرج ، ووقوع الاضطراب والهيج .
وأصحبت من جهتهم بأسد الدين مودود رسولاً ، وكان السلطان قال لي :
إن أرادوا أن يبعثوا معك الأسد مودود فامنعمهم ولا تستصعبه . ولم
أدر ما كان السبب في ذلك ، فمرقتهم ما قال السلطان عنه ، فلم ينزجروا
لحرص الأسد على ذلك .

إذا أراد الله أمراً بامرى^(٦) وكان ذا رأى وعقل وبصر
وحيلة يعملها في كل ما يأتي به مكروه أسباب القدر
أغراه بالجهل وأعشى عينه وسلته من عقله سل الشعر

(١) في الأصل : أربع . (٢) في الأصل : خيلا .

(٣) البيخت : الإبل الخراسانية . انظر قاموس المحيط للفيروزابادى ، ج ١ ص ١٤٣ .

(٤) خانقاه : كل فارسية معناها البيت ، وجمعها خوايق . وهي معاهد دينية إسلامية للرجال
والنساء ، كالأديرة في المسيحية ، غير أن تلك المعاهد لم تسكن يوماً للربنة ، وإنما أنشئت
لإيواء المقطعين للعلم والزهاد والعباد ، كما كانت أماكن يختل فيها رجال الصوفية للعبادة والتصوف .

انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ١٨٢ حاشية ٤ .

(٥) الجوانية : فئة من ممالك السلطان ، ويسمون أيضاً الخاصكية . انظر المقرئى :

السلوك ، ج ١ قسم ٣ ص ٦٨٦ حاشية ٣ .

(٦) في الأصل : بامرى .

وذلك أنه لما رأى رسالة معرضة بشكوى شرف الملك ، وأنه يكدر علينا من يستصفيه من موارد العناية السلطانية ، ومخير علينا ما يستمحضه من خالص النية ، نقم عليه ذلك . واتفق رحيل السلطان من تبريز بغتة لفاجئ خبر التاتار ووصولهم إلى زنجان ، فبقى المذكور بتبريز . فلما وصل السلطان إلى موقان ، ورد عليه كتاب من شرف الملك يذكر فيه أن رسول الموت قد كتب كتابا إلى التاتار مشتملا على فصول ، منها حشهم على سرعة الوصول . فسكت الكتاب وقتلته^(١) ، وقتلت من صحبه ، فكان كما قيل :
 محاسن سيف ما قال ابن دارة أجمعا^(٢)

- (١) قتل الكتاب ، طواه . وفي الأصل : وقتلته .
 (٢) هو سالم بن دارة أحد بني عبد الله بن غطفان ، ودارة أمه ، وكان قد هجا بعض بني فزارة فقال :
 أبلغ فزارة أن لن أصلها حتى (...) زميل أم دينار
 فاعتاله زميل وقال :
 أنا زميل قاتل ابن دارة وراحض الخزاة عن فزارة
 وفيه يقول الكيت :
 أبت أم دينار فأصبح فرجها حصانا وثملتم قلائد قوزعا
 خذوا العقل إن أعطاكم العقل قومكم وكولوا كن ستم الهوان فأرتما
 ولانكثروا فيه الضجاح فإنه محاسن سيف ما قال ابن دارة أجمعا
 والمتصود بقوله ، قلائد قوزع : الداهية والمار . انظر كتاب مجمع الأمثال للبدياني ، ج ٢ ص ٢٠٨ .

ذكر عز الدين بلبان الخلخالى ومقتله

قد سبق ذكر بلبان الخلخالى ، وأن السلطان حاصره بقلعة فيروز آباد فاستنزه على أمان بذله ، وقابل ذنوبه بالعمو والغفران ، ضنا منه بكل باطل ، وشجاع مقاتل . واستمر في الخدمة إلى أن نزل السلطان بطوغتاب ، فهرب ليلاً إلى الحاجب على الأشراف بخلاط ، فأمنه وآواه ، وأكرم مقدمه وأعز مشواه . ثم سيره إلى أذربيجان ، فضى إلى جبال زنجان^(١) يخيف السابلة ، وينهب القافلة إلى أن وجهى السلطان إلى العراق ، فكتب له توقيعاً مطويماً على استمالة قلبه ، وإزالة رعبه ، يقول فيه : إنك لو اخترت المقام بالعراق ، فقد تقدمنا إلى نائبنا بها أن يعين لك ولأصحابك إقطاعاً يرضيك ويقنعك . وقال : إذا قربت جبال زنجان ، فابعث إليه أحد أصحابك بهذا التوقيع .

وكانت المواقف قبل تصدر إليه فلا تعمل في صدره ، والأمثال تقلب في عينه ، فلا تؤثر في قلبه ، حتى إذا بلغ للكتاب أجله ، انخدع بكتاب حجه صغير ، وظاهره عند العقل تغريب . وكان المذكور قد ضجر عما كان فيه من مفارقة القرار ، ومقارفة الأوزار^(٢) ، ومكابدة الأخطار ، ووصل سحر الليل بذات النهار ، فال إلى الاستجمام^(٣) بعد اظهار الفساد ، والجهار بالعناد .

هيئات لاتخذهم إيماضة^(٤) والغيظ تحت تبسم الأساد
فركن إلى قول من راسلته إليه ، فقصد أصفهان ، وكان السلطان قد كتب إلى شرف الدين يأمره بحمل رأسه إليه إن قصد أصفهان ، ففعل .

(١) زنجان : إحدى المدن الواقعة في أقصى بلاد الجبل من ناحية الشمال ، وعلى الحدود الجنوبية لأذربيجان ، وتنسب إليها جبال زنجان ، وهي تسمى أيضاً زنكان . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ص ٤٠٧ . وانظر أيضاً القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٦٩ .
وراجع خريطة بلاد فارس .

(٢) قارف الوزر : ارتكبه متمداً .

(٣) في الأصل : الاستجمام .
(٤) إيماضة : بريق . يريد التبسم وظهور الثنايا .

ذكر جهان بهلوان أذربك باين ووصوله من الهند إلى العراق

قد سبق ذكر جهان بهلوان أذربك باين مقدّم عسكر السلطان بالهند ، وأن السلطان لما عزم على الطلوع من ديار الهند خلفه بها نائباً عنه فيما كان يملكه من هذه ^(١) ، فأقام بها هذه السنين وأحسن سياستها ، وانتشرت هيئته فيما يليها إلى أن قصده عسكر شمس الدين إيلتمش صاحب لاهور ^(٢) . ودلهي ^(٣) إلى ما يلي درب قشمبر ، فطردوه عنها ، وتوقته الخدمة السلطانية إلى قصد بابه ، فتوجه نحوه ، وتخلف أصحاب السلطان مثل الحسن قزلق الملقب بوفاء ملك وغيره ، وانضموا إلى إيلتمش .

ووصل جهان بهلوان إلى العراق ، وكنا بقزوين عند اشتغالي بأمر آلموت ، فكانتني وكاتب شرف الدين نائب العراق معلماً بوصوله ومعه زهاء ^(٤) سبعة فارس لقاطات المنون ، ونفائات الحرب الزبون ، فشاورني شرف الدين في خمسة آلاف درهم يحملها إليه من مال العراق معونة له على نفقاته وعوارض حاجاته ، فاستحقرتها له وعرفته منزلته عند السلطان وحسن نيته في حقه ، وأنه إذا اتصل به لم يقدم عليه أحداً ، فحمل إليه عشرين ألف ^(٥) دينار .

وقد وصل توقيع سلطاني بعد أيام أن يحمل إليه من مال العراق

-
- (١) في الأصل : منها هذه .
(٢) في الأصل : نهاور .
(٣) في الأصل : دلي .
(٤) في الأصل : زها .
(٥) في الأصل : عشرون ألف .

عشرون ألف دينار ، وأن يشقى بالعراق ليزول ما به من وعناء^(١) السفر ،
وما بدواب عسكره من الضعف ، ثم يقصد الخدمة أو ان الربيع . وكان
وصوله إلى العراق صادف عود السلطان من الروم على الوجه الذي سبق
ذكره . فقد ورد ضمان إلى الارتياح^(٢) بمشاهدته ، فلم يسدد القدر نحو
المراد سهامه ، وحال التاتار بينه وبين ما رامه ، وقيل بعد انتشار التاتار
بسكنا باذ في سنة ثمان وعشرين ومستمائة .

(٢) في الأصل : الارتياح .

(١) في الأصل : وعنا .

ذكر مفارقتي شرف الدين نائب العراق بقزوين وتوجهي إلى أذربيجان حين لم أملك عنان الاختيار

ولما عدت إلى قزوين ومعى المال الذى قد تسلمته من آلموت والأسد
مودود رسول صاحبها ، بصدر من التقادير طائل ، ورد الخبر بوصول
التاتار إلى اسفرين ، وهى كورة من كور خراسان ، وكان الملاعين لما
بلغهم عود السلطان من الروم بجمع مفرق ، وشمل مبدد بمزق ، اغتصموا
ضعفه وطلبوه^(١) .

وودعنى شرف الدين لما سمع بخبرهم ، ورحل صوب الرى ليرتب
أحوالها ، ويدبر فى أمرها ما يقتضيه^(٢) الوقت . ووعدتى بأن يوجه إلى
من هناك من يخفرتنى فى العراق ، إذ الطرق كانت قد تشوشت ، فصارت
للصوص مصايد ، وللقطاع مراصد ، فعجلته التاتار عن ذلك ، وهجموا عليه
بالرى ليلا . فركب أكتاف الليل إليهم مجفلا لجفال الظليم ، وسار إلى

(١) أورد ابن الأثير حوادث هذه الحرب ضمن ما تكلم عنه من حوادث سنة ٦٢٨ هـ
(١٢٣١ م) . كما ذكر أن مقدم الاسماعيليه هو الذى أوعز إلى المنول بمهاجمة الدولة الخوارزمية .
ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن هذه الحرب لم تكن الأولى التى وقعت بين المنول وبين
الخوارزميين بعد غزو جنكيزخان ، فقد سبق للمنول أن خرجوا إلى البلاد الاسلامية فى حروب
أشبه ما تكون بحروب العصابات ، فشنوا غارتين على البلاد الاسلامية فى سنتي ٦٢٤ ، ٦٢٥ هـ
(١٢٢٧ ، ١٢٢٨ م) ، وحلت بهم الهزيمة فى المرة الأولى ، وكان النصر حليفهم فى الثانية .
ومم ذلك فقد عادوا إلى حيث جاءوا ، مما يدل على أن غزوهم هذا لم يكن نتيجة تدبير
أو تنظيم . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ . وانظر
أيضا D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 27 نقلا عما كتبه الجوينى فى كتابه
جهان كشاه .

(٢) فى الأصل : تقتضيه .

أصفهان وورد الخبر على ذلك وأنا بقزوين ، فاستظلمت ضوء النهار ، واستخسنت جانب القرار ، وقت من الحياة على شفا جرف هار . وكان الخبر قد شاع في العراق بما كان معي من حمل آلموت ، ومعى الخاصتى مثله أو دونه بقليل . فخاطرت بنفسى فى قطع مكان مفسدى حلب وجولدى وغيرهما من العراق إلى أذربيجان .

ملاعب جنّة^(١) لو سار فيها سليمان لسار بترجمان
وانضم إلى نصره الدين أخو نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح ، وكان حينئذ وزيراً بazardران ومعه حملها ، وصفى الدين محمد الطغرائى وكان قد سیر من الباب السلطانى لكشف مازندران ، فاتفقنا على المسير ، ولم نعرف حمّاماً ، ولا برد المياه إلا لماماً ، إلى أن وصلنا إلى تبريز والسلطان بها ، والشمس التكريتى رسول الملك الأشرف حاضر ، فأمرنى السلطان بأن أحضر رسول آلموت بالمال عند حضور التكريتى ففعلت ، وقدمت الجمل على رموس الأشهاد وهو حاضر يسمع ويرى ماجرى .

(١) فى الأصل : خنة ، والبيت للمتنى .

ذكر وصول مقدمة التاتار إلى نخوم أذربيجان ورحيل السلطان من تبريز إلى موقان^(١)

كان السلطان، قد جرد يرغو أحد بهلوانيته ليكشف بالعراق خبر التاتار. فلما وصل مرج شروان^(٢)، وهو بين زنجان^(٣) وأبهر^(٤)، صادم برك التاتار، ومعه من أصحابه أربعة عشر نفساً، فلم ينبج غيره، فرجع المذكور إلى تبريز بالخبر المزعج، وكان السلطان معتقداً أن التاتاريشتي بالعراق ولن يتعدى^(٥) إلى أذربيجان إلا في الربيع، يعني نفسه بأمل كاذب، وظن خائب، ففاجأه هذا الخبر بعد حوذه من الروم، وقبل رمّ الشعث، ورأب الصدع، وأسو مائشاً في هسكركه من كوم الكسرة، فرحل من تبريز إلى موقان، إذ كانت عساكره بها متفرقة في مشاتها.

فودع التكريتي وأصحابه بمختص الدين بن شرف الدين على نائب العراق رسولاً من جهته، وعجلته الحادثة من أن ينظر في أمر حرمه وأعزته، فيسيرها إلى بعض قلاع الحصينة، تخلفها بتبريز مقدراً أن يومه

(١) أورد ابن الأثير حوادث وصول المغول إلى أذربيجان وهو في معرض الحديث عن حوادث سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣١ م).

انظر ابن الأثير: الكامل، ج ١٢ ص ٢٣٠ — ٢٣١.

(٢) المرج: الأراضي الواسعة فيها نبت كثير تنوع فيها الدواب أي تذهب وتجيء. وأصل المرج القلق، ويقال مرج الحاتم في ذي مرجا إذا قلق. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ٨ ص ١٥.

(٣) راجع ص ١٤٩ حاشية ٢.

(٤) أبهر: إحدى مدن بلاد الجبل، وتقع بين قزوین وزنجان وهذان. وتسمى أيضاً أهر وقيل إن هذه الكلمة تتكون من مقطعين «آب» وهو الماء و«هر» وهو الرجا، وعلى ذلك فمنها ماء الرجا. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٩٦، القلقشندی: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣٦٩.

(٥) في الأصل: لم يتعد.

ذلك آخر عهده بأعزته ، وخلف شرف الملك بتبريز ، وسار فيمن معه من خواصه متوجها إلى مرقان حائثا في السير ليجمع بها متفرق عساكره ، ومشتت أجناده . ولم يستصحب يومه ذلك من أبناء جنسى غيرى .

وكان مجير الدين يعقوب بن الملك العادل يلزمه في الطريق ويكلمه ، فرأيت أنه إذا غاب مجير الدين عنه تنحدر الدموع من عينيه على خديه لما يتوهمه من زوال ملكه ، ويتوقعه ^(١) من هلكه ، ولمفارقة الأهل والأعزة على بأس من الاجتماع ، وتركه لإبائهم بالهراء ^(٢) معرضة للأعداء فلما وصلنا إلى قرية أرمينان ، نزل وعلقوا على الخيل ، فاستدعاني إلى بين يديه فحضرته ، فناولني كتابا ورد عليه من وإلى قلعة بلك ^(٣) ، وهي من حدود زنجان ، يذكر فيه أن التاتار الذى صادم برغو بين أبهر وزنجان قد أقام برج زنجان ، وقد بعثت إليهم من عدهم فكانوا سبعة فارس ، فسر بذلك وخف مابه من ثقل الهم ، وقال :

قد ظهر أن هذه الطائفة ما جهزت إلى زنجان إلا لتلصقها وتقيم ^(٤) بها . فقلت : قد يمكن أن يكون هذه الشرذمة يزكا للتاتار ومعظم العسكر وراهم فلم يعجبه ذلك ، وقال : لا يجرد التاتار إلينا يزكا في سبعة فارس ، بل في سبعة آلاف فارس ، وما كان يختار حينئذ أن يحاقق ، بل يقال ما يخفف عن قلبه الهم .

ورحل من هناك صوب موقان فوصلها ، ووجد عساكره متفرقة ، منهم من أقام بها ، ومنهم من اختار لمشتاه شروان ، ومنهم من امتد إلى المتكور . فوجه إليهم البهلوانية بقداح كانت علامات الاستنفار والاستحضار ، وقد هجم التاتار قبل اجتماعهم فانتفض نظم ذلك التقدير وانحل فتل ذلك التدبير ، وإذا أراد الله بقوم سوءا ^(٥) فلا مرد له وما لهم من دونه من وال .

(١) في الأصل : ويتوهمه .
 (٢) راجع من ٢٧٧ حاشية هـ .
 (٣) في الأصل : سوء .
 (٤) في الأصل : بالهراء .
 (٥) في الأصل : واهتهم .

وكان قد ركب يوما للصيد بموقان فقال لى : اسبقنى إلى ذلك التل ،
وأشار إلى تل كان قدامه ، واكتب توقيعا إلى نائب شرف الملك بآردويل ،
وتوقيعا إلى حسام الدين تكين تاش بقلعة فيروزآباد ، بأنا قد وجهنا
للأمير يغان سنقر شحنة خراسان ، وللأمير أرسمان بهلوان شحنة
مازندران ، يزكا يكشفان خبر التاتار ، وقد أمرناهما أن يرتبا خيلا
بآردويل ، وخيلا بفيروزآباد ، فيقوما بكل ما يحتاج إليه الخيل المرتبة في
هذه المدة ويريجا عليها . فسقت إلى التل ، وكتبت التوقيع قبل وصوله إلى
وناولته ، فعلم عليه ، وافصل^(١) المذكوران على أن يرحلا للوقت . وبلغنى
أنهما أقاما في بيوتهما إلى أن كبس التاتار السلطان بموقان على غرة منه ،
واتكالا على يزكه ، واعتمادا على أن الأخبار تأتيه من صوبهما^(٢) .

(١) فى الأصل : وافصلا .

(٢) صور ابن الأثير ما كان عليه جلال الدين من ضعف فى الفترة التى عاود المغول فيها غزو
أراضى الدولة الخوارزمية ، وعلل ذلك بسوء سياسته التى سار عليها منذ عاد من بلاد الهند .
لذا بدلا من أن يعمل على اكتساب رضا جيرانه فى الخارج ويكوّن حلفا إسلاميا يقف فى وجه
المغول ، وبدلا من أن يعمل على كسب محبة رعيته حتى يضمن ولاء الأهالى إذا ما ظهر الخطر
المغولى ، بدلا من ذلك نرى سوء سياسته تؤلب عليه جيرانه ، إذ اعتدى على أملاك الخليفة
وأملك الأمراء المسلمين فى بلاد ما بين النهرين ، كما أنه غزا أذربيجان وجورجيا ، وناصب طائفة
الاسماعيلية العداء ، تلك الطائفة التى ألبت عليه أعداءه . وشجعت المغول على إعادة غزو الدولة
الخوارزمية ، وحيث لم يجد جلال الدين من بين الحكام المسلمين من يؤازره ضد المغول .
انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣٠ . وإذا كان جلال الدين قد ظهر فى ثوب الحاكم
المستبد فى دولته ، فإن هذه السياسة قد أدت إلى أن ينفذ كبار رجال دولته من حوله ، بل إلى
إحاطته بشبكة من الدسائس والمؤامرات . انظر . Howarth : Op. cit., t. i, p. 130 .

ذكر كبسة السلطان بحد شيركبوت ، كبسه التاتار

لما انفصل اليزك ، وحث السلطان البهلوانية في جمع العساكر ، اشتغل^(١) بالصيد ، وهو إذ ذاك في قل من العدد زهاء ألف فارس من خواصه ، فنزل ليلته بقرب شيركبوت ، وهي قلعة بنيت على تل بموقان يحيط بها خندق بعيد القعر ، متسع العرض ، ينبع الماء منه فيفيض فيسقي البلد ، لا يعبر^(٢) إليها إلا بجسر^(٣) يرفع عند الاستغناء عنه ، وكانت قد خربت في مبدأ خروج التاتار فعمرها شرف الملك حين أفرد السواق لنفسه من نهر أرس ، على ما ذكرناه .

وكان دكجك نوين السلاح دار قد سيره السلطان من خلاط عند حصارها إلى خوارزم يزكا يكشف أخبار التاتار ، فكبس المذكور طائفة منهم ببعض تخومها ، فقتل أكثرهم وأحضر البعض معه إلى خلاط . وكان حينئذ أحضر شخص تاتاري أبقى عليه السلطان وحده فلم يقتله . فلما نزل حذاء قلعة شيركبوت ، أمر بالقبض عليه احترازاً من أن يقفز إليهم في ذلك الوقت فيعلمهم بحال السلطان وتفرق عسكره . وكان أهله وولده عندهم بخوارزم ، وسلبه إلى وقال لي : اصعد به إلى قلعة شيركبوت فقيده بها . وسلبه إلى من هو الوالي عن شرف الملك بها . ففعلت ، وهجم الليل ، فبت بالقلعة وليس معي من أصحابي إلا ثلاثة وشاقية^(٤) ، وسائر أصحابي وما كنت أستصحيبه في تلك السفرة من دوابي وأسبابي بالخيم . فلما أصبحت ، قصدت للخدمة فوجدت الخيام عنهم خالية ، والأمتعة مطروحة ، والفهود مربوطة ، والبراة على القفافين مشدودة .

كان^(٥) لم يكن بين الحجون إلى الصف^(٦)

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

(٢) في الأصل : لا تعبر .

(٤) في الأصل : ثلاث .

(٦) في الأصل : الصفاء .

(١) في الأصل : اشتغل .

(٣) في الأصل : الجسر .

(٥) في الأصل : كان .

فعلت أن المحذور قد وقع ، وأن السلطان قد كبس ليلاً ، ولست أعلم
بسلامته ، ولم أشك أن قلعة شيركوت لا تثبت على حصار التاتار (١) .
فطفقت أتبع السلطان والتاتار وزامه (٢) ، وقد ضاقت على الأرض بما رحبت ،
وانتفضت عن جميع ما كسبت يدي ، فأسير متحققاً أن طائفة منهم التي
كبست السلطان قد آوى ومعظم عسكرهم ورائي . فوصلت إلى «سلطان خوى» ،
وهو النهر الذي أفردته شرف الملك للسلطان من نهر أرس ، فوجدت
هناك من أغنام التركان على جسره ما لا يحصى كثرة ، فلم أجد للعبور مسلكاً ،
نظارت بنفسي ، ورميت الفرس في النهر ، وأزاد الله بسلامتي فصبرت
وجئت إلى ظاهر ييلقان ، فأخبرت أن شرف الملك بها ومعهم حرم السلطان
وخزائنه ، فلم أر الاجتماع به احتراماً من نشبة تورث ندماً ، وتعقب ألماناً .
وكانت لي ييلقان جملة من الخيل والقماش فحسبتها كأن لم تكن (٣) .
وواصلت السير بالسرى حتى وصلت إلى كنجة ، ووصل التاتار إليها ثانياً .
يوم وصولي ، وقد خالف الرأي غيري من أصحاب الديوان من (٤) صاحب
شرف الملك في ذلك الوقت ، فإنه لما جاهر بالعصيان عند احتداد جمرة
التاتار واشتداد أمرهم ، سلكهم في الإصفاد وطالبهم الأموال ، فعصروا
وعذبوا ، لولا أن الله من عليهم بظهور السلطان ونزول شرف الملك من
قلعة حيزان (٥) ، لكانوا معدودين في زمر الهلكي ، وجملة القتلى .

(١) كانت هذه الحرب التي شنها المغول على أقاليم الدولة الإسلامية في عهد أجتاي Ogotai
ابن جنكيزخان . كما كان يتولى قيادتها اثنان من أمهر القواد المغول وهما شيرماجون
Churmagan وبيدشو Baidshu . انظر Howorth : Op. cit., part i, p. 130 .

(٢) كان المغول لا يهتمون في هذه الفترة بشيء سوى مطاردة جلال الدين منكبرتي بغية
القبض عليه ، حتى إذا مات لهم القضاء على رأس الدولة الخوارزمية ، اطمأنوا إلى إخضاعها بسهولة
ويسر . لذلك نرى أن حركات المغول وتنقلاتهم في أراضي الدولة الخوارزمية في هذه الفترة كانت
مقيدة عما بمحركات جلال الدين وتنقلاته فيها .

(٣) في الأصل : كأن لم يكن .

(٤) في الأصل : من .

(٥) حيزان : إحدى مدن أرمينية ، وهي قرية من شروان . ياقوت : معجم البلدان ،
ج ٣ ص ٣٨١ . وتقع هذه المدينة وسط أرض جبلية وتمتاز بكثرة أشجارها ، وبخاصة شجر
البندق . انظر القلعة شندی : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

ذكر تسيير السلطان مجير الدين يعقوب إلى أخيه

الملك الأشرف موسى

قد ذكرنا أن السلطان قد استصحب مجير الدين عند مسيره من تبريز إلى موغان ، وقد استأنس به . وكان يركب معه أيام مقامه بموقان للصيد فيشتغلان به من أول النهار الناهر ، إلى أن ألفت ذكاه^(١) يمينها في كافر ، ويحضره السلطان مجلس الشراب في الليل إلى أن كبسه التاتار ونجيا ، وأوحى إليه أن الذي دهمه من حادث التاتار ليس مما يختص به ، وبما يحويه من الملك بل لو مد لهم من طول المهلة لكانت بقية الإسلام في معرض الهلك ، فليعض إلى الملك الأشرف وليعلمه بأن الشر قد طارت شراره ، والبلاء قد تضرمت ناره ، وليس يردم إلا اجتماع الأمة واتفاق الكلمة ، وهيأت هل من راق ، وقد بلغت التراق^(٢) ، وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق .

ومن العجائب انتصاره بقلب جرحه بصوارمه ، واستظهاره بجناح بيده مصفوف قواده . فانفصل مجير الدين عن الخدمة ، وأصبحه من يوصله إلى شرف الملك . وتقدم إلى شرف الملك أن يصحبه رسولا يملى عليه ما يقتضيه حكم الحال ، فأصبحه وزيره معين الدين القمي^(٣) برسالة تنافي أربه ، وتخالف ما طلبه ، إذ كان قد عزم على كفران النعمة ونوى خرق جلباب الحشمة ، انجذاباً مع الشيطان في أشطان وسواسه ، وانفعالا لسوداء طبعها في رأسه . فرمى على نار الضغينة خطباً ، حتى زادها ضراماً ولهباً ، نقضاً للصالح ، وإعراضاً عن النصيح . لاجرم صلب بما تولى زنده ، فلم يقلح بعده .

(١) في الأصل : ذكا .

(٢) التراق : جم ترقوة .

(٣) نسبة إلى مدينة قم .

ذكر حال السلطان بعد أن كبسه التاتار بموقان

كان السلطان لما كبسه التاتار بموقان ، على ما ذكرناه ، ساق إلى نهر أرس ، وأوهم التاتار أنه قطع النهر صوب كنجة ، وعطف عطفة إلى أذربيجان ، فأقام بماهان^(١) ، وهى فضاء كثيرة الوحش من أنواع الصيد ، فشتا بها . وكان عز الدين صاحب قلعة شاهق مجاهراً بالتمرد فى سنين مضت بمضى شرف الملك إلى قلعته ، وكبسه ليلاً من بالدربند من أصحابه ، وإغارته على بلده . غير أنه خدم السلطان وقت مقامه بماهان أخلص خدمة ، فكان يبعث له ما يحتاج إليه من المأكول وغيره فى المراكب ، ويكشف له أخبار التاتار ، فرضى عليه كل الرضا حتى كان يقول : لو استقام لنا الأمر واستراح الخاطر من جهة التاتار لجازيته عن خدمته ونصحه خير الجزاء ، وجعلته محسود الأقران والأكفاء .

فلما انقضى الشتاء ، أخبره عز الدين بأن التاتار قد ركبوا من أوجان^(٢) لقصده ، وأنهم تحققوا الآن أن السلطان بماهان ، وأشار عليه بالعود إلى أران ، إذ كانت العساكر متحصنة بجبالها وآجامها ، وبها من التركان من إذا حشروا فكأن^(٣) النمل محشور^(٤) والجراد منشور . فرحل صوب أران ، فلما قارب حيزان ، وكان شرف الملك قد عمرها وصرف إلى عمارة قلعتها فى هذه المدة اليسيرة ما لا يضمن بمثله^(٥) هم الملوك ، وقد كانت فى القديم من أحسن قلاع الأرض نقرتها الدهور ، ومضى على خرابها السنين والشهور . فحين فرّق شرف الملك بيوت السلطان وخزائنه فى قلاع حسام الدين قلع

(١) ذكر ياقوت ، ج ٧ ص ٣٧٤ ، أن هناك مدينة بهذا الاسم فى إقليم كرمان .

(٢) أوجان : إحدى مدن أذربيجان . (٣) فى الأصل : مكان .

(٤) فى الأصل : محشور . (٥) فى الأصل : بمثلها .

أرسلان ، وهو أكبر أمراء التركان بأرآن ، اختار لحرمة منها قلعة سند سوارخ ، وهي مغارة على شقيف عال وفيها عين ماء تدير الرحي^(١) تحتها ، والرحي^(٢) محفوظ لإشراف القلعة عليها ، وهي على ما قيل المغارة التي ظفر بها كيخسرو ملك الفرس بجده لأمه أفراسياب ملك الترك ، وفرغ خاطره من جهة أولئك .

وتسحب [شرف الملك] صوب حيزان وهي متروكة فعرها ، وجاهر بالعصيان لأسباب : أحدها جذب السلطان عنانه في السنتين الأخيرتين^(٣) في الإطلاقات المتجاوزات حد الإنصاف ، المتناهية التبذير والإسراف ، والفطام عن المألوف شديد . والثاني أنه اعتقد عند هجوم التاتار وكبسهم السلطان بموقان أن تلك الجفلة تنهى^(٤) به إلى الهند ، وأن الوقعة تحوله بينه وبين الجند ، فرأى مكاتبة الملوك وإصلاح حاله معهم على أن يملك أران وأذربيجان لنفسه ، ثم يقيم الخطبة بها لهم . فلما باض الشيطان في رأسه وفرخ^(٥) ، وشوى السوداء في رأسه وطبخ ، كاتب علاء الدين كيقيباذ والملك الأشرف باذلا لها حسن الطاعة ، وناعتا سلطانه بالظالم المخذول في كتبه . فوقعث منها ، وبما كاتب بها النواب بالأطراف ، كتب بيد السلطان . وانضاف إلى ذلك قبضه على كل من عبر بحدود قلعته من أصحاب السلطان في تلك الجفلات ووضع عليهم المعاصير ، حتى فرغت أكياسهم ، وظهر إفلاسهم . وكان قد كاتب حسام الدين قلعج أرسلان يأمره بالاحتراز على ماعنده من حرم السلطان وخزائنه ، وأنه إن حضر السلطان بنفسه لم يسلبها إليه ، ونعت السلطان أيضا في كتابه بالظالم المخذول .

فاجتمعت هذه الكتب اللطيفة عند السلطان ، وكانت كتب السلطان

(٢، ١) في الأصل : الرحا .

(٣) في الأصل : الآخرين .

(٤) في الأصل : يتهى .

(٥) في الأصل : واسه فرخ .

تصل في تلك المدة إلى الوزراء والأمراء والولاة بالأطراف يحذرهم الاغترار
به والامتنال لأمره ، ويسميه في كتبه تلك «بلدوجن» ، وكان شرف الملك
قد لقب به زمن خموله تلقب تسخيف ، وتأكدت الوحشة . فلما قارب
السلطان قلعه^(١) ، راسله في النزول وقال : ماسبب بطئك^(٢) في الوصول ،
وتأنيك في المثل ، متغافلا عما سبق له من الهنات ، يريه أن الذي ظهر له
من الإساءات^(٣) ، وانكشف له من السيئات^(٤) ، مجهول ، وأن السلطان
بغيرها من الخطوب مشغول . فنزل للوقت والكفن على رقبته ، جهلا
وغباوة . والعجب كل العجب سرعة استحالتة إلى العصيان تغايبا عن
العواقب ، ثم سرعة رجوعه إلى الطاعة تحكما بمحذور النوائب ، ولو ثبت
تلك الليلة كان السلطان يرحل بكرة غد ، لعله أن التاتار طالبون^(٥) له .
فلما نزل، سقاء الخرمخالف للعادة، فإن وزراءهم^(٦) وإن كانوا يشربون لم يحضروا
مجلس السلطان . ففرح المذكور بذلك ، وظن أنه أزيد بذلك قدراً ،
وتضاعف بالقرب له شرفاً ونشراً ، ومن كان عنده حظ من التجربة علم أنه
لا يستوزره فيما بعد . ورحل السلطان بعد نزوله صوب أران ، وإذا سنج
مسيهم لم يحضره المشورة ولم يستأمنه في أمر .

(٢) في الأصل : بطوك .
(٤) في الأصل : السيئات .
(٦) في الأصل : وزراءهم .

(١) أي قلعة حيزان .
(٣) في الأصل : الاساءات .
(٥) في الأصل : طالبة .

ذكر سيرة شمس الدين الطغرثي بتبريز في هذه المدة

قد سبق ذكر شمس الدين الطغرثي وتحكمه في رقاب أهل تبريز فضلا عن أموالهم، ولأه منهم أبيت المذكور محضا وهوى، جعلت مشايعهم له فرضا. فحين زالت الهيبة والناموس، وأظهرت بواطنها النفوس، اجتمعت العامة ببابه طائعين، ولأوامره ونواهيه سامعين. ثم همت عامة تبريز بقتل من بها من أتباع الخوارزمية تقربا إلى التاتار، وتشقيا من الأحقاد والأوتار. وواطأهم على ما هموا به بهاء الدين محمد بن بشير ياربك الذي كان السلطان استوزره بها بعد نكبة الطغرثي، وعدة وزراء آخرين. فكان المذكور من جملة عوامها، فلم يمكنهم الطغرثي ومنعهم عما اجتمعوا عليه من الفساد أشد منع، ودفع الأوباش عن الدماء والأموال أحسن دفع، حتى إن العامة ثارت في بعض الأيام فقتلت شخصا من الخوارزمية سبقت له إساءات (١) معهم، فخرج بنفسه وأمر بقطع رأسين من رموس الأوباش، ورمى بها في الشارع، ونادى عليهما بأن هذا جزاء (٢) من يهلك ستر الحشمة، ويخرج على السلطان راعي الأمة وولي النعمة. فحقن من الدماء ما كانت في سائر البلاد هدرأ، ومن الأموال ما قصدت أكياسا وبدرا. واحتفل في تحصين تبريز وحر استها كل الاحتفال وشحنها بحفظة الرجال. وكانت كتبه لا تنقطع (٣) عن السلطان، على اختلاف حالاته، في عطفاته وأوبانه، علاوة على أسباب المجد تكميلا، ونشورأ لمن أزال نعمته بالافتراء عليه وتنجيلا. وكان هذا دأبه إلى أن أتاه الداعي، وقام به الساعي، فقصى نخبه مشكورا، ولقي ربه مغفورا، فسلمها نائب الدولة وعوامها إلى التاتار كسائر البلاد (٤).

(١) في الأصل : أساءت . (٢) في الأصل : جزائي . (٣) في الأصل : لم تنقطع .

(٤) استولى المغول على تبريز سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣١ م) . وهي السنة التي توفي فيها جلال الدين منكبرتي . وقد افتدى سكان هذه المدينة أنفسهم بكثير من الأموال والهبات الثينة . وقد ساعد المغول على الإجهاد على مدينة تبريز وغيرها من مدن أذربيجان ، هزيمة جلال الدين منكبرتي في هذه السنة ، وتفرق جيوشه ، واختفاء أخباره في ذلك الوقت ، كما ساعدوا أيضا قيام الثورات ضد الخوارزميين في كل من أذربيجان وأران والتي أشعل لها حكام هذه البلاد تقربا إلى المغول . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣٤ ، ٥٢ . D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 52.

ذكر عودي إلى خدمة السلطان وخروجي

من كنجة

قد سبق ذكر انقطاعي عن خدمة السلطان بموقان ضرورة ، ووقوعي إلى كنجة ، فأقمت بها ثلاثة أشهر نائي^(١) الجفن عن الغرار ، نائي^(٢) الجنب عن القرار ، شوقا إلى خدمة السلطان ، ولم يمكنني^(٣) الوصول إليه إذ كانت أران تموج بالتناثر . فلما انقضى الشتاء ، وأقبل الربيع في حلقته الخضراء ، وحليته الزهراء ، ورد توقيع سلطاني باستحضاري إلى الخدمة . وقد ذكر أن العبور على أر^٣ كان يتعذر لمكان التناثر بها ، فتسير نحو إيوان الكرجي فإننا كانبناه بإيصالك إلى خدمتنا .

ففكرت في الأمر ، فلم أر المسير إلى الكرج ، ولم آمن غدرهم . وكان أهل كنجة إذ ذاك قد ظهرت منهم إمارات الشر ، وعلمت أن المسدة إن طالبت يتعدى الأمر بها إلى هلاك خلق كثير من متعلقى الدولة ، فلم أزل مدة مقامي بالقلعة في بعض دور السلطنة خوفا من غوغا العوام وحدوث فتنة لانتصيين الذين ظلموا منكم خاصة^(٤) . فلما خرجت منها ، حدث ما كنت أحذره وأخشاه ، وأخافه وأتوقاه ، فقتل من بها من الغرباء ، وحملت رموسهم إلى التناثر ، وأظهروا العصيان ، وكذا العوام متى لم تر جانبا منيعا انهمكت في شهواتها وتداركت على شرعاداتها ، وقد قال الله تعالى : لا تشم أشد رهبة في صدورهم من الله ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون^(٥) . وإلى هذا المعنى يلتفت قوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يزع^(٦) الله بالسلطان أكثر مما يزع^(٧) بالقرآن .

(١) في الأصل : نائي . (٢) في الأصل : ولم يمكنني .

(٤) اقتباسا عن قوله تعالى : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب . سورة الأنفال ، آية ٢٥ .

(٥) سورة الحشر ، آية ١٣ . (٦) في الأصل : تزع .

(٧) في الأصل : تزع .

فنهضت متوكلا على الله ، أسير ليلا ، وأستخفى نهارا ، إلى أن وصلت.
إلى قلعة زبطرة^(١) ، وكان بها منكطوى شاه بن السلطان ، وداية غاتون ،
وسراج الدين محفوظ الخادم ، وتاج الملك مشرف المالك^(٢) ، فصعدت.
إلى القلعة لأخذ أخبارهم للسلطان ، فناولوني الكتب الواردة على صاحب
القلعة حسام الدين قلج أرسلان من شرف الملك عند استعصائه ، وسألوني
أن أستصحبها فأعرضها على السلطان ، فاستعفيت ذلك ، وقلت : إن أيام
شرف الملك قد انقضت ، وأن الذى ارتكبه من العصيان ، وكتبه من
لهذيان^(٣) سيورته وبالا وخطبا لا يطبق به استقلالا ، ولست أختار أن
أكون علة هلاكة أو جزمها . فسيروه إلى السلطان بماهان ، فصادقته
بتخوم^(٤) قلعة زاريس ، وأعلته أن أران مائجة بالتاتار ، هائجة بأفواج
الكفار ، وقد كنت أسير البارحة ونيرانهم تنقد عن يسارى ، وكادته
لقربها تنم بالسارى ، وتتوج بالطارق الطارى .

فحين سمع بناقضة العزيمة وقاصمة الهمة^(٥) ، نزل ولم يسق إلى خيمة
السبق ، فنصب خركاة^(٦) صغيرة ، ونزل فطلق يسألنى عن أحوال أران.
وما ظهر فى أيام الشدائد من خفايا البواطن ومستودعات الضمائر . ثم أمر
بتوقيع أكتبتها إلى الأطراف يتضمن بعضها ذكر شرف الملك ، فلم أذكره .

(١) زبطرة : بكسر الزاى . وقد ذكر ياقوت ، ج ٤ ص ٣٧٤ ، أن هناك مدينة بهذا
الاسم بين ملطية وسميساط فى طرف بلاد الروم .

(٢) نقلها هوداس عن النسخة الخطية « مشرف المالك » ، وقد وردت صحيحة
فى مواضع أخرى . أما وظيفة مشرف المالك فهى إحدى الوظائف المعروفة فى البلاط
الخوارزمى . والذى يستحق النظر فى هذا المقام أن الخطأ فى القراءة عن النسخة الخطية قد
انتقل أيضا إلى الترجمة الفرنسية ، فقد ترجمها هوداس مرة *intendant des mamlouks* ،
ومرة أخرى *inspecteur des provinces* . راجع ص ١٤٣ ، ٢٢٨ من طبعة هوداس
البرية ، ص ٢٣٨ ، ٣٨١ من الطبعة الفرنسية ، وراجع أيضا ص ٢٥٠ من هذه الطبعة .

(٣) فى الأصل : الهديان . (٤) فى الأصل : بنجوم .

(٥) قسم القوى : كسره . وفى الأصل : بناقضته للعزيمة وقاصحته الهمة .

(٦) راجع ص ٢٨٤ حاشية٤ .

إلا بفخر الدين الجندى . وحملت التواقيع إليه ليعلم عليها ، فخرج بعض الخواص إلى يقول : هلا ذكرت شرف الملك بنعته المذكورة بلدوجن ، وأنت تعلم أن السلطان لم يذكره هذه المدة إلا به ؟ فقلت : لأمرين ، أحدهما أنه نزل من القلعة وانتظم في سلك الخدمة ، وهو يعتقد أن السلطان منحه الرضا ، ومضى الذى مضى ، فإن أخبر أنه ينعت ببلدوجن أخشى أن يفارق إلى بعض الأعداء فيثير فتنة أخرى . والثانى أن للقادح أن يقول : كيف أهله للوزارة بعد أن كان منعوتاً بهذا النعت الخسيس . فلما أعيد على سمعه ما ذكرته ، سكث وعلّم على التواقيع .

واستدعاني عصر ذلك النهار ، وعنده طائفة من خواصه وقد تفاوضوا على أن السلطان يوجهني إلى أران لجمع العساكر المتفرقة ، وسوقهم إلى مراكز الرايات السلطانية ، وحشد التركان إليها . فلما حضرته قال : ما الرأي ؟ قلت : الرأي رأى السلطان . قال : قد رأينا أن نبعث إلى أران من يجمع إلينا العساكر ، ويحشد التركان ، وعند اجتماعهم نسوق إلى كنجة ، فنضرب مع الملاحين بظاهرها رأساً ، فإما لنا وإما علينا . غير أننا نريد من يمشي إلى التركان فيستميل قلوبهم في هذا الوقت ولا يطمع في مال أو منال ، ولست أثق بمن حولي من الأتراك أن يفعلوا ذلك . وأخذ يعيد هذا الحديث على أن عرف أن يريد أن أتولى هذا الأمر بنفسى ، وأخاطر فيه برأى^(١) وكان يعتقد أنني لا أرغب^(٢) في ذلك ، فقلت : ما مثل الخدم والماليك إلا مثل العدة ، فتارة تتكسر وتارة تسلم .

فكثبت التواقيع باسمى ، ورحلت بالليل ، وعبرت إلى طائفة من الخانات والأمراء وخيل التركان ، فإذا وجهت إليه طائفة سلكت الجبال إلى أخرى ، وعدت إلى الخدمة بعد أيام فوجدت العسكر قد عاد إلى رونقه المألوف ، وماج بالآلوف . ولما سمع التاتار المقيمون^(٣) بأران باجتماعهم ،

(١) فى الأصل : برأى . (٢) فى الأصل : لم أرغب . (٣) فى الأصل : المقيم .

عادوا^(١) إلى معظم جموعهم ومزدحم أفواجهم بأوجان ، وكان التاتار قد أرسلوا إلى نحر الدين حمزة النيسابورى وإلى السلطان بيلقان يدعونه إلى الطاعة . فلما نزل السلطان بوادى قرقاز ، بعث المذكور رسول التاتار إليه ، وهو الطهير المريد وزير ياتماس اللعين ، يسأله أخبار التاتار ثم يرى فيه رأيه . فلما وقف تحت الأعلام ، أمرنى السلطان بالاجتماع به وسؤاله عن كمية من جرّد فى هذه النوبة مع جرماغون^(٢) اللعين من رجال اللقاء ، وذوى الشقاء^(٣) ، وقال له : إن صدقتنى فيما أسألك وهبت دمك . فسألته ذلك فقال : لما أراد جرماغون أن يتجرّد^(٤) للقاء السلطان عرض المقاتلة ببخارا ، فكتب عشرين ألفاً غير أن السواد كثير . فلما أعدت على مسامح السلطان ما سمعته منه قال : استعجلوا فى قتله قبل أن يسمع أصحابنا بكية التاتار فيحنثوا ويفشلوا .

(١) فى الأصل : عاد .

(٢) المقصود به شيرماجون Churmagan وهو أحد قائدين أرسلهما أجتاي Ogotai بن جنكيزخان فى لائر جلال الدين منكبرى . انظر Howarth : Op. cit., part i, p. 130

(٣) فى الأصل : الشقا . . (٤) فى الأصل : أراد جرماغون يتجرّد .

ذكر حبس السلطان شرف الملك بقلعة جاريبرد

وقته بعد شهر أو أكثر

كان السلطان لما قارب قلعة جاريبرد ، وهي من مضافات أران ، وقد عزم على أن يحبس شرف الملك بها ، ركب إليها لينظر في حالها ، وعلم أن شرف الملك لم يتخلف عنه ، فلما صعد القلعة ، صعد معه شرف الملك واجتمع السلطان بوالها مملان سلك بك وهو شيخ تركي ظالم شرير ، وتقدم إليه سرا بأنه إذا نزل منع شرف الملك من النزول ويحبسه بها ويقيده ، وكان يخشى أنه إن لم يحبسه يفارقه إلى بعض الجهات لما عنده من التوهم ، فيثير فتنة ، وكان يقول: يحبسه إلى أن يفرغ الخاطر عما دهم من أمر التاتار^(١) ثم يخرج به فيقومض إليه أمر الوزارة من غير تقرير عشر البلاد ، بل يقرر باسمه كل شهر ألف دينار أسوة بوزير^(٢) الخليفة ، ولا يطلق يده في الإطلاقات. فحبس بها ونزل الوالي بعد حبسه بأيام إلى مفصل الظلامات^(٣) صارخين كما تقيق في الجوبنات الأعداد ، وجهور في الشعب حجيج البلاد^(٤) فكثرت^(٥) شكاياتهم والسلطان ساكت لم يسأل حالهم ، إبقاء^(٦) على الشيخ الظالم في ذلك الوقت . غير أن الشيخ توهم أن السلطان نوى عزله وعزم على الاستبدال به ، فعاد إلى القلعة من غير استئذان .

(١) في الأصل : مما دهم أمر التاتار .

(٢) في الأصل : أسوة وزير .

(٣) قرأها هوداس خطأ عن النسخة الخطية في موضع آخر « مفصل الطلعات » ، انظر ص ١٨٤ حاشية ٧ . كذلك يبدو أنه تنقص بعض العبارات في هذا الموضع .

(٤) راجع ص ١٨٤ حاشية ٨ . (٥) في الأصل : فكثرت .

(٦) في الأصل : إبقاء .

وقد أمر السلطان لما قبض على شرف الملك بضم مائيكه^(١) الذين أمرهم، إلى أوترخان وكان كبيرهم ناصر الدين قشتمر، فدخل يوماً على أوترخان بخاتم شرف الملك، كان الشيخ الوالي سيره إليه يقول: لائق قد واطأت صاحبك على أن أطلقه، وتصلح الكرج متوازين على الخلاف، بارزين مكتوم الشر من الغلاف، فمن رغب منكم في خدمته فليأت القلعة.

فلما سمع السلطان بذلك، سقط في يده وفات في عضده، وذهب عليه أمره، وأبهم عليه رأيه. وكان ابن الشيخ في جملة بهلوانية السلطان وجماداريته^(٢)، فأحضره وسيره مقبجاً على أبيه فعله، وناعياً إليه عقله، يعد عليه إحسانه الذي شمل حاله، وحصل له آماله. وأن الذي هم به من كفران النعمة والخيانة في الوديعة، لم يعرف له سبباً موجباً. فرجع الغلام وأخبر أن أباه قد عاد عما نواه، وبدا له فيها أبداه، وعلم أنه يقضى إلى رداه، وأن السلطان إن لم يعر سمعه^(٣) لظلامه المتظلم، ولم يعزله عما ولاه لم يجده إلا عبداً طائفاً، ولأوامره ممثلاً سامعاً، وأنه عما سبق من الهنات معتذر^(٤) ويخذه في التراب معتفر. فقال السلطان: مصداق هذا الحديث أن يبعث إلى رأس شرف الملك. ووجه صحبة ابن الوالي إلى القلعة خمسة من السلاحدارية، فأهلكوه، وأهلكوا هلاكه الكرم.

وحدثني فراش له يعرف بمحمد أخى، وكان يخدمه أيام حبسه، قال: لما دخلوا عليه وعلم أنهم قاتلوه، استمهلهم ريثما يتوضأ^(٥) فيصلي ركعتين، قال: فسخت له ماء ولم يهن عليه أن يغتسل بماء بارد على عليه أنه بعد ساعة هالك، فاغتسل وصلى ركعتين ثم قرأ جزءاً^(٦) من القرآن، ثم أذن لهم بالدخول وقال: هذا جزء من يعتمد على قول الكفرة. فقالوا له: ماذا تختار،

(١) في الأصل: ضم مائيكه.

(٢) الجقدار. حد موظفي ديوان الخاص السلطاني، وكان موكولاً به توزيع الجوامك على الممالك السلطانية. انظر القريري: السلوك، ج ١، قسم ٣، ص ٦٩٩ حاشية ١.

(٣) في الأصل: يعد سمعه.

(٤) في الأصل: متعذر.

(٥) في الأصل: يتوضأ.

(٦) في الأصل: جزءاً.

الخنق^(١) أو السيف ؟ فقال : السيف أولى . فقالوا : إن الملوك لا تقتل بالسيف ، والخنق أهون عليك . فقال : شأنكم وما تريدون . فخنقوه ، وخرجوا حتى يبرد ثم يدخلوا فيقطعوا رأسه ويحملوه إلى السلطان . فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا وقد أفاق ، ف ضربوا عنقه ، وانتقل إلى جوار ربه . ومحا السيف ذنوبا ، وكشط من الزلات ما كان مكتوبا . فقد زال طود الملك بزواله ، وذل عن مراسيه بزواله ، فكأنما عنه مؤيد الدين إسماعيل الطهراني بقوله :

تداعت عروش المجد فيه وثلمت	وأضحت ركاب الجود حسرى وظلما ^(٢)
فيا آل فضل الله هلا وقتكم	أياديكم صرف الزمان المفجعا
أمالكم في آل برمك أسوة	أناخ بهم ريب الزمان فجعجا
أرى بعدكم طرف المكارم خاضعا	وخد الليالي أربدا ^(٣) اللون أضدعا ^(٤)
ولو أنصفت حامت عليكم ودافعت	فراع الأعداى عنكم ماتدفعنا
لانزعتم الدنيا ندى فأفضتم	صنائع عز لم يصادفن مصعا
وخلفتم في الناس آثار عرفكم	فصارت كمجرى السيل أصبح مرتعا
ولكنه دهر يضيّع ماوعى ^(٥)	وينقص ما أوعى ويهمل ماوعى ^(٦)
وما هو إلا مثل قاطع كفه	بكف له أخرى فأصبح أقطعا ^(٧)
وقد زاد طيبا ذكركم مذ محنتم	كذا العود إن مسته نار تضوعا ^(٨)

(١) في الأصل : تختار من الخنق . (٢) في الأصل : خسرى .
 (٣) أي متغيرا مظلما . وفي الأصل : أزيد . (٤) في الأصل : اصرها .
 (٥) في الأصل : مارعى . (٦) في الأصل : ما رعا .
 (٧) في الأصل : قطعا . (٨) في الأصل : تصوعا .

ذكر نبذة من سيرة شرف الملك

كان جواداً كريماً ، ليس للمال عنده محل ، وربما كان يأخذ من غير موضعه ، ويضيع في غير أهله . وكان يحترم العلماء والزهاد ، ويحسن جائزتهم ، ويكثر الإدراتات والصلات لهم . وكان رقيق القلب ، يبكي بكاء شديداً إذا وعظ وقرأ القرآن . وقد كثرت^(١) في زمانه الإدراتات حتى كادت تستغرق أموال الديوان لولا أن السلطان جذب عنانه في ذلك آخر عهده . ومن عادتهم إمضاء الإدراتات القديمة والتوسيعات العتيقة حتى إدراتات أجدادهم ، ولا يرون قطعها إلا بدعة منكرة ، فكانت إدراتات محمود بن سبكتكين^(٢) ، ومن بعده من بني سلجوق^(٣) جارية إلى زمان السلطان يتوارثها الناس بناء على ما أسسوه ، وسقياً لما غرسوه ، ومضياً على ما مثلوه ، واهتداداً بما أثلوه^(٤) . فكاد ما جدد شرف الملك من الإدراتات في زمانه يزداد على إدراتات المتقدمين على طول المدد .

وقد أتاه الشيخ الفقيه زين الدين أبو حامد القزويني وهو ببيلقان مستعطياً ، فأحضرته بعض مجالس خلواته ، فوعظه بكلمات أبكته ، ثم قال .

(١) في الأصل : كثير .

(٢) في الأصل : محمد بن سبكتكين . وقد سبق أن ورد هذا الاسم صحيحاً في موضع آخر . انظر ص ١٩٣ من طبعة هوداس العربية . كما سبق لنا أن أوردنا نبذة عن أهمية محمود بن سبكتكين في تاريخ الدولة التتوية ، راجع ص ٣١٢ حاشية ٢ . وإذا كان الأصل الخطي ليس في متناول يدنا ، لنا فإننا نرجع سبب ورود هذا الاسم خطأ في هذا الموضع إلى أحد أمرين إما إلى خطأ في النقل عن النسخة الخطية ، وإما إلى خطأ في النسخة الخطية وفات هوداس أن يحققه . والثابت في تاريخ الدولة التتوية أنه لا يوجد من بين حكامها من يسمى محمد بن سبكتكين ، اللهم إلا إذا كان النسوي قد قصد الإشارة إلى جلال الدولة محمد بن محمود بن سبكتكين الذي حكم بضع شهور من عام ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ، وهذا بعيد الاحتمال . انظر ابن الأثير الكامل ، ج ٩ ص ١٦٦ — ١٦٧ . وانظر أيضاً .

S. Lane—Poole ; Op., cit., pp. 289 — 290.

(٣) إن ورود هذه العبارة على النحو يفهم منها أن بني سلجوق إنما هم من سلالة محمود بن سبكتكين ، ولنا يحسن كتابتها على النحو الآتي : ومن بعده إدراتات بني سلجوق .

(٤) أثلوه : أصوله .

الشيخ : قد ولدت لي بنتٌ إمام الدين المعروف برافغان - وكان أفعه العراق وله شرح الوجيز تصنيف مستحسن - ثلاث بنات وابنين ، وقد بلغوا^(١) النكاح ، وليس عندي من المال ما أجهزهم به ، فأطلق لكل بنت على مال الديوان بقروين مائتي دينار ، وكتب لابنيه توقيعاً بمائة دينار يتناولونها إداراً كل سنة . فلما رأى الشيخ سعة الصدر ، وسهولة الأمر خال : فما ذنب الشيخين الوالد والوالدة^(٢) ؟ فكتب لها بمائة دينار أخرى إداراً .

هذا وإن كان يستتبع من جهة التدبير في مال الديوان وقطع النظر عما عليه مدار أمراء الدولة ، لكن الجود مستحسن في نفس الأمر ، وأمثال ذلك ونظائرها كثيرة . غير أنه كان قليل الحظ من أدوات الكتابة ، وآداب الكفاية ، خالياً عن معرفة الحساب ، وما يجب على الوزراء والكتاب ، إذا كتب سطرًا بالفارسية يوجد عليه عدة مسقطات . وكان سريع الاستحالة ، لا يثبت لصديق ولا عدو ، على حال من المصادقة والمعاداة ، شديد الميل إلى الأتراك ، فصيحاً في اللغة التركية . وكان لا يعلم الكبير ماهو ، ولا الملامة ماهي ، وكانت علامته على التواقيع السلطانية « الحمد لله العظيم » ، وعلى التواقيع الديوانية التي طرحتها الديوان الأعلى « يعتمد ذلك » ، وعلامته على توقيعه إلى بلاده الخاصة « اعتماد كنيد »^(٣) بالعجمية وطرحتها أبو المكارم علي بن أبي القاسم خالصة أمير المؤمنين ، وعلامته على الوضولات « صحيح ذلك » . وكان السلطان في مبادىء أمره يركن إلى كلامه ، ويصغي إلى قوله ، ولا^(٤) يفعل إلا بما يشير عليه ، لا يشاركه أحد في التدبير . وقد بقي زماناً بين أصبحه يلقى كيف يشاء ، فلو ترك الهوى في آرايه^(٥) ووجوه مقاصده والحاجه ، وصرف همته إلى ما تقتضيه السيادة ، ويهدي إليه السعادة ، وعنده من رأس مال النعم مثل ذلك الليث الحادر والعقاب الكاسر ، لكان الأمر بخلاف ما وقع ، لكن قضاء الله أغلب ، وأمره أنفذ . وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، وهو الفعال لما يريد .

(١) في الأصل : بتوا . (٢) في الأصل : الولدة .

(٣) أي يعتمد . (٤) في الأصل : ولم . (٥) في الأصل : آرايه .

ذكر رحيل السلطان صوب كنجة وتملكها باينا

كانت أوباش كنجة ، لما قتلوا من بها من الخوارزمية وظاهروا بالفساد ، وجأهروا بالعناد ، ملك زمامهم شخص يعرف ببندار ، وأطاعته الأوباش والأوشاب ، فبسط يده في المصادرات ، واقتصرت أذيته على من لم يدخل معهم في العتو والعلو ، ولم يطع النفس الأمانة بالسوء . فوجهنى السلطان والحاجب الخاص ، خان بردى ، إليهم وأمر أن تنزل بكورة شتر^(١) ، وهى قريبة منهم ، وتدعوهم إلى الطاعة ، ونحذرهم عواقب المخالفة . فأقنا بتخومها أياماً نكائبهم محذرين ، ونراسلهم منندين ، ونعرفهم أن في قرع باب البغى تعرضاً للبلاد ، واستئذاناً على سوء القضاء . وإنما يصبر على الكفاح من لم يجد وجهاً للصالح ، وأما من كان في فسحة من الرأى ، وتدحمة من الاختيار ، فإنه يشقى بنفسه عن التغير^(٢) بها في مباشرة القتال ، ومغامسة الأهوال . فليتصوروا ما يتبع الخلاف من ركوب المصاعب التى تسلب العيون منامها ، والنفوس حمامها ، والأموال^(٣) المذخورة نظامها ، ولما فيه من التحكك^(٤) بمحذور التوائب ، والتعرض لمكروه العواقب . فكانت الموعظة إذا أُلقيت عليهم جعلوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكباراً . وخرج الرئيس جمال الدين القسّمى بأولاده إلينا ، وأيسنا من العوام . ووصل السلطان ، ونزل ببعض بساطينها ، وأخذت الرسل تتردد في بذل الأمان ، والوعد بالعمو والإحسان . فكادت الصخرة تلين لما أوردت عليهم ولا تأثير لها في نفوسهم لما في رموسهم . ولم يزد بندارهم إلا استمراراً على جهله ، استكباراً في الأرض ومكر السيئ ، ولا يبحق المكر السيئ إلا بأهله . ثم لم يقتصرُوا على ذلك حتى خرجوا في بغض الأيام مقاتلين ،

(١) شتر : قلعة من أعمال أوران بين برذعة وكنجة . انظر ياقوت : معجم البلدان ،

ج ٥ ص ٢٣٦ . (٢) في الأصل : ينفس بنفسه عن التفرر .

(٣) في الأصل : وللاموال . (٤) في الأصل : إن مانيه من التحكك .

وبالجفاء^(١) مقابلين ، ووصلوا إلى حائط البستان ، ورموا إلى خيمة السلطان عدة سهام ، فركب للوقت فيمن حضر من خواصه ، وعلم أن لا يثنيهم^(٢) عن عتوم وعظ ولا عدل ، وأن المواعظ لها أهل ، وأن حلم الفتى في غير موضعه جهل . فحمل عليهم في كتيبة^(٣) من خواصه ، كأنها أجمة الساحل تأويها شياطين الإنس فرماناً ، وعفاريت الترك مرداً وشبّاناً ، قد جعلوا الدروع وقاية الأجسام ، وظاهروا عليها بالقلوب حرصاً على الانتقام ، قايسون^(٤) بمباشرة القتال ، واستثارة المنايا عن مرابض الآجال ، وحلوا عليهم ، فانجلت الهزيمة عن مساقط أجسام وأبدان فوق هام ، وهاموا على وجوههم كأنهم قطعان الغنم راعتها الذئاب ، أو بغاث الطيور^(٥) انقضى عليها العقاب^(٦) . واختلط الفارس بالراجل ، والتارس^(٧) بالنابل^(٨) .

ودخل السلطان معهم إلى المدينة ، إذ كان ازدحام العوام ، وغص أبوابها بالزحام ، ومنعهم أن يخلقوها . وهمّ العسكر بنهبها فثنعوا ، واستحضر السلطان أكابر المدينة ومعارفها ، وبرز الأمر إليهم بأن يكتبوا أسامى رهوس الغوغاء^(٩) ومثري الفتنة ، فعينوا منهم ثلاثين نفساً . على أن الفتنة أشركت الصالح والطالح ، وجمعت الخاسر في الدولة والراج ، ومثل العوام مثل السوام^(١٠) تتبع آلافها ، ويجر^(١١) الواحد منها آلافها . فأمر السلطان بضرب رقاب أولئك الثلاثين على باب القصر ، وجروهم بأرجلهم إلى أبواب المدينة ورهوس المحال . وأما بندگان ، فكان قد بالغ في الفساد وكسر سرير السلطنة ، وكان قد وضعه بها محمد بن ملكشاه ، فقتل تنكيلا ، وفصل تفصيلا . وأقام السلطان بكنجة سبعة عشر يوماً ينتظر ما يسفر عنه التدبير حتى اتفق المسير . وأجمعوا على الاستنجاد بالملك الأشرف موسى على التاتار .

(١) في الأصل : وبالجفاء .

(٢) في الأصل : كتيبة .

(٣) في الأصل : كتيبة .

(٤) بنات الطير : شرارها ومالا يصيد منها .

(٥) العقاب : طائر من الطيور الجارحة .

(٦) التارس : حامل الترس .

(٧) النابل : الضارب بالنابل .

(٨) في الأصل : الغوغا .

(٩) في الأصل : ويجر .

(١٠) السوام : الماشية الراعية .

وكان أوترخان وجماعة من الجبناء^(١) يشيرون على السلطان بذلك وهو مخالفهم باطنا ، وموافقهم ظاهراً ، فسار إلى خلاط من طريق كيلكون ، والغارات تغلب بلاد الكرج وأرماقم بطنا لظهر ، والسلطان يتابع رسله للملك الأشرف مستنجداً ، والعقل ينكر ذلك مستبعداً ، وهيهات إن الضغينة^(٢) إذا تمكنت من القلوب تلبث ، وربما تورث . وإن المستعين على العدو بذى ثائرة كالمستجير من الرمضاء بالنار .

ولما علم الملك الأشرف بتوجه الرسل إليه مستمدين ، وعلى الأعداء مستعدين ، توجه إلى مصر وأقام بها ما كنا^(٣) ، ولم يتمكنوا رسل السلطان بالمضى فيجتمعون بدمشق ، والسكتب ترد عليهم من الملك الأشرف بأننا واصلون من مصر بعساكرها خدمة للسلطان .

مواعيد كما لاح سراب المهمة القفر

فمن يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر^(٤)

نعم ولما وصل السلطان في وجهته تلك إلى قلعة بجنى ، وبها أواك بن إيوانى الكرجى ، وقف حذاء القلعة ساعة فخرج أواك من القلعة فقبل من بعيد الأرض ودخل وسير للسلطان تقاديم^(٥) . ولما وصلوا إلى ولاشجر،^(٦) وشكا الناس شدة الحر ، وانقطاع المطر والأذى الذى يحصل من الذباب للناس والدواب ، وأزمعوا على الاستمطار ، بما كان معهم من هاتيك الأحجار . وحقاً لقد كنا منكبين لها غاية الإنكار ، ثم شاهدنا مساعدة التقدير فعلهم عدة مرار ، ولعل ذلك فتنة وإضلال ، كما افتتن الذين من قبلهم . فبأمر السلطان العمل بنفسه أيام مقامه بفضاء ولاشجر ، وتوالت الأمطار ، فداومت بالليل والنهار ، فل الناس منها وضجروا حتى ندموا على ما سحروا .

(١) فى الأصل : الجبناء . (٢) فى الأصل : الطعنة .

(٣) وصل الأشرف موسى من دمشق إلى القاهرة فى العاشر من جمادى الأولى سنة ٦٢٨هـ (١٢٣١ م) . انظر المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ١ ص ٢٤١ .

(٤) أورد هوداس هذين البيتين فى صورة بيت واحد على النحو الآتى :

مواعيد كما لاح سراب المهمة القفر فمن يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر

(٥) فى الأصل : تقاديم . (٦) راجع ص ٣٢٢ حاشية ٣ .

وتعذر الوصول إلى خيمة السلطان للأحوال^(١) الحائلة ، وسمعت داية خاتون تقول : قلت للسلطان كأنك باخداوند عالم — أى صاحب العالم ، وما كان خطاب الناس مواجهه إلا هكذا — لست بماهر^(٢) فى صنعة الاستمطار فإنك قد آذيت الناس بكثرة أمطارك ، وغيرك ما كان يستنزلها إلا بمقدار الحاجة . فقال : ليس الأمر كما تظنين^(٣) ، بل إنها أثر همة ، ولا تقاس همتى بهمة واحد من غلمانى .

ثم ورد عليه كتاب من مختص الدين أكبر رسله الموجهين إلى الملك الأشرف ، يؤثسه من إنجاده ، ويقطع رجاء من إبعاده ، وأنه لا يرجع من مصر إلا بعد انفصال أمر السلطان مع التاتار على إحدى الحالين : إما دولة ترجى وتهاب ، أو صولة تقطع فيها الأسباب . فليظن السلطان فى شغله ، غير منتظر جواب رسله . فأرسلنى إلى الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب^(٤) استحضره بنفسه وعسكره ، ومن حوله من الملوك مثل صاحبى آمد وماردين ، وقال : عند حضورهم لا حاجة إلى نجدة الملك الأشرف . وقال لى : قل للملك المظفر هلم إلى مساعد ، وفى حادثة التاتار معاضداً ، فإن الله جل ذكره إن كان ينصرفى عليهم ملكتك من البلاد ماترى ، خلاط ونواحيها التى حسبك أخوك عليها فى قبالتها نذراً ، ولم تجد لها عنده قدراً^(٥) .

هذه كانت رسالته والخانات والأمراء حضور ، ولما خلا المجلس قال لى : نحن لا نشك فى هؤلاء أبداً ، لم ينجدونا ولا يختارون ظهورنا على مزاحم ، ولا تنفع^(٦) الشكوى إلى غير راحم . إن هؤلاء ، يعنى الترك من أمرائه ورتوت عسكره وكبرائه ، يطمعون أنفسهم فيما لا يكون تسويلاً بكواذب

(١) فى الأصل : للأحوال . (٢) فى الأصل : بما هو . (٣) فى الأصل : تظنون . (٤) تولى المظفر غازى بن الملك العادل أيوب حكم بعض بلاد ما بين النهرين منذ سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) حين أقطعه أخوه الملك الأشرف موسى مدينة خلاط ومياقارقين وغيرها . وقد استمر فى حكم هذه البلاد حتى سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ١٨٣ و Lane-Poole : Op. cit., p. 76-78 . (٥) الغفلة : الاسم من تقبيل العمل . والكتاب الذى يكتب على من يقبل عملاً . وفى الأصل : فى قبالتها نذراً ، ولم تجد لها عندها قدراً . (٦) فى الأصل : ينفع .

الظنون ، وتقادياً عن الحرب الزبون ، وقد شوشوا علينا بهذا الطمع وجه
تدميرنا فاخترتك لهذه الرسالة لترجع من المبعوث إليه باليأس الذي
لارجاء^(١) بعده ، ولاتأمل عنده ، فتتفق على المسير إلى أصفهان إذ لا انتعاش
إلا بها ولا ارتياش^(٢) .

وكان [السلطان] قد جرد ستة آلاف فارس قبل انفصالي عن خدمته ،
فأغاروا على بلد خرتبرت وأرزنجان وملطية ، وساقوا إلى العسكر من
الغارات ما أعجزهم سوقها ، فبيعت عشرون غنماً بدينار ، لما كان ينقم على علاء الدين
كيقباز وتحريشه إياه بكتبه ورسائله المتابعة بخلاط ، ثم ميله عنه إلى الملك
الأشرف ، ولم يعلم بما خاطب الوزير رسله حتى تغلث الضباط ، وفسدت السرائر .
ولما أديت الرسالة إلى الملك المظفر قال : إن اليمين التي حلفت بها السلطان
حلفت بمثلها لعلاء الدين كيقباز ، وقد بلغني ما ساقوا من غارات بلادهم إلى
المخيم السلطاني ، فما الذي يؤمتنا عن مثله واليمينان واحدة ؟ وعلى الحالات
كلها ، فما أنا مستقل ترابي ، بل معدود في جملة نواب إخوتي ، فكيف يمكنني
إنجاد السلطان إلا بأمرهم ؟ على أني أقول : ما مقدار أصحابي بين عساكر
السلطان إلا بمقدار الخليج من البحر ، والفارس الواحد في العدد الدثر !
وأما صاحباً آمد وماردين فلا يسمعان مني ولا يمتثلان أمري^(٣) . وليس
يخفى علينا أنهما كانا يكاتبان السلطان فيختبر السلطان عقائد هما في الاستحضار
ويسير ضمائرهما في الإنجاد على التاتار ، ليعلم أن زعمهم نفاق ليس له مصداق ،
وباطل ليس له حاصل . والملك الأشرف مهم بخدمة السلطان ، مقيم على
عهده ، ولم يقصد مصر إلا لاستصحاب عساكرها خدمة للسلطان .

(١) في الأصل : رجا .

(٢) بالإضافة إلى ما ذكره النسوي في هذا المقام من محاولات قصد بها جلال الدين منكبرتي
الاستنجاد بالأشرف موسى وأخيه المظفر غازي فضلا عن صاحبي آمد وماردين ، ذكر ابن الأثير
أن جلال الدين حاول في هذه الفترة الاستنجاد بالخليفة العباسي قسه ، على أن المقول لم يتركوا
له فرصة لتحقيق هدفه ، بل مجلوا بهزيمة بالقرب من مدينة آمد ، وأعملوا القتل والأسر في
جيوشه وتفرق الباقون أيدي سباً . انظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣١ .

(٣) في الأصل : فلم يسمعا مني ولا يمتثلا أمري .

ذكر وقوع البطاقة من خلاط إلى ميفارقين مخبرة بأن التاتار قد عبروا على بركرى طالبين^(١) للسلطان وانفصالي عن الملك المظفر عائدا

ولما ودعت الملك المظفر ، وقعت بطاقة من بركرى تذكر أن التاتار
عبروا عليها كاشفين أخبار السلطان ، سالكين آثاره ، فسئّر الملك المظفر
إلى البطاقة وقال : إن القوم قد عبروا على نواحي خلاط يطلبون السلطان ،
ولا بد من الالتقاء في هذه الأيام ، فالرأى أن تقيم عندي فتنظر ما يكون .
فقرأت : لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في
سبيل الله . ولست بأعز من السلطان ، ولا بمن اختار الحياة بعده .
ولما حضرته للوداع قلت له : لا بد من إحدى الحالتين ، إما للسلطان ،
وإما عليه . وأياً منهما كانت تعقبكم ندامة ، وتورثكم ملامة . قال : كيف
ذلك ؟ قلت : إن كان للسلطان وقد قصدتم عن نصرته ، فلو بذلتم خزائن
الأرض في طلب مرضاته لم ينفع ، وإن كان عليه فستذكرونه حين تبون
بمجاورة التاتار والأسف لم ينبج . قال : كلام لأشك في صحته ، ولكني
محكوم على^(٢) . ثم فارقت وركبت صوب حاني^(٣) ، فإن الأخبار كانت قد
تواترت بإطلال رايات السلطان على حدود جبل جور . فنزلت قبيل المغرب

(١) في الأصل : طالباً .

(٢) أي لا يستطيع أن يتخذ أمراً دون الرجوع إلى إخوته من أبناء البيت الأيوبي وخاصة
الكامل محمد صاحب مصر . والثابت أنه على الرغم من انقسام أقاليم الدولة الأيوبية بين أبناء
البيت الأيوبي ، فإن مصر كانت في الحقيقة رأس الامبراطورية الأيوبية وقلبها النابض ، كما كان
ولاتها المحركين لسياستها ، وبخاصة في أيام العادل سيف الدين والكامل محمد ، وذلك رغم
ظهور بعض أبناء البيت الأيوبي في ثوب الحكام المستقلين .

(٣) حاني أو آني أو حنا : مدينة بناحية ديار بكر . انظر ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣
ص ٢٠٢ . والقشندى : صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٣٢٦ .

بضيعة تسمى مغارة لنعلق على الخيل، ثم نسرى طول الليل. فغفوت^(١) فأرى في منامى كأن رأسى فى حجرى ، وكان شعر الرأس واللحية قد زالا كانهما قد احترقا . ثم فسرت المنام فى النوم فقلت الرأس السلطان ، فكأنه يعدم ولا يسل ، واللحية مما يتعلق بالحرم فكأن جوارى تؤسر ، وشعر الرأس دليل المال فكأنه يتلف . فهالنى ما رأيت ، فانتبهت مذعوراً ، فرحلت وعندى من الكمد ماسد نفسى ، فلم أتكلم طول ليلتى إلى أن وصلت إلى حافى ، فوجدت أثقال العسكر ونساءهم نازلة بأوديتها ، وأخبرت أن السلطان فى الكمين بجبل جور ، وأنه أخبر بوصول التاتار . وكان كوكه يحكم ، وهو أمير من أمراء التاتار مقدم ألف فارس^(٢) قد فارقه إلى السلطان ، لاذنب صدر منه خاف به على نفسه ، وأخبره بتنميلهم دوابهم على قصده حيث كان ، وأشار عليه بأن يترك الغارات على طريقهم ويكن ، حتى إذا اشتغلوا بالطعمة يدير عليهم كاسات الحمام ، بأيدى الانتقام . وقد نصحه فيما أشار به عليه ، فجرد السلطان أوترخان — وكان يقربه خوؤة ، وقد اعتقد فيه النصيح والشجاعة ظناً لا يؤكده امتحان ، ولا يقوم بصحته برهان — فى أربعة آلاف فارس يزكا ، وأمره بأن التاتار إذا قربوا منه ينجر لينجذبوا إلى مرايض الأجال ، ويمتدوا إلى مكان الأوجال . فرجع المذكور وأخبر أن التاتار قد رجعوا من حدود منازجرد ، كذبا أملاه عليه خوره وجبته ووجهه ، ليأتى عليه قدره وأجله .

نعم ، ولما امتد خبر الساطان وكنيته بجبل جور توجهت إلى خدمته ، فصادفته فى وجهتى عائدا إلى الأثقال ، فقالتنى فى الكلام وجواب الرسالة ،

(١) فى الاصل : فغفيت.

(٢) كان الجيش المغولى قد نظم منذ أيام جنكيزخان بحيث قسم إلى فرق من عشرة آلاف رجل ، وهذه بدورها تنقسم إلى فرق من ألف ، وتدرج هذا التقسيم إلى فرق من مائة و فرقة من عشرة . وتبعا لذلك نرى قائدا لكل فرقة من هذه الفرق الكبيرة أو الصغيرة . انظر

Esay. Brit., Art. Mongol Campaigns أيضا Abulgasi : Op. eit., p. 348

فأعدت عليه ماسمعه من الملك المظفر ، ثم ذكرت له حديث البطاقة وعبور
التاتار على بكرى ، فأخبرني بوصول دكوكه يحكم ، وإعلامه إياه بركبهم
طالبين ، وقصّ على قصة الكمين وعود اليك معلماً بأن التاتار قد رجعوا^(١)
من منازلهم . فقلت : ما عودهم بعد ركوبهم على نية الالتقاء إلا من
العجب !! قال : ليس ذلك بعجب ، كأن القوم قد ركبوا يلتقوننا ببلد
خلاط ، فحين علموا بتوسطنا بلاد الشامية واعتقدوا اتفاقهم معنا
وانضواءهم إلينا رجعوا . فقطعت الحديث على إنكار باق ، واستبعدا لعودهم
قبل اللقاء .

(١) في الأصل : رج .

ذكر نزول السلطان ببلد آمد وعزمه على المسير إلى أصفهان
ورجوعه عن ذلك الرأي بعد ورود رسول الملك المسعود صاحب
آمد وكبس التاتار إياه صباح ثانی يوم نزوله بها

كان السلطان لما نزل ببلد حافى ، استحضر الخانات والأمراء ، واستعاد
جواب الرسالة ، فقرأت عليهم آيات الإياس ، وأعلنتهم بأنهم يضربون
فى حديد بارد ، فما من منجد ولا مساعد . فاتفقوا على أنهم يتركون أثقالهم
بديار بكر ويتجردون^(١) إخفافاً بالأعزة من نسائهم وأولادهم إلى أصفهان .
إذ طال ماوردوها محسورين مكسورين ، فراشت الحسير ، وجبرت الكسير .
فورد ثانی يومهم ذلك علم الدين سنجر المعروف بقصب السكر ، رسول
صاحب آمد برسالة تشتمل على عرض الخدمة والطاعة ، وزين له قصد
الروم ، وطمّعه فى الاستيلاء عليها ، وقال إنها عرضة للسلطان ، مهما
قصدها ملكها من غير منازع ، وضبطها من غير مدافع . والسلطان
إذا استظهر بملك الروم ، واستند إلى قفجاق ، على موالاتهم له ورغبتهم
إياه ، هابه التاتار ، وحصل الاستظهار . وذكر فى جملة الرسالة أن السلطان
إذا عزم على ذلك ، خرج^(٢) بنفسه وأربعة آلاف فارس إليه ، ولم يفارق
الخدمة إلا بعد استصفاء تلك المملكة وانضوائها إلى سائر الممالك السلطانية .
وقد كان صاحب الروم قد أوغر صدر الملك المسعود صاحب آمد تلك
السنة بعدة قلاع ملكها عليه .

فقال السلطان إلى كلامه ، وعيدل عما كان نواه فى المسير إلى أصفهان ،
وعطف صوب بلد آمد ، ونزل بحسر بقرها ، فكان مثله مثل الغريق يتعلق

(١) فى الأصل : يتجردوا .

(٢) فى الأصل : يخرج .

بما تصل إليه يده ، وقد قصر عن السباحة وكده ^(١) . وشرب تلك الليلة فسكر ،
فقاله من سكرة خماره دوار الرأس ، وقطع الأنفاس ، فلا صحو إلا إذا نفخ ^(٢)
في الصور ، وبثر ما في القبور . وأتاه وهنا من الليل شخص تركاني وقال :
إنى رأيت في منزلك الذي ^(٣) كنت أمس نازلا به عسكراً زيهم غير زى
عسكرك ، بخيل أكثرها شهب ، فكذبه وقال : هذه حيلة من لا يختار توسطنا
هذه البلاد ، وقضى بنشوته ناشية الليل إلى قريب الفجر ، وأحاط التاتار به
وبعسكره مصبحين .

فستاهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب ^(٤)
ومن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضاب
فأسقطت الأجنة في الولايا وأجهضت الحوائل والسقاب ^(٥)
فتفرقوا أيدي سباً في الأقطار كشوارد الأمثال ، وكنت قد سهرت
تلك الليلة للكتابة فغلبنى النوم في آخرياتها ، فلم أشعر إلا بالغلام ينهني ويقول :
قم فقد قامت القيامة ، فلبست سريعاً ، وخرجت هريعاً ، وتركت في
المنزل ^(٦) ما ملكته جميعاً ، وقلت :

(١) يروى ابن الأثير أن جلال الدين قد سار في هذه الفترة إلى مدينة خلاط ، وأرسل
إلى نائب الأشرف موسى بها يذكر له أنه ما جاء إلا بغية الاحتباء في المدينه . كما يذكر ابن
الامير أيضاً أن جلال الدين عزم على الاستنجاد بأمرأ ديار بكر والجزيرة فضلاً عن الخلافة
العباسية ، ويحذرهم عاقبة توانيهم في مساعدته . فلما دخل إلى خلاط بلغه أن المغول يجدون
في أثره ، فسار منها إلى آمد وهناك داموه بظاهرها وشردوا جيوشه . انظر ابن الأثير :
الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣١ .

(٢) في الأصل : انفخ .
(٣) في الأصل : التي .
(٤) الشعر للعتني .

(٥) الولايا : جمع ولى ، كساء يجمل تحت البرذعة . والحوائل : الاثنى من أولاد الإبل .
والسقاب : جمع سقب وهو ولد ذكر من أولاد الإبل . يقول الشاعر ، لشدة فزعهم أجهض النساء
على ظهور الإبل ، وأسقطت نوقهم أولادها ذكوراً وإناثاً .
وقد جاء البيت الثالث في الأصل :

فأسقطت الأجنة . في الولايا وأخصت الولائد والسقاب
(٦) في الأصل : المنزل .

إذا نحن أبنا سالمين بأنفس كرام رجعت خيراً فجاؤها^(١)
فأنفسنا خير الغنيمة، إنها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها
ولما استويت على الفرس، رأيت أطلاب التاتار قد أحاطت بجركاة^(٢)
السلطان وهو نائم سكران، وإذا بأرخان قد وصل في أعلامه وأصحابه،
فحمل عليهم وكشفهم عن الحركاة، ودخل بعض الخواص فأخذ بيد السلطان
وأخرجه وعليه طاقية بيضاء وأركبه الفرس، فساق ولم يذكر في ذلك الوقت
إلا ملكة فارس بنت الأتابك سعد فإنه أمر «دنز كيقو»، ود طرت أبه،
أمير شكار^(٣) بالمسير في خدمتها إلى حيث ترميها الجفلة.
فلما رأى [السلطان] أطلاب التاتار مجدة بقتبعه^(٤)، أمر أرخان أن
يفارقه^(٥)، بمن معه من العسكر ليتبع التاتار سواده، ويخلص هو بمفرده.
ولقد أخطأ في ذلك، فإن أرخان لما فارقه انضوى إليه من شداد العسكر
خلق، ووصل إلى إربل ومعه أربعة آلاف فارس، وساق إلى أصفهان
وملكها زماناً إلى أن قصدها التاتار، وأرخان إلى سنتنا هذه، وهي سنة
تسع وثلاثين وستمائة، باق محبوس بفارس.

وحدثني غير واحد من كانوا مع السلطان بعد انفصاله عن أرخان مثل
أوترخان وطلسب أمير آخور^(٦). ويحمود بن سعد الدين الجلاب^(٧)، أن
السلطان لما فارق أرخان ساق إلى باشورة^(٨) آمد والطلب خلفه، وكانت
آمد قد تشوشت وظن أهلها أن الخوارزمية أرادوا الغدر بهم، فضر به،

(١) في الأصل: رجاءها. (٢) راجع ص ٢٨٤ حاشية ٤.
(٣) راجع ص ٣١٩ حاشية ٢. (٤) في الأصل: بقتبعه.
(٥) في الأصل: أمر أرخان يفارقه. (٦) راجع ص ٩٠ حاشية ٣.
(٧) صاحب هذه الوظيفة هو الذي يتولى أمر شراء الممالك الذين يشتريهم السلطان لنفسه
ويسمون الجلبان، أو الأجلاب. انظر المقرئى: السلوك، ج ١ قسم ٣ ص ٧٣٦ حاشية ٦.
(٨) الباشورة: الحائط الظاهري أو ما يرى منه، وتجمع على: بواشير، ويقابلها في الفرنسية
كلمة Bastion أو Querite. انظر المقرئى: السلوك، ج ١ قسم ١ ص ١٥٠، حاشية ٤.

وحجروه ، وردوه . فلما أيس من الدخول إليها تياسر عنها ، وانضوت عليه زهاء مائة فارس من الوشاقات ^(١) . ثم رمته الجفلة بهم إلى حدود جزيرة ، وبها الدربندات المشيعة ، وكانوا يمانعونه في العبور ، وقد وقفت الطاعة في المضائق ، وقتل بعضها «سريير ملك» شحنة همدان فأشار عليه أوترخان بالعود ، وقال : إن أسلم الطريق اليوم طريق سلكه التاتار إلينا . فرجع برأيه ليكون هلاكه من جميع الوجوه بتدييره ، ووصل إلى قرية من قرى ميفارقين ، فنزل بيديرها ^(٢) ، وسييت الخيل ^(٣) لتستوفى شعبها ^(٤) ، ثم ركب وفارقه أوترخان في ذلك الوقت ، جنباً منه وخورا ، ووثقاً بما كان بينه وبين الملك المظفر شهاب الدين غازي من مكاتبات تنفي ^(٥) عن تأكيد العهد وخالص الود ، وتشهد بمرير العقد وصفاء الورد . فخبس إلى أن طلبه الملك الكامل سنة تملكه آمد ، فأحضر بين يديه ، ووقع بمصر من سطح قات . والسلطان أقام بالبيدر يستره الليل عن كل عدو حتى طلع عليه التاتار ، والفجر برداه ، فركب للوقت ، وعوجل أكثر الجماعة عن الركوب فقتلوا .

(١) في الأصل : الوثاقات .

(٢) البيدر : الموضع الذي تدرس فيه الغلال . المقرئى : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص

٤٤٢ حاشية ٢ .

(٣) في الأصل : الخيل .

(٤) في الأصل : شعبها .

(٥) في الأصل : تنفى .

ذكر ما آل إليه عاقبة أمر السلطان

لما فرقت الواقعة بيني وبين والسلطان ، رمتني الجفلة إلى آمد بعد اختفائي
بعض المغاير ثلاثة أيام ، ثم إلى إربل بعد تعويق بآمد شهرين ممنوعاً من
من الخروج ، ثم إلى أذربيجان بعد مصائب شتى ^(١) ونوائب تترى ،
ثم إلى ميافارقين بعد مشقة وبؤس ، وفراغ كيس ، وعري ^(٢) لقطع أصابني
عن الملبوس . فلم أنزل بمنزل من البلاد السلطانية إلا والناس يرجفون بأن
السلطان باق ، وأنه جمع واحتشد ، واستمد واستعد ، أخاير زور وأمان
غرور ، يفترها الأهواء ويخلقها الود والولاء ، إلى أن عدت إلى ميافارقين
وتيقنت هلاكه ، فكرهت حياتي ، ولمت القدر على نجاتي ، فظلمت أنفسي
الصعداء ، وأقول : ليت رب محمد لم يخلق محمداً . ولو أن في الآجال حيلة قاسمته
عمرى ، وجعلت أنقص السهين شطرى . وحيث أرى أن زمام الاختيار عن
أيدى ذوى الأقدار ، مختلس أقول وفي الصدر شجى ، وفي القلب قبس :
أنبت أن النار بعدك أوقدت واستب بعدك يا كليب المجلس
وتحدثوا في أمر كل ملة لو كنت شاهداً بهم لم ينبسوا ^(٣)
وكان التنازع لما كبسوه بالقرية ، على ما سبق ذكره ، أخبرهم من
أسر من رفقائه بأن هذا هو السلطان ، فجدوا إذ ذاك في طلبه ، وساق
وراءه خمسة عشر فارساً منهم ، ولحقه فارسان فقطلها ، وأيس الباقون من
الظفر به ، فرجعوا . ثم صعد الجبل ، وكان الأكراد يحفظون الطرق
لسحت يجمعونه ، فأخذوه وسلبوه كعادتهم بسائر من ظفروا به . فحين
هموا بقتله ، قال لكبيرهم سرّاً : إني أنا السلطان فلا تستعجل في أمرى ،

(٢) في الأصل : وعراء .

(١) في الأصل : شتا .

(٣) الشعر للمهلل .

ولك الخيار في إحضاري عند الملك المظفر شهاب الدين ، فيغنيك ، أو
إيصالى إلى بعض بلادى فتصير^(١) ملكا .

فرغب الرجل في إيصاله إلى بلاده ، ومشى به إلى عشيرته وحلته ،
فتركه عند امرأته ومضى بنفسه إلى الجبل لإحضار خيله ، فبينما الرجل غائب
إذ وافى شخص كردى من السفلة والأرذال ، ويده حربه ، فقال للمرأة :
ما هذا الخوارزمى ، وهلا تقتلونه ؟ فقالت : لا سبيل إلى ذلك ، وقد أمنه
زوجى ، وعرف أنه هو السلطان . فقال الكردي : كيف تصدقونه بأنه
السلطان ؟ وقد قتل لى بخلاط أخ خير منه . فضربه بالحربة ضربة أغنت^(٢)
عن الثانية ، وألحقته بالنفوس الفانية^(٣) . فأحقر الشقى حق مقدمه ، وأحل
الأرض من حرام دمه ، فأضحى به جيب الزمان مشقوقاً ، وسكر الحدثنان
مبشوقاً ، ولواء الدين مخفوضاً ، وبناء^(٤) الإسلام منقوضاً . وأقشعت سماء
شام أبناء الدين بوارقها ، وخاف أحزاب الكفر والجحود صواعقها .
فكم فى أقاليم الأرض له من وقائع فات فيها أنياب المنايا ، وتخلص من أشداق
البلايا ، حتى إذا حم القضاء^(٥) كان هلاك الأسد الغالب ، على أيدي الثعالب
فإلى الله تعالى المشتكى^(٦) من صرف الزمان ، وريب الحدثنان .

نعم ، وبعث الملك المظفر إلى ذلك الجبل بعد مدة ، وجمع سلب السلطان
والفرس الذى كان تحته ، والسرج والسيف المشهور ، والعودة التى كان
يشدها فى وسط شعره . فلما أحضرت شهد كل من حضر من خواصه الذين
كانوا معه فى تلك الأيام مثل أوترخان ، وطلش أمير آخور ، وجماعة أخرى

(١) فى الأصل : فتصير .

(٢) فى الأصل : أغنت .

(٣) كانت وفاة جلال الدين منكبرتي فى منتصف شوال سنة ٦٢٨ هـ (١٥ أغسطس

سنة ١٢٣١ م) . D'ohsson: Op. cit., t.iii, p 62

(٤) فى الأصل : القضا .

(٥) فى الأصل : بنا .

(٦) فى الأصل : المشتكا .

بأن هذا سلبه ، وبعث فأحضرت عظامه ودفنت ، فقد ارتكب الشقي حق
مقدمه خطباً عظيماً ، وترك الدنيا لفقده يتيماً ^(١) .

يامن أسال رقاب الكاشحين دماً من بعد فقدك أبكيت العيون دماً
لئن أباح ^(٢) صروف الدهر ساحته فانظر إلى الملك والإسلام لاجرماً
قالدين منظم ، والملك منهدم وظل حبل العلي والمجد منجداً ^(٣)

(١) اهتم النسوي بتتبع أخبار جلال الدين منكبرتي في هذه الفترة دون أن يوجه عنايته إلى
تتبع تاريخ الفول . وعلى كل فقد ظل المتول يلاحقون جلال الدين من جهة إلى أخرى حتى لقي
حظه ، ثم ساروا إلى أذربيجان واستولوا عليها ، ثم تابعت انتصاراتهم وتمكنوا من أن يضعوا
أيديهم على بلاد أران وغالية مدن جورجيا وأرمينية الكبرى ، كما زحفوا إلى الأقاليم الشمالية
من العراق العربي ووصلوا حتى مدينة سامرا . وقد التحت جيوشهم بجيوش الخليفة أكرمن
مرة ، ولعلهم كانوا في ذلك يختبرون قوة الجيوش العباسية تمهيداً للاجهاز على مركز الخلافة .
انظر ابن الأثير: الكامل ، ج ١٢ ص ٢٣٤ . وانظر : Howarth: Op. cit., part i, p. 132 .
(٢) في الأصل : أتاح .
(٣) في الأصل : منجداً .

ذكر نبذ من سيرة السلطان وصفته وتواقيعه وما خاطب به وخو طب من ذكر الخلافة وسائر الملوك

كان أسمر قصيراً ^(١) ، تركي الشارة والعبارة ، وكان يتكلم بالفارسية أيضاً . وأما شجاعته فحسبك منها ما أوردته من وقائعه ، فكان أسداً ضرغاماً أشجع فرسانه إقداماً ، وكان حليماً لا غضوباً ولا شتاماً ، وقوراً لا يضحك إلا تبسماً ، ولا يكثر كلاماً ^(٢) . وكان يحب العدل ، غير أنه صادف أيام الفتنة فغلب ، ويحب الترفيه على الرعية لولا أنه ملك في زمان الفترة فغضب . وكان [جلال الدين] يكتب إلى الخليفة مبدأ طلوعه من الهند والوحشة قائمة حذوا على منوال أبيه « خادمه المطواع منكبرتي بن السلطان سنجر » ، ولما خلعت عليه خلعة السلطنة — على ما ذكرناه — بخلاط ، كتب إليه « عبدة » ، والخطاب « سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين ، إمام المشارق والمغارب ، والمنيف على الذروة العليا من لوى بن غالب » .

وكان [جلال الدين] يكتب إلى علاء الدين بن كيقياذ وملوك مصر والشام أجمع اسمه واسم أبيه منعوتاً بالسلطان ، ولم يكتب شيئاً مما جرت

(١) في الأصل: قصير .

(٢) اختلفت نظرة المؤرخين في تحليل شخصية جلال الدين منكبرتي ، فاذا تركنا جانباً ما ذكره النسوي ، نرى ابن الأثير يصفه بقوله : كان جلال الدين سيء السيرة ، قبيح التدبير ، للسلطان ، لم يترك أحداً من الملوك المجاورين له إلا عاداه ، ونازعه الملك وأساء مجاورته . ونرى دونسون يغلب عليه صفات الجندی أكثر من صفات الحاكم السياسي كما ذكر أنه كان يعيل إلى الأبهة ، شدد الولع بالبحر والموسيقى حتى في أشد ساعاته حرجاً . انظر ابن الأثير : الكامل ،

ج ١٢ ص ٢٣٠ و . D'ohsson : Op. cit., t. iii, p. 63 .

(٣) كان علاء الدين محمد خوارزم شاه قد اتخذ لنفسه اسم « سنجر » تيمناً باسم السلطان سنجر السلجوقي الذي طالت مدة حكمه ، فقد حكم من سنة ٥١١ / ٥٥٢ هـ (١١١٧ /

١١٥٧ م) انظر . Lane-Poole : Op. cit., p. 153 .

به العادة من خادمه أو مخدّبه أو أخيه . وكانت علامته على تواقيعه ، النصر من الله وحده . ، فإذا كاتب بدر الدين صاحب الموصل وأشباهه ، يعلم بهذه العلامة عليه بأحسن خط ، وكان يشق قلم العلامة شقين لتجيم غليظة .

وقد خاطبوه من الخليفة مبدأ طلوعه من الهند بالجانب الرفيع الخاقاني ، ولم يزل يقترح عليهم خطاب به بالسلطان فلم يجب إلى ذلك ، إذ لم تجر العادة به مع من تقدمه من كبار الملوك . فلما كثرت إلحاحه خاطبوه ^(١) حين حملت إليه خلع السلطنة بالجانب العالي الشاهنشاهي .

وكانت واقعته في منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وستائة ، فأعظم بها من مصيبة ، لو شق الفجر لها جيبه لتحقيق ، وأجفع بها من نازلة ، لو خدش لها القمر وجهه لجدير ، فحق للأفلاك أن تلبس ثوب الحداد ، والنجوم أن تجلس فيها على الرماد ، وأظنها لو صادف ليلاً لدعون ويلا ، وتناوين على المصاب جيلاً لجيلاً ^(٢) ، فكان المراد بقول أبي تمام :

ألا في سبيل الله من عطلت له	فجاج سبيل الله وانشغل الشغل
فتمات بين الطعن والضرب ميتة	تقوم مقام النصر إذ فاته النصر
وما مات حتى مضرب سيفه	من الضرب واهتلت عليه القناالسم
فأثبت في مستنقع الموت رجله	وقال لها من تحت أخمصك الحشر
غدا غدوة والحمد نسج ردائه	فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
تردى ^(٣) ثياب الموت حمر أفاأنى	لها الليل إلا وهي من سندس خضر ^(٤)
مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة ^(٥)	غداة ثوى إلا اشتت أنها قبر
عليك سلام الله وقفاً فإتنى	رأيت الكريم الحر ليس له عمر

(١) في الأصل : خطبوه .

(٢) في الأصل : تناوين على المصاب جيلاً لجيلاً .

(٣) في الأصل : تردا .

(٤) في الأصل : لها في الليل وهي من سندس خضر .

(٥) في الأصل : لم تبق روضة .

مرحمه الله رحمة تبرد روحه ، وتنور ضريحه ، وعرف له مساعيه في
الذب عن دين الله ، والسعى في سبيل الله ، وأسهل عليه ذوق نعمه بدعاء
يمليه خالص الود والولاء ، وبكاء ينبيء ^(١) عن حسن العهد والوفاء
خليلي على خالد خالد ^(٢) وصنف هموى طويل العناء
أصبنا بكنز الغنى والإمام أمسى مصابا بكنز الفناء ^(٣)
الحدى حوى جثة الملحددين لدن ثرى حال در الثراء
وقد كان قبل يزين السرير والبهو يملأه بالدهاء
فكم غيب التراب من سؤدد وعال المنى من جميع البلاء ^(٤)
الحمد لله الذى بنعمه تتم الصالحات ، وبأمره قامت الأرض والسموات ،
صلى الله على سيدنا محمد وآله بأفضل الصلوات وأكرم التحيات ، وسلم
تسلياً كثيراً إلى يوم الدين .. نجزت فى ... سنة سبع وستين وستائة .

(١) فى الأصل : يئى .
(٢) كذا فى الأصل ، وأولى أن يكون بكائى على خالد خالد . . . حتى يستقيم المعنى .
(٣) فى الأصل : أصبنا بكثر العنى والامام أمسى مصابا بكنز الفناء .
(٤) نلاحظ أن بحر التقارب مكسور الوزن فى الآيات الثانى والثالث والرابع .

المصادر ، والكشاف ، والفهرس

المصادر العربية

- ابن الأثير : (+ ٦٣٠هـ = ١٢٣٢م) .
- (١) الكامل في التاريخ (الطبعة الأزهرية ، ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م) .
- (٢) تاريخ الدولة الأتابكية ، ملوك الموصل (طبعة Rec. Hist. Or. Cr. t. ii)
- البندارى :
- (٣) تاريخ دولة آل سلجوق . (القاهرة ، ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م) .
- حافظ أحمد حمدي :
- (٤) الدولة الخوارزمية والمغول . (القاهرة ، ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م) .
- (٥) الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي . (القاهرة ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م) .
- (٦) المغول والعالم الإسلامي ؛ بحث في كتاب و مجموعة الاذاعات الثقافية ، نشرته وزارة المعارف سنة ١٩٤٧ .
- حسن ابراهيم حسن ، دكتور :
- (٧) النظم الإسلامية ، بالاشتراك مع الدكتور على ابراهيم حسن . (القاهرة ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م) .
- (٨) تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٢ . (القاهرة ، ١٣٦٥هـ = ١٩٤٥م) .
- (٩) ، ، ، ج ٣ . (القاهرة ، ١٣٦٦هـ = ١٩٤٦م) .
- ابن خلدون : (+ ٨٠٨هـ = ١٤٠٥م) .
- (١٠) العبر وديوان المبتدا والخبر . (القاهرة ، ١٢٨٤هـ = ١٨٦٧م) .
- ابن خلكان : (+ ٦٨١هـ = ١٢٨٢م) .
- (١١) وفيات الأعيان : (بولاق ، ١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م) .
- الديار بكري : (+ ٩٦٦هـ = ١٥٥٨م) .
- (١٢) تاريخ الخبيس في أحوال أنفيس نفيس . (القاهرة ، ١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م) .

رضا زاده شفق ، دكتور :

(١٣) تاريخ الادب الفارسي . نقله من الفارسية إلى العربية الدكتور محمد

موسى هنداوى . (القاهرة ، ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م) .

زكى محمد حسن ، دكتور :

(١٤) فنون الإسلام . (القاهرة ، ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م) .

(١٥) الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي . (القاهرة ، ١٣٥٥ هـ = ١٩٤٠ م) .

(١٦) الصين وفنون الإسلام . (القاهرة ، ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م) .

(١٧) التصوير في الإسلام عند الفرس . (القاهرة ، ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م) .

(١٨) التصوير وأعلام المصورين في الإسلام ؛ بحث في كتاب « نواح مجيدة

من الثقافة الإسلامية » ، هدية المقتطف في أكتوبر سنة ١٩٣٨ .

السيوطي : (+ ٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) .

(١٩) تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله .

(القاهرة ، ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م) .

ابن شاکر السکتي : (٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ م) .

(٢٠) فوات الوفيات . (القاهرة ، ١٢٨٣ هـ = ١٨٦٦ م) .

أبو شامة : (+ ٦٦٥ هـ = ١٢٦٦ م) .

(٢١) تراجم رجال القرنين السادس والسابع . (القاهرة ، ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م) .

الروضتين في أخبار الدولتين . (طبعة R. H. O. C.) .

ابن طباطبا :

(٢٢) الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية .

(القاهرة ، ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م) .

عبد الرحمن زكى ، القائمقام :

(٢٣) السلاح في الإسلام . (القاهرة ، ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م) .

عبد الوهاب عزام ، دكتور :
(٢٤) الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام ؛ بحث
في كتاب « نواح مجيدة من الثقافة الإسلامية » ، هدية المقتطف في
أكتوبر سنة ١٩٣٨ .

ابن العبري : (+ ٥٦٨٥ = ١٢٨٦ م) .
(٢٥) تاريخ مختصر الدول . (بيروت ، ١٣٠٨ = ١٨٩٠ م) .
علي إبراهيم حسن . دكتور :

(٢٦) مصر في العصور الوسطى . (القاهرة ، ١٣٦٦ = ١٩٤٧ م) .
(٢٧) دراسات في تاريخ الممالك البحرية . (القاهرة ، ١٣٦٧ = ١٩٤٨ م) .
ابن العميد : (+ ٦٧٢ = ١٢٧٣ م) .
(٢٨) تاريخ المسلمين . (لندن ، ١٠٣٥ = ١٦٢٥ م) .

أبو الفدا : (+ ٧٣٢ = ١٣٣١ م) .
(٢٩) المختصر في أخبار البشر . (القاهرة ، ١٣٢٥ = ١٩٠٧ م) .
قدرى حافظ طوقان :

(٣٠) الأثر العلى للحضارة الإسلامية وأعظم علمائها ؛ بحث في كتاب « نواح
مجيدة من الثقافة الإسلامية » ، هدية المقتطف في أكتوبر سنة ١٩٣٨ .

القلقشندي : (+ ٨٢١ = ١٤١٨ م) .
(٣١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا . (القاهرة ، ١٣٣٣ = ١٩١٤ م) .
ابن القلانسي : (+ ٥٥٥ = ١١٦٠ م) .

(٣٢) ذيل تاريخ دمشق . (بيروت ، ١٣٢٦ = ١٩٠٨ م) .
أبو المحاسن : (+ ٨٧٤ = ١٤٩٦ م) .
(٣٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
(القاهرة ، ١٣٥٤ = ١٩٣٥ م) .

محمد جمال الدين سرور ، دكتور :

(٣٤) الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره .

. (القاهرة ، ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م) .

(٣٥) دولة بني قلاوون في مصر . (القاهرة ، ١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م) .

المقريزي : (+ ٨٤٥هـ = ١٤٤١م) .

(٣٦) السلوك لمعرفة دول الملوك . نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة .

. (القاهرة ، ١٣٥٣هـ = ١٣٥٨ - ١٩٣٤م) .

(٣٧) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار .

. (القاهرة ، ١٢٧٠هـ = ١٨٥٣م) .

ابن ميسر (+ ٦٦٧هـ = ١٢٧٨م) .

(٣٨) تاريخ مصر . (القاهرة ، ١٣٣٨هـ = ١٩١٩م) .

النسوى :

(٣٩) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي . (باريس ، ١٣٠٩هـ = ١٨٩١م) .

النظامي العروضي السمرقندي :

(٤٠) چهارمقاله ؛ نقله من الفارسية إلى العربية الأستاذان عبدالوهاب

ويحيى الخشاب . (القاهرة ، ١٣٦٨هـ = ١٩٤٩م) .

ابن الوردي : (+ ٧٥٠هـ = ١٣٤٩م) .

(٤١) تمة المختصر في أخبار البشر . (القاهرة ، ١٢٨٥هـ = ١٨٦٨م) .

ياقوت : (+ ٦٢٦هـ = ١٢٢٩م) .

(٤٢) معجم البلدان . (القاهرة ، ١٣٢٣هـ = ١٩٠٦م) .

المصادر الأجنبية

Abulgasi :

1. Histoire Généalogique des Tatars. (Leyde, 1726)

Ameer Ali, Sayed :

2. A Short History of the Saracens. (London, 1916)

Arnold, T. W. :

3. The Preaching of Islam. (London, 1935)

Atiya, A. S. :

4. The Crusade in the Later Middle Ages. (London, 1938)

Barker, E. :

5. The Crusades. (London, 1925)

Barthold :

6. Turkestan down to the Mongol Invasion. (London, 1928)

Bloch, E. :

7. Introduction à l'Histoire des Mongols de Fadlallah Rashid Ed Din. (Leyden, 1910)

Boulger, D. C. :

8. The Mongols and the Court of Kublai Khan. (Universal History of the World, vol. 5, pp. 2847-2860)

Bretschneider, E. :

9. Mediæval Researches From Eastern Asiatic Sources. (St. Petersburg, 1887)
10. Recherches Archéologiques et Historiques sur Pékin et ses Environs. (Paris, 1879)

Browne, E. G. :

11. A Literary History of Persia. (London, 1906)
12. Account of a Rare Manuscript History of Seljuqs. (London, 1906)

Cahun, L. :

13. Introduction à L'Histoire de L'Asie, Turcs et Mongols, des origines à 1405. (Paris, 1896)
14. Gengis-Khan et L'Empire Mongol.

(Lavisse et Rambaud : Histoire Générale, tom. ii, pp. 917-953)
(Paris, 1893)

Curtin, J. :

15. The Mongols' History. (Boston, 1908)

Czaplicka :

16. The Turks of Central Asia, in History and at the Present Day.
(Oxford, 1918)

Defremery, M. :

17. Histoire des Seldjoukides; Extraits du Tarikhi Guzideh, ou Histoire
Choisie d'Hamdullah Mustaufi.
(Journal Asiatique : Avril-Mai, 1848, pp. 417-468)
18. Histoire des Seldjoukides. (Suite)
(Journal Asiatique : Septembre-Octobre, 1848, pp. 259-376)
19. Fragments de Géographes et d'Historiens Arabes et Persans
Inédits. (Journal Asiatique : Novembre-Décembre, 1849, pp.
447-513)

De Guignes, J. :

20. Histoire Générale des Huns, des Turcs, des Mongols et des
autres Tartares Occidentaux. (Paris, 1757)

D'ohsson, M. Le Baron :

21. Histoire des Mongols depuis Tchinguiz-Khan jusqu'a Timour
Bey ou Tamerlan. (Paris, 1824)

Douglas, R. K. :

22. The life of Jenghiz-Khan, Translated from Chinese. (London,
1877)
23. China, The Story of Nations. (London, 1912)
24. Jenghiz-Khan. (Encyclopædia Britannica, vol. 12, pp. 1000-1001).
(New York, 1929)

Dubeux. M. L. :

25. La Perse. (Paris 1841)

Eileen Power :

26. Medieval People. (London 1939)
27. The Guilds and Medieval Commerce.
(Universal History of the World, vol. 5, pp. 2897-2926)

Fitzgerald :

28. China, A Short Cultural History. (London, 1935)

Fraser, J. B. :

29. Historical and Descriptive Account of Persia. (London, 1833)

Gibbon, E. :

30. The History of the Decline and Fall of the Roman Empire.
(New York, 1927)

Giles, A. H. :

31. The Civilization of China. (Cambridge, 1911)

Grenard, F. :

32. Gengis-Khan. (Paris, 1935)

Hart, B. H. L. :

33. Mongol Campaigns.
(Encyclopædia Britannica, vol. 15, pp. 705—7.) New York, 1929.

Heyd, W. :

34. Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age.
(Leipzig, 1886)

Hirth, J. :

35. China and the Roman Orient. (Leipsic, 1885)

Hirth & Rockhill, W. W. :

36. Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteenth Centuries.
Translated from Chinese. (St. Petersburg, 1911)

Hitti, Philip :

37. The History of the Arabs. (London, 1937)

Howorth, H. H. :

38. History of the Mongols. (London, 1876)

Huntington, E. :

39. The Pulse of Asia. (Washington, 1919)²

Huzayyin, S. A. :

40. Arabia and the Far East. Their Commercial and Cultural Relations in Graeco-Roman and Irano-Arabian Times. (Cairo, 1942)

Jacobs, Joseph :

41. The Story of the Geographical Discovery.
How the World Became Known. (London)

Lamb, Harold :

42. Genghis-Khan; The Emperor of All Men. (London, 1934)
43. The Crusades ; The Flame of Islam. (London, 1931)

Lane-Poole, Stanley :

44. History of Egypt in the Middle Ages. (London, 1925)
45. Mediæval India Under Mohammedan Rule. (London, 1917)
46. The Mohammadan Dynasties. (Paris, 1925)
47. Catalogue of the Collection of Arabic Coins preserved in the
Khedivial Library at Cairo. (London, 1897)

Le Strange :

48. Baghdad During the Abbasid Caliphate. (Oxford, 1900)

Little, A. :

49. The Far East. (Oxford, 1905)

Loewe, H. M. J. :

50. The Seljuqs.
(Cambridge Medieval History, vol. iv, pp. 299-317) Cambridge,
1927.
51. The Mongols.
(Cambridge Medieval History, vol. iv, pp. 627-652). Cambridge,
1927.

Malcolm, J. :

52. The History of persia, from the Most Early Period to the
Present Time. (London, 1829)

Marcel, M. J. :

53. L'Egypte Depuis la Conquête Des Arabes Jusqu'à la Domination
Française. (Paris, 1848)

Muir, Sir William :

54. The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall. (Edinburgh, 1924)

Nicholson, Reynold :

55. A Literary History of the Arabs. (London, 1923)

Nidhami-i-Arudi-i-Samarquandi :

56. The Chahâr Maqala. Translated by E. G. Browne. (London, 1899)

Nizam Al-Mulk :

57. Siyâsat Namah. (Paris, 1891)

Nöldéke, Theodor :

58. The Abbasids.
(The Historians' History of the World, vol. viii, pp. 209—232)
(New York, 1926)

Rashid-Eldin :

59. Histoire des Mongols de la Perse. Edit. par M. Quatremere.
(Paris, 1833.)

Reinand et Favé, M. M. :

60. Du Feu Grégeois, Des Feux De Guerre, et Des Origines De la
Poudre a Canon chez les Arabes, les Persans, et les Chinois.
(Journal Asiatique : Octobre 1849, pp. 257—327)

Sanaullah, Mawlawi Fadil :

61. The Decline of the Saljûqid Empire. (Calcutta, 1938)

Ross, E. D. :

62. The Empire of the Seljuk Turks.
(Universal History of the World, vol. 5, pp. 2779—96)

Skrine, F. H. & Ross, E. D. :

63. The Heart of Asia. (London, 1899)

Stevenson, W. B. :

64. The Age of Eastern Imperialism : 1216—1303.
(Universal History of the World, vol. 5)

Sykes, Sir Percy :

65. The Quest For Cathay. (London, 1936)
66. A History of Persia. (Oxford, 1922)

Vambéry, A. :

67. History of Bokhara from the Earliest Period down to the Present.
(London, 1873)

Vladimirtsov :

68. The Life of Chingiz-Khan. (London, 1930)

Von Hammer :

69. Histoire de L'Ordre des Assassins. (Paris, 1833)

Wells, H. G. :

70. The Outline of History.

Wiet, Gaston :

71. Précis de l'Histoire d'Egypte. (Le Caire, 1932)

Zambaur :

72. Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'Histoire de l'Islam. (Hanovre, 1927)

نقله إلى اللغة العربية باسم «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» الأساتذة
الدكتور زكي محمد حسن ، وحسن أحمد محمود ، والدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ، وحافظ
أحمد حدى ، وأحمد ممدوح حدى (مطبوعات جامعة فؤاد الأول بالقاهرة ، ١٣٧٠ هـ)
= ١٩٥١ م .

كشاف

(١) أسماء الرجال والنساء ، والقبائل والشعوب ، والفرق الدينية .

اختيار الدين كشكى ، أمير آخورد :	(١)
١٠٧ ، ٩٠ .	أبا قاخان ، إيلخان فارس : ٢٢ .
أخش ملك : ٢٣٦ ، ٣٠٤ .	أبان ، أمير : ١٦٤ .
أدك خان : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،	الأتراك : ٤ ، ٥ ، ٢١ ، ٢٢ ،
١٧٦ .	٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ،
آدم : ١٣ ، ٣٣ .	٤٥ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٧٦ ،
أربزخان : ٦٦ .	٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ،
أربز بن سعد الدين ، الحاجب :	٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١١٢ ،
٧٩ .	١١٨ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ،
أرتق خان : ٢٣٦ .	١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
أرخان ، أمير : ١٦٤ ، ١٩٨ ،	١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢١٧ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،	٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ ،
٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٣٢٥ ،	٣٠٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٢ ،
٣٧٩ .	آتسز ، سلطان خوارزم : ٣ ، ٣٤ ،
أردشير بن الحسن ، ملك مازندران :	أجتاي : ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٤٦ ،
٣١٢ .	٩١ ، ٩٧ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٧٠ ،
أرسلان خان : ٤٣ ، ١٨٩ .	٢٢٣ ، ٣٣٥ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ .
أرسمان بهلوان : ٣٥٢ .	أجودا A-gu-da : ٣٩ .
الآرمن : ٢١٢ ، ٣٠٢ ، ٣١٧ ،	اختيار الدين خربوست : ١٥٢ ،
٣٢٥ .	٢٩٣ .
أزبك باين : انظر جهان بهلوان	اختيار الدين زنكي بن محمد بن
أزبك باين .	حمزة : ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،
	١٨١ .

أطلس ملك، أمير اليولق : ٢٨٢ ،

٣٣٢ .

الأعظم ، صاحب ترمذ : ٦٦ .

أعظم ملك ، صاحب بلخ : ١٥٤ ،

١٥٩ ، ١٥٥ .

أغل حاجب : انظر أيناخ خان .

أغلش ، الأتابك : ٥٢ .

اقتحار جهان : ٩٤ .

إفراسياب : ٣٥٧ .

أقسنقر الكوئي : ١٤٠ .

أق شاه : ٢ ، ٩٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،

١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

الأكراد : ٢٠ ، ٣٨١ .

الالان ، اللان ، قبائل : ٢٩١ .

ألب أرسلان : ٦ ، ٨ ، ٦٠ ،

٢٨٩ .

ألب خان ، قائد : ١٥٠ ، ٢٣٦ .

التون خان : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .

الخ خان : ٣٠٨ ، ٣٣١ .

الأمويون : ٥٧ .

أمين الدين الدهستاني : ٧١ .

أمين الدين رفيق الخادم : ٣٤١ .

أمين الدين الهروي : ٨٥ .

أمين ملك ، والي خوارزمي :

١٣٣ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٨ .

أنوشروان : ٢٤٧ ، ٣١٦ .

أواك ، ابن إيوان الكرجي :

٢٩٢ ، ٣٧١ .

أوترخان : لقب يكت ملك .

أودك ، أمير آخور : ١٧٦ ،

٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

أزبة طايغ ، قائد خوارزمي :

٢٩١ ، ٢٩٢ .

أزلاخ شاه : انظر قطب الدين .

الاستوائ ، القاضي : انظر

أبو جعفر .

أستون نوين ، قائد مغولي : ١٧٠ .

أبو اسحق الشيرازي : ١٥٠ .

أسد الدين الجويني : ١٤٥ .

أسد الدين مودود : ٢٦٦ ، ٣٤٣ ،

٣٤٨ .

الأسد بن عبد الله : ٣٢١ .

الأسد بن عبد الله المهراني : ٣٢٣ .

أسرك بهلوان : ٩٠ .

الأسكندر الأكبر : ١٧ ، ١٧٤ .

أسلبه خان : ٩١ .

الاسماعيلية : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٩ ،

٢٠ ، ٢٤ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٧٤ ، ٧٥ ،

١٤١ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣٦ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٦٥ ،

٢٦٦ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٨ ،

٣٥٢ .

إسماعيل الايواني : ٣٢٠ .

إسماعيل بن جعفر الصادق : ٥١ .

أسن طغان نوين ، قائد مغولي : ٢٣٢ .

الأشرف موسى : ٢٠٩ ، ٢١٠ ،

٢١٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٩٩ ،

٣٠١ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،

٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ،

٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ،

٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ .

- الباخرزى ، نائب شرف الملك :
 . ٢٥٨
 ياسور نوين ، قائد مغولى : ٢٣٢ .
 الباطنية : انظر الاسماعيليه .
 باقل ، يضرب به المثل فى المعى :
 . ٢١٠
 باقو نوين ، قائد مغولى : ٢٣٢ .
 البامياتى ، أبو بكر محمد بن على
 ابن أحمد : ٣٦ .
 بايندر ، قبيلة : ٥٠ .
 بدر الدين أحمد ، رسول الموت :
 . ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٣٤٠ .
 بدر الدين طوطق : انظر طوطق .
 بدر الدين العميد : ٩٢ .
 بدر الدين لؤلؤ : ٣٠٤ ، ٣٨٥ .
 بدر الدين هلال ، الخادم : ٩٦ ، ١٩٦ .
 براق حاجب : ١٧٤ ، ١٧٥ ،
 ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٤٤ ، ٣٣٨ .
 البرامكة : ٤ .
 البرطاسى : ٩٠ .
 برهان الدين ، رئيس أصحاب
 أبى حنيفة بخوارزم : ٨٠ .
 برهان الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز
 البخارى : ٦٨ .
 برهان الدين محمد صدر جهان : ٩٤ .
 بشار بن برد الشاعر : ١٨٩ .
 بغدى ، مملوك الاتابك أوزبك :
 . ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ .
 بقرجن نوين ، قائد مغولى : ١٧٠ .
 بكشمر : ٢٩٣ .
 أبو بكر الخوارزمى ، الشاعر : ١٨٢ .

- أوزبك بن محمد ، اتابك أذربيجان :
 ، ١٨ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
 ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،
 ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٢٣ ،
 ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .
 أوجايتو : ٢٢ .
 إياز : انظر جهان بهلوان إياز .
 أيبك الأندار : ١٤٠ .
 أيبك الخريتدار : ١٤٠ .
 أى جيجاك ، والده جلال الدين
 منكرى : ٩٦ .
 أيدغدى كله : ١٤٥ .
 أيدمر الشامى : ١٤٥ ، ١٤٧ .
 أيسى خاتون : ١٤٥ ، ١٤٧ .
 أيطغش ، المملوك : ٦٨ .
 أيفر ، قبيلة : ٥٠ .
 إيل أرسلان : ٢ ، ٣٤ ، ٧٧ .
 إيلان توغو : ٢٣٥ .
 إيلجى بهلوان : انظر جهان بهلوان
 إيلجى .
 أيناام خان : لقب أبو بكر ملك .
 أيناى خان : ٤٨ ، ٩٠ ، ١٠١ ،
 ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
 ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ،
 ، ٢٦٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ .
 إيوانى الكرجى : ٢٧٢ ، ٢٩١ ،
 ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ .
 الأيوبيون ، الدولة الأيوبية :
 . ٥٤ ، ٢٧٨ ، ٣٢٣ ، ٣٧٤ .

(ب)

- باجى بك ، قائد مغولى : ١٧٠ .

(ت)

- أبو بكر بن سعد بن زنكي : ٦٣، ٦٢ .
 أبو بكر الصديق : ٥٧ .
 أبو بكر ملك : ٢٣٨ ، ٢٨٥ .
 بكشان جنكشي : ١٣٧ .
 بكك السديدي : انظر سيف الدين .
 بلكواي ، والد غياث الدين : ١٧٨ .
 بلبان الخلخالی : انظر عز الدين .
 بلقي ملك ، خال غياث الدين بير شاه : ١٤٨ .
 بلخمور خان : ٩٠ .
 بلكا خان : صاحب أترار : ٦٨ ، ٦٦ .
 بندگان : ٣٦٩ ، ٣٧٠ .
 بهاء الدين حاجي : ١٨٣ ، ١٨٤ .
 بهاء الدين سكر ، مقطع ساوة : ٣١٧ ، ١٤٥ .
 بهاء الدين محمد بن بشير : ٣٥٩ .
 بهاء الدين محمد بن سهل ، أمير نساء : ١١٣ ، ١١١ .
 بهرام شاه ، صاحب ترمذ : ٩٤ .
 بهرام الكرجي : ٢٩٣ ، ٢٩٥ .
 بوجي بهلوان (١) : ٤٨ ، ١٢٢ .
 البوذية : ٤٣ ، ٤٧ .
 البويهيون : ٧٦ ، ٥٤ ، ١٨٢ .
 بياووت ، قبيلة : ٧١ ، ٩٩ ، ١٢٢ .
 بيدشو ، قائد مغولي : ٣٣٥ ، ٣٥٤ .
 البيزنطيون . الدولة البيزنطية : ٢٨٩ ، ٦ .
 ابن يشتكين : انظر نصره الدين محمد .
 (١) في ص ١٢٢ : « توخي بهلوان » .
 (٢) في ص ٧٢ : « كريم الشرف » .
- تاتاك توين ، قائد مغولي : ٢٣٢ .
 تاج الدين ، صاحب بلخ : ٦٥ ، ٦٧ .
 تاج الدين حسن ، السرهنك : ١٠٧ ، ١٩٠ .
 تاج الدين الحسين ، مقطع استراباذ : ٢١٦ .
 تاج الدين صاحب بن الحسن : ٢٥٩ .
 تاج الدين علي : ٢٦٥ .
 تاج الدين علي شاه : ٢ .
 تاج الدين عمر البسطامي ، الأمير : ١٠٥ .
 تاج الدين عمر بن مسعود : ١٨١ .
 تاج الدين قليج ، الخادم : ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ .
 تاج الدين قمر : ١٨٠ .
 تاج الدين بن كريم الشرق (٢) : ٧٢ ، ٨٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ .
 تاج الدين محمد البلخي : ٢٤٧ ، ٢٤٨ .
 تاج الدين محمد بن صاعد ، الأمير : ١١٣ .
 تاج الملك نجيب الدين يعقوب الخوارزمي ، مشرف الماليك : ٢٤٣ ، ٣٦١ .
 تمار : ٢٨٧ .

تیمورلنك : ٦٦ .
تیمورملك : انظر دمر ملك .

(ج)

جاه درى ، الامير : ١٠١ .
چبه : انظر شي .
چرجا خطاي ، قبائل : ٤١ .
چرميخ ، امير : ٩٠ .
أبو جعفر محمد بن بسطام الاستوائى :
١٣٠ .
چغتاي : ١٤ ، ١٥ ، ٤٦ ، ٩١ ،
٩٧ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٧٠ .
جلال الدين أبو بكر ملك : ١٧٧ .
جلال الدين الحسن ، داعى دعة
الاسماعيلية : ٥١ ، ٦١ ، ٢٢٨ ،
٣١٧ ، ٣٤٠ .
جلال الدولة محمد بن محمود بن سبكتكين :
٣٦٧ .
جلال الدين منكشبرى : ٢ ، ١٦ ،
١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ،
٣٦ ، ٣٥ ، ٣٥ ، ٣٥ ، ٣٥ ، ٣٥ ، ٣٥ ،
٩٧ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،
١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ١٩٩

تنش ، أخو ملكشاه السلجوقى : ٧ .
الترك : انظر الأتراك .
تركان خاتون : ٦٢ ، ٦٩ ، ٧١ ،
٧٢ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٤ ،
٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
١٢٦ ، ١٥٩ ، ١٨٢ ، ٣٠١ .
تركان سلطان ، ابن علاء الدين
محمد خوارزم شاه : ٩٧ .
تفجار نوين ، القائد : انظر توجاشر .
الفرشى : انظر شرف الدين على
بن الفضل .
تقى الدين ، ابن الملك العادل أيوب :
٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ .
التكرى ، انظر الشمس التكرى .
تكش ، علاء الدين : ٢ ، ٣٤ ،
٤٩ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٧ ،
٩٩ ، ١١١ ، ٢٢٠ ، ٢٧٦ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ .
تكشارق جنكشى (١) : ١٦٤ ،
٢٣٨ ، ٢٨٥ .
تكفى ملك : ١٣٧ .
تكين ، مقطع خوى : ٣٣٠ .
تمرجى ، قبيلة : ٣٩ .
تمساها ، تمسا (Thamtha) ، ابنة
ليوانى الكرجى : ٢٩٣ .
تموجين : ١١ ، ٤٠ .
توجاشر ، القائد : ١١٣ ، ١١٥ ،
١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ .
تولوى : ١٤ ، ١٥ ، ٤٦ ، ٩٧ ،
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٥٤ ، ١٧٧

(١) فى ص ٢٣٨ : « تكشارق حلى » .

- جهان بهلوان ، إياز : ٧٨ ، ٦٨٠
 جهان بهلوان ، ايلجى : ١٦٤ ، ١٣٧
 . ٢٤٣ ، ٢٣٤ ، ١٩٨ ، ١٩٢ ، ١٨٠

(ح)

- حبش ، رجل من قرية كاهجة : ١١٧
 حرور ، أمير : ٩٠
 حسام الدين تكش : ٦٣
 حسام الدين تكين تاش : ٢٧٧
 . ٣٥٢
 حسام الدين خضر : ٢٠٠
 . ٣٢٧ ، ٣٢٥ ، ٢٩٨ ، ٢٧٠ ، ٢٠٢
 حسام الدين طغرل : ٣٢٣
 حسام الدين عيسى : ٣٢٦
 حسام الدين قلع أرسلان : ٣٥٦
 . ٣٥٧
 حسام الدين القيمرى : ٣٢٢
 حسام الدين مسعود : ٩٠
 حسن الثالث ، داعى دعا
 الاسماعيليه : ٢٢٩ ، ٢٢٤
 الحسن بن الصباح : ٨٠ ، ٧
 الحسن بن على : ١٣٠
 الحسن قرلق : ١٥٤ ، ١٦٩
 . ٣٤٦
 الحسين بن على : ١٣٠
 الحشيشية : انظر الاسماعيليه
 الخمال المراضى : ٨٥
 حميد الدين ، الخازن : ٢٤٩
 الحنفية : ١٠٩ ، ٦٩ ، ٦٨

- ٢٢٠ ، ٢١٧ ، ٢١٥ ، ٢١٢ ، ٢١٠ ، ٢٠٩
 ٢٧٨ ، ٢٧٢ ، ٢٦٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٣ ، ٢٢٣
 ٣١٥ ، ٣٠٤ ، ٢٩٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٥ ، ٢٨٠
 ٣٣٢ ، ٣٢٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٠ ، ٣١٩ ، ٣١٧
 ٣٥٤ ، ٣٥٢ ، ٣٤٠ ، ٣٣٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٤
 ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٣ ، ٣٦٣ ، ٣٥٩

٣٨٤

- جمال الزداد : ١٦١
 جمال الدين على العراق : ٣٢٨
 جمال الدين عمر ، صاحب وخش : ٩٤
 جمال الدين عمر بن يوزدار : ١٤٥
 جمال الدين محمد بن أبى القزوينى :
 ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣
 جمال الدين فرج ، الطشت دار :
 ٢٤٣ ، ٣١٩

- جمال الدين القمى : ٢٠٥ ، ٣٦٩
 جنكيز خان : ٣ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣
 ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤
 ٦٦ ، ٥٩ ، ٤٦ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩
 ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٧٣ ، ٧٠
 ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠
 ١١٣ ، ١١١ ، ١٠٥ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠
 ١٣٣ ، ١٢٩ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٤ ، ١١٨
 ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٤٩ ، ١٣٨ ، ١٣٤
 ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧
 ٢٨٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٣ ، ١٩٦ ، ١٩٢ ، ١٧٧
 ٣٦٣ ، ٣٥٤ ، ٣٤٨ ، ٣٣٨ ، ٣٣٥ ، ٣٠١
 ٣٧٥

- جهان بهلوان ، أزبك باين : ١٦٨
 ٣٤٦ ، ١٦٩

(خ)

خواجه جهان ، لقب : انظر شرف
الملك علي بن أبي القاسم الجندی .
خاص خان : لقب تكشارق
جنكشی .

خان بردی ، الحاجب : ۲۳۶ ،

۲۷۴ .

خاموش ، ابن الأتابك أوزبك .:

۲۲۳ ، ۲۵۵ ، ۲۶۴ ، ۲۷۳ ، ۲۷۸ .

خان جنكشی، من ملوك الترك :

۹۹ .

خان سلطان ، ابنة علاء الدين

محمد خوارزم شاه : ۹۷ .

خداوند جهان ، لقب : ۹۹ .

ابن خرميل : انظر نصرة الدين

محمد بن الحسن .

الخطا : ۳۶ ، ۳۹ ، ۴۳ ، ۴۵ ،

۳۳۸ ، ۳۶۷ ، ۷۲ ، ۱۰۱ ، ۱۷۴ ، ۳۳۸ ،

۳۴۱ .

الخلخالی ، انظر عز الدين بلبان .

الحوارزمی ، مجير الدين عمر بن

سعد : ۵۰ .

(د)

داعي خان ، أمير اليولق : ۲۸۲ ،

۳۰۸ .

دانشمند ، الحاجب : ۹۳ ، ۹۷ ،

۱۹۰ .

داية خاتون : ۳۶۱ ، ۳۷۲ .

الدركجینی : ۲۶۱ .

دكچك ، الأمير : ۵۶ ، ۳۵۳ .

دسر ملك : ۱۲۶ .

دنزيقو : ۳۷۹ .

دوش خان ، ابن أخش ملك : ۳۰۴ .

دوشی خان : انظر جوجی .

دولة ملك ، خال غياث الدين

بيرشاه : ۱۴۶ ، ۱۴۷ ، ۱۴۸ .

(ر)

الراشد ، الخليفة العباسی : ۹ .

رافقان ، إمام الدين : ۳۶۸ .

ريبب الدين أبو القاسم بن علي ،

الوزير : ۳۷ ، ۵۴ ، ۵۵ ، ۵۷ ،

۲۰۷ ، ۲۷۱ ، ۲۷۲ .

رستم ، من أبطال الفرس : ۱۳۶ .

رسودان ، الملكة : ۲۸۷ .

الرشيد ، الخليفة العباسی : ۴ .

رضی الملك ، مشرف ديوان جلال

الدين منكبرتي بغزنة : ۱۵۲ ، ۱۵۳ :

ركن الدين جهان شاه : ۳۰۱ ،

۳۰۲ ، ۳۱۷ ، ۳۲۹ ، ۳۳۰ .

ركن الدين بن عطا ف : ۲۸۰ .

ركن الدين المعيشي ، القاضي : ۷۷ .

ركن الدين غورشايحي : ۷۱ ، ۷۲ ،

۷۳ ، ۱۰۴ ، ۱۴۰ ، ۱۴۱ ، ۱۴۲ ،

۱۴۴ ، ۱۴۵ ، ۲۲۵ .

ركن الدين كبودخانه : ۱۰۶ .

ركن الدين مسعود بن مساعد ،

القاضي : ۱۷۶ ، ۲۲۵ .

٥٧ ، ٦٢ ، ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٧٦ ، ١٩٠ ،
٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ .

سعد الدين علي ، الشربدار : ١٦٠ .
أبو سعيد ، إيلخان فارس : ٢٢ .
سكرخان : ٢٨٥ .

السلاجقة الروم : ٣٥ ، ٢١١ ،
٢٢٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ، ٣٠٠ ،
٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ،
٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ،
٣٧٧ .

سلجوق ، السلاجقة : ٥ ، ٦ ، ٧ ،
٨ ، ٩ ، ١٠ ، ٦٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٨ ،
٦٠ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٢٥٣ ، ٢٨٩ ، ٣٦٧ .
سلطان شاه ، ابن شروانشاه : ٢٨٧ .
سلطان شاه محمود : ٢ .

سلغر ، قبيلة : ٥٠ .
سليمان ، ابن آتسز : ٢ .
سليمانشاه : ٣٤٢ .
سملان سلك بك ، والي قلعة جاريبرد :
٣٦٤ .

سنجر ، السلطان السلجوقي : ١١٨ ،
٣٨٤ .

سنجر ، صاحب بخارى : ٦٦ .
سنجان خان ، أمير : ١٦٤ ، ٢١٤ ،
٢٧٦ .

سنقرجا ، سنقرجاه : انظر سيف الدين .
سنقرجق طايبي : ١٦٨ .
سنكرخان : لقب كتسنقر ملك .
السهورودي ، شهاب الدين : ٥٠ ،
٥١ ، ٥٢ ، ٦٤ .

الروم : ١٧١ ، ١٩٤ ، ٢٨٠ ، ٣٠٢ ،
٣٦١ .

رومانوس ، الإمبراطور البيزنطي :
٢٨٩ .

(ز)

زانه شتره ، صاحب جبل الجودي :
١٦٢ ، ١٦١ .
زرادشت : ٢٠٥ ، ٢٠٧ .

الزكي العجمي : ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ .
زين الدين أبو حامد القزويني : ٣٦٧ .

(س)

سالم بن دارة : ٣٤٤ .
بنو سام : ٢٣٩ .
سبر ، السلاحدار : ١٦٤ .
سبطي بهادر : انظر سوبوتاي .
السراج الخوارزمي : ٢٦٧ .
سراج الدين محفوظ : ٣٠٣ ، ٣٦١ .
سراج الدين المظفر بن الحسن : ٢٧٨ .
سراج الدين أبو يوسف يعقوب
السكاكي : ٢٥٣ .

سرجنكشي : ٢٨٤ .
سركتقو : ١٣٩ .

سعد الدين ، الدويدار : ٢٦٤ .
سعد الدين جعفر بن محمد : ١٢٩ .
سعد الدين الحاجب : ٣٠٤ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ ، ٣٢٨ .
سعد بن زنكي : ٣٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ،

شرف الملك نحر الدين على بن أبي
القاسم الجندی ، الوزير : ١٧٥ ، ١٧٦ ،
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩١ ،
١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ،
٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،
٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ،
٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،
٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ،
٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ،
٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ،
٣٤٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ،
٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ،
٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ،
شروانشاه ، أفریدون : ٢٦٨ ، ٢٨٧ ،
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٠ ،
شلوه الكرچی : ٢١١ ،
الشمس التكريتي : ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،
٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
شمس الدين ألتون أبه ، الجاشنكير :
٣١٧ ، ٣١٨ ،
شمس الدين إيلتمش : ١٦٥ ، ١٦٧ ،
١٦٨ ، ٣٤٦ ،
شمس الدين الحكيم البغدادی : ٣٠٢ ،
شمس الدين الطغرانی : ١٩٥ ، ١٩٦ ،

سوبوتای ، قائد مغولی : ١٥ ، ٩٦ ،
١٠٢ ، ١١٦ ، ١٤٣ ،
السون ، قبائل : ٢٩١ ،
سیف الدين بغراق الخلجی : ١٥٤ ،
١٥٥ ،
سیف الدين بکک السیدی : ٢١٨ ،
٢٥٥ ، ٢٥٦ ،
سیف الدين سنقرجاه ، الدويدار :
٢١٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،
سیف الدين طرت أبه ، أمير شکار :
٣١٩ ،
سیف الدين طغرل ، الجاشنكير : ٢٨١ ،
سیف الدين قشقرای الأتابکی : ٢٦٣ ،
سیف الدين کیتارق : ١٤٥ ،

(ش)

الشافعی ، مذهب : ٧٠ ، ٧١ ، ١٠٩ ،
١١٠ ،
شال الخطابی : ١٨٠ ،
شانج شون ، الأسقف : ٢١ ،
شاه خاتون : ٢٧٦ ، ٣١٢ ،
شبي نوین ، قائد مغولی : ١٥ ، ٤٦ ،
٩٦ ، ١٠٢ ، ١١٦ ، ١٤٣ ،
شرف الدين ازدره : ٢٠٠ ، ٢٩٥ ،
٢٩٦ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،
شرف الدين على بن الفضل التفرشی :
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
٣٤٢ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ،

- ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٣٤٩ .
 صفي الملك ، الوزير : ٣٣٨ .
 صلاح الدين ، رسول الاسماعيلية : ٢٣١ .
 صلاح الدين الأيوبي : ٣٩ .
 صلاح الدين محمد النساى : ١٥٢ ، ١٥٣ .
 الصليبيون : ٦ ، ٢٦٥ .
 الصينيون : ٢١ ، ٣٩ .

(ض)

- ضياء الدين البيبانكى : ٨٢ .
 ضياء الملك على الدين محمد بن مودود
 العارض النسوى : ١٥٩ ، ١٩٢ ،
 ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(ط)

- طرت أبه : ٣٧٩ .
 طغانخان : ٩٠ ، ١٤١ ، ٣٠٨ .
 الطغرائى : انظر شمس الدين .
 الطغرائى : انظر صفي الدين محمد .
 الطغرائى : انظر مؤيد الدين اسماعيل .
 طغرل ، صاحب أرزن الروم : ٣٢٩ .
 طغرل الأعسر : ١٤٥ .
 طغرلبك ، أول سلاجقة العراق :
 ٥٠ ، ٦٠ ، ٥٠ .
 طغرلبك ، آخر سلاجقة العراق :
 ٥ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٩٤ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،
 ٢٠٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٢٨١ .
 طلسب ، أمير آخوند : ٣٧٩ ، ٣٨٢ .
 الطهير المريد ، الوزير : ٣٦٣ .

- ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٣١٦ ، ٣٥٩ .
 شمس الدين العراقي ، أمير علم : ١٤١ .
 شمس الدين علي بن عمر : ١٨٠ .
 شمس الدين القسى : ١٩٩ .
 شمس الدين كرشاسف : ٢٦٣ .
 شمس الدين الكلاباذى : ٨٣ .
 شمس الدين محمد : ٢٩٥ ، ٣١٥ .
 شمس الدين محمود : ١٠٨ .
 شمس الملك شهاب الدين الباهرولى :

- ٧٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٥ .
 شهاب الدين أبوسعده الخيوق ، الفقيه :
 ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٤ .
 شهاب الدين سليمان شاه ، ملك الأبوية :
 ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٣٦ .

- شهاب الدين عزيزان المستوفى : ٢٢٥ .
 شهاب الدين غازى بن الملك العادل :
 ٣٣١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ،
 ٣٨٠ ، ٣٨٢ .
 شهاب الدين الغورى : ٦٦ ، ٦٧ ،
 ٢٣٩ ، ٣٤١ .
 شهاب الدين مسعود بن نظام الملك
 محمد بن صالح : ٢٩٦ .
 شير ماجون ، قائد مغولى : ٣٣٥ ،
 ٣٥٤ ، ٣٦٣ .

(ص)

- صدر الدين الجندى ، القاضى : ٧٧ ، ٧٨ .
 صدر الدين الخجندى : ١٤١ ، ١٤٦ .
 صدر الدين العلوى المراغى : ٢٠٤ .
 الصنى الأقرع ، الوزير : ٩٢ .
 صنى الدين محمد الطغرائى : ٢٤٧ ،

- عز الدين طغرل : ٨٠ .
عز الدين القزويني ، القاضي : ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .
ابن عز الدين كت : ٩٠ .
عز الدين كينسروا : ١١٣ ، ١٠٦ ،
١٤٥ .
عزيز الاسلام : ٩٤ .
عطارد ، نجم : ١٠٩ .
علاء الدولة ، صاحب يزد : ١٧٦ ،
٢٢٦ .
علاء الدولة الشريف العلوي : ١٤٣ .
علاء الدين ، صاحب باميان :
٩٤ ، ٦٥ .
علاء الدين ، صاحب قندز : ١٠١ .
علاء الدين عطا ملك الجويني : ١٨٠ .
علاء الدين كيقباز : ٢٢٠ ، ٢٦١ ،
٢٦٢ ، ٢٧٨ ، ٣٠١ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ،
٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،
٣٣٥ ، ٣٥٧ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ .
علاء الدين محمد الثالث ، داعي دعاة
الاسماعيلية : ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٤٣ ،
٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٦٦ ، ٣٧٨ ، ٣١٧ ،
٣١٨ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ،
٣٤٣ ، ٣٤٢ .
علاء الدين محمد خوارزم شاه : ٢ ،
١٢ ، ١٤ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ،
٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦١ ،
٦٢ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٢ ،
٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ،
١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ .

- طو طبق ، ابن آيتانج خان^(١) : ١٨٩ ،
١٩٦ ، ٢٦٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ .
طوغاج خاتون : ٤٤ .
طولن حربي : قائد^(٢) : ١١٨ ، ١٧٠ .

(ظ)

- الظاهر ، الخليفة العباسي : ٣٠٥ ، ٢٨٠ .
ظهير الدين مسعود ، الوزير :
١١٣ ، ٦٧ .

(ع)

- العادل ، أخو صلاح الدين الايوبي :
٣٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٩٩ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ،
٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٥١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ .
عباس ، جد الرسول : ٥١ ، ٥٢ .
العباسيون : ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٩ .
عبد الحميد الكاتب : ٥٧ .
عبد الله بن طاهر : ١٨٢ .
عبد الله بن غطفان : ٣٤٤ .
العتبي : ١٨٧ .
عثمان ، صاحب سمرقند : ٦٦ ، ٩٧ .
عز الدين ، صاحب قلعة شاهق : ٣٥٦ .
عز الدين أيبك : ٢٩٩ ، ٣١٤ ،
٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ .
عز الدين بلبان الخلخال : ٢٧٧ ،
٢٧٩ ، ٣٤٥ .
عز الدين جلدك ، مقطع الجام و باخرز :
٢٣٩ ، ٧٥ .

(١) في ص ١٨٩ : طو طبق .

(٢) في ص ١٧٠ : طولن حربي .

عماد الملك محمد بن الشهيد الساوي (١)
 ٧٢، ١٠٤، ١٠٦ .
 عمر خان ، ابن صاحب يازر : ٩٥ .
 عمر بن الخطاب : ٤٩ ، ٣٦٠ .
 عمر خواجه الأتقاري : ٨٥ .
 العميد سعد ، القاضي : ٩٢ .
 العميدى ، ركن الدين : ٧٠ .
 عنان النسوى ، لقب نجر الدين
 حبش : ٩٠ .

(غ)

غازان ، إيلخان فارس : ٢٢ .
 الغزنويون ، الدولة الغزنوية : ٣١٢ ،
 ٣٦٧ .
 غورشايحي : انظر ركن الدين .
 الغوريون : ١٣٤ ، ١٦٢ ، ١٦٥ .
 غياث الدين بيرشاه : ٢ ، ١٨ ،
 ٧٢ ، ٧٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
 ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
 ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
 ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
 ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ،
 ٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٩ ،
 ٣٤٢ .
 غياث الدين الغورى : ٦٥ .

١١١ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٥٩ ،
 ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٣٤١ ،
 ٣٥٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ،
 ٣١٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٨٤ .
 علاء الدين محمد بن مودود العارض
 النسوى : ١٩٢ .
 أبو العلا المعرى ، الشاعر : ١٨٧ ،
 ٢٤١ .
 علاى الدين كرابه ، صاحب مراغة :
 ٢٢٣ .
 علجك ملك : ٩٠ .
 علم الدين سنجر : ٣٢٢ ، ٣٧٧ .
 علم الدين قصب السكر ، رسول صاحب
 آمد ، ٣١٠ .
 علم الدين قيصر : ١٥٠ .
 على بن أبي طالب : ١٣١ .
 على الأشرفى : ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ،
 ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،
 ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٤٥ .
 أبو على الحسن الوخشي : ٩٠ .
 على خواجه البخارى : ٨٣ .
 على كوه دروغان : ١٢١ .
 عماد الدولة نصرة الدين محمد بن
 كبودخامة : ١٣٩ .
 عماد الدين ، صاحب بلخ : ٩٤ .
 عماد الدين بهلوان بن هزارسف :
 ٣٣٦ ، ٣٠٤ .
 عماد الدين محمد بن عمر بن حمزة :
 ١١١ .

(١) فى س ١٠٤ : عماد الدين محمد بن السيد الساوي .

قتلغ خان ، لقب يوجى بهلوان (١) :

١٢٢ ، ٤٨

قجب أرسلان : ٢٦٧ .

قدبوقا نوين ، قائد : ١١٨ .

قراغز : ١٤٠ .

قرن خان ، ابن أمير ملك : ١٦٤ .

قول أرسلان : انظر خاموش .

القزوينى : انظر عز الدين .

القزوينى : انظر زين الدين أبو حامد .

قشتمر : انظر ناصر الدين .

قصب السكر : انظر علم الدين سنجر .

قطب الدين أذلاخ شاه : ٢ ، ٧١ ،

٨٠ ، ٨١ ، ٩٧ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،

١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٤٠ .

قطب الدين محمد بن نوشكين : ٢ .

قنجاك : ١٥ ، ٢٨٤ ، ٣٧٧ .

قنبرس بهادر : ١٦٠ .

قر الدين ، نائب قباچه : ١٦٢ .

قوام الدين الجندارى (٢) : ٢٠٨ ،

٢٥٧ .

قيغو نوين ، قائد : ١١٨ .

قيمقارشاه : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(ك)

الكامل محمد ، صاحب مصر : ٢٠٩ ،

٢٩٩ ، ٣٣٤ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ .

(ف)

الفاطميون : ٧ ، ٥٤ ، ٢٣٣ .

نغر الدين الجندى : ٣٦٢ .

نغر الدين حبش : ٩٠ .

نغر الدين حمزة النيسابورى : ٣٦٣ .

نغر الدين الدنركى البخارى : ٨٥ .

نغر الدين الرازى : ١٨٧ .

نغر الدين السعلاوى : ١٦٧ .

نغر الدين شام : ٢٧٠ .

أبو فراس ، الشاعر : ١٤٦ .

الفرزدق ، الشاعر : ٢٦٩ .

الفرس : ٤ ، ٢١ ، ٣٩ ، ١١٢ ،

١٧١ ، ٣٥٧ .

بنو فزارة : ٣٤٤ .

فلك الدين ، رسول صاحب الموت :

٣٣٦ .

فلك الدين بن سنقر الطويل : ٣٠٧ ،

٣٢٨ .

(ق)

القائم بأمر الله ، الخليفة العباسى : ٥٠ .

القادر ، الخليفة العباسى : ٣١٢ .

قاضان نوين : ١٧٠ .

قباچه : ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،

١٦٨ ، ١٨٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

قباذ ، أبو شروان : ٢٨٩ .

(١) فى س ١١٢ : توخى بهلوان .

(٢) فى س ٢٠٨ : الجندارى ، الجندارى .

وفى س ٢٥٧ : الجندارى .

- كانكالي ، قبائل : ٩٩ ، ٧٦ ، ٦٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٧٤ .
 - ١٢٢ .
 كبركة خان : ١٤١ ، ٢٣٦ .
 كتسنقر ملك : ٢٣٨ .
 كتك ، مقطع سمنان : ١٤٥ .
 كجيدك ، أمير آخور : ١٣٧ ، ١٣٩ .
 كبر ملك : ٧٢ ، ١٥٢ .
 الكرج : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١٩٤ .
 ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ .
 ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ .
 ٢٤٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ .
 ٢٩٧ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ .
 كريم الدين الطيفوري : ٨٠ .
 كتاسف ، ملك الفرس : ١١٢ .
 كشلوخان : ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .
 ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .
 كشلي ، أمير آخور : ١٠٠ .
 ابن كفرج بغرا : ٨٧ ، ٨٨ .
 كاخي شاه ، ابن علاء الدين محمد خوارزم شاه : ٩٧ .
 كال الدين ، مستوفي أتابك أذربيجان : ٢٠٨ .
 كال الدين ، مستوفي العراق : ٣٤٢ .
 كال الدين ، مقدم الجاوشية : ٢٣١ .
 كال الدين كامياذ بن اسحق ، القاضي : ٣١٧ ، ٣١٩ .
 كوج آبه ككخان : ٢٩١ .
 كوج تكين بيلوان : ١٢٨ ، ٢٣٦ .
 ٢٧٤ .
 كوج قندي : ١٨٩ .
 كورخان ، لقب ملك الخطا : ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٧٤ .
 كوركا ، من ملوك القفجاق : ٢٨٤ .
 - ٢٨٥ .
 كوكه يحكم ، أمير : ٣٧٥ ، ٣٧٦ .
 كولي خان : ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
 كينخسروا ، ملك الفرس : ٣٥٧ .
 كين ، إمبراطورية : ٣٨ ، ٣٩ .
- (ل)
- ابن لاجين جقرجة : ١٤٠ .
 اللر ، قبائل : ١٩٠ ، ٢٣٤ .
 اللكر ، قبائل : ٢٩١ .
 لي شي شايخ : ٢١ .
- (م)
- محمد الدين محمد النسوي : ٨٢ .
 محمد الدين مسعود بن صالح : ٦٩ ، ٧٠ .
 المجد التيسابوري : ٢٥١ .
 مجير الملك تاج الدين أبو القاسم : ٨٢ .
 مجير الدين عمر بن سعد ، القاضي : ٨٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٥٣ .
 ٢٨٠ ، ٣٤٠ .
 مجير الدين يعقوب ، ابن الملك العادل أيوب : ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ .
 ٣٢٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ .
 محمد ، النبي : ٣٣ ، ٥١ ، ٥٧ ، ١٦٦ .
 ١٧١ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ .
 أبو محمد ، من أقرباء علاء الدين محمد خوارزم شاه : ٩٠ .

- محمد بن صالح، الوزير: انظر نظام الملك ناصر الدين .
 محمد بن قراقاسم النسوي : ٤٥ .
 محمد بن ملكشاه : ٢٧٠ .
 محمود الخوارزمي : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .
 محمود بن سبكتكين : ٣١٢ ، ٣٦٧ .
 محمود بن سعد الدين ، الجلاب : ٣٧٩ .
 محمود شاه ، صاحب يزد : ٣٣٨ .
 محي الدين بن الجوزي : ٣٢٨ .
 مختص الدين بن شرف الدين : ٣٢٨ ، ٣٧٢ ، ٣٥٠ .
 المسترشد بالله ، الخليفة العباسي : ٩٠٥ .
 المستنصر ، الخليفة الفاطمي : ٧ .
 المستنصر ، الخليفة العباسي : ١٨ ، ٣٠٥ .
 المستعلي ، الخليفة الفاطمي : ٧ .
 مسعود ، السلطان السلجوقي : ٩ .
 مسعود بن صاعد : ١٤٠ .
 المسيحية : ٤٣ ، ٤٧ ، ٨٧ ، ١٩٩ .
 المشتري ، نجم : ١٠٩ .
 مظفر الدين بارد كز : ١٤٠ .
 مظفر الدين ككبرى : ٣٠٤ .
 مظفر ملك : ١٥٤ ، ١٥٥ .
 المعتزلة : ١٠٤ .
 المعتصم ، الخليفة العباسي : ٤ .
 المعظم عيسى ، ابن الملك العادل أيوب : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٩٩ .
 معن بن أبي زائدة : ٢٤٢ .
- معين الدين القسبي : ٣٥٥ .
 مقرب الدين مهتر مهتران : ١٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٢ .
 ابن المقفع : ٥٨ .
 الملاحدة : انظر الاسماعيلية .
 ملك الإسلام : ٩٤ .
 الملك المسعود ، صاحب آمد : ٣١٠ ، ٣٧٧ .
 ملكشاه : ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ٣٤ ، ٢٨٩ .
 الملك المنصور ، صاحب ماردن : ٣١٠ .
 مليان الأتابكي : ٦٣ .
 الماليك : ٥٤ .
 مدوخان : ٤٣ .
 منصور القاضي : ٩٢ .
 منكطوى شاه : ٣٦١ .
 منكلي بك طابن : ٢٣٦ .
 منكوخان : ٢٢ .
 الموبد ، الحاجب : ٦٢ .
 مؤيد الدين اسماعيل الطغراني : ٣٦٦ .
 مؤيد الدين القسبي ، الوزير : ٣٠٥ .
 مؤيد الملك قوام الدين ، والي كرمان : ٧٤ ، ٧٥ ، ١٣٢ ، ٢٣٩ .
 موى دراز ، لقب شمس الدين محمد : ٢٩٥ .

(ن)

ناجن نون^(١) : ٢٤ ، ١٢٥ ، ٢٣٢ .

(١) في ص ١٢٥ : ناجن نون .

وفي ص ٢٣٢ : ناجن نون .

- نصير الدين دولتيار : ٥٧ ، ٥٨ .
- نظام الدين ، كاتب الانشاء : ٨٢ .
- نظام الدين ، الاسفهلار : ١٨٠ .
- نظام الدين ، وزير أصفهان : ٢٢٥ .
- نظام الدين السمعاني : ١٢٣ .
- نظام الدين محمد بن نظام الملك : ٧٦ .
- نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح ،
الوزير : ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٢٣٩ ،
٢٩٦ ، ٣٤٩ .
- نمه نوين : انظر شي .
- نوار ، زوجة الفردق : ٢٦٩ .
- نور الدين جبريل : ١٤٠ ، ١٤٥ .
- ابن نور الدين قران خوان : ١٤٥ .
- نوشتكين : ٢ ، ٣٤ .
- نوشي Nü-chi ، قبائل : ٣٩ .
- النيسابوري ، قطب الدين : ٧١ .
- نيان ، قبائل : ٤٧ .

(ه)

- هزارسف : ٧٣ .
- هندوخان : ٢ ، ٩٥ .
- هولاكو : ٢٢ ، ٣٤ ، ٥٦ ، ٢٠٧ .
- هيشون : ملك أرمينية الصغرى : ٦٦ .

(و)

- وقاء ملك : انظر الحسن قرلق .

- ناصر الدين أقش : ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
- ناصر الدين بوقا ، المملوك (١) : ٢٧١ ،
٢٧٦ ، ٢٨١ .
- ناصر الدين سعيد : ١١٢ .
- ناصر الدين قشتمر : ٢٥٦ ، ٣٦٥ .
- ناصر الدين محمد : ٢٦٣ .
- ناصر الدين ملكشاه : ٢ .
- الناصر لدين الله ، الخليفة العباسي :
٤٩ ، ٥٠ ، ١٥١ ، ٢٢٠ ، ٢٨٠ ،
٣٠٥ ، ٣٤٠ .
- نجم الدين أوداك ، أمير آخور : ٣٢٨ .
- نجم الدين الخوارزمي : ٣١٠ .
- نجم الدين الرازي : ٢٨٠ .
- نجيب الدين الشهرزوري : ١٨٣ ، ١٨٤ .
- نزار ، ابن الخليفة المستنصر الفاطمي : ٧٠ .
- النسائي ، الإمام أحمد : ٣٣ .
- نصرة الدين ، صاحب الجبل : ٣٠٠ .
- نصرة الدين أبو بكر بن سعد بن زنكي :
انظر أبو بكر .
- نصرة الدين حمزة بن محمد بن حمزة بن
عمر بن حمزة : ١٨١ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ،
١٩١ .
- نصرة الدين محمد بن ييلشتكين : ٣٧ ،
٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٢٦٣ ،
٢٧٣ ، ٢٧٤ .
- نصرة الدين محمد بن الحسن بن خرميل :
١٦٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .
- نصرة الدين محمد بن كبودجامة : ٢١٧ .
- نصرة الدين محمد بن لو ، صاحب زوزن :
٧٤ ، ٧٥ .

يكت ملك : ٢٣٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ،
 ٣٣٠ ، ٣٦٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ،
 ٣٨٠ ، ٣٧٢ .
 يلناج ملك : ١٣٧ .
 يلتقو ، ، ابن ليلجي بهلوان : ١٨٠ .
 يل كوش ، قائد : ١١٣ ، ١١٤ .
 يلك ، قبيلة : ٧١ ، ٩٩ .
 يمه نوين : انظر شي .
 يمين الدولة : انظر محمود بن سبكتكين .
 ينال خان : ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ،
 ٩١ ، ١٠٠ .
 يوسف كنكا الاتراي : ٨٣ .
 يولق خان : ٢٣٦ .
 يونس خان : ٢ .
 يي لو تا شي Ye-lü Ta-shi : ٢١ .
 ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٦ .

(ى)

ياتماس نوين ، قائد مغولي : ٢٣٢ ،
 ٣٦٣ .
 يحيى بن خالد البرمكى : ٥٨ .
 يحيى خورشاه : ٢ .
 يرغو ، أحد بهلوانية جلال الدين
 منكبرتي : ٣٥٠ ، ٣٥١ .
 يركا نوين ، القائد : ١١٣ ، ١١٥ ،
 ١١٦ .
 أبو يزيد البسطامي : ١٠٥ .
 يزيدك بهلوان ، الرسول : ١٦٨ .
 يغان سنقر : ٣٥٢ .
 يغان طايبي : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ،
 ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٣٧ .

٢ - أسماء المدن، والاقاليم، والأنهار، والبحار.

(١)	
٣٦٠ ، ٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٧ ، ٣٥٦	أبخاز : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٢١٣
٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٨١	٢٤٣ ، ٢٩٥
إربل : ١٠ ، ١٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧	الابوية : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨
٣٠٤ ، ٣٧٩ ، ٣٨١	أبر : ٣٥٠ ، ٣٥١
أرجيش ، من مدن أرمينية الكبرى :	أيورد : ١٣٧ ، ١٨١
٢٧٨ ، ٣٢٥	أترار : ١٤ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦
أردبيل : ٦٠ ، ٦١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣	٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠
٢٣٠ ، ٢٧٧ ، ٣٥٢	أذربيجان : ١٠ ، ١٤ ، ١٥٠ ، ١٨
أردهن ، قلعة : ١٠٥ ، ٣١٢	١٩ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦
أرزن ديار بكر : ٣٢٣ ، ٣٢٤	٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١١٩ ، ١٤٧
أرزن الروم : ٢١٧ ، ٢٧٨	١٤٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤
٢٨٧ ، ٣٠١ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٩	١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧
٣٣٠ ، ٣٣٢	٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢
أرزنجان ، أرزنكان : ٣١٧ ، ٣١٨	٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥
٣٣٠ ، ٣٧٣	٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤
أرغون : ٣٩	٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١
أرمينية : ٦ ، ١٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٥	٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦
٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩	٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٥	٣٠٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢
٣٥٤ ، ٣٨٣	٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩
أرميتان : ٣٥١	٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩
أرمينية الصغرى : ٦٦	٣٨١ ، ٣٨٣
أرمية : ٢٠٧	أران : ١٥ ، ١٥ ، ٣٦ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٥
أستر آباد : ١٠٧ ، ١٣٨ ، ١٩٠	١٣١ ، ٢٠٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧
٢١٧	٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٣٠٤

- آني : انظر حاني .
أهر : ٦٠ ، ٦١ .
أوجا : ١٦٧ .
أوجان : ١٤٧ ، ١٩٥ ، ٢٢٠ ، ٢٧٦ ،
٣٥٦ ، ٣٦٣ .
أوجاهي : ١٦٣ .
أوربا : ١٥٠ .
أبلال ، قلعة : ٩٥ .
(ب)
باب الأبواب : انظر الدربند .
باخرز ، من أعمال نيسابور : ١٨٠ ،
٢٣٩ ، ٢٥٨ .
باريس : ٢٦ .
باكور : ١٠٣ .
باميان : ٣٦ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٩٤ ، ١١٩ .
بيجني ، قلعة : ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣٧١ .
البحر الأبيض : ٨٤ .
البحر الأسود : ١٥ ، ٢٨٤ .
بحر قزوين ، بحر قلزم : ١٥ ، ٩٩ ،
١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
١٥١ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ .
بحر مرمرية : ٦ ، ٢٨٩ .
بحيرة بتاخ : ٢٩١ .
بحيرة بيكال : ١١ ، ٣٩ .
بحيرة نازوك : ٣٠٢ .
بخاري : ٦ ، ١٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ،
٧٠ ، ٨٣ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١ .
١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٨٥ ، ٢٨٩ .
بدليس ، من نواحي أرمينية : ٣١٣ ،
٣٢٢ .
- استناباذ ، الاستنداد : ١٠٦ .
استوا ، من نواحي نيسابور : ١١٧ .
أستون آوند ، قلعة : ١٤١ ، ١٤٤ .
اسفراين : ١٨٠ ، ٣٤٨ .
اسكناباد ، قلعة : ٦٢ .
آسيا : ٣ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٦ ،
٣٨ ، ٣١ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٩٧ ،
٣٣٤ .
اصطخر ، قلعة : ٦٢ ، ١٤٩ .
أصفهان : ٢٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ١٤١ ،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
١٧٦ ، ١٩٠ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ،
٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ،
٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ،
٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،
٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٧٣ ،
٣٧٧ ، ٣٧٩ .
إلجام ، من أعمال نيسابور : ١٨٠ ،
٢٣٩ .
المالقي ، إحدى مدن تركستان : ٤٣ .
ألموت : ٨ ، ٢٤ ، ٢٤٤ ، ٢٢٩ ،
٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
٢٤٦ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٣١٧ ،
٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ،
٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ .
آمد : ٢٠ ، ٢٢٣ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ،
٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،
٣٨٠ ، ٣٨١ .
أمر : ١٥٠ .
أندخود : ٦٧ .

٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
 ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،
 ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ،
 ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣١٧ ،
 ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
 ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ .
 ترشيش ، من نواحي نيسابور : ٢٤٧-
 التركستان : ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ،
 ٩٠ ، ٦٦ .
 ترمذ : ٦٦ ، ٩٠ ، ٩٤ .
 تستر : ١٩٠ .
 تفرش ، من نواحي قاشان : ٢١٣-
 ٢٢٥ .
 تقيس : ١٩ ، ١٠٢ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ،
 ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
 ٢٤٧ ، ٢٨٥ .
 تكريت : ٣٣٤ .
 تكياباذ : ٧١ .
 تون ، من نواحي قوهستان : ٢٢٨-

(ج)

جاربرد ، قلعة : ٣٦٤ .
 جاريزد ، قلعة : ٢٦٣ .
 جرجان : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ،
 ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢١٧-
 جردين ، بين غزنة وكابل : ١٥٧-
 جرمانى ، ضيعة : ١٧٩ .
 جره ، قلعة : ١٥٠ .
 الجزيرة : ٦ ، ١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٨٩ ،
 ٢٩٩ ، ٣٧٨ .

برذعة : ٢٠٥ ، ٢٣١ .
 برزك ، جبل : ٥٤ .
 بركرى ، مدينة فى نواحي خلاط :
 ٢٧٥ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ .
 برونوج ، قلعة : ١٦٥ .
 برشاوور : ١٥٢ .
 بست : ٧١ ، ١٣٣ .
 بسطام : ١٠٥ ، ١٨١ ، ١٩٠ .
 بغداد : ٤ ، ٦ ، ٢١ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،
 ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ١٠٦ ، ١٥٠ ، ١٩٢ ،
 ٢٠٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٥٣ ، ٢٦٥ ، ٢٨٠ ،
 ٢٨٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٥٥ .
 بلاساغون : ٤٢ ، ٤٦ .
 بلخ : ٣٦ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ٩٠٠ ،
 ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٥٤ .
 بلخشان : ٢٥٠ .
 بلك ، قلعة : ٢٧٧ ، ٣٥١ .
 البندقية : ٨٤ .
 بندوار : ١٨٠ .
 بنكت : ١٤ .
 بيت المقدس : ٢٠٩ ، ٢٩٩ .

بيروان : ١٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
 ١٧٧ .
 بيلقان : ٢٠٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٦٧ ،
 ٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ .
 بيهق ، من نواحي نيسابور : ١٨٠-

(ت)

تبريز : ١٨ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ١٤٩ ،
 ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،

- جند : ۱۴ ، ۷۷ ، ۹۰ ، ۱۸۳ ، ۱۸۴ .
جنوه : ۸۴ .
جوانمند ، قرية : ۱۲۷ .
جوبي ، صحراء : ۱۱ .
الجودی ، جبل : ۱۶۱ .
جور ، جبل : ۳۷۴ ، ۳۷۵ .
جورجيا : ۶ ، ۱۴ ، ۱۵ ، ۱۸ ، ۱۹ .
۱۹۷ ، ۱۹۹ ، ۲۰۱ ، ۲۱۲ ، ۲۸۹ .
۳۵۲ ، ۳۸۳ .
جوين : ۸۰ ، ۳۱۵ .
- (ح)
- حان ، حنا : ۳۷۴ ، ۳۷۵ ، ۳۷۷ .
حران : ۳۲۸ .
حسن زياد : انظر خرتبرت .
حلب : ۱۰ .
حورش ، من قرى أرمينية : ۲۶۷ ، ۲۶۹ .
حيران ، قلعة ، مدينة : ۳۵۴ ، ۳۵۶ .
۳۵۷ ، ۳۵۸ .
- (خ)
- خاجين ، قلعة : ۲۷۲ .
خجندة : ۱۴ ، ۱۴۶ .
خراسان : ۱۴ ، ۱۵ ، ۱۸ ، ۱۹ ، ۲۳ .
۳۳ ، ۳۵ ، ۴۵ ، ۵۹ ، ۶۷ ، ۷۱ ، ۷۴ .
۷۵ ، ۷۹ ، ۸۱ ، ۹۳ ، ۱۰۰ ، ۱۰۱ ، ۲۰۱ .
۱۰۴ ، ۱۱۱ ، ۱۱۳ ، ۱۱۴ ، ۱۱۵ ، ۱۱۶ .
۱۱۷ ، ۱۱۸ ، ۱۱۹ ، ۱۲۲ ، ۱۲۴ ، ۱۲۵ .
۱۲۶ ، ۱۳۰ ، ۱۳۵ ، ۱۳۶ ، ۱۳۸ ، ۱۴۷ .
۱۵۱ ، ۱۷۸ ، ۱۸۰ ، ۱۸۱ ، ۱۸۳ ، ۱۸۵ .
- ۱۸۹ ، ۱۹۵ ، ۲۲۸ ، ۲۳۲ ، ۲۳۸ ، ۲۳۹ .
۲۴۲ ، ۲۴۶ ، ۲۴۸ ، ۲۴۹ ، ۲۹۷ .
۳۱۵ ، ۳۳۵ ، ۳۴۱ ، ۳۴۳ ، ۳۵۲ .
خرتبرت : ۲۷۹ ، ۳۲۹ ، ۳۳۰ ، ۳۷۳ .
خرقان ، من نواحى بسطام : ۱۸۱ .
خرندز ، قلعة : ۲۳ ، ۷۹ ، ۱۱۶ .
۱۲۳ ، ۱۲۸ .
خریشين ، من أعمال خرتبرت : ۳۲۹ .
خلاط : ۲۰۹ ، ۲۱۴ ، ۲۱۷ ، ۲۱۸ .
۲۲۳ ، ۲۴۷ ، ۲۵۹ ، ۲۶۲ ، ۲۶۷ .
۲۷۵ ، ۲۷۷ ، ۲۷۸ ، ۲۷۹ ، ۲۹۲ ، ۲۹۷ .
۲۹۹ ، ۳۰۰ ، ۳۰۱ ، ۳۰۲ ، ۳۰۳ ، ۳۰۴ .
۳۰۷ ، ۳۱۰ ، ۳۱۱ ، ۳۱۲ ، ۳۱۳ ، ۳۱۴ ، ۳۱۵ .
۳۱۷ ، ۳۱۸ ، ۳۱۹ ، ۳۲۰ ، ۳۲۱ ، ۳۲۲ .
۳۲۴ ، ۳۲۵ ، ۳۲۸ ، ۳۲۹ ، ۳۳۲ ، ۳۳۳ .
۳۳۴ ، ۳۳۵ ، ۳۳۶ ، ۳۴۵ ، ۳۵۳ ، ۳۷۱ .
۳۷۲ ، ۳۷۳ ، ۳۷۴ ، ۳۷۶ ، ۳۷۸ .
۳۸۲ ، ۳۸۴ .
- خلج ، موضع قرب غزنة : ۱۵۵ .
خلخال : ۶۳ ، ۲۷۷ .
خندروذ ، إحدى مدن فارس : ۹۰ .
خوار : ۵۳ .
خوارزم : ۱۴ ، ۱۵ ، ۱۸ ، ۶۲ ، ۶۶ .
۶۸ ، ۶۹ ، ۷۱ ، ۷۲ ، ۷۹ ، ۸۰ ، ۸۱ .
۸۲ ، ۸۳ ، ۹۰ ، ۹۳ ، ۹۴ ، ۹۵ ، ۹۷ .
۹۹ ، ۱۰۳ ، ۱۰۹ ، ۱۱۰ ، ۱۱۱ ، ۱۱۲ .
۱۱۳ ، ۱۱۹ ، ۱۲۱ ، ۱۲۲ ، ۱۲۳ ، ۱۲۴ .
۱۲۶ ، ۱۲۷ ، ۱۲۹ ، ۱۳۱ ، ۱۳۴ ، ۱۳۵ .
۱۷۱ ، ۱۷۲ ، ۱۷۳ ، ۱۷۴ ، ۱۸۱ ، ۱۸۸ .
۲۴۰ ، ۲۵۳ ، ۲۸۹ ، ۲۵۳ .
خوزستان : ۸ ، ۱۹۲۰ .

الری: ۲۰، ۵۳، ۵۵، ۷۴، ۱۰۵،
 ۱۰۶، ۱۴۱، ۱۴۵، ۱۷۷، ۱۸۹،
 ۱۹۰، ۲۲۹، ۲۳۲، ۲۳۸، ۲۴۳،
 ۲۴۴، ۲۴۶، ۲۴۸، ۲۴۹، ۳۱۲،
 ۳۲۲، ۳۳۵، ۳۴۸

(ز)

زاریس، قلعة: ۳۶۱.
 زبطرة، قلعة: ۳۶۱.
 زمین داور: ۷۲.
 زنجان: ۵۰، ۱۴۸، ۱۴۹، ۲۷۷،
 ۲۷۹، ۳۴۴، ۳۴۵، ۳۵۰، ۳۵۱.
 زوزان، من أقالیم آرمینیه: ۱۹۷،
 ۲۰۰، ۲۰۱.
 زوزن: ۷۴، ۷۵، ۱۳۲.

(س)

ساریه، من أعمال مازندران: ۳۱۲.
 سامرا: ۴، ۳۸۳.
 ساوه: ۱۴۵، ۳۱۷، ۳۲۲.
 سبزوار: ۱۳۸.
 سجستان: ۳۶، ۷۲، ۹۰، ۱۱۹،
 ۱۳۳.
 سد آباد: ۶۴.
 سراو: ۶۱، ۲۲۰، ۲۳۲.
 سرجان، قلعة: ۱۴۴، ۱۴۵.
 سرخس: ۱۳۷.
 سرماری: ۲۰۰، ۲۰۲، ۲۱۱،
 ۲۱۳، ۲۱۴، ۲۷۰، ۲۹۵، ۲۹۸،
 ۳۲۵، ۳۲۶، ۳۲۷، ۳۳۵.

خوی، إحدى مدن آذربيجان:
 ۱۹۵، ۱۹۶، ۲۰۷، ۲۱۸، ۲۵۸،
 ۲۵۹، ۲۶۱، ۲۷۱، ۲۷۴، ۲۷۶،
 ۲۸۱، ۳۳۰، ۳۳۲.
 خیوق: ۲۲، ۱۰۹.
 خیوة: انظر خیوق.

(د)

دامغان: ۵۳، ۲۲۹، ۲۳۲.
 درادز، قلعة: ۲۶۳.
 دربند: ۳۶، ۱۰۲، ۲۸۴، ۲۸۵،
 ۲۹۶.
 دربند شروان: ۵۸.
 درکجین، قرية بجوار همدان: ۲۵۹.
 دروده، قلعة: ۱، ۹.
 دروند: انظر دربند.
 دزمار، قلعة قرب تبریز: ۳۱۷، ۲۶۳.
 دقوفا: ۱۹۳.
 دمشق: ۱۰، ۳۸، ۲۰۹، ۲۲۰،
 ۲۹۹، ۳۷۱.
 دهخوارقان، من نواحی مراغه: ۲۵۶.
 دهستان: ۷۱.
 دهلی: ۱۶۵، ۳۴۶.
 دولت آباد: ۱۰۵.
 دیاربکر: ۱۰، ۱۵۱، ۳۷۴، ۳۷۷،
 ۳۷۸.

(ر)

روسیا: ۱۵.
 رویین دز، قلعة: ۲۲۳، ۲۶۴.

- شهرستانه : ١٢٦ -
- شهرکنت : ٩٠ -
- شیراز : ٦٢ ، ١٥٠ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ،
- ٢٧٧ -
- شیرکبوت : ٣٥٣ ، ٣٥٤ -
- شیر : ٢٠٥ -

(ص)

- صلول ، قلعة : ١٨٠ -
- صوفیان ، قرية : ٢٧١ -
- الصين : ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ،
- ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ٨٤ -

(ط)

- طارم ، من أقاليم قزوین : ١٤٩ -
- الطالقان : ٩٦ ، ١٣٣ ، ١٨٥ -
- طبرستان : ٥٣ ، ٩٠ ، ١٠٧ ، ١٣٨ ،
- ٣٤١ -

- طبرية : ٢٠٩ ، ٢٩٩ -
- طلا ، قلعة : ٢٥٨ ، ٢٦٠ -
- طمعاج : ٣٩ ، ٤٠ ، ٨٤ -
- طوغطاب : ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٣٤٥ -

(ع)

- العراق : ٥ ، ٧ ، ٢٢ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
- ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ،
- ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ،
- ٨٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ،
- ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٦٩ -

- سقتاق ، من بلاد الترك : ٩٤ -
- سکماناباذ : ٢٦٠ ، ٣٣٣ ، ٣٤٧ -
- سکور ، انظر شمکور -
- سلباس : ٢٠٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٣٢٠ -
- سلوقان ، قلعة : ١٧٨ -
- سمرقند : ٦ ، ١٤ ، ٥٣ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٩ ،
- ٩٠ ، ٩١ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٢٦ ، ٢٨٩ -
- سمنان : ٥٣ ، ١٤٥ -
- سميساط : ٣٦١ -
- سنجار : ١٠ -
- سندسوارخ ، قلعة : ٣٥٧ -
- سهرورد : ٥٠ -
- سوريا : ٦ ، ٢٨٩ ، ٣٤٠ -
- سيستان : ١٣٣ ، ١٥٢ ، ١٦٧ -
- سين ، قرية : ٢٣٣ ، ٣٢٧ -
- سيواس : ٣١٧ -

(ش)

- الشام : ٧ ، ٣٥ ، ٨٤ ، ١٩٤ ، ٢٠٤ ،
- ٢١١ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٣٢٩ ، ٣٨٤ -
- شاهق ، قلعة : ٢٦٤ ، ٣٥٦ -
- شتر ، كورة : ٣٦٩ -
- شروان : ٣٧ ، ٢٠٥ ، ٢٤٧ ، ٢٨٧ ،
- ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ -
- شعب سليمان : ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٥٠ -
- شکان ، قلعة : ٢٩٣ -
- شکی ، من نواحی شروان : ٢٤٧ ،
- ٢٨٩ -
- شمکور : ٢٠٥ -
- شیران : ٢٦٩ -

فراوة، كورة: ١٢٦.
فیروز آباد، قلعة: ٣٥٢، ٣٤٥، ٧٧.
فیروزكوه، قلعة: ٣٤١.

(ق)

قارون، قلعة: ١٤٤.
قاشان: ١٤٥، ٢٣٥، ٢١٣، ٢٢٧.
القاقزان: ٢٩٧.
قاقزوان: ٢٩٧.
القاهرة: ٨، ٣٠.
قاین، بلد بین نيسابور وأصبهان:
٢٢٨.

قبا، من مدن أذربيجان: ٢٧٣.
قبلة، من نواحی شروان: ٢٤٧.

٢٨٩

قوqان، وادی: ٣٦٣.
قره قورم، حاضرة المغول: ١١،
١٥٠.

قزوین، مدينة: ٥٣، ١٤٠، ١٤٤.
٣٤٣، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣١٧، ٢٩٧، ١٤٩.
٣٦٨، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤٨، ٣٤٦.
قزوین، قلعة: ٥٦، ٥٨، ٩٥.
قسطانة: ٣٢٢.

قشمير: ٣٩، ٣٤٦.

قم: ١٩٩، ٢٠٥، ٣٠٥.

قندز: ٩٠، ١٠١.

قندهار: ١٣٣، ١٥٤.

قوqطور، قلعة: ٢٥٥، ٢٧٦، ٢٧٣.

قومس: ٥٣، ١٠٥.

قوهستان: ٨، ٢٢٨، ٣٤٠، ٣٤١.

١٧٨، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥، ١٩١،
١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٤، ٢١٣،
٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٢،
٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٨،
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٧،
٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٧،
٣١١، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨،
٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩،
٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩،
٣٥٠، ٣٦٨، ٣٨٣.

العراق الجبى: ١٤، ١٥، ٧٣، ٩٥،
١٠٥، ١٩٩، ٢٤٦، ٣٠٥، ٣١٢، ٣٣٥،
علياباذ، قلعة: ٢٩٢.
عين الخابور: ٧٩.

(غ)

غزنة: ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨،
٣٦، ٦٥، ٧١، ١٠٤، ١٠٥، ١١٠،
١١٩، ١٣٢، ١٣٢، ١٣٤، ١٥٢، ١٥٣،
١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٩،
٢٥١، ٣١٢، ٣٤١.
الغور: ٢٦، ٦٥، ٧١، ٧٢، ٧٣،
٩٠، ١١٩، ١٥٢، ١٦٩، ٢٣٩.
غنى، إقطاع: ٣٢٦.

(ف)

فارس: ٨، ٧، ١٠، ١٨، ٣٢، ٣٤،
٣٦، ٣٧، ٤٣، ٥٣، ٥٦، ٦٢، ٩٠،
١٣٩، ١٤١، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٦،
١٨٠، ١٨٣، ١٩٩، ٢١٣، ٢٢٤، ٢٢٨،
٢٢٩، ٢٤٦، ٢٧٦، ٣٠٤، ٣١٢، ٣٤٠،
٣٧٩.

کوزکنان ، من أعمال تبریز : ۲۸۱ .
کیش : ۷۴ ، ۷۲ ، ۳۶ .
کیلسکون : ۲۱۳ ، ۲۱۶ ، ۳۷۱ .

(ل)

لاهور : ۱۶۷ ، ۳۱۲ ، ۳۴۶ .
لورستان ، اللور : ۱۰ ، ۱۹۰ .
لوری ، من بلاد السکرج : ۲۹۱ ،
۲۹۲ ، ۲۹۷ .

(م)

ماين النهرين : ۳۵۲ ، ۳۷۲ .
ماردين : ۳۱۰ ، ۳۷۲ ، ۳۷۳ .
مازندران : ۱۵ ، ۱۸ ، ۳۵ ، ۵۶ ،
۷۱ ، ۷۴ ، ۸۱ ، ۹۵ ، ۹۶ ، ۱۰۶ ،
۱۰۷ ، ۱۱۹ ، ۱۴۷ ، ۱۵۱ ، ۱۵۹ ،
۱۷۸ ، ۱۸۰ ، ۱۸۱ ، ۱۸۲ ، ۱۹۵ ،
۲۹۷ ، ۳۱۲ ، ۳۲۸ ، ۳۴۹ ، ۳۵۲ .
ماهان : ۳۵۶ ، ۳۶۱ .
ماوراءالنهر : ۱۴ ، ۲۰ ، ۳۶ ، ۴۹ ،
۵۳ ، ۵۷ ، ۵۹ ، ۶۶ ، ۶۷ ، ۸۰ ، ۸۱ ،
۸۳ ، ۹۰ ، ۹۱ ، ۱۰۱ ، ۱۰۴ ، ۱۲۲ ، ۱۲۶ ،
۱۷۱ ، ۲۳۸ ، ۳۴۰ .
مراغة : ۸۵ ، ۱۴۷ ، ۱۹۴ ، ۱۹۵ ،
۲۰۳ ، ۲۲۱ ، ۲۲۳ ، ۲۵۵ ، ۲۵۶ .
مرج سائخ : ۷۹ ، ۱۲۹ .
مرداقیم ، قلعة : ۲۷۲ .
مرغة ، قلعة : ۱۸۱ .
مرند : ۲۷۱ ، ۲۷۴ ، ۲۷۶ .

قیاق ، من مدن ترکستان : ۴۳ ، ۴۴ .
قیمر ، قلعة : ۳۲۰ .

(ك)

کاشغر : ۴۲ ، ۴۳ ، ۴۴ ، ۴۵ ، ۴۶ .
کاک ، قلعة : ۲۹۳ .
کاهجة ، من قرى نيسابور : ۱۱۷ .
کبودجامة ، من نواحى مازندران : ۵۶ .
کتلف ، من بلاد خراسان : ۱۰۰ .
کري : ۱۹۷ ، ۱۹۸ .
کرخ : ۱۴۵ .
کردستان : ۲۰ .
کرمان : ۱۰ ، ۱۸ ، ۳۵ ، ۷۲ ، ۸۴ ،
۱۳۲ ، ۱۴۰ ، ۱۴۲ ، ۱۴۶ ، ۱۷۴ ،
۱۷۵ ، ۲۱۳ ، ۲۱۴ ، ۲۳۶ ، ۲۳۹ ،
۲۴۴ ، ۲۳۸ ، ۳۵۶ .
کشتاسفی ، من نواحى شروان :
۲۸۷ ، ۲۸۸ .
کلاباذ : ۸۲ .
کلور ، من مدن البنجاب : ۱۶۴ .
کليجرد ، قرية : ۲۴۷ .
کنجان ، جبال : ۱۱ .
کنجه : ۱۳۱ ، ۲۱۷ ، ۲۱۸ ، ۲۲۰ ،
۲۲۳ ، ۲۲۸ ، ۲۲۹ ، ۲۳۶ ، ۲۴۶ ،
۲۵۶ ، ۲۶۳ ، ۲۷۶ ، ۲۸۲ ، ۳۵۴ ، ۳۵۶ ،
۳۶۰ ، ۳۶۲ ، ۳۶۹ ، ۳۷۰ .
کنعين ، من أعمال خرتبرت : ۳۲۹ .
کنک : انظر نهر الکنج .
کهرام ، قلعة : ۲۶۳ .
کوارين ، قلعة : ۲۹۳ .
کواشر : ۱۷۵ .

نسا : ٢٣ ، ٢٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠
 ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥
 ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩
 ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٨١
 ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٥١
 نشجوان ، قرية : ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧
 النجة ، قلعة : ٢٠٧
 نهاور : انظر لاهور
 نهر أراس ، أرس ، الرس : ١٩٧
 ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢١٤ ، ٢٦٧
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦
 نهر آمور : ٣٨
 نهر جيحون : ١٤ ، ١٥ ، ٥٩ ، ٧٥
 ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٢
 ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٧١
 ١٧٣ ، ٢٣٨ ، ٣٠١ ، ٣١٣
 نهر دجلة : ٢٠ ، ٣٠٦ ، ٣٣٤
 نهر السند : ١٦ ، ١٧ ، ١٣٣ ، ١٣٨
 ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٨٥ ، ٢٤٧
 ٢٩٤ ، ٣٤١
 نهر سيحون ، ١٤ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٩٠
 ١٤٦ ، ١٧١
 نهر الكر ، الكور : ١٩٧ ، ٢٦٨
 ٢٨٧
 نهر الكنج : ٣٩ ، ٤١
 نوشجان ، قرية : ١١٨
 نيسابور : ١٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦
 ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٧
 ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠
 ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٦٠ ، ١٨٠ ، ٢٢٨
 ٢٢٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٧ ، ٢٧٥
 نينانج ، كورة في أذربيجان : ٥٧

مرو : ٦٥ ، ٦٧ ، ١٠٠ ، ١٢٦
 ١٣٨ ، ١٨١
 مصر : ٧ ، ٥٤ ، ٢٠٩ ، ٢٣٣
 ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
 ٣٧٤ ، ٣٨٤
 مكران : ٣٦ ، ٧٢ ، ٧٤
 مكة : ٥١ ، ١٦٦
 ملاز كرد : ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٢٢
 ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦
 ملطية : ٢٧٩ ، ٣٦١ ، ٣٧٣
 مئازجرد : انظر ملازجرد
 منشوريا : ١١ ، ٣٩
 منغوليا : ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ٣٩ ، ٤٣
 ١٤٩ ، ١٧٣ ، ٢٢٨
 الموصل : ١٠ ، ١٨ ، ٢٢١ ، ٣٠٤
 ٣٢٠ ، ٣٨٥
 موقان : ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٧ ، ٢٨١
 ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠
 ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦
 ٣٥٧ ، ٣٦٠
 مولتان : ٣١٢
 ميسافارقين : ٢٠٩ ، ٢٩٩ ، ٣٧٢
 ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨١
 مينانج ، ميانه : ٢٢١
 ميل جفته ، مزار بمدينه نساء : ١١٥

(ن)

نخجوان : ١٤٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٦
 ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧
 ٢٩٨ ، ٢٩٩

٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٤ ،
٣١٢ ، ٣٣٦ ، ٣٤١ ، ٣٥٢ ،
٣٥٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥

(و)

وان ، مدينة قرب خلاط : ٣٢٢ ..
وخش ، من نواحي بلخ : ٩٠ ، ٩٤ ..
وراوی : ٦١ .
ورزقان ، كورة : ٢٠٧ .
وشت ، قرية : ١٣٠ .
ولاشجرد : ٣٢٢ ، ٣٧١ .
ولج ، ولج : ٩١ ، ١٥٥ .

(ی)

يازور : ٩٥ .
يزد : ١٧٦ ، ٢٣٦ ، ٣٣٨ ..
ين كنج : ٣٩ .

(هـ)

هراة : ١٥ ، ٣٦ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ١٣٣ ،
١٥٥ ، ١٨٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٣٤١ .
هزل ، قلعة : ٢٦٣ .
هبايون ، قلعة : ١٣٩ .
همدان : ٢٢ ، ٣٧ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
٦٤ ، ١٠٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ،
١٤٧ ، ١٦٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ،
٢٤٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٣٠٤ ، ٣٣٥ ،
٣٨٠ ، ٣٥٠ .
الهند : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ،
٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ،
١٠٨ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٣٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ،
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ،
١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،
٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٩ ،

٣- الوظائف والدواوين وألفاظ لها أهمية خاصة.

<p>بيت الفراش : ١٠٨ ، ٣١١ . بيت المال : ٤٩ .</p>	<p>(١)</p> <p>الأتابكة : ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ٥٢ . أستاذ الدار : ١٦١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ : الأكره ، لعبة : ٥٤ ، ٦٠ ، ١١٩ . أمير آخور : ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٧٦ ، ٢٣٦ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٣٢٨ ، ٣٧٩ . أمير جاندار : ٣٢٢ . أمير شكار : ٣١٩ ، ٣٧٩ . أمير علم : ١٤١ . إيلخان : ٣٤ ، ٥٦ .</p>
<p>(ت)</p> <p>الترس : ٣٠٣ .</p> <p>(ج)</p> <p>الجامشكير : ١٦٠ ، ٢٨١ ، ٣١٧ . الجامكيات : ٢٩٤ . الجاندار : ٢٦٥ . الجاويش : ١٠٨ ، ٢١٤ . الجتز : ٥٤ ، ٣٠٢ . الجريدة : ٨٠ ، ٢١٣ . الجشار : انظر الدشار . الجلاب : ٣٧٩ . الجمدار : ٢٦٥ . الجمقدار : ٣٦٥ . الجنوية : ٣٠٣ . الجوانية : ٣٤٣ .</p>	<p>(ب)</p> <p>البخت : ٢٤٣ . البقجة : ٣٠٨ . البخش ، معدن : ٢٥٠ . البلولو ، لعبة : انظر الأكزه . بيت الثياب : ٣١١ . بيت الركاب : ٣١١ . بيت السلاح : ١٦٤ ، ٥٦ . بيت الطبل : ٥٧ . بيت الطشت : ٦٨ ، ٣١١ .</p>
<p>(ح)</p> <p>الحجاجة : ٦٢ ، ١٨٦ . الحراقة : ٣٠٦ .</p>	

الركاب خاناه : انظر بيت الركاب .

(ز)

الزردخاناه : ١٦١ ، ٢٩٤ .

(س)

الساخت : ٢٩٦ ، ٢٧٤ ، ٢٦٢ ، ٧٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣٤٢ .
الساق : ١٦٠ ، ٣٤ .
السراخور : ٩٠ .
السرفسار : ٢٩٦ ، ٢٧٤ ، ٢٦٢ ، ٧٧ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣٤٢ .
السلاح دار : ١٦٤ ، ٥٦ ، ٢٤٤ ، ٣٦٤ .

سرهنگ ، رتبة عسكرية : ٩٧ ، ١٠٧ ، ١١٧ ، ٢٤١ ، ٣١٤ .

(ش)

شاه ، لقب : ٣٩ .
شاهنشاه ، لقب : ٣٩ .
الشاويش : انظر الجاويش .
الشحنة : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٦ .
الشرايخاناه : ١٦٠ ، ١٦١ .
الشربدار : ١٦٠ .

(ط)

الطبايخاناه : انظر بيت الطبل .
الطشت خاناه : انظر بيت الطشت .
الطشت دار : ٦٨ ، ٢٤٣ ، ٣١٩ .

(خ)

الخازن ، الخازندار : ٥٨ ، ١٤٠ ، ٢٤٩ ، ٣١٦ .
الخاصكية : ٣٤٣ ، ٢٦٥ .
خاقان ، لقب : ٣٩ ، ٤٠ .
خان ، لقب : ٣٩ .
الخاتقاه : ٣٤٣ .
الخركاه : ١١٤ ، ١٩٨ ، ٢٨٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٩ .
خواجه برزك ، لقب : ٨٢ .
خواجه جهان ، لقب : ٨٢ .

(د)

دار السلاح : ١٦١ .
الدبابة : ١١٤ ، ١١٨ ، ١٧١ ، ١٩٥ .
الذشار : ١٠٧ .
الدويدار : ٢١٨ ، ٢٥٥ ، ٢٢٢ .
الديوان : ١٨٦ ، ٤٩ ، ٢٢٦ ، ٢٩٥ .
ديوان الإنشاء : ٥٧ ، ٥٨ ، ٢٥١ .
ديوان الجند : ٥٦ ، ٤٩ .
ديوان الجيش : ١٦٤ .
ديوان الخراج : ٤٩ .
ديوان الرسائل : ٥٨ .
ديوان العرض : ٢٥١ .
ديوان المال : ٢٤٩ .
ديوان المظالم : ٢٧٦ .

(ر)

الرختوانية : ٦٨ .

مفصل الظلمات: ١٨٤ ، ٣٦٤ .

مقدم الجاويشية : ٢٣١ .

مقدم الخيالة : ٣٠٠ .

مقدم القراشية : ١٠٨ ، ٣١١ .

المنجنيق : ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .

١٧١ ، ١٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٢٠ ،

٣٢٣ ، ٣٢٥ .

المكوك : ٢٢٢ .

المندفكية : ٣١٤ .

(ن)

ناظر الجيش : ٢٩٤ .

ناظر الخاص : ٢٩٤ .

ناظر الدولة : ٢٩٤ .

النظام القضائي : ٧٧ .

النقارات : ٢٧٠ .

الثوبة : ٦٥ .

النوروز ، من أعياد الفرس : ٢٣٣ .

نوين ، لقب : ٤٦ .

(و)

الوزارة : ٨١ .

(ي)

اليزك : ١٦٢ ، ١٦٨ ، ١٩٢ ، ١٩٧ .

٢٣٢ ، ٢٧١ ، ٢٩١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ .

٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

اليساق : ١٢ .

اليولق ، ديوان المظالم : ٢٧٦ ، ٢٨٢ .

الطغراء : ٥٧ ، ٢٤٧ ، ٣٢٤ .

الطوق : ٧٧ ، ٢٦٢ ، ٢٩٦ ، ٢٧٤ .

٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣٤٣ .

(ع)

العارض : ٢٩٤ ، ٣٠٩ .

(ف)

الفراش خاناه : انظر بيت الفرش .

(ق)

القراقجية ، المستحفظون : ٨٥ .

القصة دار : ١٨٣ .

(ك)

كاتب الإنشاء : ٢٣ ، ٢٤ ، ٥٦ ،

٨٢ ، ٩٩ .

كاتب السر : ٣٢٢ .

الكوسات : ٢٧٠ .

(م)

المتصرف : ٨٠ .

متولى الديوان : ٣٠٩ .

المحتسب : ١٧٢ .

المستوفى : ١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٢٤٧ ،

٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٩ .

المشرف : ٣٠٩ ، ٢٩٤ ، ٣١٦ .

مشرف الماليك : ٣٤٣ ، ٣٦١ .

فهرس

صفحة	
١	مقدمة
٣٣	١ - بسملة
٢٨	٣ - ذكر التاتار الملاعين ومبدأ أمرهم ومنبشهم . . .
٤١	٣ - ذكر ما آل إليه أمر جنكز خان وصاحبيه بعد الاستيحاءش
٤٣	٤ - ذكر ما آل إليه أمر كشلو خان بعد مفارقتة جنكز خان .
٤٦	٥ - ذكر هلاك كشلو خان على يد دوشى خان بن جنكز خان .
٤٩	٦ - ذكر قصد السلطان بلاد العراق
٥٣	٧ - ذكر مسير السلطان إلى العراق وما جرى له بها . .
	٨ - ذكر حال الاتابك أزيك وخروجه من أصفهان وإفلاته
٥٥	من حباله القبض بعد أن قارنها
٦٠	٩ - ذكر ما آل إليه أمر نصرة الدين محمد بن بيشتكين بعد الأسر
٦٢	١٠ - ذكر عاقبة الاتابك سعد بن زنكى صاحب فارس . .
٦٤	١١ - ذكر قصد السلطان محمد بغداد وعوده عنها . . .
	١٢ - ذكر ما قدم السلطان من أمور يقتضيها الحزم والناموس
٦٥	قبل قصد العراق
٧٤	١٣ - ذكر الحوادث بعد عود السلطان من العراق . . .
٧٩	١٤ - ذكر حال نظام الملك بعد العزل
٨٣	١٥ - ذكر الحوادث بما وراء النهر بعد عود السلطان عنها .
٨٧	١٦ - ذكر ورود رسل جنكز خان على السلطان بعد قتل التجار .
	١٧ - ذكر ما اعتمده السلطان من التدبير الخطأ لما بلغه مسير جنكز خان
٨٩	نحوه في عساكره

- صفحة
- ١٨ — ذكر حيلة تمت لجنكزخان على السلطان حتى توهم من أمرائه
وحرّض على مفارقتهم ففرّ قهيم ٩٢
- ١٩ — ذكر خروج ترکان خاتون عن خوارزم ٩٤
- ٢٠ — ذكر نبذ من أحوال ترکان خاتون وسيرتها ٩٩
- ٢١ — ذكر رحيل السلطان من كتلف بعد استيلاء جنكزخان
على بخارا ١٠٠
- ٢٢ — ذكر ما قاسى السلطان من الشدائد والجفلات إلى أن مات
بالجزيرة ببهر قلزم ١٠٤
- ٢٣ — ذكر وصول شهاب الدين الخيوقي من خوارزم إلى نساء
وحصار التاتار نساء وإهلاك العامة بها ١٠٩
- ٢٤ — ذكر نبذ عما جرى بخراسان بعد السلطان بجلا ولا حاجة إلى
التفصيل إذ الأحوال تشبه بعضها بعضا وليس إلا عموم
القتل وشمول التخريب ١١٦
- ٢٥ — ذكر تولية السلطان ولاية العهد ولده جلال الدين منكبرتي
وخلع ولده قطب الدين أزلاغ شاه ١٢٠
- ٢٦ — ذكر حال خوارزم بعد جلاء ترکان خاتون عنها ١٢١
- ٢٧ — ذكر عود جلال الدين وأخويه أزلاغ شاه وأق شاه إلى
خوارزم ١٢٢
- ٢٨ — ذكر نظام الدين السمعاني وإقامته عندي بقلعتي خرنند مدة،
وخروجه عنها في غير الوقت انزعاجا ١٢٣
- ٢٩ — ذكر رحيل جلال الدين من خوارزم وسببه ١٢٦
- ٣٠ — ذكر خروج قطب الدين وأخيه أق شاه من خوارزم بعد
رحيل جلال الدين عنها وسببه، وما آل إليه أمرهما ١٢٩
- ٣١ — ذكر وصول جلال الدين إلى نيسابور ورحيله عنها صوب غزنة ١٣٢

صفحة

- ٣٢ — ذكر حال بدر الدين أبنانج وما جرى له بخراسان وغيرها بعد
 خلاصه من بخارا إلى أن توفي بشعب سلان ١٣٥
- ٣٣ — ذكر حال ولد السلطان ركن الدين غورشايحي صاحب العراق
 وما آل أمره ١٤٠
- ٣٤ — ذكر حال غياث الدين ومسيره إلى كرمان ١٤٤
- ٣٥ — ذكر مسير غياث الدين إلى فارس وشنه الغارات في نواحيها
 وفساد عسكره فيها ١٤٨
- ٣٦ — ذكر الحوادث بغزنة قبل وصول جلال الدين إليها . ١٥٢
- ٣٧ — ذكر الحوادث بغزنة بعد عود جلال الدين إليها . ١٥٤
- ٣٨ — ذكر المصاف بين جلال الدين وبين جنكزخان على حافة ماء السند ١٥٨
- ٣٩ — ذكر عبور جلال الدين ماء السند ١٦٠
- ٤٠ — ذكر ما كان بين جلال الدين وقباجة من وفاق تارة وخلاف
 أخرى ١٦٣
- ٤١ — ذكر الحوادث بعد كسر جلال الدين قباجة وما جرى بينه وبين
 شمس الدين إيلتمش إلى أن خرج من الهند ١٦٧
- ٤٢ — ذكر حصار التاتار خوارزم واستيلائهم عليها . ١٧٠
- ٤٣ — ذكر طلوع جلال الدين من الهند ووصوله إلى كرمان وما
 جرى من الحوادث إلى أن ملك العراق ١٧٤
- ٤٤ — ذكر نبذ من سيرة غياث الدين في الملك ١٨٠
- ٤٥ — ذكر نفي الدين علي بن أبي القاسم الجندی إلى أن تقلد الوزارة ١٨٣
- ٤٦ — ذكر سبب وصوله إلى أبواب السلطان واستمراره في الخدمة ١٨٧
- ٤٧ — ذكر مسير السلطان صوب خوزستان بعد تمسكه من أخيه ١٩٢
- ٤٨ — ذكر ملك السلطان أذربيجان ١٩٤
- ٤٩ — ذكر كسر السلطان الكرج ١٩٧

- صفحة
- ٥٠ - ذكر عود السلطان من زون إلى تبريز وتخليف الميمنة
- ٢٠١ بيلاذ الكرج :
- ٥١ - ذكر ملك السلطان كنجة وسائر بلاد أران ٢٠٥
- ٥٢ - ذكر نكاح السلطان بنت طغرل بن أرسلان ٢٠٧
- ٥٣ - ذكر قضاء عز الدين القزويني بتبريز وسبيه وعزل قوام الدين الجداري ٢٠٨
- ٥٤ - ذكر عود السلطان إلى بلد النكرج وفتح تفلين ٢١١
- ٥٥ - ذكر قصد السلطان كبسة براق الحاجب بكرمان ورجوعه عنها قبل وصوله إليها ٢١٣
- ٥٦ - ذكر ماجرى للعساكر المذكورة في بلاد الكرج في غيبة السلطان ٢١٦
- ٥٧ - ذكر وصول شمس الدين رسول المغرب ٢٢٠
- ٥٨ - ذكر تمليك السلطان مدينتي يلقان وأردويل بأعمالها شرف الملك ٢٢٢
- ٥٩ - ذكر الملك خاموش بن الأتابك أذربك ووصوله إلى خدمة السلطان ٢٢٣
- ٦٠ - ذكر رفع صدور العراق على شرف الدين على التفرشي وزير السلطان بالعراق ٢٢٥
- ٦١ - ذكر قتل الاسماعيلية أورخان بك كنجة ٢٢٨
- ٦٢ - ذكر مسير السلطان إلى العراق، والتقاءه التانار بظاهر أصفهان ٢٣٢
- ٦٣ - ذكر الوحشة بين السلطان وأخيه غياث الدين يرشاه وما آل أمره بعد مفارقة السلطان ٢٣٩
- ٦٤ - ذكر الفدائية الذين سيرهم علام الدين صاحب الموت إلى السلطان إظهاراً للموالاة ٢٤٦
- ٦٥ - ذكر عزل صفى الدين محمد الطغرائي عن وزارة خراسان وإقامة تاج الدين محمد البلخي المستوفي مقامه بها ٢٤٧
- ٦٦ - ذكر تقليدي وزارة نسام وماجري بيني وبين ضياء الملك بسببها ٢٥١

صفحة

- ٦٧- ذكر بعث السلطان القاضي مجير الدين إلى بغداد في استخراج
 ٢٥٣ ما دفن بها من السحر
 ٢٥٥ ٦٨- ذكر الحوادث بأران وأذربيجان
 ٢٥٨ ٦٩- ذكر حال الملكة بنت طغرل وعاقبة أمرها
 ٢٦١ ٧٠- ذكر عماد الدين الرسول الواصل من الروم
 ٢٦٣ ٧١- ذكر فتح شرف الملك أذربيجان وأران والسلطان بالعراق
 ٧٢- ذكر قتل شرف الملك تيجار الاسماعيلية بأذربيجان
 ٢٦٥ والسلطان بالعراق
 ٢٦٧ ٧٣- ذكر كبسة الحاجب على الأشرفي، شرف الملك بحورش
 ٧٤- ذكر ملك الحاجب على الأشرفي لبعض بلاد أذربيجان وما
 ٢٧١ جرى بينه وبين شرف الملك بعد الكبسة
 ٢٧٧ ٧٥- ذكر عز الدين بلبان الخلخالى وما ختم به أجله
 ٧٦- ذكر ورود نجم الدين الرازي وركن الدين بن عطف رسولين
 ٢٨٠ عن الإمام الظاهر بأمر الله
 ٧٧- ذكر إقامة السلطان بأذربيجان مشقيا وعثوره على عثرات
 ٢٨١ لشرف الملك غيرت رأيه عليه
 ٢٨٤ ٧٨- ذكر وصول كوركاء إلى خدمة السلطان
 ٧٩- ذكر ما صدر من شرف الملك بموقان حين بلغه تغير رأى
 ٢٨٧ السلطان عليه وعثوره على عثراته
 ٢٨٩ ٨٠- ذكر قدوم شروانشاه أفريدون بن فريبرز
 ٢٩١ ٨١- ذكر مسير السلطان صوب مدينة لوري من بلاد الكرج
 ٢٩٣ ٨٢- ذكر حصار السلطان قلاع بهرام الكرجي
 ٢٩٤ ٨٣- ذكر قبض السلطان على اختيار الدين أستاذ الدار
 ٨٤- ذكر مسير السلطان إلى نخجوان وتسيير الأتقال بمعظم العسكر

- صفحة
- صوب خلاط على طريق إقافزوان ٢٩٧
- ٨٥- ذكر مسير السلطان إلى خلاط وحصارها واستيلائه عليها . ٢٩٩
- ٨٦- ذكر الحوادث مدة حصار خلاط ٣٠٠
- ٨٧- ذكر ملك السلطان خلاط ٣٢٠
- ٨٨- ذكر سيرة السلطان بخلاط بعد أخذها ونهبها وإقطاعه نواحيها ٣٢٥
- ٨٩- ذكر ورود رسل الديوان العزيز بعد ملك خلاط . . ٣٢٨
- ٩٠- ذكر مسير السلطان إلى الروم ومصافه بها ، وانزاعه من عسكري الشام والروم ٣٢٩
- ٩١- ذكر مسير الملك الأشرف إلى خلاط ومراسلته للسلطان في أمر الصلح ٣٣٣
- ٩٢- ذكر مهمات بعثت فيها إلى العراق ٣٣٦
- ٩٣- ذكر مسيرى إلى الموت وكيفية الرسالة ٣٣٩
- ٩٤- ذكر عز الدين بلبان الخلخالى ومقتله ٣٤٥
- ٩٥- ذكر جهان بهلوان أذربك باين ووصوله من الهند إلى العراق ٣٤٦
- ٩٦- ذكر مفارقتى شرف الدين نائب العراق بقزوين وتوجهى إلى أذربيجان حين لم أملك عنان الاختيار ٣٤٨
- ٩٧- ذكر وصول مقدمة التاتار إلى تخوم أذربيجان ورحيل السلطان من تبريز إلى موقان ٣٥٠
- ٩٨- ذكر كبسة السلطان بحدشير كبوت ، كبسه التاتار . . . ٣٥٣
- ٩٩- ذكر تسيير السلطان مجير الدين يعقوب إلى أخيه الملك الأشرف موسى ٣٥٥
- ١٠٠- ذكر حال السلطان بعد أن كبسه التاتار بموقان . . . ٣٥٦
- ١٠١- ذكر سيرة شمس الدين الطغرائى بتبريز فى هذه المدة . . ٣٥٩
- ١٠٢- ذكر عودى إلى خدمة السلطان وخروجى من كنجة . . . ٣٦٠

صفحة

- ١٠٣ - ذكر حبس السلطان شرف الملك بقلعة جاريبرد وقتله بعد شهر أو أكثر ٣٦٤
- ١٠٤ - ذكر نبذة من سيرة شرف الملك ٣٦٧
- ١٠٥ - ذكر رحيل السلطان صوب كنجة وتملكها باينا . . . ٣٦٩
- ١٠٦ - ذكر وقوع البطاقة من خلاط إلى ميفارقين مخبرة بأن التاتار قد عبروا على بر كرى طالبين للسلطان وانفصالي عن الملك المظفر عائدا ٣٧٤
- ١٠٧ - ذكر نزول السلطان بيلد آمد وعزمه على المسير إلى أصفهان ورجوعه عن ذلك إلى رأى بعد ورود رسول الملك المسعود صاحب آمد وكبس التاتار إياه صباح ثاني يوم نزوله بها ٣٧٧
- ١٠٨ - ذكر ما آل إليه عاقبة أمر السلطان ٣٨١
- ١٠٩ - ذكر نبذة من سيرة السلطان وصفته وتواقيعه وما خاطب به وخوطب من ذكر الخلافة وسائر الملوك ٣٨٤

المصادر

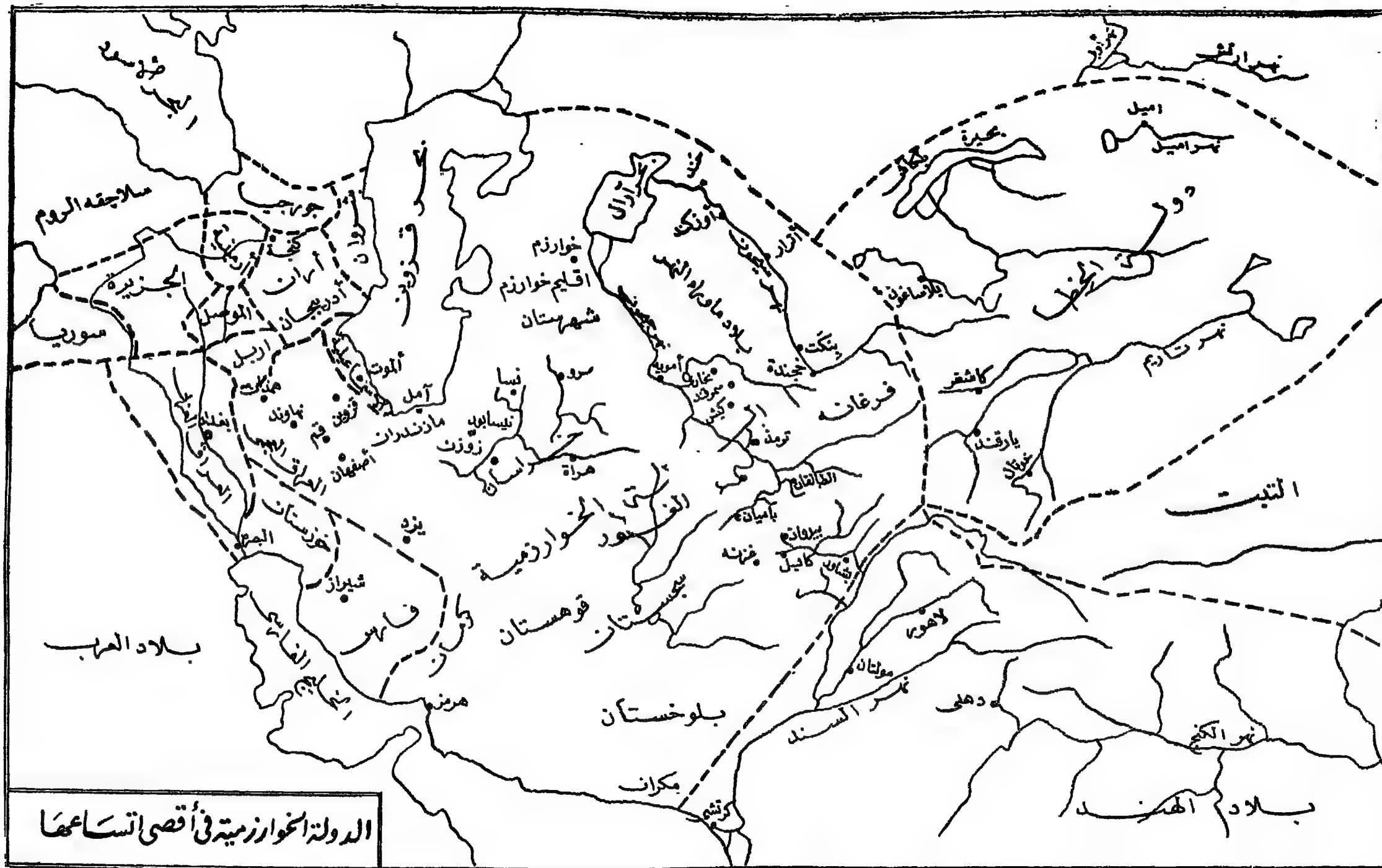
- ١ - المصادر العربية ٣٨٩
- ٢ - المصادر الأجنبية ٣٩٣

الكشاف

- ١ - أسماء الرجال والنساء ، والقبائل والشعوب ، والفرق الدينية ٣٩٩
- ٢ - أسماء المدن ، والأقاليم ، والأنهار ، والبحار . . . ٤١٦
- ٣ - الوظائف والدواوين وألفاظها أهمية خاصة . . . ٤٢٦
- الفهرس ٤٢٩
- تصويب ٤٣٦

تصويب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٣	٢	وامتدت	وامتد
٤٦	١٧	أبيهم	أباهم
٥١	٥	وملحاً	وملحاً
٧٧	٢٢	القضاء	القضاء
٩٢	١٩	وسؤالك	وسؤالك
١٠٢	١١	Tchéb	Tchébe
١٨١	٨	خرسان	خراسان
٢٢٢	١٨	شرسوا	شرسو
٢٣٧	٢٣	عبدا	عبدا
٢٧٥	٨	تقاراتهم	تقاراتهم
٢٨٠	١	نجم الرازي	نجم الدين الرازي
٢٩٤	١٨	(٤)	(٥)
٣٣٠	٢٠	J. Aesist	J. Asiat.
٣٨٥	١٥	حتى مضرب	حتى مات مضرب
٤١٤	١٢	الفردق	الفردق



HISTORY OF
DJALAL EL-DIN MANKOBIRTI
SHĀH OF KHWĀRAZM

By
MOHAMMED EL-NESAWI

Edit. By
HAFEZ A. HAMDI
B.A., M.A. "Hons.", Dip. in Ed.

Published By
Dar El-Fikr El-Arabi
Cairo, 1953.





